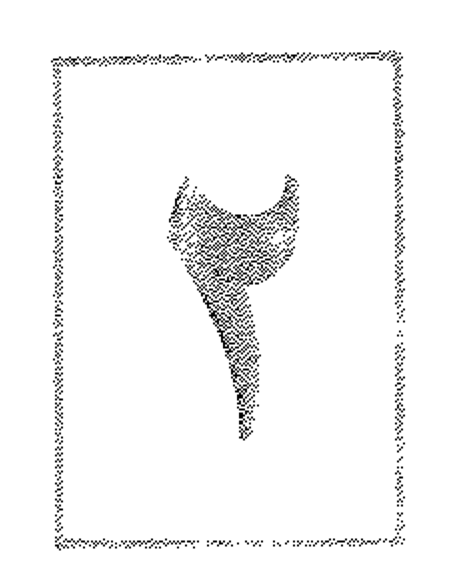
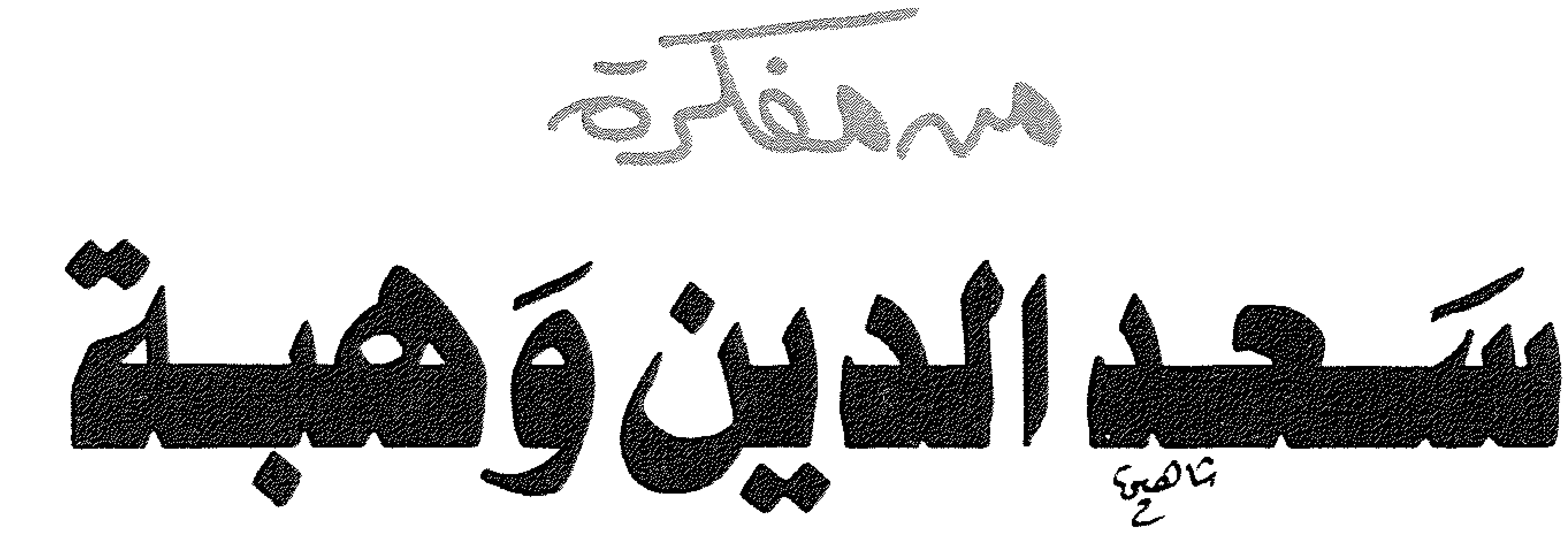
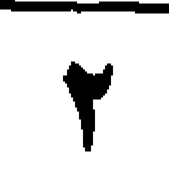




٢ سعد الدين وهبة

من مفكرة

سعد الدين وهبة

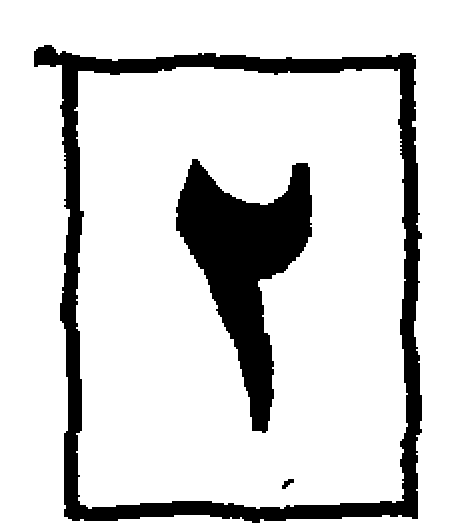

٢

الطبعة الأولى
ينـاير ١٩٩٤
رقم الإيداع / ٢٤٩٧ / ٩٤

شـركة الأمل للطباعة والنشر
إخـوان مورافيتلي سـابقاً
ت : ٣٩٠٤٠٩٦

مذكرات

سعد الدين وهبة



النـاشـر :

الفـجر للنـشر والتوزيـع

١٦٥ ش محمد فريد - القاهرة ت: ٣٩١٨٤١٤

تقديم

قليلون هم أولئك الذين يمتد عطاؤهم بلا حدود ، ولا يتأثر حماسهم بالمواقع الوظيفية أو المناصب الرسمية.. و«سعد الدين وهبه» نموذج لذلك الطراز من الرجال الذين يواصلون العمل العام دون توقف ، ويتصدون لحمل رسالة ثقافية مرموقة استمرت لفترة تزيد على ثلث قرن من الزمان.. وفى حياة ذلك الرجل الذى بدأ نشاطه الفكرى منذ كان ضابطا بالشرطة يدخل ميدان الأدب من باب الهواه ويمضى مع الصحافة والفن من موقع الكاتب الموهوب.. فى حياته محطات معروفة نذكر منها «الثقافة الجماهيرية» و«إتحاد الفنانين العرب» و«مهرجان القاهرة السينمائى» وغيرها من منعطفات قدمت لنا فى النهاية سبيكة «سعد الدين وهبه» المسئول الجاد ، والأديب المرموق ، والشريك الفاعل فى الحركة الفنية لسنوات طويلة ، فلا زلنا نذكر الأعمال الرائعة التى كتبها وأثرت الحياة المسرحية منذ الستينيات ، والأفلام السينمائية التى أحال قصصها الجامدة إلى أعمال مرئية ناطقة ، ومئات المقالات الصحفية فى مجالات السياسة والثقافة والهموم العامة ، ولعل آخرها هى تلك الباقة التى تتابعت زهورها وتجمعت ورودها على صفحات الأهرام فى الشهور الأخيرة تحت عنوان (من مفكرة) والتى استقبلها القراء بحفاوة واضحة ، وكانت ردود فعلها واسعة بحيث فتحت حوارا بين الكاتب ومئات المواطنين حول القضايا المشتركة والمشكلات الراهنة.. ولعله

من المناسب أن أشير فى هذا التقديم الموجز... إلى واقعة قريبة كنت طرفا فيها ، فقد دعوت رئيس وفد مصر لدى المقر الأوربى للأمم المتحدة وسفيرنا فى جنيف وهو دبلوماسى مرموق يحمل درجة الدكتوراه فى الاقتصاد الدولى لكى يحاضر الدبلوماسيين المصريين الشباب حول (إتفاقيات الجات) فإذا بهذا الدبلوماسى العالم يطلب قبل المحاضرة طبع مقالين أسبوعيين متتاليين للأستاذ «سعد الدين وهبه» ، حول نفس الموضوع فى صحيفة «الأهرام» لأنهما- فى رأى السفير المتخصص- من أدق ما قرأ حول تلك الاتفاقيات وأكثرها إلماما بالموضوع ووعيا بخلفيته وتأثيره على مستقبل اقتصاديات الدول النامية ومنها مصر ، وأبدى السفير دهشته البالغة لإلمام الكاتب - وهو أديب فنان بالدرجة الأولى- بكل تلك التفاصيل الاقتصادية والمعلومات التى لايهتم بها إلا أهل التخصص...

ذلك هو «سعد الدين وهبه» ، فارس الثقافة العامة ، ورجل الكلمة الهادفة ، وشاهد عصره الأمين.

د . مصطفى الفقى

يناير ١٩٩٤

خطاب الى وزير الداخلية الجديد

السيد اللواء/ حسن محمد الألفى وزير الداخلية

تحية طيبة .. وبعد

لا أعتقد أنك تملك الوقت كى تستقبل المهنئين وكى تصافح الوافدين من أقصاها الى أقصاها فأنت تعرف أنك قد شغلت منصبا هاما وخطيرا وكان محط الأنظار منذ أن أصبح فى مصر وزارة وخلال المائة عام أوأكثر وهى عمر مجلس الوزراء فى مصر كان منصب وزير الداخلية يحتفظ به الخديوى لنفسه أو لولى عهده أو لأقرب الناس صلة به وولاء له وعندما انتقلنا الى الحزبية كان هذا المنصب من نصيب أهم شخصيات الحزب وفى أحيان كثيرة يحتفظ به رئيس الوزراء لنفسه. كان يزاحمه فى البريق فى تلك الايام وزير المالية ولكن بمرور الزمن وكلما (قلت) المالية أصبح الوزير هاما ولكنه أصبح مقيد اليدين وانقلب من طائفة حاتم الطائى الى لامؤاخذه (...يزيد) وان ظل منصبا ذا بريق. كان وزير الداخلية فى الماضى أوسع اختصاصا منه الآن ويكفى أنه كان يقوم بأغلب مايقوم به المحافظون فى كل المحافظات عندما كانت أغلبها مديريات .. وكانت أهمية هذا المنصب الخطير تنبع من اختصاصين هامين فقد كان مسئولا عن العمد، والصراع على منصب العمدة قديم عريق بين الاسر الكبيرة وفى احيان كثيرة يفضل عضوية البرلمان. والعمدة هو الذى يرعى مصالح الاقطاعى ويسوم الفلاحين العذاب فى خدمة الباشا أو البيه أما الاختصاص الآخر الذى كان يجعل وزير الداخلية زينة الوزراء فهى الانتخابات وما أدراك بالانتخابات فالنظام الديمقراطى الغربى الذى حصلنا عليه مع الاستغلال المنقوص كان يجعل من الانتخابات البرلمانية الاساس لاستلام الحكم ومادراك ما الحكم فى عهد الاحزاب. ووزراء الداخلية السابقون هم الذين -أو أعوانهم- ابتكروا تفانين

تزوير الانتخابات من قسمة الجنيه نصفين نصف يسلم للناخب قبل الانتخابات ونصف بعده، الى طرد الناخبين جميعا وانفراد اللجان بالصناديق و٩٠٪على الاقل من الانتخابات التى تمت قبل ثورة يوليو زورت بطرق تقليدية أومبتكرة .أما بعد الثورة فجميع وزراء الداخلية ناس عال العال اسيادنا وتاج راسنا. صحيح أنى دخلت الانتخابات بعد الثورة أربع مرات نجحت مرتين ولم انجح مرتين ليس بسبب وزراء الداخلية حاشا لله فقدانتقل اختصاص التزوير فى بعض الاحيان لوزراء الادارة المحلية بل وفى احيان اخرى ظل فى مستوى مأمورى الأقسام.

ونعود اليكم سيدى وزير الداخلية الجديد ..

طبعا كل ماكتبته حكايات من التاريخ لا شأن لك بها هى شئ من الفولكلور البوليسى لا أعرف هل تستطيبه أم لا، المهم أنك تأتى لتحتل منصبا هوبطبيعته براق ولكن فى هذا الوقت بالذات وفى هذا التاريخ بالتحديدفإن المنصب يكتسب اهمية تاريخية وبريقا ولمعانا يتخطى حدود مصر ليتسع خاج مصر فى أقطار بعيدة وقريبة.

لاأريد أن أقول أننا نمر بمرحلة حاسمة فى تاريخنا فقد أفقدنا هذا التعبير مضمونه منذ استخدمناه فى الفاضى والمليان. اننى بدلامن هذا التعبير اقول لك مع الشاعر الكبير احمد شوقى «نحن نجتاز موقفا تعثر الآراء فيه وعثرة الرأى تردى»

نعم هذا هو المعنى الذى أقصده بالتحديد. انك تواجه موقفا فريدا لم يسبق لوزير قبلك أن واجهه ولا أقصد بذلك مواجهة مجموعات الارهاب التى تعبث بأمن الوطن تنقاد لمخططين فى الداخل او الخارج هدفهم الأول والأخير هو القضاء على اقتصاد مصر وعلى أمن مصر وعلى هيبة مصر.

وأقول لك بكل الصدق إننى أحس بجرح يدمى فى قلبى كلما سقط شهيد من رجال الشرطة فى معركة أو فى كمين من كمائن الخسة والنذالة ورغم ذلك كله لم أشعر بأن هذا الجرح بدأ ينزف دما وشملتنى رعشة الاحساس بالمهانة والعار الا يوم قرأت أن مباحثات تجرى بين السلطة والارهابيين وأقرأ كلاما كالرصاص شروط يشترطها هؤلاء. وسألت نفسى هل نحارب دولة أجنبية؟ هل اصبح هؤلاء كيانا قائما يتوسط بينه وبين الوطن الذى ينتمون اليه رجال أفاضل؟ هل هذا الذى يفاوض هو وحده الذى يحارب وهل من حقه ان يوقع سلاما بإسم جميع المحاربين ونحن وملايين الذين يحاربون معه اليست هذه المحاولات خيانة لهم. لماذا تدفع الناس

الى أتون المعركة ثم تتسلل فتحاول الصلح فى الخفاء. ولماذا الصلح مع هؤلاء فقط لماذا لانجريه مع باقى المجرمين.. لماذا لاترسل وسطاء -ليسوا من افاضل العلماء- طبعا يفاوضون تجار المخدرات ووفود لكل المجرمين والنشالين واللصوص وكل الخارجين على القانون ثم نكتفى بعدها بحل وزارة الداخلية والابقاء على اعداد قليلة من العساكر لزوم التشريفات. لم اسمع عن قائد يفاوض وسط المعركة الا اذا حس داخل نفسه بالهزيمة واحساس الانسان بالهزيمة داخل نفسه هو أقسى اللحظات التى يمر بها انسان مفروض انه خلق للحرب.

أنا لاأريد أن أقسو على وزير الداخلية السابق وأعلم انه بذل قصارى جهده فى معركة الامن واستهدف عدة مرات واعرف انه مازال مستهدفا وانه لم يحس بالامن ولن يحس به اليوم ولكن كيف انزلق الى هذا الذى حدث؟ ربما أقنعه حديث العلماء الافاضل ومنهم من يملك وسائل الاقناع المهم لا اريد ان اتوقف عند هذه النقطه طويلا فقد ضمد حسنى مبارك جراحنا فيها وبسرعة حاسمة وبحسم سريع..

سيادة الوزير حسن محمد الالفى .. أنت رجل أمن هكذا كنت وهكذا انت واقولها لك على مسمع من الناس أنت لست مؤهلا للتفاوض وليس التفاوض اختصاصا من اختصاصاتك. المقاتلون صامتون والمفاوضون ثرثارون وقد عرفتك صامتا فكن كذلك دائما.

أنصحك برجالك خذ بيدهم من غير اغداق ودون تقتير ولا تتصور ان نداء البطن عورة لابد ان تخفيها كن صريحا معهم ومع اصحاب الخزانة انك لاتطالبهم بأن يقوموا بواجبهم فقط إنك تطالبهم بأن يموتوا فامنحهم فرصة تجهيز بيوتهم واعداد اسرهم قبل أن يجهزوا أكفانهم .

سيدى الوزير.

لاتريد تهوينا ولا تهويلا. لا داعى لحكاية سيتم القبض خلال ساعات، وقد وعدنا مرات ومرات بالقبض على الذين فعلوا كذا وكيت خلال ساعات وتمر الساعات والايام والاسابيع والاشهر وكأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس لم يسمر بمكة سامر، لا داعى للتعبيرات التى فقدت مضمونها بدأ الحصار يضيق، سقوط أمير كذا وكذا، ولو كان كل الامراء الذين ذكر أنهم أمراء قد سقطوا فعلا لجاوزنا محمد على الكبير فى مذبحة القلعة ودخلنا التاريخ مرة أخرى فى مذبحة جديدة للأمراء.

السيد الويز

أنت فى حاجة الى الناس. كل الناس رجالك، ثم الجماهير والناس لن يكونوا معك قبل أن يثقوا بك ولكى يثقوا بك لابد أن تكون صادقا معهم فى كل كلمة تقولها. لا اتهام بغير دليل. لا آمال فى الهواء لا تلبث أن تتحول الى سلاح للسخرية والتهكم وهى بداية فقدان المسئول -أى مسئول- ثقة الناس.

والحوار ليس عملك فهناك فى المجتمع من يستطيعون الحوار اذا أرادوا ذلك ولكن أن يكون الحوار اسلوبا لمقاومة هذه الجرائم فأعتقد أن زمنا طويلا قد انقضى منذ أن كان ذلك ممكنا.

لقد عملت فى حماية الاموال العامة وعرفت معنى هذه الاموال ولكنك كنت تحميها من الاختلاس والرشوة ومثل هذه الجرائم، أما اليوم فانك مسئول عن حماية الاموال العامة والخاصة حمايتها من كافة أنواع الجرائم، وفى نفس الوقت حماية أموال لم تأت بعد ولم تصبح عامة أو خاصة لأنها مازالت عند أصحابها الذين يبث هؤلاء الارهابيون الرعب فى قلوبهم حتى لا يحضروا الى مصر سائحين أو زائرين ويضعوا من أموالهم فيها بعض ما يملكون .. أصبحت هذه من أهم المسئوليات التى تحملها فى هذه الفترة .. بالذات.

السيد الوزير

أنا لا أريد أن أبدو ناصحا. صحيح أنى سبقتك في خدمة هذه المهنة بثمانى سنوات ولكنك بالقطع أكثر منى دراية بأعمال الامن فلم أطقه الا سنوات وقضيت أنت عمرك حتى اليوم تجوس فى أدغاله.

أتمنى لك من قلبى كل توفيق ونجاح ويتمناه لك كل محب لهذا الوطن.

الاهرام ٩٣/٤/٢٤

هل وصلت السينما المصرية إلى طريق مسدود ؟

ان أعظم فيلم يمكن أن تقدمه السينما المصرية وهى تلفظ أنفاسها الاخيرة هو فيلم يحكى قصة السينما مع الدولة أو بالاحرى قصة الدولة مع السينما، فهى لم تتوقف أى الدولة عن الادعاء وبتكرار لا يمل أنها تضع السينما فى مكانة رفيعة وانها تقدم لها الدعم الواجب وانها تنظر اليها كفن جماهيرى يستطيع أن يلعب دورا فى خدمة أهداف هذا الشعب. والذى صنعته الدولة بالسينما فى أغلب الاحيان يتناقض مع هذه المزعم تناقضا شديدا. لقد بدأت السينما فى كنف الدولة أى فى كنف وزارة الثقافة كمؤسسة للدعم ثم تحولت الى مؤسسة من غير دعم ثم أصبحت مؤسسة للسينما والهندسة الاذاعية تضم اثنتى عشرة شركة بعضها للانتاج العربى والانتاج المشترك وللتوزيع ولدور العرض وللمعامل وكان يتبع المؤسسة أيضا شركة شاهر للأدوات الكهربائية والنصر للتليفزيون والترانزستور، ثم ما لبثت أن أصبحت مؤسسة للسينما فقط دون الهندسة الإذاعية تضم شركات سبع، ثم أدمجت دور العرض والتوزيع فى شركة واحدة فأصبحت مؤسسة ذات ست شركات، ثم أدمجت الشركات فأصبحت مؤسسة ذات شركتين ثم أصبحت مؤسسة دون شركات ثم تحولت الى هيئة وانضم اليها المسرح فى هيئة واحدة، ثم تم انفصال المسرح عن السينما وأصبح للسينما شركتان ومركز، ثم أنشئت هيئة للسينما ضمت شركتى السينما وشركة الصوت والضوء التى كانت تابعة للآثار، ثم تحولت الهيئة الى شركة قابضة على رقبة السينما تضم ثلاث شركات هى التوزيع ودور العرض والاستديوهات والصوت والضوء.

وفى التنظيم الاخير لقطاع الاعمال العامة انضمت الشركة القابضة للسينما مع السياحة الى الشركة القابضة للاسكان. وثارت السياحة وغضب أصحابها وأسرعت الصحف بمساندة السياحة والاعتراض على ضمها للاسكان، وصرح وزير السياحة أن أحدا لم يستشره فى هذا

الذى كان. ووزير السياحة بالذات هو أولى الوزراء بالحديث عن الخصخصة فهو فارسها الاول وصاحب مشروعاتها فى الادارة قبل الملكية. هذا الذى حدث فى السياحة لم يقابله شئ فى السينما فلم يغضب أحد ولم يحزن أحد ولم يتساءل أحد وما علاقة السينما بالاسكان واذا كان البعض قد اعتبر الفنادق والقرى السياحية أماكن معدة لكى (يسكنها) السياح ومن هنا جاءت علاقاتها بالاسكان فان السينما لا يسكن فيها أحد، واذا كان المقصود أن بعض المتفرجين ينامون فى بعض دور العرض أثناء عرض بعض الافلام فان فترة نومهم فى المرة لا تزيد عن ساعتين مدة عرض الفيلم وهذا لا يمكن اعتباره سكنا كما أن الاستديوهات يبنى فيها فى بعض الافلام حجرات للنوم ولكنها تهدم فى نهاية التصوير وبذلك لا يمكن اعتبار السينما سكنا بأى حال من الاحوال، صحيح هناك (بلاتوهان) فى مدة السينما بنتهما ألمانيا الغربية فى عام ١٩٦٣ وكانت على وشك إمدادهما بالمعدات واهدائهما لمعهد السينما الا أن قطع العلاقات السياسية بين مصر وألمانيا بسبب صفقة الدبابات التى باعها مستشار ألمانيا اديناور لرئيسة وزراء اسرائيل جولدا مايير حالت دون اتمام البلاتوهين وهما الآن سكنا ممتازا ومستقرا للوطاويط. وإن قصد بالاسكان أن هذين البلاتوهين أصبحا سكنا للوطاويط فكان الاولى أن تنضم السينما الى الشركة القابضة للطيران المدنى باعتبار أن الخفافيش أيضا تطير.

المهم أنها ليست المرة الاولى التى يجرى فيها الحاق مؤسسات ثقافية بأجهزة تبدو بعيدة عنها اختصاصا ولكن فى عقل المسئولين دائما وأبدا تبرير مقنع، أو غير مقنع. المهم أنه قابل للتنفيذ أو حتى لو كان غير قابل للتنفيذ فهو الذى سوف ينفذ وفى وقت من الاوقات كانت دار الاوبرا تابعة لوزارة الاشغال -هذا طبعا قبل انشاء وزارة الاسكان- والسينما ليست أحسن من الأوبرا بالطبع. وفى فترة أخرى كان المسرح القومى يتبع وزارة الشئون الاجتماعية وفى نفس هذه الفترة كانت مصلحة السجون تتبع وزارة الشئون الاجتماعية ولا بأس من ذلك فالمسرح يشترك مع السجون فى أن كلا منهما هدفه التأديب والتهذيب والاصلاح. حتى مصلحة الآثار انتقلت بتبعيتها ذات يوم الى وزارة الخزانة باعتبار أن الآثار مصدر دخل للخزانة العامة تماما كالضرائب والجمارك.

اذن وبعد هذا الكلام الطويل المعزز بالتداعيات التاريخية، مسألة تبعية الشركة القابضة للسينما الى الشركة القابضة للاسكان لاتهم ما دامت الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى.

النقطة الهامة والخطيرة هى سؤال ساذج جدا وهو من المسئول عن السينما الآن ؟

وزارة الثقافة .. طبعا لا فوزارة الثقافة ومنذ انشاء الشركة القابضة على رقبة السينما أصبحت غير مسئولة نهائيا عن السينما وأتصور أن وزارة الثقافة تفرك يديها فى راحة شديدة بعد أن خلصتها الحكومة من هذا الهم الدائم المقيم الذى اسمه السينما. اذن هو قطاع الاعمال ووزيره هو الدكتور/عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء واذا كان الامر كذلك فقد تقدمت السينما خطوة بل خطوات، كانت تتبع وزيرا فأصبحت تتبع رئيسا للوزراء. ولكن هذا لم يحدث فقد أعلن الدكتور عاطف صدقى وزير قطاع الاعمال ألا شأن له اطلاقا بالشركات القابضة فلا هو مسئول عنها ولا عما يحدث فيها وهى بكل وضوح لا تتبعه. اذن فهى تتبع الشركة القابضة للاسكان كما قدمنا ولكن فى حديث للسيد وزير قطاع الاعمال العامة بصدد الشكوى من تبعية شركات السياحة للشركة القابضة للاسكان قال رئيس الوزراء إن الشركة القابضة لا شأن لها بالشركات التى تتبعها الا أنها مسئولة فقط عن المحفظة وكل شركة هى مسئولة عن نفسها. وهكذا وصلنا الى نتيجة واضحة تقول أن السينما تطبيقا للقانون ٢٠٣ لسنة ١٩٩٢ والقوانين المعدلة والقرارات اللاحقة لا تتبع وزارة ولا شركة فهى تقف وحدها، المسئول عنها جمعيتها العمومية وهنا أتذكر مجلة فكاهية كانت تصدر فى الاربعينيات والخمسينيات من هذا القرن اسمها (البعكوكة) وعلى سبيل السخرية كانت ترويسة المجلة تقول (صاحبها متبرى منها) (رئيس تحريرها مالوش دعوة بيها) لا أدرى لماذا أفكر فى البعكوكة كلما فكرت فيما آلت اليه السينما الآن.

وأيضا يصرف النظر عن التبعية فربما قال قائل هل دائما أنتم فى حاجة الى وزارة تعيشون فى كنفها؟ ولا بأس من ذلك وان كنت أستطيع أن أرد بالمثل الشعبى العريق الذى يقول (اللى مالوش كبير يشترى له كبير) وبصرف النظر أيضا عن هذا الكبير غير الموجود والذى لا تجد شيئا تشتريه به خوفا من أن يخضع للخصخصة فتبيعة الشركة القابضة للاسكان. المهم هو المستقبل ولا داعى للبكاء على الماضى. المستقبل يقول بكل صراحة ووضوح أن الشركات القابضة وجدت لتبيع ثم تذهب الى حيث جاءت وقيل بوضوح كامل أنها ولدت لتموت ومع ذلك مازال البعض يتصور أن هذه الشركات يمكن أن تمارس نشاطا أو نحو ذلك. المهم أن القانون ٢٠٣ المنظم لقطاع الاعمال قد قرر بوضوح ايضا نقل ملكية الشركات التابعة للشركة القابضة الى الشركة القابضة فور تنفيذ القانون وهو قرار منطقى فما دامت

الشركة القابضة هى التى ستبيع فلابد أولا من أن تملك ما تبيعه. وفى قطاع السينما كانت الشركات لا تملك شيئا من الأصول. أما الأصول فمازالت حتى اليوم ملك المجلس الأعلى للثقافة وهو هيئة عامة أنشئت بالقرار الجمهورى ١٥٠ لسنة ١٩٨٠ ونص فيه صراحة على نقل ملكية أصول السينما كالاستوديوهات ودور العرض الى المجلس الاعلى للثقافة، ثم صدرت قرارات وزارية لاحقة بانشاء الشركات الثلاث: مصر للتوزيع ودور العرض ومصر للانتاج والاستوديوهات ومصر للصوت والضوء. المهم أن الذين تعرضوا لهذا الوضع قد ذهبت بهم الافكار شتى المذاهب ولم يعرف أحدهم الحقيقة التى جعلت من كون هذه الشركات حريصة على نقل ملكية الأصول الى المجلس الاعلى للثقافة. ولما كنت المسئول عن ذلك فانى أقول إنه عند الاعداد لقرار انشاء المجلس والشركات واجهتنا بعض المشاكل منها على سبيل المثال أن أصول كل من الشركتين قد قيمت بحوالى ١٩ مليون جنيه وكان السؤال ماذا تفعل شركة تملك رأس مال مجمد على شكل أصول ثابتة بـ ١٩ مليون كم سيكون رأس مالها وكم من الممكن أن تحقق أرباحا ؟ اضافة الى ذلك أن السينمائيين اعترضوا فى ذلك الوقت على تحويل الهيئة التى لا تطالب بأرباح الى شركة ستعمل فى سبيل تحقيقها للربح وستزيد من ثمن الخدمات التى تقدمها للفيلم المصرى وحتى لا يكون الربح هدفا للشركات فكرنا فى هذا الشكل الجديد وهو نقل ملكية الأصول للمجلس الأعلى على أن تكون الشركات شركات ادارة فقط، وهذا النظام أقرب ما يكون لفكرة الشركات القابضة وكان جديدا أو يطبق لأول مرة وأذكر أن الدكتور على السلمى الوزير السابق دعانى الى مركز علمى يتبع جامعة القاهرة لكى أتحدث عن هذه التجربة الجديدة.

ورغم ذلك فمنذ قامت هذه الشركات وتناسى الذين أداروها ومنذ اليوم الأول السبب الذى اخترناه لهذا الشكل وأداروها بهدف تحقيق الربح وشطوا فى ذلك وكانوا سببا واضحا فى خنق السينما المصرية لفترة طويلة.

المهم أن هذه القضية سوف تحل وسوف تصدر القرارات الرسمية اللازمة لنقل ملكية الأصول من المجلس الاعلى للثقافة الى الشركات الداخلة الآن فى الشركة القابضة للاسكان.

ولكن ما هو وضع هذه الأصول فى كل القواعد والقوانين القائمة؟ وبمعنى أصح ما هو مستقبل السينما فى ظل هذه الظروف؟

أولا أريد أن أخرج شركة مصر للصوت والضوء من هذه العملية تماما وأتفق مع السيد وزير الثقافة فى مسعاه لكى تخرج هذه الشركة من قطاع الاعمال العامة وتعود الى هيئة الآثار اذ من غير المعقول أن تباع هذه الشركة وأن تدخل عناصر تجارية أجنبية كانت أو مصرية داخل الآثار المصرية التى نحافظ عليها بأرواحنا ولا معنى للكلام البايخ الذى يطالب بالابقاء على هذه الشركة لانها تربح كثيرا وتستطيع بارباحها أن تساعد شركات السينما المنفذة، وانما أقول كمصرى أولا وسينمائى ثانيا إن الآثار أثمن لدينا من أى شئ آخر أما اخواننا الذين يطالبون بالاحتفاظ بها مع شركات السينما كى تساعدهم ماديا أقول لهم (بلاش تلقيح جتت).

وننتقل الى الشركة الثانية وهى شركة التوزيع ودور العرض وهى تملك أصول بعض دور العرض وتستأجر البعض الآخر ولديها حق استغلال مجموعة ثالثة. أما المجموعة التى تستطيع أن تبيعها لأنها تملكها وتديرها فى نفس الوقت فحوالى ١٨ دارا للعرض ولنأخذ على سبيل المثال ميامى أو ديانا أو بيجال أو أى دار عرض فى وسط القاهرة سوف يبلغ ثمنها بالطبع عدة ملايين من الجنيهات لارتفاع سعر متر الأرض الى عدة آلاف معنى هذا أن مشترى هذه الدار سوف يحولها الى مشروع استثمارى كبيرة كمبنى ادارى أو سكنى تحتل السينما فيه الأدوار الثلاثة الأولى أو بمعنى أوضح فان الذى سيشترى هذه الدار سيكون هدفه الأول اقامة المبنى الذى سوف يدر ثمانية أعشار دخله أما السينما فعلى الأكثر سوف تحقق له ٢٠٪ من دخل المبنى. اذن من الذى سوف يتقدم لشراء هذه الدار: مستثمر أم سينمائى؟ مستثمر طبعا واذا اشترى ميامى مثلا فى هذا الموقع الممتاز فى شارع طلعت حرب ما الذى يلزمه باقامة دار عرض أخرى بدلا منها تحت المبنى كما قلنا .إن هناك قانون يلزم من يهدم دارا للعرض أن يبنى دارا بدلا منها ولكن القانون وللأسف الشديد لا يرتب عقوبة على مخالفته والتجربة الوحيدة التى تمت فى هذا المجال كانت تجربة فاشلة فقد أقيم مبنى ضخم مكان سينما كوزمو بشارع عماد الدين وأقيمت دار عرض أسفله ثم قام نزاع بين مالكى العمارة وشركة مصر للتوزيع ودور العرض كان من جرائه أن الشركة المالكة لم تنته من اقامة دار العرض وظلت على حالها منذ أكثر من عشر سنوات وخسرت السينما المصرية وشركة مصر دار سينما كوزمو ولم تكسب شيئا بدلا منها رغم القانون.

ان مشكلة السينما المصرية فى المقام الأول هى دور العرض التى تقلصت من ٤٥٠ دارا

فى بداية الثورة وتعدادنا ١٩ مليون الى ١٤٠ دارا وتعدادنا يقرب من الستين مليون.

والشركة الثالثة شركة الاستوديوهات التى تملك استوديو مصر والاهرام ونحاس ومدينة السينما.. مساحات شاسعة على طريق الأهرام.

من الذى سوف يتقدم لشرائها وماذا سوف يفعل شارى استوديو مصر مثلا الذى تبلغ مساحته ثمانية أفدنة ونصف وأقول إن هذا الشارى اذا أعدها كاستوديو سينمائى بمعدات حديثة وبأسعار اليوم فسوف تصل تكلفة البلاتوه الواحد تكلفته فقط الى عدة آلاف وهو ما لا تطيقه السينما المصرية باقتصاديات الفيلم الحالية ويكفى أن نعلم أن البلاتوه الكبير فى استوديو مصر يؤجر فى اليوم بأقل من مائة جنيه ومع ذلك تهرب منه بعض الأفلام لتصور فى شقق وفى الشوارع.

ثم وهو الأصح ما الذى يجبر شارى استوديو مصر أن يحتفظ به كاستوديو ولماذا لا يحوله الى عمارات سكنية تدر عليه الملايين.

اذن فما هو مستقبل السينما فى مصر اذا فقدت القلة الباقية من دور العرض وفقدت الاستوديوهات المتهالكة والقديمة؟

انى أتوجه بهذا السؤال للدكتور/ عاطف صدقى وأقول له ما يعرفه بالقطع: لقد بنى السينما المصرية اقتصادى كبير هو طلعت حرب.

الاهرام ٩٣/٥/١

هل قتل الناس جهاد فى سبيل الله؟

فى مفكرة الاسبوع الماضى فى (الاهرام) وعدت القراء بمواصلة الحديث هذا الاسبوع عن مشكلة السينما المصرية والى أين تسير بعد أن وصلت الى طريق مسدود، كما أنى عدت قبل أيام قليلة من رحلة الى تونس الخضراء بعد أن شاركت فى ندوة عن حقوق الانسان وحقوق الفنان ولدى الكثير مما يقال فى هذا المقام. ولكنى فضلت أن أرجئ ذلك كله الى أسابيع قادمة حيث عدت من الخارج فوجدت فى انتظارى بعض الخطابات وتسجيلات فى جهاز التسجيل فى التليفون تناقش بعض ما جاء فى خطابى لوزير الداخلية الجديد والذى نشر فى مفكرة يوم ٢٤/ ابريل الماضى بالاهرام.

السينما وحل مشكلتها من وجهة نظرى تستطيع أن تنتظر اسبوعا أو اسبوعين. ورحلة تونس قد يمكن تأجيلها هى الاخرى - على أهمية ما وقع فيها لأنى أعتقد أن ترك مفهوم خاطئ لدى واحد من القراء هو مسئولية الكاتب - أى كاتب - ما دام يقدم رأيه للناس عن قناعة به ويكتبه من ذات نفسه لا رغبه فى شئ ولا خشية أحد، يكتبه لأنه يعتقده وهذا ما كتبته وما سوف أكتبه والذى أدعو الله صبح مساء أن يكون بجانبى لأحققه فى كل سطر أسطره ألا أكتب سطرا واحدا عن رغبة أو رهبه ومن أجل ذلك سعيت ان أعود لأرسل قولى فى الناس حاملا من الصدق ما استطعت وما أحسه فى داخلى حتى ولو أخطأت مرة ومرات.

يقول من أسمى نفسه محمد عبد الله فى حديث مسجل يخاطبنى فيه بالصديق الاستاذ فلان ويبدأ القول بأن ينبهنى أنى أخطأت فى نسبة بيت الشعر الذى جاء فى خطابى للوزير ..

نحن تجتاز موقفا تعثر الاراء فيه .. وعثرة الرأى تردى

فقد نسبته خطأ لأمير الشعراء أحمد شوقى بينما هو فى الحقيقة لشاعر النيل حافظ ابراهيم فى قصيدته التى تغنى أم كلثوم بعضا من أبياتها والمعروفة باسم مصر تتحدث عن نفسها والتى مطلعها:

وقف الخلق ينظرون جميعـــــا كيف أبنى قواعد المجد وحدى

وبناة الأهرام فى سالف الـدهر كفونى الكلام عند التحـدى

الى أن يقول :

نحن تجتاز موقفا تعثر الآراء فيه وعثرة الرأى تردى

وهذا هو الصواب الوحيد فى فى رسالة محمد عبد الله المسجلة وهى زلة قلم أو زلة ذاكرة - أيهما - أعتذر عنها تماما ولعلها كما قال السيد محمد من عواقب العجلة أو من أخطاء عدم المراجعة .. هذا صحيح.

ينتقل بعد ذلك السيد محمد عبد الله الى ما يسميه بيت القصيد فيسألنى هل تسوى بين المجاهدين فى سبيل الله واللصوص فترفض الحوار معه هؤلاء وهؤلاء. وهذا هوبيت القصيد كما يقول. وهل سويت فعلا بين المجاهدين فى سبيل الله وبين اللصوص وهنا لابد أن نسأل الأخ محمد هل هؤلاء القتلة المجرمون الغادرون الذين يتربصون فى الظلام ليرصدوا ضحيتهم يطلقون عليه النار أو يقذفون فى وجهه بالقنابل فيسلم الروح فى لحظات هل هؤلاء مجاهدون فى سبيل الله .. الى هذا الحد من الضلال وصلتم والى هذا الحد من التضليل أفهموكم .. هل قتل الشرطى البرئ أو قتل الكاتب الذى يجهر برأيه وهل قتل السائح الذى لا يعرف القاتل حتى اسمه أو وطنه هل هذا جهاد فى سبيل الله .. لقد عرفنا الجهاد وتعلمناه أطفالا وصبية وشبابا وشيبا، نعم نحن نعرفه على حقيقته، نعرفه يوم كان الرسول العظيم يقود جيوش المسلمين فى مواجهة الكفار الذين أذوه وضربوا أنصاره و أذاقوهم الويل وأعلنوا عليه الحرب قبل أن يواجههم بالقوة كان هذا جهاد فى سبيل الله وحروب الخلفاء والذود عن دين الله والحرب ضد أعداء الوطن .. نعرف أن هذه الحروب جهاد فى سبيل الله ونعرف جهادا آخر فى سبيل هو الدعوة اليه والى دينه الحنيف فتعليم الناس وحضهم على الخير ومقاومة الرذيلة وتأكيد معانى الفضيلة فى المجتمع هذا جهاد

فى سبيل الله قد يلقى الانسان فى سبيله العنت والاذى والظلم ولكنه يتحمل كل شئ فى سبيل الله بنفس راضية وقلب مطمئن وروح وثابة الى الخير والسلام. هل يمكن أن تسوى بين جندى يحارب فى سبيل الله ذودا عن دينه أو عن وطنه وبين هذا الجبان الغادر الذى يغتال فى الظلام وزيرا يملك عشرات الوسائل لنقده ورفض أعماله اذا كانت لا تعجبه أو لا تعجب الذين دفعوه دفعا الى ذلك وزعموا له أن القتل الحرام جهاد سبيل الله . لا يا سيد محمد عبد الله ان الذى فعله ويفعله هؤلاء هى جرائم لا أساوى بينها وبين اللصوصية بل أضعها فى رأس قائمة الجرائم الكبرى، فسارق المال أقل اجراما من سارق الروح والمعتدى على ما يملك الناس من متاع أخف كثيرا ممن يعتدى على أرواحهم فييتم أطفالهم ويرمل زوجاتهم ويحرم منهم اناسا كثيرين كانوا فى أشد الحاجة اليهم لا لسبب الا لأن هذا سئ الحظ وقع فى طريق هؤلاء ..والسائح الالمانى أو السائحة الانجليزية التى جاءت الى هذه البلاد مدفوعة بما قرأته أو شهدته من مظاهر العظمة الراحلة جاءت وهى تتصور أنها تأتى الى رحاب أحفاد الذين شادوا هذه الحضارة الرائعة وأصبحوا علامة على العلم والفكر والسلام ثم تواجه بغلام من هؤلاء يرفع البندقية لتسقط الغريبة لافظة أنفاسها بأرض غريبه كانت تحسبها أرضا حبيبة فاذا بصبية أغبياء يصنعون لها الموت فتلاقيه بدلا من العلم والفن والتاريخ فيفر الآخرون ويخشى الذين مازالوا فى أوطانهم وتجف جيوب الذين كانوا يعيشون على ما ينفقه هولاء هل يمكن أن نسمى هذا ياسيد محمد عبد الله جهادا فى سبيل الله؟. هل قتل الغرباء الابرياء وافقار المصريين وتخويف السائحين هل فصل العاملين فى الفنادق وشظف العيش الذى يلاقية اليوم العاملون فى السياحة هل هذا جهاد فى سبيل الله؟. ما أبشع ما تقولون وما أبشع ما تضعونه فى عقول هؤلاء الصبية؟ إنهم ضحايا أغبياء .. ضحايا لحقد ملأ قلوبهم وأكل ما فيها من نوازع خير وسلام.

ثم ماذا .. يقول السيد محمد عبد الله فى جرأة غريبة أنهم مجاهدون اذا أصابوا فلهم أجران وان أخطأوا فلهم أجر واحد .. يا سلام يرتكبون جرائم القتل ويطلب لهم الاخ محمد أجرا واحدا أين الحياء؟ يا للجسارة ياالخراب العقول بعد خراب القلوب ..

ثم ينتقل السيد محمد عبد الله الى المفاوضات فيسأل هل طالب هؤلاء بزيادة الرواتب كلا إنهم يطالبون بحرية العبادة والدعوة الى الله ووقف تعذيب المعتقلين .. أتظن يا أخ محمد أننا نعيش فى كوكب آخر أو نحيا فى بلاد أخرى؟ من الذى حرم انسانا فى

الدولة من حرية العبادة مسلما كان أو غير مسلم أليس هذا افتراء على الحقيقة؟ هل وقفت سلطة - اى سلطة -. فى وجه انسان يمارس عقيدته .. الا نشاهد لا المساجد ولا دور العبادة بل المكاتب والمصانع والمزارع وقد تحولت فى أوقات الصلاة الى مواقع للصلاة هل جرؤ انسان أن يمنع اناسا سدوا الشارع وأوقفوا المرور فى صلاة الجمعة فى شارع مفتوح؟ هل لام مسئول أى موظف ترك عمله من أجل اقامة الصلاة؟ بل ألم تتخذ اقامة شعائر الصلاة فى أماكن كثيرة وفى أوقات كثيرة حجة لإرجاء قضاء حاجات الناس أو القيام بمسئوليات الوظيفة التى يتقاضى أجره عنها. ثم الدعوة الى الله .. هل منع أحد أحدا من الدعوة الى الله إلا اذا كنت تعتقد أن القتل دعوة الى الله ما دمت قد صورت القتل جهادا فى سبيل الله. اما وقف تعذيب المعتقلين فلا أعتقد أن انسانا ذا ضمير يوافق على تعذيب أى انسان متهما كان أم غير متهم، معتقلا كان أو غير معتقل، وأعتقد أن هناك وسائل كثيرة لإثبات هذا التعذيب - اذا وقع - والاقتصاص من القائمين به وقد حدث ذلك مرات ومرات، ولماذا تنفى عن هولاء طلبهم زيادة الرواتب وهو الشئ الوحيد المشروع لو طلبوه.

ثم ينتقل الأخ ليسبنى فمن كان يحمل عقلا يعتبر أن القتل الحرام جهاد فى سبيل الله لابد أن يحمل لسانا سليطا وسأثبت ذلك على الفور. إنه يقول ولا أقول لافض فوه، بل أقول فض فوه مرة ومرات ان الذين يرفضون الحوار هم أمثالى الذين يسيئهم أن تستقر الأمور فى مصر والقاء الكلام على عواهنه .. يا أخ محمد أنا لا أعرفك ولكنك تعرفنى ويعرفنى غيرك والذى قضى من عمره أكثر من خمسين عاما فى النور وفى مختلف المجالات التى يتوفر فيها ركن العلانيه يمكن الحكم عليه ويكفى أن أقول لك مع الشاعر ..

لست من دعاتها علم الله　　　　ولكننى اليوم من حرها صالى

ينتقل السيد محمد الى موضوع آخر فيسألنى لماذا لم أكتب كما فعل غيرى عما يقوم به التليفزيون من هدم للقيم ثم يقول ألم تر فلانة وهنا ذكر اسم ممثلة كانت تقدم برنامجا فى رمضان ثم يصفها بالنص فلانه «بيت الزنا» ثم يخشى ألا نفهم كلمة الزنا فيقول «بنت الحرام» ويتبع ذلك بقوله ليس هذا سبابا ولكنه الحقيقة، تلك التى كانت ترقص شبه عارية على نغمات رمضان كريم الله اكرم . هنا تبلغ المسألة نهايتها فعندما يعطى انسان لنفسه الحق فى أن يرمى سيدة - أية سيدة - بأنها بنت حرام ثم يقول فى هدوء - أن هذا ليس سبابا ولكنه الحقيقة - كيف يا سى محمد عبد الله هى الحقيقة هل عاينت واقعة الزنا هل

كنت شاهدا على تلك الواقعة هل .. هل .. لابد لمثل هؤلاء المرضى أن يصلوا الى هذه النهاية الكريهة. ان الذين يقولون إن قتل الأبرياء جهاد فى سبيل الله لابد أن نفوسهم قد مرضت وعقولهم أصابها الهوس حتى يرموا الناس بأكبر الكبائر زاعمين أنها الحقيقة.

لقد أخذت هذا التسجيل من بين بعض ما وصلنى وهو ليس بالكثير ولكن النقطة التى اشترك فيها عدد من هؤلاء كيف أدعو لرفض الحوار؟ وأنا فعلا أدعو لرفضه مع من حملوا السلاح فقد اختاروا الوسيلة والطريقة التى يتخاطبون بها مع مجتمعهم، ولكنى لا أرفض حوارا مع ضحايا فى الطريق بل أدعو اليه لانقاذ أولادنا الأبرياء من مثل هذه العقليات التى تستغل الخواء الفكرى والفراغ العقلى فتزرع فى عقول وقلوب هؤلاء أبشع الأفكار باسم الدين والدين من أمثالهم براء. أولئك يقولون ان قتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق جهادا فى سبيل الله وقانا الله شر هؤلاء ووقى الكنانة شرورهم ووقى أولادنا أن يقعوا فى براثنهم إنه سميع مجيب.

الأهرام ٩٣/٥/٨

تونس الخضراء بين حقوق الانسان ومقاومة الارهاب

لم يكن اختيار (تونس) العاصمة لتكون مكانا لإقامة ندوة الفنانين العرب حول حقوق الانسان وحقوق المبدع والفنان مجرد اختيار عاصمة عربية يجتمع فيها أخوة يناقشون همومهم الكثيرة ويصلون فيها الى ما يشبه الاتفاق سواء أخذ هذا الاتفاق طريقه الى التنفيذ اليوم أو غدا أو كان على الاقل تنبيها وتذكيرا لمن بيدهم الامر. ان السير فى طريق التحضر والمدنية يحتاج الى جهد كبير والى ضوابط كثيرة تصون حرية الافراد وتصون حقوق من نذروا أنفسهم للتعبير عن هؤلاء الافراد بما تقدمه قريحتهم من فكر وفن.

لم يكن اختيار تونس اختيارا عشوائيا فلتونس فى كل من المجالين - حقوق الانسان وحقوق الفنان - دور كبير وصلة وثيقة تجعل من هذه العاصمة العربية الرائعة والهادئة مكانا أثيرا لمناقشة هذه الموضوعات، ففى تونس المعهد العربى لحقوق الانسان وهو المعهد الوحيد فى العالم العربى وهو مؤسسة عربية مستقلة تأسست سنة ١٩٨٩ هدفها نشر الوعى والمعرفة بحقوق الانسان فى الوطن العربى وحمايتها وتطويرها. هذا الى أن تونس شهدت فى السنوات الاخيرة نشاطا مكثفا بعد قرار الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١٥ ديسمبر ١٩٨٩بالدعوة لمؤتمر عالمى حول حقوق الانسان يعقد بڤيينا فى النمسا من ١٤ الى ٢٤يونيو القادم، ويهدف هذا المؤتمر الى عرض وتقييم التقدم الذى تحقق فى مجال حقوق الانسان منذ اصدار الاعلان العالمى وتذليل العقبات من خلال وضع وسائل حديثة لتخطى هذه العقبات وبحث ودراسة سبل تطوير ممارسة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحقوق المدنية والسياسية وكيفية تهيئة الظروف الدولية للتمتع بها وتقييم فعالية الادوات التى تستخدمها الامم المتحدة لتأمين احترام حقوق الانسان والعمل من أجل تحسين وتطوير أدائها وتوفير الاموال اللازمة لنشاط الامم المتحدة فى هذا المجال.

فقد شهدت تونس نشاطا تحضيرياً للمشاركة فى هذا المؤتمر وعقدت العديد من المنظمات غير الحكومية العربية اجتماعات فى تونس يومى ٣١أكتوبر و ١ نوفمبر الماضى بدعوة من لجنة التنسيق التى شكلها المعهد العربى لحقوق الانسان واتحاد المحامين العرب والمنظمة العربية لحقوق الانسان. وقد وضعت المنظمات العربية خطة متكاملة تحضيرية للمؤتمر العالمى تشمل تحركات على مستويات عديدة .. ورغم حداثة المعهد العربى لحقوق الانسان الا أنه حصل على جائزة اليونسكو لتدريس حقوق الانسان من عام ١٩٩٢. ومن أجل ذلك كانت الورقة التى قدمتها للندوة والتى قيمت فيها دور الفنان فى نشر الوعى بحقوق الانسان وفيها تلخيص للأسباب والمعوقات التى تحول دون تنمية الوعى بحقوق الانسان فى العالم العربى. ومن الملاحظات الهامة موقف الدول العربية من اتفاقيات حقوق الانسان واتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة والعقوبة القاسية أو اللاانسانية أو المهينة وقعتها سبع دول عربية فقط. أما الاتفاقية بشأن الحقوق السياسية للمرأة فقد وقعتها هى الأخرى سبع دول عربية أما اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة فقد وقعتها خمس دول عربية والمعاهدة الدولية لحقوق الطفل وقعتها تسع دول عربية. أما العهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية والسياسية فقد وقعته ١٢ دولة ومثلها وقعت العهد الدولى الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

لقد احتلت قضية حقوق الانسان فى أعمال المبدعين والفنانيين عموما منذ أربعينات القرن الحالى، ومازالت، موقعا بارزا بحكم المعاناة التى عاشتها الشعوب من جراء تفجر حربين عالميتين. وأيضا بسبب المواجهات التى قامت بين أنظمة الحكم الفاشية من جهة والمفكرين من جهة أخرى. وقد زاد الاهتمام بقضايا حقوق الانسان بعد قيام الامم المتحدة واصدار الاعلان العالمى لحقوق الانسان وما تضمنه من مبادئ عامة فتحت الطريق أمام صياغة العديد من الاتفاقيات والعهود الدولية مثل العهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والعهد الدولى الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية واتفاقية حقوق الطفل واتفاقية مناهضة كافة أشكال التمييز ضد المرأة، واتفاقية مناهضة التعذيب وغيرها من الاتفاقيات والاعلانات الاخرى. ومع التباين الذى شهده النظام الدولى ونشوء كتلتين دوليتين «المعسكر الاشتراكى والمعسكر الرأسمالى» اختلفت الرؤى حول قضايا حقوق الانسان .. ولكنها ظلت عملا تبشيريا الى أن قوى ساعد حركة حقوق الانسان الدولية

واتسعت شبكة المنظمات العاملة فى هذا الميدان وارتفع صوت المطالبين بحقوق الانسان والشعوب، وخاصة بعد الانهيار الذى لحق بالنظم الشمولية فى البلدان الاشتراكية، وقد انعكس ذلك على أعمال المبدعين فى كافة المجالات خاصة فى مجال الفنون المرئية أو المسموعة. ولعل ما يلفت النظر هو تولى عدد من الكتاب والمبدعين الذين عانوا من تعنت السلطات الحاكمة الحكم فى بلدانهم بعد سقوط النظم التى صادرت كتبهم أو أعمالهم الفنية وقيدت حريتهم خلف القضبان.

أما بالنسبة لعالمنا الثالث ودول الجنوب عموما فقد بدأت حركة حقوق الانسان كعمل تبشيرى ومازالت. كما ظلت عملا نخبويا رغم أهميتها بسبب غياب الوسائل والامكانات لنشر حقوق الانسان ونشر الوعى والمعرفة بها. وتبدو المسألة فى غاية الاهمية والتعقيد خاصة فى مجتمعاتنا التى تتحول من سيطرة الحزب الواحد الى التعددية السياسية والتى تغيب فيها مؤسسات المجتمع المدنى والوسائل التى يمكن أن تسهم فى صياغة رأى عام قوى يحول دون ظهور جماعات العنف ويرسى أساسا سليما لحوار هادئ بين أطراف المجتمع ولذا تبدو أهمية قيام الفنانين بدورهم بالتوعية ونشر المعرفة لحقوق الانسان.

هذا عن حقوق الانسان ودور تونس فى هذا الميدان الهام، أما عن حقوق المبدع والفنان فقد كانت تونس الدولة العربية الوحيدة التى اجتمع مندوبوها مع مندوبى سويسرا وفرنسا وألمانيا وأسبانيا وبلچيكا وايطاليا والمملكة المتحدة وهياتى فى ٩ سبتمبر ١٩٣٥ بمدينة برن وأبرموا الاتفاقية المعروفة باتفاقية برن، وهى الاتفاقية العالمية لحماية (المصنفات الفنية والادبية) وتنص على أن كل دولة عضو يجب أن تمنح لرعايا بقية الدول الاعضاء نفس الحقوق الخاصة بالتأليف والتى تمنحها لرعاياها. هذه الاتفاقية التى تلتها اتفاقيات أخرى مكملة ومفسرة تعد الركيزة الاساسية لحقوق التأليف وقد وقعتها مصر فى عام ١٩٧٦ ويصل عدد الدول التى وقعتها من بين دول العالم الى حوالى ٨٠ دولة الآن بينها عدد متواضع من الدول العربية. اذن وكما ذكرت لم يكن اختيار تونس دون أساس سليم لهذا الاختيار، وربما كان اختيار تونس أيضا من قبل المشاركين فى الندوة لتكون مقرا للجنة دائمة تتابع وتدافع عن حقوق الفنان العربى كما دعت الندوة الدول العربية للتوقيع على الاتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق المبدع والفنان وكذلك الاتفاقية العربية لحماية حقوق المؤلف التى وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية

ووافق عليها مؤتمر الوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية فى الوطن العربى فى دورته الثالثة ببغداد فى ٢ نوفمبر ١٩٨١ وأقرها المؤتمر العام للمنظمة فى ديسمبر من نفس العام ووقعها رؤساء الدول. وكانت مصر الدولة العربية الوحيدة التى لم توقع على هذه الاتفاقية لوجودها خارج الجامعة العربية عند اقرارها والتوقيع عليها فى عام ١٩٨١، وفى العام الماضى وقعت مصر الاتفاقية وبذلك اكتمل عدد الدول العربية الموقعة ومع ذلك مازالت الاتفاقية العربية خارج دائرة التنفيذ الحقيقى. ولا أدرى لماذا تسرع جميع الدول العربية فى التوقيع على الاتفاقيات ثم لا تضعها موضع التنفيذ، والتوقيع وحده لا يكفى ويجب أن يكون الباعث حقيقة على التوقيع هو الرغبة الحقيقية فى التنفيذ. اذن فى اطار حقوق الانسان مازال العالم العربى متخلفا حتى فى التوقيع على الاتفاقيات التى تتصل بحقوق الانسان وفى ميدان المبدع والفنان، فمازال المؤلف مضيعا رغم وجود الاتفاقات الدولية والقومية.

ان الحاجة ماسة الى صدور تشريعات وطنية تؤكد هذه الحقوق وربما كانت تلك هى المقدمة الطبيعية للدخول فى الاتفاقات القومية أو القطرية.

ان العالم يتجه جميعه الآن لإعلاء حقوق الانسان بل إن مؤسسات العالم السياسية وفى مقدمتها الامم المتحدة ومؤسساته الاقتصادية وفى مقدمتها صناديق النقد تضع أساس العلاقات بين الدول الآن احترام حقوق الانسان. وقد كان لنا ماض عريق فى هذا الباب ومن حق شعوبنا علينا أن نحيى هذه الحقوق لتحتل مكانا مرموقا فى المجتمع الدولى.

وما دمنا قد انتهينا من الحديث عن حقوق الانسان وحقوق الفنان ودور تونس فى المجالين وهو دور واضح ومحسوس كان لابد من الحديث عن تونس نفسها ما جرى وما يجرى فيها. وتونس عاصمة عربية لها مذاق خاص تختلف كثيرا عن عواصم المغرب العربى وتختلف بالطبع عن عواصم المشرق العربى. الاصالة العربية المشتركة موجودة بالطبع فى جميع العواصم العربية، ولكنها فى تونس مطرزة بعصرية واضحة لا تفسدها خصوصيتها ولكنها تضيف لها شيئا متحضرا يشعرك فى بعض الاحيان أنك فى قطعة أوربية متميزة ولكنها لا تنتمى لأوروبا. هل أكاد أقول إن المصالحة بين الاصالة والحداثة وجدت نفسها الى حد بعيد فى تونس. والارتباط الثقافى بين تونس ومصر قديم وقوى فقد رددنا منذ صبانا شعر أبو القاسم الشابى قبل أن نعرف أسمه أو وطنه.

اذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر

ولابـد لليـل أن ينجلـى ولابد للقيد أن ينكسـر

ربما احتفالنا هذه الايام ببيرم التونسى هو الدليل الحى على هذه الروابط القديمة والموغلة فى القدم، حتى الزعيم التونسى الكبير الحبيب بو رقيبة كانت تربطه صلة اعجاب شديد بالزعيم المصرى مصطفى النحاس، وكان بورقيبة فى جميع ذكرياته التى حكاها عن هروبه الى مصر من الاستعمار الفرنسى لا ينسى اطلاقا أن رجال الحدود المصريين قد جهلوه ولم يعرفوا أنه زعيم عربى كبير، وقد شكل هذه الحادث علاقة غير طيبة ومتوترة أحيانا مع القيادة المصرية وزادت فى الستينيات. وفى عنفوان ثورة يوليو وفى قمة توهجها العربى طالب بورقيبة بالصلح أو التعايش مع اسرائيل وثار العالم العربى وساءت العلاقات أكثر فأكثر. أما الآن وبعد أن تسلم قيادة تونس الرئيس زين العابدين بن على فقد عادت العلاقات أوثق وأفضل مما كانت، وربما تونس الآن من أقرب الدول العربية الى مصر سياسة وثقافة. التقيت بالاستاذ الشاذلى النفاتى وهو وزير داخلية سابق فى عهد زين العابدين بن على وهو الآن السكرتير العام للتجمع الدستورى الديمقراطى وهو الحزب الحاكم فى تونس. كان الحديث عن الارهاب الذى يجتاح بعض الدول العربية وكان تركيزنا على تونس وكيف استطاعت مقاومته فى فترة قياسية ولم يعد له أثر الآن وعادت الحياة طبيعية في المدارس والجامعات وفى الشارع رغم أننا لا تغفل عيننا لحظة واحدة. هكذا قال سكرتير الحزب الحاكم ووزير الداخلية السابق. لم نتحدث عن المواجهة الامنية فلكل بلد ظروفها ولكل بلد طريقتها، ولكن عن المواجهة غير الامنية والتى طالما تحدثنا عنها وطالبنا بها. لقد اتجهت كل قوى الحزب وفى مقدمتها رئيسه ورئيس الجمهورية الى الاحياء الفقيرة، وكان زين العابدين يطلع بنفسه على مشاكل هذه الاحياء سواء البطالة التى تجتاح الشباب أو مشاكل المرافق والمساكن وغيرها، وخصصت أموال كثيرة بعضها اقترضته تونس فوق ميزانيتها لكى تحل هذه المشاكل حلا نهائيا بتشغيل الشباب وإمداد الاحياء الفقيرة بالمرافق وحل مشاكل الاسكان. فى نفس الوقت دفع عجلة الانتاج فى كل المجالات واعلان سياسة تحديث الادارة وقيام كل موظف بواجبه ومجازاة المخطئ ومكافأة المصيب .. ثم الاتجاه للجامعات والمدارس ورفع يد الجماعات التى هيمنت على النشاط الطلابى وحرمت الموسيقى والغناء وغيرها من الفنون، واعادة انتخاب اتحادات الطلاب. وحكى لى الوزير

السابق أنه قبل لقائنا بأيام ذهب وزير الصحة الى حفل جامعى فى صفاقس وهى المدينة الثانية فى تونس وشاهد النشاط الجامعى الذى شمل جميع الفنون: المسرح والموسيقى والرقص الشعبى والفنون الجميلة، وعاد ليقول إن الجامعة قد خلقت من جديد. قال السكرتير العام لحزب التجمع الدستورى الديمقراطى من أهم ما قمنا به اتجاهنا للمرأة. المرأة التونسية فى الأغلب الأعم غير متعلمة ويمكن أن تنقاد بسهولة ويمكن أيضا أن تخضع للتقليد. ركزنا جهودنا على المرأة .. طالبناها بتكوين جمعيات وليس شرطا أن تكون هذه الجمعيات تابعة لحزبنا الحاكم بل شجعنا أحزاب المعارضة وكل الاحزاب أن تنشئ تشكيلات للمرأة وقد حدث وتحركت المرأة التونسية وشكلت الجمعيات وتمت الندوات وحاورت النساء فى كل شئ ثم كان الوعى الكبير الذى أنقذ نساء تونس من هوة الجهل.

ان تجربة تونس تجربة ناجحة فى ظروف تونس فلا يمكن مقارنة تعداد تونس بتعداد مصر ولا يمكن حل مشاكل الاحياء العشوائية - لا الفقيرة فقط - فى مصر فى مثل هذه السرعة، ولكن هناك اشارات وتنبهات لما يمكن أن يتحرك فيه المجتمع الذى ينشد الصحة ويبحث عن السلام.

الاهرام ٩٣/٥/١٥

السينمائيون والاذان فى مالطة

بدأت السينما فى مصر على يد الأجانب والمتمصرين وخاصة اليهود، ومنذ وجدت السينما ونحن نسمع أسماء يهودية فى الانتاج أو التوزيع أو الاستديوهات مثل بهنا وتوجو مزراحى وجرجوسى وافراموسى وعشرات الأسماء غيرهم. ورغم أن المحاولات الأولى لتصوير فيلم سينمائى تمت على يد بعض الهواه المصريين كمحمد بيومى ومحمود راشد وكذلك كان انتاج الأفلام الروائية الأولى، الا أن خطوات صناعة السينما بدأها هؤلاء الأجانب اليهود أو المتمصرون ومنذ وجد الفيلم المصرى وطريقة تناوله لم تتغير والمراحل التى يمر بها حتى يظهر على الشاشة هى هى وتلك المراحل أو تلك العمليات هى الانتاج والاستوديو أى التصوير والطبع والتحميض ثم التوزيع ودار العرض، وهناك عمليات ثلاث بين هذه العمليات الأربع ليس فيها عنصر المغامرة وهى الاستوديو الذى يحسب تكاليفه ويضع بنفسه أجر العمليات التى يقوم بها مع هامش الربح الذى يراه، ثم الموزع الذى يقبض عمولة مستقرة ومتفق عليها سواء نجح، الفيلم أو لم ينجح ثم دار العرض التى تقتسم دخل الفيلم مع منتجه وترفعه من العرض عندما لا يغطى الدخل الذى توقعته وليس فى هذا أيضا عنصر المغامرة على الأطلاق ولكن المغامرة تقتصر ووتتركز فى عملية الانتاج لذلك لم يقبل الأجانب واليهود على عمليات الانتاج إلا المضمون منها دائما كان اتجاههم للاستوديو والتوزيع ودار العرض الى حد ما واقبل المصريون على عمليات الانتاج التى قامت منذ بدأت السينما وحتى اليوم على قاعدة اقتصادية غير سليمة وأصبح انتاج الفيلم مغامرة بين مجموعة المنتجين ومبلغ محدود من المال ولم يظهر المنتج الذى يفهم في السينما ويعمل من أجلها الا فى وقت متأخر من حياة السينما المصرية وفى المرحلة التى تداخلت مع نهايات استوديو مصر وبدايات القطاع العام أمثال حسن رمزى وحلمى رفلة ورمسيس نجيب

و آسيا وماري كويني وماجدة وغيرهم وقامت مجموعات من الفنانين بتكوين شركات لم تعمر طويلا مثل عبد العزيز فهمي وعبد الحميد السحار وغيرهما. كانت أول محاولة مصرية لإقامة سينما على أساس علمي واقتصادي سليم هي محاولة طلعت حرب الذي عرف - وفي وقت مبكر جدا - أهمية الثقافة بالنسبة للتحرر الوطني وعرف أنه لا استقلال حقيقي الا اذا تحرر الاقتصاد وتحررت الثقافة أو الا اذا أصبحت ثقافة وطنية لا تبعد عن قضايا الوطن وهمومه. ولم يكن غريبا اذن أن يكون طلعت حرب منشئ استوديو مصر وشركة مصر للتمثيل والسينما هو الذي أقام مبنى مسرح الأزبكية الذي أصبح مقراً للفرقة المسرحية الرسمية للدولة منذ الثلاثينيات وحتى اليوم. وهو أيضا الذي أقام مطبعة مصر بشارع نوبار وكانت أول مطبعة تلجأ اليها الدولة لتكون مقرا للقطاع العام في مجال النشر.

نجحت تجربة ستوديو مصر من الناحية الفنية نجاحا باهرا سواء بما قدمته من أفلام وبما تخرج في معهده من شخصيات سينمائية تبدأ من محمد كريم وتمتد الى عدد كبير من المخرجين الذين مازلوا على الساحة يعملون ويخرجون الى جانب الاعداد الكبيرة من الفنيين في مجالات المعامل والصوت والمونتاج والديكور وغيرها.

أفلس ستوديو مصر مرتين، مرة في حياة طلعت حرب وأمر طلعت حرب باعادة رأسماله بالكامل ومرة بعد قيام الثورة وتقرر تصفيته وتمت عمليات التصفية بأسوأ ما يمكن أن تتعرض له مؤسسة ثقافية من تبديد ومن تحقير. بيعت أصول الأفلام التي أنتجها (النيجاتيف) بالوزن والخلاصة أن بيعت الحقبة الأولى من تاريخ السينما بالأقة وبالمزاد وكأنها نفايات يتخلص منها المصفي وليست تراثا ثقافيا تفخر به أية دولة كبرى في العالم. وهذه الصورة بالذات صورة تصفية أستوديو مصر هي الكابوس الذي يخيم على ذهني هذه الايام وأشعر بالرعب والخوف عندما أسمع عن الخصخصة و ما أقرأ عن بيع استوديوهات. واشارك في ندوات ولم يسأل واحد فقط من السينمائيين عن مصير تراثنا السينمائي وهو (النيجاتيف) مئات الأفلام المخزونة في مختلف الاستوديوهات أين ستذهب وهل ستباع أو على الأقل ستباع أفلام القطاع العام الذي لم يعد له صاحب وأفلام المنتجين في القطاع الخاص يأخذونها وأين سيحتفظون بها. ونعود الى تجربة أخرى بعد استوديو مصر والتي بدأت بعدها شركات للانتاج والتوزيع والأستوديوهات و دور العرض

فى١٩٦٣ وتوقف القطاع العام عن الانتاج فى ١٩٧٣ واستمر يملك الاستوديوهات وبعض دور العرض ويقدم خدمات فى شكل هيئة أو جزء من هيئة أو مؤسسة أو شركات من عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٩٣. عمر القطاع العام اذن ثلاثون عاما منها عشرة أعوام فقط كان ينتج فيها وعشرون عاما يقدم فيها خدمات .. ويبدو أننا وصلنا الى نهاية تجربة القطاع العام أيضا. ومن هنا تبدأ المناقشة وبالسؤال البسيط ما هو الحل والى أين من هذه اللحظة. ولا بأس من أن نستعرض ما يريد السينمائيون. المثير للدهشة وللعجب فى نفس الوقت أن الغالبية العظمى من السينمائيين وكأن الامر لا يعنيهم فى شئ من قريب أو من بعيد، مع أن ما يحدث الآن وما قد يحدث فى القريب العاجل يعتبر بكل المقاييس أخطر ما تعرضت له السينما المصرية فى حياتها. صحيح أنها تعرضت لمشكلات صعبة و استطاعت أن تتخطاها بطريقة أو بأخرى، ولكن هذه المرة المسألة أعمق من ذلك بكثير.. فإماأن تكون هناك سينما مصرية أو لا تكون، ولا يتصور أحد أنى ابالغ، صحيح ربما استمر انتاج أفلام وعرضها ولكن ليس بهذه المساحة وهذا الانتشار الموجود حاليا والذى تعتبره وهو كذلك بحق أقل انتشار ممكن وأضعف مساحة حصلت عليها السينما. ومع كل هذه الاخطار المحدقة فلا يوجد الوعى بها وبخطورتها واذا كانت النسبة الغالبة غير مبالية فهناك نسبة كثيرة أيضا غير مصدقة، ورغم كل ما تنشره الصحف ورغم تأكيد الوزراء المسئولين ورغم انشاء الشركات القابضة ومنها بالطبع الشركة القابضة للسينما وصدور قانون قطاع الاعمال والهيصة التى تحدثها بعض الصحف عند بيع بعض الفنادق وهى الخطوة الأولى فى بيع وحدات القطاع العام .. رغم ذلك كله هناك سينمائيون غير مصدقين أن أصول القطاع العام السينمائى أى الاستوديوهات ودور العرض سوف تعرض للبيع بل من أغرب الأمور أن أحد أعضاء الجمعية العمومية للشركة القابضة للسينما صرح فى إحدى الصحف أن ما يقال عن بيع أصول الشركة هو اشاعة ولو قرأ سيادته القانون ٢٠٣ الذى عين بمتقضاه عضوا فى الجمعية العمومية لعرف معنى الشركة القابضة وهدفها بل لقد وردت شركة الاستديوهات فى الكشف الذى يحوى العشرين شركة التى ستباع أولا. هناك طائفة ثالثة من السينمائيين مازالت تقاوم تتحدث عن السينما ودورها الثقافى والاعلامى والتربوى، ويتخيل هولاء بحسن نيه شديدة أن الوقت لم يفت و أن هناك مجالاً لإعادة النظر فيما صدر من قوانين وأنه من الممكن أن تخرج السينما من قطاع الاعمال بعد كل

القرارات التى صدرت بانشاء الشركة القابضة ثم ادماجها مع السياحة فى الشركة القابضة للإسكان بل ويصل الامر ببعض السينمائيين الى المطالبة بأعمال لا يمكن أن تخطر على بال انسان يعرف تماما ما الذى يجرى الآن .. فمنذ أشهر أعلن أن هناك قراراً لغرفة صناعة السينما أو مطلبا أو نحو ذلك، أن تقوم الشركة القابضة للسينما باحتكار التوزيع الخارجى للفيلم المصرى فهم يطالبون الشركة القابضة بأن تحتكر، واحتكار التوزيع الخارجى أو الداخلى أو احتكار أية عملية من العمليات السينمائية لم يحدث فى أى يوم من الأيام ولا فى القطاع العام عندما كان للسينما سبع شركات تعمل فى كل العمليات السينمائية حتى فى هذا الوقت كانت هناك شركات خاصة كصوت الفن تنتج وتوزع لحسابها فى الداخل والخارج. والذى لم يحدث فى ظل النظام الاشتراكى مطلوبا أن يحدث اليوم و الاقتصاد يتحول الى اقتصاد السوق والسينما تنقل بأصولها الى قطاع الاعمال تمهيدا لبيع أصولها وفى الوقت الذى شبع فيه القطاع العام هجوما وتشهيرا بالحق وبالباطل وبعد أن حقق مع العاملين فى القطاع العام مرة فى نيابة الاموال ومرة عند المدعى الاشتراكى وبعد أن لعن على كل منبر وبكل اللغات ومن كل السينمائيين وجاءت أيام تنكر له حتى أصحابه .. بعد كل ذلك نسمع فى هذه الايام وفى هذه الايام بالذات أن الشركة القابضة للسينما والتى أدمجت فى الشركة القابضة للاسكان سوف تنتج أفلاما سبحان مغير الاحوال. ان الذين أكلوا القطاع العام حيا ثم لعنوه يريدون أن يأكلوه ميتا.

والشركة القابضة للسينما لها رأى آخر يختلف أو يتفق مع بعض هذه الاراء فى جزئية أو جزئيات فالشركة لا تعارض البيع لا لأنها لا تستطيع ذلك فقط ولكن لأنها تعلم أن مصيرها البيع إن عاجلا أو أجلا فهو تسليم بالواقع ولكن ترى الشركة أو يرى رئيسها الاستاذ / مصطفى عيد وبوضوح كامل أن البيع فى الوقت الراهن لن يضمن استمرار السينما فى مسيرتها كما أن الشركات الخاسرة سوف تباع أصولها بأبخس الاثمان لذلك فهى تقترح خطة يبدأ تنفيذها هذا العام ١٩٩٣ وتنتهى فى عام ١٩٩٨ أى أن يستغرق إعادة تنظيم وتقويم الشركة خمسة أعوام تباع بعدها وهى قائمة على قدميها. لقد وضعت الشركة خطة كاملة وطبعا قبل أن تدمج فى الاسكان.

وتتخلص فيما يلى:

بالنسبة لشركة مصر لدور العرض والتوزيع

أ - التخلص من الوحدات غير المنتجة.

ب - اقامة مشروعات بالمشاركة مع القطاع الخاص لوحدات غير منتجة.

ج - التوسيع فى دور عرض الاقاليم بالمشاركة مع المحليات والقطاع الخاص.

شركة مصر للاستديوهات والانتاج: وهى تضم ستوديوهات

«جلال - مصر - الاهرام - نحاس - مدينة السينما»

ويتلخص اقتراح الشركة فى اعادة تشغيل أفضل هذه الاستديوهات بإضافة معدات جديدة مما يزيد طاقة الانتاج ثم عرض الشركة للبيع بعد ٥ سنوات لتكون ميزانيتها قد تحسنت ووجد أنها قد ارتفع مستواها وأصبحت قادرة على تأدية الهدف منها.

والسؤال الذى لابد من الإجابة عليه هل الشركة القابضة بتكوينها الحالى وبوجودها في كنف الشركة القابضة للاسكان وبامكانياتها الحالية. قادرة على القيام بهذه الأغباء التى أعتقد أن عدة شركات فشلت فى تحقيقها إما لعدم وجود الامكانات المادية أو الفنية وأعتقد أنها نفس الحالة التى تواجهها الآن الشركة الجديدة.

ولاشك أن مقترحات الشركة القابضة براقة وتحظى برضاء عدد كبير من السينما خاصة الذين اعتادوا على الاستفادة أكثر فائدة من أجهزة القطاع العام من دور عرض واستديوهات ومعامل ثم صب اللعنات عليه عند أقرب منعطف.

لقد أعلن قطاع الأعمال صراحة أنه من الممكن تعويم الشركات الخاسرة قبل بيعها ولكن هل من الممكن الدخول فى أنشطة جديدة على الشركات التى تكونت منها الشركة القابضة قبل ادماجها وهى الانتاج أو احتكار التوزيع الخارجى أو اقامة مشروعات سواء فى مجال دور العرض أو الاستويوهات مشاركة مع القطاع الخاص.

اذا كان ذلك ممكنا فلا أعتقد أن سينمائيا يمكن أن يعترض ولكنى أشك كثيرا فى قابلية هذه الاحلام للتحقيق فى ظل القوانين القائمة واللوائح المنظمة لعمليات البيع والتنظيم الأخير الذى أصبحت بمقتضاه السينما جزءا من الشركة القابضة للإسكان والجو العام الذى يسود مصر الآن والذى ينادى ببيع كل شئ يباع أو لا يباع. قال (فلحوس) من فلاحيس السينما المصرية لماذا عارضتم مشروع الشيخ صالح كامل لشراء السينما المصرية

منذ سنوات؟ ألم يوفر علينا هذا الجهد الذى يبذل الآن وألم يكن الرجل الذى ينتسب الى بلد شقيق والذى وضع أموالا فى مصر فى مشروعات استثمارية بل ويساعد بماله بعض الاجهزة العلمية ألم يكن أولى ممن قد يتقدم لشراء السينما الان. وهذا الكلام فى ظاهره حق ولكن فى باطنه يحمل أشياء و أشياء. فمشروع الشركة المصرية السعودية للسينما والذى عرف باسم الشيخ صالح عبد الله كامل لم يكن يضم جميع الاستديوهات ودر العرض كما أشيع في ذلك الوقت ولكنى وقد اطلعت على كافة الاوراق المتصلة بهذا الموضوع أقول أن الاتفاق الذى وقع فى فبراير عام ١٩٧٨ بين وزير الاعلام والثقافة المصرى المرحوم عبد المنعم الصاوى والشيخ صالح كامل كان يتضمن مشروعات عامة فى المجالات الاتية:

١ - انشاء وتجديد دور العرض والاستديوهات السينمائية.

٢ - انشاء وتجديد الاستديوهات التليفزيونية.

٣ - انتاج وتوزيع الافلام السينمائية والبرامج التلفزيونية لسد احتياجات السوق الداخلى والخارجى.

٤ - توفير جميع الاجهزة والمعدات ووسائل الانتاج المختلفة المكملة للانشطة.

وقد وافق الجانبان على أن تنحصر مساهمة الجانب المصرى فى هذه المشروعات بحصة عينية فى دور العرض والاستديوهات والعقارات اللازمة لها وأن يساهم الجانب السعودى بحصة نقدية يتفق عليها الجانبان بعد تقييم الحصة العينية المقدمة من الجانب المصرى وتقدير حدود رأس مال تلك المشروعات.بحيث يكون للجانب المصرى ٥١٪ من أسهم الشركة وللجانب السعودى ٤٩٪ فقط .. ثم تم اتفاق الجانبين على تشكيل لجنة مصرية سعودية مشتركة تحصر الحصة العينية المشار اليها وتقييمها.

وصدر قرار من الوزير بتشكيل اللجنة. كانت لجنة التقييم قد قدرت الاصول جميعها بحوالى ٤٠مليون جنية مصرى ولكن ما تم اختياره ليكون حصة عينية لمصر فى هذه الشركة هو كما جاء فى اجتماع ١٠ أبريل ١٩٧٨ من الجانب السعودى والمصرى وحضره الاعلام والثقافة.

١- بالنسبة لدور العرض

القاهرة: سينما ميامي وسينما ديانا وسينما نورماندى بمصر الجديدة.

الاسكندرية: سينما ريو وسينما فريال.

٢- الاستديوهات:

ستديو الاهرام - عدد ٢ بلاتوه بمدينة السينما.

٣ - أرض فضاء

أرض فضاء بمدينة السينما بشارع الاهرام تحيط بالبلاتوهين مسطحها حوالى ٢٠٠٠٠ متر مربع (شامل مسطح البلاتوهين) منها قطعة مساحتها حوالى ألفى متر بواجهة على شارع الهرم بحوالى. ٢٠ متر.

- أرض سينما الاهرام أمام معهد السينما بما عليها من إنشاءات بحالتها ومسطحها حوالى ٣٠٠٠متر مربع.

- أرض الخور بشارع خليج الخور الموازى لشارع عماد الدين مسطحها ٢٤٧٠ متر مربع بما عليها من منشآت وتقدم هيئة السينما قطع أراضى فضاء عدد ٢ ببور وواحدة بالاقصر ووواحدة بأسوان وواحدة فى السويس وكذلك قاعة غير مستكملة بالمنصورة.

وقد قدرت هذه الاصول جميعها تقديرا مبدئيا بمبلغ ١٣ مليون جنية لا يدخل فيها الاراضى المعروضة بالمحافظات خارج القاهرة والاسكندرية .. اذن فالمشروع لم يكن يضم جميع أصول السينما كما يدعى الذين تحمسوا له فى ذلك الوقت وعارضوا الاغلبية الرافضة. ربما أحس هولاء أنهم كانوا أذكى من الأغلبية أو أبعد منها نظرا ولا شك أن بين الذين وافقوا علي مشروع الشيخ صالح وتحمسوا له بعض حسنى النية من السينمائيين ولكن بينهم أيضا مجموعة مستعدة لأن توافق لا على بيع أصول السينما فقط بل وأصول مصر نفسها .. هؤلاء على استعداد أن يوافقوا على أى شئ أو يخالفوا أى شئ بقدر ما يعود عليهم بالنفع ولو كان جزرة أو حزمة من البرسيم .. هؤلاء سوف يوافقون على المشروع القادم فلماذا نبحث بعيدا والحل قريب منا أقرب من جبل الوريد. إن هناك من يعشقون السينما المصرية مهما كانت أصولها متهالكة .. إنهم أغنياء معهم النقود (كاش) وهم على

بعد ساعة فقط من استديوهات القاهرة ..

طالما سال لعابهم على هذه الاصول .. لقد أعدوا العدة وهم فى الطريق الى القاهرة من تل أبيب .. والى الأسبوع القادم لنعرف قصتهم وماذا يريدون.

الاهرام ٩٣/٥/٢٢

لو جاء اسرائيليون لشراء السينما المصرية ماذا نقول لهم ؟

ليست محاولة للتخويف وان كنت واثقا ان كثيرين لن يخافوا بل سوف يرحبون بهذه الخطوة لو وقعت لكن الأغلبية ترفض حتى مجرد التفكير فى ذلك وتعتبره كابوسا ثقيلا يجب سرعة التخلص منه ليس هذا فقط فى مصر بل وفى العالم العربى كله. واذا كنا قد اعتدنا أن نحضر فى كل عام ندوات فى جميع العواصم العربية ومنها مصر تلعن السينما المصرية وتصفها بكل الموبقات الا انها فى النهاية مهنة وطنية، وان كانت متخلفة فهى مصرية، وان كانت مستفزة فهى مصرية. لقد اعتدنا ذلك حتى من المصريين وحتى من السينمائيين فى كل مناسبة وعند كل موقف، فما من لجنة تحكيم بين أفلام مصرية الا وأنذرت ونبهت الى الانهيار العظيم الذى يوشك أن يقع ولا توجد فى مصر صناعة يلعنها أصحابها صبح مساء الا السينما ، ولا أدرى بعد ذلك بأى وجه يتجهون الى المصارف طالبين القروض أو الى المستثمرين طالبين الأموال أو الى الدولة طالبين المساعدة والمعونة. لذلك لا توجد فى مصر صناعة سيئة السمعة أكثر من السينما ، وسوء سمعتها سبب هام من اسباب تراكم مشاكلها فمن يقبل على صناعة يلعنها القائمون بها ويتبارى منتجوها وموزعوها بالكشف عن عوراتها بالحق وبالباطل. المهم أنها صناعة منكوبة حتى بأصحابها..

ونعود لاسرائيل فنقول أن عنوان هذا المقال ليس محاولة للاخافة كما ذكرت وليس محاولة لتضخيم الأمر فالمسألة ضخمة وتستحق التفكير حتى ولو لم توجد اسرائيل فى هذه المنطقة من العالم ولكنها وجدت وأصبح لها دور وافقنا أم أبينا ، ولا أعرف الى أى مدى سوف نقاوم التطبيع وما هو الموقف بعد نجاح مفاوضات السلام فى أمريكا وأغلب الظن أنها سوف تنجح ويكون مطلوبا من الدول العربية سرعة التطبيع، وتكون الحجة الاساسية فى رفض التطبيع قد زالت وهى حقوق الفلسطينين. صحيح أنها لن تعود كاملة ولا حتى منقوصة ولكن سوف يقال

إنها خطوة هامة نحو الحكم الذاتى أو غير ذلك من التسميات.

ونعود الى التاريخ القريب لنرى أن اسرائيل قد اتجهت منذ توقيع معاهدة السلام مع مصر الى السينما، والسينما بالذات لأنها تعرف أنها فن جماهيرى مؤثر فى الناس وكل الناس.

ولأنى عاصرت الفترة الأولى بعد توقيع الاتفاقية ٧٨-١٩٨٠ مسئولا فى وزارة الثقافة فقد عاصرت أيضا المحاولات الاسرائيلية الأولى فى مجال السينما.

كانت الخطوة الاولى هى محاولة الحصول على الأفلام المصرية من مؤسسة السينما المصرية مباشرة لعرضها فى التليفزيون الاسرائيلى، ووصلتنا الرسالة التالية من اسرائيل..

«أتشرف بالافادة بأن السيد/ يوسف بارئيل رئيس القسم العربى بالتليفزيون الاسرائيلى أفاد بأنهم يعرضون فى البرنامج العربى فيلما مصريا مساء يوم الجمعة كل اسبوع. ومعظم الأفلام المتوفرة لديهم حاليا قديمة وتم الحصول عليها عن طريق أثينا وقبرص بصورة غير سليمة.

رجاء مساعدتهم فى الحصول على الأفلام المصرية لعرضها فى التليفزيون نظرا لأهميتها وكبر عدد المشاهدين لها.

لقد لاحظنا شدة الاقبال على الأفلام المصرية المعروضة فى التليفزيون الاسرائيلى من جانب اسرائيليين من أصل شرقى والذين يمثلون أكثر من نصف السكان وكذا من جانب عرب اسرائيل فضلا عن الفلسطينيين فى الضفة وغزة. وازاء هذا الاقبال الشديد من جانب غالبية الاسرائيليين فان التليفزيون يضع حاليا ترجمة مطبوعة بالعبرية فى الأفلام المصرية.

ونوصى بالاستجابة لطلب التليفزيون الاسرائيلى ويمكن ترتيب هذا التعامل بصورة غير مباشرة وتفادى توقيع عقود مباشرة قد تعرض المؤسسة للمقاطعة العربية. وقد تم إيجاد ترتيب مماثل بالنسبة لتوزيع الصحف المصرية فى اسرائيل، حيث لم يتم التعاقد مباشرة بين الشركة القومية للتوزيع والشركة الاسرائيلية المختصة وانما تم ترتيب التعامل من خلال مكتبة أوزوريس. ونترك السفارة المؤسسة استطلاع هذا الطلب وموافاتنا بالرأى فى أقرب فرصة ممكنة».

وبالطبع ورغم عدم الموافقة على هذا الطلب فما زال التليفزيون الاسرائيلى يعرض فيلما

مصريا جديدا الساعة السادسة مساء كل يوم جمعة. أما كيف يحصل التليفزيون الاسرائيلى على هذه الافلام فلعل غرفة صناعة السينما المصرية تستطيع أن تفيدنا بمعلومات فى هذا المجال. كانت الخطوة التالية محاولة تبادل الخدمات، وفى هذا المجال وصلتنا الرسالة التالية:

«أفادتنا مؤسسة الاستوديوهات المتحدة من كبرى مؤسسات الانتاج التليفزيونى والسينمائى فى اسرائيل أن المنتج المصرى الأصل فاروق عجرمة المقيم حاليا فى أمريكا سيقوم بتصوير فيلم سينمائى فى مصر لمدة ستة أسابيع اعتبارا من ٢٨ أغسطس الجارى .. وقد طلب من المؤسسة المذكورة تزويده بمولد كهربائى صامت محمول على عربة لورى خاص للتصوير والاضاءة لعدم توفر مثل هذا الجهاز فى مصر، وقد طلبت المؤسسة التصريح بدخول المولد المذكور بالطريق البرى من منفذ العريش والعودة من نفس المنفذ بعد انتهاء التصوير ويحمل اللورى لوحات معدنية رقم ١٤٠٣٥٠ وهو ماركة ليلاند البريطانية وسيقوده السائق چوزيف صموئيل اسرائيلى الجنسية ويحمل جواز سفر رقم ١٣٢٤٦٦ والمؤسسة مستعدة لاتمام كافة اجراءات التأمين الدولية المطلوبة .. برجاء الافادة بالرأى».

وكانت الخطوة التالية محاولة الانتاج المشترك، وتم فى هذا الباب حادثان هامان. الأول يتصل بموضوع تاريخى وفنى هو خروج بنى اسرائيل من مصر. فقد اقترحت اسرائيل القيام بانتاج فيلم تسجيلى بالتعاون مع التليفزيون العربى باسم (فى أعقاب الخروج) لتوزيعه على جميع شركات التليفزيون الدولية فى جميع انحاء العالم. وربما وضحت المذكرة التالية الموضوع ونتيجته.

«مذكرة السيد/ رئيس مجلس ادارة هيئة الآثار المصرية بشأن الرد المرسل للسيد/رئيس مجلس ادارة الهيئة العامة للاستعلامات بخصوص رغبة اسرائيل فى انتاج فيلم تسجيلى بالتعاون مع شركات التليفزيون العربى باسم "فى اعقاب الخروج" لتوزيعه على جميع شركات التليفزيون الدولية فى جميع أنحاء العالم.

وقد أوضح السيد/ رئيس مجلس ادارة هيئة الآثار المصرية رأيه بعدم الموافقة على الاشتراك فى مثل هذا الفيلم الذى يخدم مصلحة اسرائيل ولا يخدم المصلحة القومية لمصر، وذلك لتعرض الفيلم لموضوع بالغ الحساسية، لا يزال يكتنفه الغموض من وجهة النظر الأثرية، حيث أنه من المعروف أن الاسرائيليين فى بحوثهم الأثرية يدورون حول أرض الميعاد والأرض

المقدسة وقصة موسى وخروج بنى اسرائيل من مصر وغير ذلك مما ورد فى الكتاب المقدس، هذا بالاضافة الى أن هذا الفيلم ليس فيه من تصوير سوى ما تناولته الكتب السماوية فى هذا المضمار وهو موضوع أوقع كثيرا من علماء الآثار فى أخطاء، حين حاولوا اثبات ما ورد فى التوراة وأثبتت الكشوف الأثرية فيما بعد وقوعهم فى هذه الاخطاء».

وعندما رفضنا انتاج فيلم عن (الخروج) كانت المحاولة التالية لا عن طريق وزارة الثقافة ولا أى طريق وزارى آخر بل كان الاتجاه لرئيس الجمهورية مباشرة. ففى يوم ١٩٨٠/١/٢٠ نشرت الصحف أن السيد رئيس الجمهورية قد استقبل يوم ١٩٨٠/١/١٩ الدكتور/ رشاد رشدى ومعه المخرج السينمائى ايدى سوفر والمنتج ليون تامان من رجال الأعمال القائمين بإعداد فيلم عالمى عن حرب أكتوبر ومبادرة السلام.

فى نفس اليوم ١/٢٠ نشرت صحيفة الانباء الاسرائيلية التى توزع فى القاهرة خبرا يقول «الرئيس السادات يوافق على انتاج فيلم اسرائيلى مصرى» وجاء فى الخبر أن الرئيس استقبل المليونير ليون تامان ومدير شركة الافلام الاسرائيلية (العاصمة) ايدى سوفر ووافق الرئيس على إنتاج فيلم عن حرب يوم الغفران كما جاء فى نفس الخبر أن المليونير والمخرج قررا تفادى الاختلاف فى وجهات النظر بين مصر واسرائيل حول مسألة من الذى انتصر فى حرب يوم الغفران فقد قررا أن يكون هذا الأمر دون جواب.

هذا ما نشر بعد استقبال الرئيس المنتج والمخرج مع الدكتور/ رشاد رشدى يوم ١/٢٠، وقد سبقت ذلك أخبار كثيرة خاصة بهذا الفيلم المقترح بدأت قبل ذلك على النحو التالى:

نشرت مجلة «فارايتى» الأمريكية فى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٩ الخبر التالى من القاهرة تحت عنوان «المصريون والاسرائيليون والامريكيون ينتجون فيلما عن حرب أكتوبر ١٩٧٣».

وفيما يلى النص الحرفى للخبر:

القاهرة فى ٢٣ - عندما كان المصريون يخططون لحرب أكتوبر عام ١٩٧٣ كان الرئيس السادات وحده وثلاثة أشخاص آخرين يعرفون كل شئ عن هذه الحرب. قائد العمليات للقوات المسلحة احتفظ بكل الخطط فى دفتر ملاحظات صغير فى جيبه. المعارك سوف تعاد مرة أخرى على الشاشة بواسطة المصريين والاسرائيلين والامريكيين، والمشروع محاط بسرية ربما تفوق سرية الحرب ذاتها، والمنتجون الاسرائيليون هنا فى القاهرة للتفاوض مع شركائهم حول

فريق الممثلين، وحول تمويل الفيلم الذى يتكلف ٢ مليون دولار.

سينمائى اسرائيلى رفض نشر اسمه قال إن المنتج الاسرائيلى ايدى سوفر فى القاهرة للتفاوض مع المنتج المصرى غير المعلن اسمه الذى وقع معه عقدا فى مايو الماضى.

ايدى سوفر هو أحد ملاك «جيروزاليم كابتال ستوديوس». وقد جاء الى القاهرة مع رجل الصناعة الايطالى ليون تامان ورئيس الوزراء الاسرائيلى مناحم بيجين فى ابريل الماضى ليرى كيف تستقبل الفكرة فى مصر.

المصريون والاسرائيليون يختلفون حول أسماء المعارك فى حرب أكتوبر ١٩٧٣، كما لا يتفقون حول من الذى انتصر أخيرا فى هذه الحرب، وحتى لا تعطل هذه الخلافات سير الانتاج سوف تكون نهاية الفيلم مفتوحة. وكما قال المصدر «إن الفكرة المراد اظهارها هى لا جدوى للحرب. ان كلا الجانبين قد خسر فى الواقع أرواحاً ومعدات وأموالا».

تم اختيار كاتب سيناريو ومخرج ومنتج من الامريكيين. وقال المصدر إن المنتج المنفذ هو مارتين ناول الذى كان مساعدا فى انتاج فيلم «الأسد فى الشتاء» وستكون له الكلمة الحاسمة بين الطرفين المصرى والاسرائيلى المشتركين فى الانتاج.

من المقرر أن يكون السيناريو معدا فى أبريل، عقب تبادل العلاقات الدبلوماسية بين مصر واسرائيل بناء على المعاهدة المصرية الاسرائيلية، التى وقعت فى مارس الماضى.

وقال فانيارو رئيس جمعية نقاد السينما الاسرائيليين، وهو الان فى القاهرة إنهمتأثر بالخطوات المبكرة لإنهاء مقاطعة اسرائيل والمناصرين لها منذ عام ١٩٤٨. وقال: «قائمة المقاطعة كانت عكسية ولم تكن تتميز بالدقة. اننى لا أستطيع الا أن أبارك هذه المبادرة وآمل أن تضع نهاية لها».

أوردت وكالة الانباء الفرنسية خبر انتاج هذا الفيلم لأول مرة فى شهر سبتمبر، جاء فى خبر الوكالة الفرنسية أن الجانب المصرى هو شركة «آمون فيلم».

كان السيد فوزى عامر صاحب شركة آمون فيلم موجودا فى مهرجان «كان» فى مايو الماضى. ويشير خبر «فارايتى» الى أن العقد وقع فى مايو الماضى.

ونشرت جريدة الشعب خبر الوكالة الفرنسية.

كان أيدى سوفر وليون تامان (هذا اسمه الصحيح وليس آمان) ضمن أعضاء الوفد الاسرائيلى فى مهرجان القاهرة الدولى فى سبتمبر الماضى ١٩٧٩.

نشرت مجلة أكتوبر خبر الوفد الاسرائيلى فى المهرجان.

تردد أن فوزى عامر قد اختلف مع أيدى سوفر لأنه رفض أن يشترك الجيش الاسرائيلى فى الفيلم. وأن تاكفور أنطونيان قد حل محله وكان تاكفور هو مرافق الوفد الاسرائيلى فى مهرجان القاهرة ١٩٧٩.

ليون تامان رجل أعمال بريطانى، وليس ايطاليا كما جاء فى خبر «فاريتى». أيدى سوفر كان صحفيا فى التليفزيون الاسرائيلى أسس شركة بعنوان (كوزموس فيلمز) واتفق مع ليون تامان لإنشاء «جيروزاليم كابتال ستورليوس» ولكنه لم ينتج أى فيلم طويل أو قصير حتى الآن.

وهذه معلومات عن ليون تامان وأيدى سوفر مستقاة من نشرة مركز الفيلم الاسرائيلى فى مايو ١٩٧٩.

ولم تتم الأمور على هوى اسرائيل، فقد كتبت مذكرة لوزير الثقافة فى ذلك الوقت الاستاذ/ منصور حسن الذى تحدث للرئيس السادات وشرح له الأهداف المعلنة والخفية لهذا الفيلم المشترك وكان موقفه حاسما بالطبع، وراحت فكرة الفيلم أدراج الرياح؛ كانت السينما المصرية هدفهم الأول فى التطبيع وفى اقامة علاقات معها، وأمام هذه المحاولات اصدرت الجمعية العمومية لنقابة المهن السينمائية - وكنت نقيبا لها- فى مارس ١٩٨٠ قرارها الشهير بفصل أى عضو يتعامل مع اسرائيل وأعتقد أن هذا القرار مازال قائما حتى الآن.

أما فى الجانب الآخر فلم تتوقف المحاولات فقد ظهر سينمائى اسرائيلى داهية ومتحرك هو مناحم جولان الذى أنشأ مع قريبه يورام جليوس شركة اسمها (كانون).

وقد عقد مناحم جولان مؤتمرا صحفيا فى مهرجان «كان» قدم فيه نفسه وأعلن أنه كان طيارا فى حرب ١٩٥٦ وأن من مفاخره أنه ضرب بور سعيد بالقنابل فى تلك الحرب. وفى سرعة غريبة وسعت شركة (كانون) من أعمالها حتى قيل إنها سوف تسيطر على السينما الايطالية. واستطاعت (كانون) أن تعرض بعض أفلامها فى القاهرة، بل ان معظم أفلامها موجودة على (كاسيتات) فى جميع العواصم العربية، وأقول العربية لا المصرية فقط. مناحم

جولان عقد منذ أعوام مؤتمرا صحفيا فى «كان» وأعلن أنه على استعداد أن يشترى السينما المصرية بمائتى مليون دولار، فإنه يعرف تماما انها تعانى من أزمات اقتصادية، ومستعد أن يكون شريكا لأية هيئة مصرية. وقد حاول مناحم جولان أن يشترى سينما «كريم» من حسين القلا، ولم يكن يعلم انها ملك نقابة المهن السينمائية، وحسين القلا هو الذى أعلن عن هذه المحاولات.

بل ليوسف شاهين موقف مع مناحم جولان فقد اختارتهما ادارة مهرجان كان السينمائى عضوين فى لجنة التحكيم منذ عدة أعوام واحتج يوسف شاهين على اشتراك اسرائيلى معه فى اللجنة واضطرت ادارة المهرجان الى استبعاد جولان ترضية ليوسف شاهين. وذهب جولان الى المحكمة التى أعادته فى أول جلسة الى اللجنة واضطر يوسف شاهين مكرها أن يجلس معه على مائدة واحدة فى لجنة التحكيم. اذن فاسرائيل جاهزة ومناحم جولان حدد سعرا يزيد ثلاث مرات عما يقدره بعض المصريين، ويمكن أن يشترى جولان بأسماء أخرى من أى دولة من دول العالم وهى مسألة سهلة جدا. فليس فى القانون ٢٠٣ ما يمنعه من الشراء مباشرة أو بوسطاء. أعلم أن البعض قد يسيل لعابه لهذه الدولارات وسوف يقول بعض السينمائيين «وماله ما هى السينما العالمية يملكها اليهود» ولا أريد أن أقف واعظا أو أعطى محاضرة فى الوطنية. فالذى يمكن أن أقوله ويقوله معى آلاف السينمائيين: هل يمكن أن تذهب السينما المصرية الى الاسرائيليين؟ لا أتصور واحدا في العالم العربى يمكن أن يوافق، مهما تخفوا فى زى أمريكى أو فرنسى أو ايطالى أو أى جنسية أخرى والى اللقاء فى العدد القادم.

الأهرام ٩٣/٥/٢٩

اعيدوا السينما المصرية إلى أصحابها

يحلو للسينمائيين المصريين عندما يتحدثون عن أمجاد السينما الغابرة أن يقولوا أن صناعة السينما كانت تدر للبلاد دخلا من العملة الصعبة يلى القطن مباشرة. بمعنى أن دخل مصر من التصدير كان يأتى أولا من القطن ثم من السينما ويتصور السينمائيون بذلك أنهم يسجلون مجدا غابرا لصناعة السينما أيام زمان ولو تحققنا من هذا الأمر بعد تجريده من هالة الأسطورة التى تحيط به لو جدنا ان المسألة لا تستحق المباهاه ولا تستأهل التفاخر مع الاعتذار للفولكلور السينمائى الذي نتوارثة جيلاً بعد جيل. ففى الزمن الغابر المقصود لم تكن مصر تصدر شيئا غير القطن والسينما أى أن السينما يمكن اعتبارها فى التصدير رقم اثنين ويمكن اعتبارها كذلك الأخيرة فى قائمة السلع المصدرة ثم ننتقل الى الخارج لنرى الى أين كانت تصدر السينما المصرية ودون الغوص فى التاريخ والجغرافيا يمكن بكل بساطة أن نتذكر أن الدول التي أقامت جامعة الدول العربية ووقعت على بنائها لا تزيد عن سبع دول عربية بينها مصر وهى سوريا ولبنان والعراق والسعودية واليمن فالمسألة اذن لا تستحق هذا التفاخر الشديد ...

ويبدو أن السينما فن غريب فى كل شئ فهو يسبب مشكلة فى جميع الدول التى قامت بها هذه الصناعة الكبيرة. وكما نتحدث هنا فى مصر عن أزمة السينما فإن المتابع للحياة الفنية فى الدول الأوروبية مثلا سيقرأ الكثير عن أزمة السينما فإن فى فرنسا وأزمة السينما فى بريطانيا وفى أيطاليا، وسيقرأ شكاوى متعددة عن طغيان السينما الأمريكية على السينما الوطنية فى كل من هذه الدول. صحيح أن مشكلة السينما تأخذ فى كل دولة شكلا مختلفا لاختلاف الظروف والمناخ والمستوى الاقتصادى والثقافى أيضا.. الا أن الشكوى واحدة فى النهاية. السينما الايطالية مثلا رغم انها ازدهرت فى فترة من

الفترات وسجلت قفزات تاريخية من حيث المستوى الفنى والمستوى الاقتصادى وأصبح شباب مخرجيها من أبطال الواقعية الجديدة وروادها فى ميدان السينما فى العالم الا أن ذلك أغرى السينما الأمريكية بأن تحتضنها ثم تخنقها خوفا من المنافسة .. والسينما الانجليزية تشكو نفس الشكوى: جذب النجوم الى هوليود ثم اعادة تصديرهم مصورين على افلام. والسينما الأمريكية نفسها تقع اليوم فى يد اليابانيين الذين بدأوا فى شراء الاستوديوهات الكبيرة واذا لم تتدخل الحكومة الأمريكية للمحافظة على السينما الأمريكية لا نقلبت يابانية فى أشهر معدودات. ومن أغرب ما يمكن أن يلاحظ على السينما كفن وصناعة أنها رغم ايرادات بعض الأفلام الخيالية الا أنها فى النهاية ليست موردا ثابتا للإثراء ورغم كل المحاولات العلمية التي تبذل على مستوى العالم لمعرفة أسباب نجاح أحد الأفلام وفشل فيلم آخر رغم كل الأسباب الفنية والتقنية التى توضع لكى يحقق فيلم ما نجاحا جماهيريا الا أن المسألة تظل في النهاية وبنسبة كبيرة مغامرة مجهولة النتائج مقدما. واذا كان هذا الجهل يسود الميدان السينمائى فى العالم فهو فى مصر يتربع على عرش التوزيع. وحتي الان ورغم التقدم العلمى لا يستطيع المنتج أن يتنبأ بنجاح فيلم وضع فيه كل أسباب النجاح ففشل، وفيلم آخر به كل أسباب الفشل ولكنه حققق نجاحا كبيرا. والذين يزعمون أنهم متخصصون فى التوزيع فى مصر يملكون من أسباب هبوط التوزيع سجلا حافلاو جاهزا للرد على أسباب هبوط الايرادات فى أية مناسبة وفي أى يوم فالجمهور: اليوم «سبتاوى» هذا يوم السبت أى لا يذهب الى السينما، أما الأحد فالعمال لديهم عمل ثانى يوم فلا يذهبون للسينما يوم الأحد أما الاثنين فأول الاسبوع وهكذا. وفى العيد اذا كان عيد الأضحى أصل الناس بتاكل لحمة أول وثانى يوم ما تروحش السينما. وفى عيد الفطر أصلهم بيطلعوا القرافة وأصل النهاردة كان فيه ماتش كوره ..

وحدث أن سأل المرحوم حلمى رفلة، وكان مديرا بشركة فيلمتاج، سأل مسئول التوزيع وكان للشركة فيلم معروض بسينما ميامى ولا يدخله أحد وعلى الرصيف الآخر الزحام شديد على سينما مترو .. وسأل حلمى رفلة مدير التوزيع:

- الايرادات وحشه ليه؟

ورد مدير التوزيع

- عشان المطر .. آصل الدنيا مطرت فى حفلة السوارية.

ورد حلمى رفلة

- يعنى السحابة واقفة فوق سينما ميامى ومفيش مطرعلى الرصيف الثانى!

من أكبر عيوب السينما المصرية أن المنتجين عجزوا دائما سواء كانوا فرادى أو مجتمعين فى غرفة أن يصدروا قرارا يلزمهم جميعا. ويحكون عن اجتماع صاخب منذ سنوات عندما رفع اسماعيل يس أجره فثار المنتجون، وكان فتى الشباك فى ذلك الوقت، واجتمع المنتجون وأقسموا يمينا الا يتعاملوا مع اسماعيل يس حتى ينزل بأجره. وبعد انتهاء الجلسة وكانت من أربعة منتجين ذهب واحد منهم لاسماعيل يس بمسرحه آخر الليل فوجد الثلاثة الآخرين يحاول كل منهم أن يتعاقد معه رغم أنهم جميعا أقسموا اليمين على عدم التعامل معه.

ستوديو مصر أفلس مرتين وشركة النيل التى كونتها الدولة عام ١٩٥٤ أفلست بعد عامين والقطاع العام أفلس بعد عشر سنوات وكبار المنتجين السينمائيين ماتوا مفلسين: آسيا وحلمى رفلة ورمسيس نجيب و حسن رمزى. اذن فماذا يغرى الناس بالسينما حتى الآن. هذا سر هذا الفن الغريب فى كل شئ ... ورغم كل هذا ورغم الأزمات التى تتعرض لها السينما فى العالم الا أنها دائما تواصل مسيرتها ودائما تنتصر على الشدائد ودائما تطوى كل العقبات فهل تستطيع السينما المصرية هذه المرة؟ أعتقد وإلا ما قامت لها قائمة بعد ذلك.

دعت جمعية (كتاب واعلاميى الجيزة) الي ندوة كانت تبحث عن اجابة لهذا السؤال (السينما المصرية الى أين؟) وطرحت أفكار كثيرة وان كان الموضوع قد تفرع الى احصاء مشاكل السينما من قلة دور العرض الى زيادة كراسة الاسعار فى الاستديوهات الى التوزيع الخارجى الى فقدان الفيلم المصرى دخلا يصل الى مليون دولار فى دول كبرى تنتهك حقوق المصنف الفنى وتعمل النقل والتوزيع على الفيلم المصرى المحول الى (كاسيت) دون ضابط أو رابط.

فى هذا الاجتماع وكان مشاركا به الاستاذ محمود عبد العزيز رئيس ادارة البنك الاهلى اقترح انشاء شركة من السينمائيين والبنك، اقترح أن يجتمع ٢٠٠ سينمائى يدفع

كل منهم ٥٠ ألف جنية تكون الحصيلة ١٠ ملايين جنية يدفع البنك مثلها وتقوم شركة تشترى بعض الاصول برأس مال ٢٠ مليون جنية و اذا توفرت لها الادارة المحترفة الجيدة استطاعت أن تكون منطلقا لحركة سينمائية جديدة.

واذا كان الاقتراح قد قوبل بالندوة بشئ من الترحيب سواء من رئيس الجمعية الفنان محمود يس وغيره من الحاضرين إلا أنه ما أن غادرنا الندوة حتى بدأت عملية منظمة (لتكسير المجاديف) وترددت أقوال الحكماء من السينمائيين بنهم لن يدفعوا شيئا .. إنهم يتحدثون فقط .. انهم يجيدون الحديث .. إن جميع المحاولات المشابهة والسابقة قد فشلت ... انظروا ماذا فعلوا بشركة اتحاد الفنانين التى يرأسها فريد شوقى انهم لم يدفعوا الا القسط الاول من اكتتابهم ... وهكذا ونشرت الصحف أيضا طرفا من حكمة هؤلاء السينمائيين وبعضهم فى موقع المسئولية من صناعة السينما.

اذن ما هو الحل فى نظر هؤلاء؟ الحل الامثل فى نظرهم أن يبقى الحال كما هو عليه أو أن تنفذ الشركة خطتها المقترحة وتتأخر حكاية البيع خمس سنوات ومين يعيش .. الأعمار بيد الله ... واذا كان البيع ضروريا فما هو الحل؟ قد يقول قائل - وقد قالت هذا الشركة القابضة أنه يمكن صدور قانون أو قوانين تجبر الشارى على استخدام ما اشتراه فى الغرض الذى وجد من أجله، أى اجبار مشترى الاستوديو أن يحتفظ به كاستوديو ودار العرض كدار عرض وسبق أن قلت أن هناك قانوناً خاصاً بدور العرض ولكنه لم يرتب جزاء على مخالف القانون ولكنى أقول إنه سواء اكان هناك عقاب أو غير ذلك فحق الملكية حق يصونه الدستور ولا أعتقد أنه يمكن أن يوضع أى قيد عليه. إن الاحتفاظ بهوية الشئ المباع أعتقد أنها لاتوجد قانونا الافى حالات البيع (بالجدك) فهل يمكن أن تباع الاستوديوهات ودور العرض بالجدك .. ومن هو الذى سوف يشترى بهذه الطريقة.

ان الحل عندى هو ما طرحة رئيس مجلس البنك الأهلى مع شئ من التحوير ولنعد الى أصول السينما لنعرف كيف آلت الى الدولة ومتى ومن كان مالكها قبل ذلك.

ان ستديو مصركان ملكا لشركة مصر للتمثيل والسينما وآل الى الدولة في عام ١٩٥٧ عندما أمم بنك مصر وشركاته. وستديو جلال كان ملكاً لأحمد جلال وماري كوين وبيع بستين ألف جنيه. وستديو نحاس كان ملكا ليوسف وهبى وبعض الشركاء وكذلك

ستديو الاهرام. أما دور العرض فكانت جميعها ملكا لسينمائيين منها ١٨ دار فقط تديرها الشركة القابضة للسينما المدمجة فى الشركة القابضة للاسكان، كانت ملكا حلالا للسينمائيين قبل أن تؤول للدولة. وقد قدر المرحوم عبد الحميد جودة السحار وهو رجل اقتصاد رأس الانتاج قبل رئاسته لمؤسسة السينما وكان فى نفس الوقت سينمائيا عمل بالانتاج وكتابة السيناريو، لقد قدر هذه الاصول جميعها بمليونى جنيه مصرى .. أى أن الدولة دفعت فى هذه الاصول مليونى جنيه فقط فاذا أضفنا الى ذلك أصول الشركات الست التي أنشاتها الدولة فى أول الستينيات كان ما دفعته الدولة فى السينما خمسة ملايين جنيه، وفى مقابل ذلك حصلت الدولة من السينما على ضريبة ملاهى لا تقل عن خمسة ملايين فى العام بالاضافة الى ضريبة كسب العمل من الفنانين والفنيين وضريبة الارباح التجارية من المنتجين. سوف يثار فورا أن ثمن الاصول بسعر وقت الحصول عليها. وهنا أقول إن آخر تقييم لهذه الاصول تم فى عام ١٩٧٨ عندما قيمت كل هذه الاصول للشروع فى تنفيذ مشروع الشيخ صالح كامل الذى لم ينفذ، كان التقييم الذى قامت به لجان فنية برئاسة الاستاذ محمد لمعى مدير هيئة السينما فى ذلك الوقت ورئيسها بعد ذلك .. هذا التقييم بلغ حوالى ١٩ مليون جنيه للاستديوهات و٢٠ مليون حنيه لدور العرض السينمائى. أى أن مجموع ثمن الاصول منذ ١٣ عاما كان حوالى ٤٠ جنيه مليون وهنا نقف عند هذا الرقم ونقترح أن يشترك جميع الفنانين لا أعضاء نقابة المهن السينمائية فقط فى الاكتتاب فى الشركة المقترحة، فلو دفع كل فنان ألف جنيه تكون الحصيلة مليون جنيه واذا دفع ٢٠٠ فنان كل منهم ١٠٠ ألف جنيه لحصلنا على ٣٠ مليون جنيه يدفع البنك الاهلى مثلها فيصبح لدينا ٦٠ مليوناً يشترى بها هذه الشركة التى يملكها الفنانون المصريون وحدهم جميع أصول السينما التي هى أصلا ملك للسينمائيين ٢٠ مليون جنيه. وفى هذه الحالة تكون الدولة قد ردت للسينمائيين ما يملكون واذا كانت قد تنازلت عن فارق السعر بين عام ١٩٧٨ واليوم فأعتقد أنها حصلت على أضعاف هذا الفرق من عرق السينمائيين وكدهم.

أما هذه الشركة الجديدة فتستطيع أن تتخلص من بعض الوحدات الزائدة عن الحاجة بالاضافة الى بعض الاراضى الفضاء التى تملكها وتستطيع ببساطة أن تحصل على سيولة لا تقل عن أربعين مليونا تقوم به بتطوير الاستديوهات وتبدأ أيضا في مشاركة الادارة

المحلية وفى بناء دور عرض بالاقاليم.

ان بناء ١٠٠ دار عرض جديدة خلال خمس سنوات يمكن أن يوفر للفيلم دخلا يساوى ثمن البيع الخارجى للفيلم وفى هذه الحالة يستطيع المنتج أن يحتفظ بفيلمه عدة أشهر أو عدة سنوات حتى يحصل على السعر المجزى من الخارج لامضطرا تحت وطأة القرض أن يسلمه فور الانتهاء منه وتضيع مع ذلك حقوق كثيرة. الشركة المقترح انشاؤها تتفرغ للتوزيع وبناء دور العرض وتحسين العمل فى الاستوديوهات و تقدم القروض للمنتجين بفوائد تقل بقدر معقول عن فوائد البنوك التجارية ولا تقرب من عمليات الانتاج على الأقل فى السنوات الخمس الاولى.

ان هذا فى هو الحل الاقتصادى والحل الوطنى لمشكلة السينما المصرية وأعتقد أن عاطف صدقى لا يقل عن أى سينمائى لهفة لكى يخرج من المتاهه التى تحيط بمصير أصول السينما المصرية. ان خير طريق أن تعود لأصحابها. اذا تحمس د. عاطف صدقى لهذا الاقتراح نستطيع عندئذ أن نقول أن الذى أنشأ السينما المصرية هو اقتصادى كبير اسمه طلعت حرب وأن الذى بعث السينما المصرية وأحياها من مواتها هو اقتصادى كبير آخر اسمه عاطف صدقى.

الاهرام ٩٣/٦/٥

التغيير .. لا التعديل

كثر الحديث عن (التغيير) في الاسابيع الأخيرة وتحدث الرئيس حسنى مبارك عنه أكثر من مرة سواء مع رؤساء تحرير الصحف فى الطائرة المتجهه الى الخليج أو فى حواره مع الاعلاميين فى عيدهم. والذى ينشر عن (التغيير) حتى الآن لا يزيد عن بعض معلومات قليلة تحاول الصحف أن تستخرج منها أخبارا ولكنها لا تنجح فى كل مرة. هناك حقائق وتخمينات. أما الحقائق فمنها على سبيل المثال أن (التغيير) سيحدث بعد شهر يوليو هكذا أكد الرئيس ولكن هذا (البعد شهر يوليو) تعتبره بعض الصحف بعد يوليو مباشرة أى بعد الاتفاق مع صندوق النقد الدولى بل لقد حددت بعض الصحف نهاية يوليو موعدا (للتغيير) وذهبت صحف أخرى إلى أن (بعد يوليو) تمتد الى آواخر أكتوبر أى بعد اجراء الاستفتاء على مدة الرئاسة الثالثة للرئيس مبارك، وهذا الموعد يفرض على الحكومة والمحافظين الاستقالة من مناصبهم فيكون التغيير فى هذه الحالة دستوريا ولا اجتهاد عندئذ فى تحديد الموعد. والحقيقة الثانية ان هناك تعديلاً وزارياً ولكن التخمينات هى ما يتصل بشخص رئيس الحكومة الجديدة. هل هو الدكتور عاطف صدقى أم شخص آخر؟ لقد أثنى الرئيس على الدكتور صدقى وحكومته ثناء عظيما واعتبره البعض تأكيدا لاستمرار د. عاطف صدقى رئيسا للحكومة الجديدة. ولا يمكن الجزم الا عند الرئيس ما اذا كان هذا الثناء اشارة للاستمرار أم هو شكر الوداع.

والحقيقة الثالثة أن هناك تغييراً فى المحافظين ولا أعتقد أن مسألة تغيير بعض المحافظين يمكن أن تكون جزءاً من تغيير يطالب به ويعلن عنه بهذه الطريقة فالمحافظ موظف كبير خاضع للنقل وللخروج من الخدمة ولكل ما يخضع له أى موظف كبير.

ثم الحقيقة الرابعة وتقال بصوت منخفض بمعنى أنه يمكن اعتبارها حقيقة ويمكن اعتبارها من التخمينات أو استنتاجا لاستكمال صورة التغيير وهى اجراء تغييرات فى المراكز الرئيسية فى الحزب الوطنى الديمقراطية وهنا أيضا وصلت بعض الصحف الى اجراء التعيينات الجديدة والتنقلات بين الامناء المساعدين بالحزب. وهذه قطعا من التخمينات.

اذن فحصيلة ما يقال عن التغيير حتى الان هو على الاكثر تعديل وزارى أو تغيير وزارى وتغيير فى بعض المحافظين وفى بعض المراكز الرئيسية فى الحزب الوطنى الديمقراطى وان ذلك بالقطع سيقع بعد شهر يوليو أى منذ أول أغسطس حتى نهاية أكتوبر، أى خلال هذه الاشهر الثلاثة. فهل هذا هو التغيير الذى تطالب به الجماهير؟ فهل استبدال عاطف صدقى برئيس وزراء جديد أو تغيير بعض الوزراء أو جميعهم يمكن أن يحقق التغيير المنشود فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى مصر الان؟

لا أعتقد أنى أبالغ اذا قلت أن ما يجرى على الساحة الان فى مصر هو من أخطر التغييرات التى مرت بها فى تاريخها الحديث سواء فى الحياة الاقتصادية أو السياسية وبالتالى سوف يكون له أثره الكبير على الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع المصرى.

لا أريد أن أذهب فى الماضى بعيدا لأقف أمام نداءات الشعب المصرى بالتغيير فى ظروف مختلفة بل إن ثورة يوليو نفسها التى غيرت من الحياة بجميع أوجهها السياسية والاقتصادية و الاجتماعية كانت نداء شعبيا بالتغيير، فالشعب يحس بغريزته متى وأين يجب أن يقع التغيير. والتغيير الذي يطالب به الشعب هو الذى يشارك فيه .. وعدم مشاركة المواطنين فى عملية التغيير يجعله لا يتم للمصلحة العامة ويظل قاصرا على مصالح فئة أو فئات من المجتمع.

ان استجابة القيادة السياسية لنداء الشعب هو الذى يمنح عملية التغيير الشرعية الشعبية لكل اجراء يأتى استجابة لهذا النداء ويخرج بهذه الاجراءات من دائرة القرار من أعلى الى الصفة الشعبية التي تتجاوز به ما يمكن أن ينسب اليه الى ما يمكن أن يتصف به من آثار بعيدة.

اننا نقطع شوطا طيبا فى طريق الديمقراطية ولكن يعيب ديمقراطيتنا عيبان كبيران الاول هو النسبة الكبيرة الصامتة التى تمثل جزءا كبيرا من المثقفين والمتعلمين الذين ابتعدوا

عن الحياة السياسية عندما كانت نزالا بين الاحزاب المختلفة ثم تحولت فى ظل الحزب الواحد الى احتكار لفئة محترفة تبعد وصول القيادات الشعبية الحقيقية الى الصفوف الاولى، وفئات المثقفين والمتعلمين أغلبها غير مقاتل بل ربما يدفعهم الاحساس بالذات أو التعالى الى حد ما الى الخروج من المعركة والوقوف موقف المتفرجين.

هذا هو السبب الاول أما السبب الثانى ويتصل أيضا بالحياة السياسية وتحقيق الديمقراطية هى الأمية، فمن غير المعقول أن تتحقق ديمقراطية حقيقية فى مجتمع يعجز نصفه أو بلغة الارقام ٥٠٪ من شعب يعجز عن كتابة اسمه وبالتالى عن قراءة اسم المرشح ومن المستحيل أننا ونحن على أبواب القرن الواحد العشرين مازلنا نقدم للناخبين فى بلادنا السفينة والكف والمسدس لينتخبوا منهم واحدا يمثلهم فى مجلس الشعب أو مجلس الشورى أو أحد المجالس المحلية.

ستظل حياتنا السياسية يعتورها النقص ما دام يغيب عنها هذا الكم الهائل من المثقفين والمتعلمين ويشكل جزءاً من الحياة الانتخابية فيها هذا العدد الكبير من الاميين.

ان تغيير حياتنا السياسية يقتضى بكل الصدق حل هذه المشاكل. ولا أعتقد أن قانون الاحزاب قد أصبح له مكان فى مجتمعنا. الآن لدينا ١٣ حزبا ولكن فى الحقيقة الاحزاب التى لها جماهير فى الشارع الساسى لا تزيد عن أصابع اليد الواحدة. ما الضرر فى أن يكون لدينا عشرون أو خمسون حزبا. إن أسبانيا بها ٩٥ حزبا ولكن المعركة الانتخابية التى تمت فى الاسبوع الماضى فقط تمت فى حقيقتها بين حزبين كبيرين. لماذا لا نترك الناس يشكلون الاحزاب التى يريدون والذى يرجح كفة حزب عن حزب هو الواقع العملى واقبال الجماهير، مع ملاحظة هامة وهى حظر قيام أحزاب على أساس دينى. لماذا وقد طرقنا قانون النقابات لتوسيع القاعدة الديمقراطية لماذا لا نعدل قانون الجمعيات ولا تعتبر الجمعية مؤسسة مضادة لا تقوم الا بشهادة حسن السير والسلوك من المباحث؟ لماذا لا نترك الناس يكونون جمعيات لأغراض ثقافية أو انسانية. لماذا لا نجتذب الناس للمشاركة فى حياة بلادهم السياسية وبالتالى نحقق الديمقراطية التى نتطلع اليها.

ويتصل بذلك مباشرة الصحف .. هل يمكن أن تصدر صحف تحوى أكثر مما تحمله صحف المعارضة التى تصدر الآن؟ ان الاجتماع الواحد للمجلس الاعلى للصحافة يتضمن

الموافقة على اصدار مئات المجلات للهيئات والجمعيات فما الذى يمكن أن يحدث اذا أصبح لدينا عشر صحف يومية أو ٥٠ مجلة اسبوعية. معروف أن الصحافة فى ظل الاسعار العالمية للورق ومستلزمات الطباعة الاخرى أصبحت صناعة تحتاج الى رؤوس أموال كبيرة لماذا لازلنا نفرض الوصاية على الناس و الناس يميزون تماماً بين الغث والسمين. فى مجال الاقتصاد وبعد خطوات الاصلاح الاقتصادى التى تمت ونحن الان فى مرحلة الخصخصة واضح أننا نسير بخطوات حثيثة الى اقتصاد السوق وهذا أخطر تغير وقع فى السنوات الاخيرة ومن أخطر التغيرات التى وقعت منذ يوليو ١٩٥٢ وهو على الاصح التغير المضاد للتغير الذى وقع فى يوليو ١٩٦١ مع الفارق الكبير فى المخاطر التى تحيط بكل من الحالتين، وان كانت المخاطر واردة فى العملية الثانية أكثر من ورودها فى الاولى لأنها تتصل بعمليات تقييم وعمليات تتصل بمصالح آخرين اذا لم تكن العدالة المطلقة والمساواة الكاملة العامل الاساسى فى العملية لشابتها أشياء لا يقتصر خطرها فقط على الجزئية التى وقعت فيها عملية من العمليات ولكن ربما امتد أثرها لفقدان الثقة فى عمليات كثيرة توازى آلاف المليارات.

ان التغيير فى المجال الاقتصادى لابد أن يكون له آثاره الكبيرة والخطيرة فى المجالين الاجتماعى والثقافى و إيضا فى المجال السياسى، فالاقتصاد متصل بدخل الناس وقدرتهم على مواصلة العيش فى ظروف مجتمع ما وحق الناس فى الحصول على المتطلبات الانسانية الاولى حق تقول به الان كل الدساتير والنظم والقوانين. وتغير النظام الذى يسيرعليه المجتمع فى مجال الاقتصاد يحتاج الى دراسة واسعة تستكمل كل المجالات.

فللنظام الاقتصادى وجهه الاجتماعى فالاشتراكية مثلا ليست نظرية فى الاقتصاد فقط ولكنها أيضا نظرة الى الحياة، نظرة متكاملة تشمل كل شئ ولابد أن يكون لها الجواب عن كل سؤال يرد على ذهن فرد فى المجتمع ونحن رفضنا الاشتراكية بوجهها الاقتصادى وخرجنا من دائرة ملكية الدولة ولكننا مازلنا نؤمن وسنظل بالعدالة الاجتماعية، بحق البشر فى السكنى والتعليم والرعاية الصحية والثقافية وغيرها. بل ان الحاجة الى مضاعفة هذه الرعاية تزداد فى ظل النظم الاخرى فلابد أن تضحية ما قد وقعت من الطبقات الفقيرة فى الاصلاح الاقتصادى ولابد أن يكون قد جار على مصالح هذه الطبقات الفقيرة ولابد من تعويض هذه الطبقات عن هذه التضحيات .إن نقل ملكية شركات

القطاع العام الى الملكية الخاصة يفقد الطبقات الفقيرة الحصول على سلع كثيرة بالسعر الاجتماعي، صحيح أن هذه الميزة تراجعت منذ بدء الاصلاح الاقتصادى ولكن فقدها نهائيا وبشكل مكثف يعتبر حالة فى حاجة الى علاج. واذا كان العلاج فى مجال العمال والموظفين هو زيادة الاجور فلابد من ايجاد طريقة لتعويض الفلاحين والذين لا يعملون فى الحكومة وهذا أيضا يقتضى تكثيف الخدمات لغير القادرين. إن الوقوف امام ما يجرى فى ميدان الصحة الان يجعل الانسان يتصور أنهلم يعد هناك مكان لمريض فقير. فالمغالاة الشديدة فى أسعار العلاج الخاص أصبحت فوق طاقة القادرين لا غير القادرين ولابد ان تلاقى هذه الطبقات خدمة صحية حقيقية فى المستشفيات الحكومية العامة أو الجامعية تماثل نفس الرعاية الصحية التى تقدمها المستشفيات الاستثمارية من حيث الجوهر لا المظاهر، حتى يحس أفراد الشعب أن هناك من يرعاهم فى مرضهم وهى حالة مزدوجة الأثر فهى قد تكون مانعا كليا أو جزئيا عن العمل وفى نفس الوقت المرض نفسه شئ يتحمله الانسان بالصبر وبالعلاج الصحيح.ان مجال الرعاية الصحية والعناية به يمكن أن يكون تعويضا عما ضاع من الطبقات الفقيرة من ميزات اقتصادية.

أما الحياة الاجتماعية فقد انتابتها عوامل وظواهر فى حاجة الى علاج سريع لابد من مواجهة ظاهرة العنف ولا أريد أن أعود الى اسباب ورود هذه الظاهرة على الحياة فى مصر وقد تحدث غيرى وتحدثت بما فيه الكفاية واذا كان العنف الآن يواجه بعنف أمنى فان الشباب القادم في طريق يعرضهم للوقوع فى شرك العنف فى حاجة ماسة الى الفهم عن طريق المدرسة والجامعة والمعهد والحزب والجمعية والأسرة، فهم مخاطر الطريق والوقاية خير من العلاج. لابد من احتواء هذه الظاهرة واعادة السياحة الى ماكانت عليه مصدر دخل هام واساسى فى المجتمع المصرى للدولة وللأفراد قبل الدولة.

لابد من تغيير النظرة الى الشباب فى الأجهزة الموجهه لرعاية الشباب ليس جسدا يبنى بالرياضة ولكنه قبل ذلك عقل يصقل بالمعرفة والعلم والثقافة.

لابد من معالجة مشكلة البطالة، وقد عقد الحزب الوطنى الديمقراطى مؤتمره العام منذ عامين لمناقشة موضوع البطالة وأصدر قرارات وتوصيات هامة من جميع لجانه وفى حضور الحكومة ممثلة فى جميع اللجان. لابد من اعادة اخطار الحكومة بهذه التوصيات والقرارات ثم متابعة ما تم تنفيذه منها وما لم يتم حتى تصبح قرارات مؤتمر الحزب ملزمة كما أن جهدا

كبيرا قد بذل لحل هذه المشكلة.

والرعاية الثقافية لابد من أن يتسع مجالها لتشمل الجماهير خارج القاهرة والعواصم الكبرى لتصل الى القرى والكفور والنجوع وقد كان هذا هدف وزارة الثقافة منذ انشائها قبل ثلاثين عاما وقد دهشت عندما قرأت عن معارضة بعض اعضاء مجلس الشعب لرحلة القافلة التى أرسلتها الوزارة فى أول تجربة الى أسوان ولكنى علمت من السيد الوزير الفنان فاروق حسنى ان خلطا قد وقع لدى بعض أعضاء المجلس بين القافلة الثقافية والاعتمادات الموضوعة لها وهى لاتزيد على بضعة الآف والقوافل التى تماثل قصور الثقافة المتنقلة بمحتوياتها والتى تقوم بواجب آخر أو وظيفة أخرى وهذه تصل اعتماداتها الى عشرة ملايين .. اننا نطمع منذ انشاء وزارة الثقافة فى ان نخرج بالمسرح وبالسينما وبالفنون الشعبية وبمعارض الكتب والآثار الى الجماهير فى قرى مصر حتى لا نعيش فى مجتمع مزدوج الثقافة منبت الصلة بين من يعيشون هنا ومن يعيشون هناك.

وبعد. ان المجتمع المصرى فى حاجة الى التغيير وهو التغيير الذى يعيد تشكيل الحياة على أرضه متسقا مع الفكر الذى يعتنقه بكل اخلاص واقتناع واذا كان التعديل الذى سوف يقع فى الحكومة وبين المحافظين طريقاً لتحقيق هذه الأهداف فأهلا به وسهلا وقع فى نهاية يوليو أو نهاية أكتوبر، أما اذا كان التغيير هو تغيير فى الأشخاص وهو نهاية المطاف فلا أعتقد أن الكثيرين من شعب مصر يهمهم الى حد كبير تغيير اسم الوزير أو استبدال ذلك المحافظ فالمطلوب ليس وجوها جديدة ولكن وجوه جديدة لأناس يحملون عقولا جديدة تمتلئ بسياسات جديدة ولديها القدرة والطاقة أن تصنع لهذا البلد شيئا كبيرا فانه يستحق.

***

ابشر بطول سلامه يا مربع ..

تشهد العاصمة النمساوية (ڤيينا) بعد غد الاثنين مؤتمرا عالميا دعت اليه الأمم المتحدة عن (حقوق الانسان) وفى الحقيقة يأتى هذا المؤتمر الذى تشارك فيه مئات المنظمات الحكومية وغير الحكومية فى وقت وصلت فيه حقوق الانسان الى أدنى مستوى فى التاريخ الحديث.

فأمام العالم أجمع وعلى مرأى ومسمع لا من التاريخ فحسب بل من القادة وغير القادة ومن الشعب العادى تقع أبشع جرائم التاريخ فالذى يحدث فى البوسنة والهرسك يفوق جرائم هتلر التى صنع منها اليهود وصنع منها الغرب ملاحم متصلة من المآسى الانسانية الناطقة .. إن المشهد الدولى فيما يتصل بالبوسنة والهرسك يبدو فى منتهى الانحاط .. تصريحات متتابعة من مختلف الاتجاهات والقيادات والرئاسات وقرارات وقرارات، والموت والهلاك يزدادان ضراوة يوما بعد يوم. أما الرئيس الأمريكى الوسيم والباسم دائما فتصريحاته متضاربة يلحس غدا ما يقوله اليوم ويبدو أن مكتبه يعد التصريح وتكذيبه فى نفس الوقت، ومجلس الأمن وقرارات منقوصة لا تساعد على حل الأزمة أو الابقاء على البقية الباقية من وجه المجلس الذى يمثل المجتمع الدولى الجديد والذى يدعو الى مؤتمر لحقوق الانسان.

وفى فلسطين المحتلة تسجن السلطات الاسرائيلية المواطنين الفلسطينيين فى سجن كبير وتحرمهم من لقمة العيش المغموسة بالذل و الذى يفاضل الفلسطينى بينها وبين الموت جوعا فيضطر لأكل الذل حتى يقف على قدميه ليحارب جلاديه. لقمة العيش هذه يمنعها عنهم الاسرائيليون وهم يحصلون عليها بالعرق والدموع، وعمليات القبض والعنف واستباحة

أرض لبنان ومظاهرات مفتعلة من محتلى الجولان ومراوغات تلو مراوغات فى محادثات السلام. وفى الصومال وفى جنوب السودان يموت الانسان تحت سمع العالم وبصره وفى دول أوروبا يقتل المهاجرون وبالذات النساء. هكذا كانت أوروبا دائما وهكذا كان الاستعمار الأروبى، طارد الشرقيين فى ديارهم وطاردهم فى دياره واختار النساء ضحايا النازية الألمانية الجديدة. وفى فرنسا رائدة حقوق الانسان ورافعة راية الحرية والمساواة يصدر قانون يعارضه حتى المغالون فى جمودهم وتحجرهم، حتى هؤلاء يستكثرون على فرنسا باعثة الثورة أن تضيق بالمهاجرين الذين جاءت بهم والذين بنوا لها مدنيتها الحديثة على أكتافهم وأصبحوا غير مرغوب فيهم عندما جاء البديل من أوروبا الشرقية، والأوروبى يلذ له أن يستعيد الأبيض بعد أن مل استعباد الأسود أو الأسمر. اذن وكما نرى يأتى المؤتمر العالمى لحقوق الانسان فى وقته تماما كدليل دامغ على انهيار حقوق الانسان والعالم يخطو خطواته الأولى فى النظام العالمى الجديد وأمريكا تزعم أن حقوق الانسان هى المحرك الاساسى لسياستها قبل دول العالم المختلفة، حتى صندوق النقد الدولى وحتى البنك الدولى أصبحا يتحدثان عن حقوق الانسان أو تحويل حقوق الانسان الى حفنة من الدولارات. ماذا يمكن أن يحقق هذا المؤتمر العالمى الكبير فى ميدان حقوق الانسان؟ سوف نسمع دون شك الى مئات الخطابات الرصينة وسوف نشاهد وفود العديد من الدول تقدم الدليل تلو الدليل عما يحدث لحقوق الانسان فى مختلف البقاع وسوف تتطوع اللجان السرية والعلنية لإدانة الدول الضعيفة والصغيرة وتتناسى الدول العظمى فى مجال العدوان على حقوق الانسان.

ثم .. ثم يضع قرارات وتوصيات تذهب هباء فى الهواء ويظل الحال كما كان وربما زادته الأيام سوءاً على سوء.

وقديما قال الشاعر العربى:

زعم الفرذدق أن سيقتل مربعا   أبشر بطول سلامة يا مربع

الاهرام ٩٣/٦/١٢

الخصخصة بين المال الوطنى والأجنبى

لاأعتقد أن خطوة ما فى طريق الاصلاح الاقتصادى الشائك والطويل قد ثارت بمناسبتها الاقاويل وكثر حولها الحديث مثل خطوة الخصخصة. ورغم أن قانون قطاع الاعمال صدر منذ أكثر من عام وربما لم تخلُ صحيفة من الصحف القومية أو الحزبية خلال هذا العام من الحديث عن الخصخصة ورغم أن مصر لا تنفرد بهذا الاجراء بل فى نفس الوقت الذى تتم فيه الخصصة فى مصر تمت أيضا فى دول كثيرة سواء في الكتلة الشرقية أو تلك التى كانت تعرف بالكتلة الشرقية ودول أخرى فى الغرب أو غرب أوروبا. فبالنسبة للمجموعة الاولى وعلى رأسها روسيا طلقت الاشتراكية واندفعت نحو اقتصاد السوق اندفاعا غير محمود العواقب بل لقد تسببت العجلة فى ارتباك اقتصادى خطير مثل الذى وقع والذى يقع الان فى روسيا رغم المحاولات الفاشلة من قيادة ضعيفة متهالكة كقيادة يلتسن. لقد ارتفعت راية البيع حتى شملت كل شئ ولم يعد البيع قاصرا على المشروعات بل بيعت الاسرار السياسية وبيعت الاسرار التاريخية وبيعت وثائق المخابرات وبيعت أسرار الذرة وبيعت الدبابات والطائرات، لا لحساب الدولة ولكن لحساب من تستطيع يده أن تطول شيئا من هذه الاشياء. باعت روسيا كل شئ حتى كرامتها وباعتها بالدولار مقابل وعود جوفاء لم يصدق منها حتى الان الا أفلام الغرب الهوليودية محلات ماكدونالد.

وفى أوروبا الشرقية هناك قيادات أكثر وقارا وأكثر هدوءاً من يلتسن وأقدر على سياسة الأمور وأقدر على صيانة مصالح شعوبها لذلك لم يكن اندفاعها ساذجا سخيفا كاندفاع يلتسن والذين معه. وفى الغرب أيضا ومع أفول الاحزاب الاشتراكية وابتعادها عن الحكم يبدأ اليمين بعمليات الخصخصة ولكن يشوبها الحذر فى بعض الاحيان والاندفاع فى أحيان أخرى. وواضح تماما أن الخصخصة ليست موقفا اقتصاديا فقط ولكنه موقف سياسى أيضا لا باعتبار أن

الاقتصاد يلون كل شئ ولكن باعتبار أن السياسة أيضا موقف من الحياة يمكن أن يؤثر الي حد كبير فى الاتجاهات الاقتصادية. واذا كان العلماء لم يصلوا حتى الآن الى حل السؤال الذى يقول هل يؤثر التاريخ فى الجغرافيا أم تؤثر الجغرافيا فى التاريخ؟ كذلك لا يمكن الاجابة على هذا السؤال: هل يؤثر الاقتصاد فى السياسة أم تؤثر السياسة فى الاقتصاد. ولا شك أن الجواب الصحيح فى الحالتين أن كلا منهما يؤثر في الآخر بقدر كبير أو صغير حسب الحالة والموقف وحسب عامل التأثير. اذا كانت الخصخصة أو تحويل القطاع العام الى قطاع خاص بالمعنى الحرفي أو توسيع قاعدة الملكية بالمعنى البيروقراطى، وبالمناسبة من أطرف ما تلجأ اليه البيروقراطية المصرية عندما تريد أن (يبلع) الشعب أمرا من الامور تطلق عليه اسما محببا يحمل فى أحيان كثيرة معنى مناقضا تماما للمعنى المقصود فى الواقع، كما كنا نسمى مثلا مكتب الرقابة على الصحف مكتب حرية الصحافة. المهم أن الكلام على الخصخصة كثير ومتناقض وفى أغلب الاحيان يأتى مناقضا تماما لسياسة الحكومة فى هذا المجال وحتى من أشخاص المفروض أنهم أولى الناس بالاحتفاء بالخصخصة لأنهم ورثة القطاع العام وهى الرأسمالية المصرية أو قطاع الاعمال الخاص.

لقد استطاعت حكومة عاطف صدقى أن تتخطى العقبات وتجاوزت حواجز هامة سقطت أمامها حكومات سابقة حتى قبل الانفتاح وقبل الاحتكاك المباشر بالبنك الدولى ولعلنا جميعا نذكر أحداث ١٨و١٩ يناير ١٩٧٧ ونذكر أيضا رؤساء حكومات جبنوا صراحة عن اتخاذ اجراءات زيادة الاسعار ورفع الدعم حتى بالتدريج. المهم أن عاطف صدقى استطاع أن يجتاز هذه المغارات الموحشة المظلمة وبقيت هذه الخطوة التي لا أعتقد أن اجتيازها سوف يكون سهلا أو غير محفوف بالمخاطر. إن الذى دفع ثمن الخطوات السابقة فى الأغلب الاعم هى الطبقات محدودة الدخل خفيضة الصوت محدودة التأثير أو منعدمة التأثير فى حالة سكونها وهى ساكنة، ولكن هذه الخطوة الجديدة تتم فى مواجهة أصحاب الأصوات العالية والقادرين على المعارضة وعلى التأثير. واذا كان هناك اتفاق تام على المبدأ ولم يكن من المتصور أن يعارض رجال الاعمال المصريون هذا الاتجاه بل رحبوا به أيما ترحيب ولكنهم عارضوا التنفيذ عندما بدأ يتعارض مع مصالحهم تعارضا واضحا وبعض اجراءات التنفيذ اذا كانت تتناقض مع مصالح رجال الاعمال المصريين فهى بالتالى تتعارض مع مصالح جموع الشعب وربما كانت هذه الحالة من الحالات القليلة فى مجال الاقتصاد التى فيها تتحد مصالح الشعب بكل فئاته وطوائفه

وطبقاته.

أول هذه الاجراءات التقويم واللجوء الى مكاتب فنية أجنبية للقيام بعمليات التقويم وهنا تتحد المصالح فى رفض هذه المكاتب ولكن فى اتجاهين مختلفين فرجال الاعمال يخشون المغالاة فى الاسعار أو الاقل يخشون عدم النزول فى الاسعار الى الحد الذى جعل واحدا منهم يقول فى اجتماع الجمعيات العمومية لقطاع الاعمال إنه لا يدفع فى أية شركة أكثر من دولار واحد. معنى ذلك أنهم يريدون. إن يرثوا القطاع العام ميراثا حلالا وكأنه ميراث شرعى لابيع ولاشراء ان جماهير الشعب تخشى أن تنزل المكاتب الشعبية الاجنبية بالاسعار الى الحد الذى يجعلها تباع برخص التراب.

وحل هذه المشكلة يكون بيد هيئات موثوق بها تضم ممثلين وفنيين يمثلون القطاعات المختلفة المتصلة مباشرة بالشئ المقوم وبأصحاب المصلحة الحقيقية فى الحصول على ثمنه الحقيقى.

النقطة الثانية هى لمن يكون البيع؟ لقد قيل للمصريين أولا ثم للعرب فالاجانب وهذا لم يرد فى قانون أو أى لائحة أو أى ورقة مكتوبة ولكنها تصريحات وتصريحات. وقد ذهبت هذه التصريحات أدراج الرياح عندما عرضت شركتا الكوكا كولا والبيبسى كولا للشراء ثم قيل إن من حق الشركة صاحبة الامتياز أن تعترض على الشارى وواضح وبعد كل المناقشات أن الشركتين الام هما اللتان سوف تفوزان بالشراء. وهنا وضح أمام رجال الاعمال المصريين أنهم ليسوا الورثة الشرعيين للقطاع العام كما تصوروا ومن هنا جاء التحذير من سقوط الاقتصاد المصرى لقمة سائغة في يد الاجانب وهذا أخطر ما تتعرض له مصر الان ولا أعتقد أن مصريا مخلصا يمكن أن يفكر فى أن يعود الاقتصاد المصرى ليقع مرة أخري فريسة فى يد الخواجات وأسأل كم عام نحتاج منذ اليوم لنكافح ونناضل حتى تستخلص اقتصادنا من يد الاجانب فنشعر حقيقة أننا حصلنا على استقلالنا وحريتنا مرة أخرى. لقد جربنا الاجانب وعرفنا ما الذى يمكن أن يفعلوه بمصر مع الاختلاف الشديد فى الظروف. فى الماضى عندما سيطروا على اقتصاد مصر أقاموا صناعات حقيقية لأنهم لم يسيطروا على الاقتصاد فقط كانوا يسيطرون على الحكم، ولكن عندما ذهب الحكم بعيدا عنهم وأصبح فى يد المصريين وجاء بعضهم أو نفايتهم منذ أيام الانفتاح ماذا فعلوا هل أقاموا صناعة واحدة فى مصر؟ هل أنشئ مصنع واحد بأموال أجنبية أوروبية كانت أو أمريكية لقد ذهبوا الى ميادين المال السهل والذى لا

يتطلب تعبا كثيرا و انظروا الى المشروعات الاستثمارية التى يمتكلها الاجانب سوف تجدونها جمعيها فى مجال الاستهلاك الذى يضمن سرعة العائد وسرعة دوران رأس المال.

ان الاجانب لن يقيموا صناعة فى مصر ولن يساعدوا مصر على تقوية اقتصادها بل يفعلون العكس تماما. أما اذا جاءت مصر وقدمت لهم مشروعات دفع ثمنها الشعب المصرى بعرقه ودموعه فأهلا وسهلا. وهنا اذا كنا نختلف مع رجال الأعمال المصريين فى النزول بأسعار المشروعات الى مستويات ضعيفة فنحن معهم فى أنهم أولى بقطاع الاعمال من الأجانب. اننى أفضل المصرى ولو كان من الشياطين على الأجنبى ولو كان من الملائكة، فالشيطان لن ينجب بالضرورة شياطين والملاك ليس ملاكا فى كل حين.

ننتقل بعد ذلك الي نقطة هامة البعض أثار البعض اعتراضا عليها وهى قوائم الشركات العامة المرشحة للبيع ضمن برنامج التخصيص وقد ضمت الدفعة لعام ٩٢/٩١ عشرون مرشحا هى:

١ - شركة مصر للاسواق الحرة.

٢ - شركة الكروم المصرية

٣ - شركة النصر لتعبئة الزجاجات (كوكا كولا)

٤ - الشركة المصرية لتعبئة الزجاجات (بيبسى كولا)

٥ - شركة النصر لصناعة الزجاج والبلور.

٦ - شركة مصر للاستديوهات والانتاج السينمائى.

٧ - شركة النصر لصناعة المراجل التجارية وأوعية الطهى

٨ - فندق شيراتون القاهرة.

٩ - فندق أوبروى أسوان.

١٠ - الفندق العائم شيراتون - أنى.

١١ - الفندق العائم شيراتون - چيت.

١٢ - الفندق العائم شيراتون - توت.

١٣ - الفندق العائم شيراتون - أمون.

١٤ - فندق شيراتون.

١٥- الشركة العامة لمنتجات الخزف والصينى.

١٦ - شركة مصر للقرى السياحية.

١٧ - شركة السويس للاسمنت.

١٨ - شركة كلوريد مصر.

١٩ - شركة أتست (فندق شيراتون الاقصر).

٢٠ - شركة مصر ناردن الدولية.

وواضح من هذا العرض أن جميع هذه الشركات ناجحة تحقق ربحا ولا شك أن اختيارها لتكون الوجبة الاولى تم بناء على هذه المواصفات فهى شركات ناجحة تحقق ربحا ولذلك فسوف يكون الاقبال عليها كبيرا. ولكن لنقف أمام هذه المجموعة من الشركات وهى تحوى ثمانية مشروعات فندقية ونسأل سؤالين بريئين تماما لماذا تباع فنادق سبق أن عهدنا بادارتها الى شركات عالمية وأصبحت تحقق ربحا معقولا بعد أن تحررت تماما من ادارة القطاع العام؟ لقد نجح وزير السياحة فؤاد سلطان فى تحرير جميع هذه الفنادق من ادارة القطاع العام رغم اعتراض الكثيرين وثارت فى وجهه مشاكل عديدة كان أهمها دون شك العمالة وما حدث لها وبها وأصبحت كل هذه الفنادق تفخر بادارتها وتحقق للخزانة العامة ربحا معقولا. لماذا تباع؟ أليس ذلك هو تحقيق القصة الفولكلورية التي يحفظها الاطفال قبل الكبار وهى ذبح الدجاجة التى تبيض الذهب. وحتي فى حالة الاصرار على بيع الفنادق هل هذا هو الوقت المناسب لبيعها والسياحة فى أسوأ حالاتها ونسبة الاشغال لا تزيد عن ٣٠٪ وتسريح العاملين أصبح ظاهرة فى جميع الفنادق، الارباح هذا العام والعام القادم شئ مشكوك فيه فهل هذا هو الوقت الملائم لبيع الفنادق؟ إنه أسوأ وقت وأسوأ اختيار ولا أدرى هل أصبحت الفنادق الكبيرة عبئا على الحكومة أو ضيفاً ثقيلا تريد أن تتخلص منه فى أسرع وقت وبأى ثمن.

لقد ورث الشعب المصرى المعاصر عن أجداده الاثار الفرعونية و اليونانية والرومانية والقبطية والاسلامية. ولكنه صنع بيديه هذه المؤسسات التى تبيعها الحكومة اليوم وشعب

مصر لا يملك الآن هذه المؤسسات وهى التى حمته من العوز والفاقة فى أيام الجفاف والحروب لذلك من حقه أن يقلق ان يتشكك وأن يتردد وأن يطلب الدقة والتدقيق. من حقه أن يعرف بكم ولمن؟

بقى شئ أخر هو العلانية .. على كثرة ما يكتب عن هذا الموضوع فى الصحف الا أن الامر لا يزال يبدو وكأن شيئا يتم بمعزل عن الناس. العلانية مطلوبة بأوسع صورها. العلانية هى مانعة الصواعق التى تحول دون القيل والقل وهى تنفى الشائعات وتحافظ على ذمة الشرفاء.

* * *

الإفراج عن «بريخت» فى ألمانيا الموحدة

تم أخيرا الافراج عن الكاتب الألمانى الكبير برتولت بريخت بعد اعتقالة ثلاث سنوات كاملة. وبريخت توفى فى عام ١٩٥٦ ولكن قرار الاعتقال صدر من السلطات الالمانية الغربية بعد سقوط حائط برلين وفى بداية توحيد ألمانيا وشمل القرار منع تقديم مسرحيات بريخت فى ألمانيا الموحدة وشمل القرار بالطبع منع مسرحه (برلينر انسامبل) من تقديم مسرحياته. قبل هذا القرار كانت مسرحيات بريخت تقدم فى كل مكان باستثناء ألمانيا الغربية حتى أمريكا التى كانت تقدم مسرحيات بريخت. وربما كان بريخت من أكثر كتاب المسرح المعاصرين تأثيرا فى المسرح فى العالم الثالث .. ولد بريخت فى عام ١٨٨٩ وفى الغابة السوداء ورغم أنه من مواليد ألمانيا الغربية الا أنه ارتبط ومنذ ظهوره فكريا بألمانيا الشرقية وفى بداية الحرب العالمية الثانية ترك ألمانيا هاربا الى روسيا والنمسا وأخيرا استقر بالولايات المتحدة الأمريكية وعمل بالفن فى أمريكا وكتب بعض المسرحيات وسيناريوهات بعض الأفلام. واضطرته لقمة العيش أن يكتب سيناريوهات أفلام (طرزان) ويقبض ثمن ما يكتبه دون أن يشار فى مقدمة الفيلم الى انه كاتب السيناريو وأثناء وجوده فى أمريكا اتهمته لجنه (مكارثى) بالشيوعية وحققت معه. كان على صلة وثيقة بشارلى شابلن واتفق معه شابلن ان يدعى الجنون أمام لجنة مكارثى ليفلت من العقاب ووضع له شابلن سيناريو محبوكاً نفذه بحذافيره حتى اقتنعت اللجنة بجنونه فأفرجت عنه. فى عام ١٩٦١ قدم الى مصر مخرج ألمانى من البرلينر انسامبل (مسرح بريخت) ليخرج مسرحية دائرة الطباشير القوقازية تنفيذا للاتفاق الثقافى الموقع بين البلدين. كان المسرح القومى فى فترة وصول المخرج الألمانى يقدم موسما صيفيا فى بور سعيد وكنا مجموعة من الكتاب والصحفيين الأصدقاء نقضى الصيف فى بور سعيد: المرحوم أحمد رشدى صالح - المرحوم

موسى صبرى - سامى دواد والمرحوم نعمان عاشور والدكتور على الراعى وأحمد حمروش وكاتب هذه السطور وانضم الينا المخرج الألمانى واسمه (كورت فيت) وتوليت مسئولية مصاحبته كل ليلة للمسرح القومى لأقوم بترجمة المسرحية المعروضة الى الانجليزية التي يعرفها. كان يحاول التعرف على المسرح المصرى وعلى ممثليه الذين يختار من بينهم شخصيات مسرحية بريخت (دائرة الطباشير القوقازية) ومن بين المسرحيات التي شاهدها المخرج الألمانى على خشبة المسرح فى بور سعيد بين موسم المسرح القومى مسرحية (المحروسة) أول مسرحية كتبتها للمسرح وأعجب كورت فيت بالمسرحية وفوجئت بعد عودتنا الى القاهرة بدعوة تصلنى لزيارة برلين الشرقية وزيارة البرلينر انسامبل (مسرح بريخت) والدعوة موجهة من (هيلينا فايجل) أرملة بريخت. وسافرت .. كان مسرح بريخت قد قرر تقديم بعض المسرحيات لشباب المؤلفين بعد أن كان قاصرا على تقديم مسرحيات بريخت، ويبدو أن كورت فيت كتب لهيلينا فايجل عن المحروسة وفعلا حملت معى كطلبهم نسخة من المسرحية. بعد أن قابلت هلينا فايجل كان يسبقنى فى مقابلتها شاب علمت بعد ذلك أنه بيتر فايس وانه حمل اليها نسخة من مسرحيته ماراصاد وقد قدمها مسرح بريخت فى الموسم التالى. أما المحروسة فقد وقع خلاف سياسى بين ألمانيا الشرقية ومصر أو بالأحرى بين مصر والاتحاد السوفيتى كان نتيجته أن صرف النظر عن المحروسة وعن دائرة الطباشير أيضا ..

قدم المسرح المصرى من إخراج سعد أردش ومن مسرحيات بريخت (الانسان الطيب فى ستسوان) بطولة سميحة أيوب وعزت العلايلى (ودائرة الطباشير القوقازية) بطولة سميحة أيوب وشفيق نور الدين وقد كانت أول ترجمة عربية قدمت لاحدى مسرحيات بريخت كانت (الأم شجاعة) ترجمها صبحى شفيق ونشرتها فى مجلة الشهر فى عام ١٩٥٨. كان احتفاء شباب المسرح فى ذلك الوقت ببريخت مبررا لبعض الكتاب والنقاد للهجوم عليه ووصل الهجوم الى ذروته عندما دعينا للقاء الرئيس السادات بعد انتخابه بأيام فى أكتوبر عام ١٩٧٠ كنا عددا من الكتاب وتم اللقاء فى قصر عابدين وتحدث الرئيس السادات عن المسرح وعن ضرورة لجوء الكتاب لأصولهم ولتاريخهم وهاجم بريخت هجوما شديدا باعتباره (موضة) نلجأ اليها وننسى أصولنا، وكان هذا الهجوم بمثابة قرار جمهورى بمنع عرض بريخت على المسرح المصرى وفعلا غاب بريخت وظل غائبا في دول

كثيرة الى أن صودر حتى فى بلده ثم تم الافراج عنه وقدم تليفزيون ألمانيا الموحدة أخيرا بعض أعمال بريخت الخالدة.

الاهرام ٩٣/٦/١٩

مأساة الصومال بين الدوافع الانسانية والدوافع البترولية

وأخيرا استطاع الرئيس بل كلينتون أن يسجل انتصارا ساحقا وأن يقف بنفسه ليعلن للشعب الأمريكي وللعالم كله أن القوات الأمريكية بالاشتراك مع قوات الأمم المتحدة قد هزمت فلول جيش الجنرال محمد فارح عيديد والمكون من بعض الصوماليين الحفاة العراة العطشى الذين يحاربون بالبنادق التى أعطاها الأمريكيون أنفسهم للصوماليين أيام سياد برى اعتبار من عام ١٩٧٦. انتصر الزعيم كلينتون على أفقر وأبأس شعب عرفه العالم لا فى حاضره فقط بل خلال تاريخه الطويل ولم ينفرد الرئيس الأمريكى بالاحساس بنشوة النصر بل شاركه المعسكر الغربى وزير الدفاع الايطالى والفرنسى والانجليزى والباكستانى لأنهم جميعا اشتركوا فى هزيمة الرجال المهزومين من قبل، فقبل أن يحاربهم الأمريكان وتحاربهم الأمم المتحدة هزمهم الجوع والمرض والعطش وهزمتهم الحياة نفسها وقدمتهم لقمة سائغة أمام زعماء النظام العالمى الجديد الذى افتضح أمره وأصبح مكشوفا أمام الأصدقاء والاعداء فى البوسنة والهرسك وفى الصومال. ويتردد صدى هذا كله فى ڤينا بين فصول المسرحية الهزيلة والتى تسمى (المؤتمر الدولى لحقوق الانسان) وتأكيداً لهذا الانتصار العسكرى الكبير الذى وقع على أرض الصومال الجرداء أصدر قائد الأمم المتحدة فى مقديشيو فرماناً بالقبض على محمد فارح عيديد لأن رجاله قتلوا ٢٣ جندياً باكستانياً من جنود الأمم المتحدة، والذى ارتكبه رجال عيديد جريمة بكل المقاييس ولا يمكن الدفاع عنها ولكن السؤال ألم ترتكب جرائم فى حق الانسانية وفى حق الشعوب وفى حق الأمم المتحدة وفى حق كل شعوب الأرض التى تسعى للسلام وتعمل من أجله، ألم يسقط على أرض البوسنة والهرسك آلاف القتلى كل يوم، ألم تنتهك الأعراض، ألم يصدر مجلس الأمن قراراً بإنشاء جهاز لمحاكمة مجرمى الحرب؟ حدث كل هذا، ولأن المجرم أو المجرمين فى البوسنة

والهرسك (خواجات) كان غض الطرف عنهم وابتلاع جرائمهم وليس هذا بجديد على (الكرش) الأمريكى الذى يبلع أفظع الجرائم ولكنه يزور من أقل الجرائم المهم من هو المجرم وضد من .. لذلك كان لابد من القبض على عيديد ومحاكمته حتى ولو لم يصدر مجلس الأمن قراراً بذلك، ولا يصدر أمر بالقبض على مجرمى الحرب من الصرب رغم قرار مجلس الأمن الذى قضى بمحاكمتهم. هذا بالضبط هو النظام العالمى الجديد. وهذا بالضبط ما سوف يقبضه العالم كله من قائد النظام العالمى الجديد الرئيس بل كلينتون. لم تعرف السياسة الأمريكية فترة تردد وتخاذل مثل ما يجرى الآن على مشهد من العالم كله، وفى أحيان كثيرة أتصور أن رجال الإدارة الأمريكية يحاولون أن يكشفوا رئيسهم وأن يقدموه أمام العالم فى صورة الضعيف المهزوز الذى يقول كلاماً ويلحسه بعد ساعات.

لقد هدد الصرب وتوعد وأمر قواته بالاستعداد ثم عاد مرة أخرى ليسحب وعوده ويقول كلاماً يرضى به لا الصرب فقط بل والأوروبيين كذلك.

إنى أكتب هذا الكلام والأمم المتحدة والولايات المتحدة تحاولان إجبار مسلمى البوسنة على قبول ما وصل إليه مبعوثا الأمم المتحدة الأوروبيان وما وافق عليه الصرب والكروات ولا يمكن التنبؤ بما يمكن أن يحدث إذا أصر المسلمون على موقفهم ربما انقلب عليهم صراحة الأمريكان والأمم المتحدة. ونعود إلى الصومال والجنرال محمد فرح عيديد لم يقبض عليه بعد وربما يقبض عليه قبل وصول هذا الكلام إلى القارئ، وإذا حدث هذا وهو غير بعيد فلابد من محاكمته ولابد من الإجهاز على فلول قواته التى لو تركت وحدها دون قصف فسوف تموت من الجوع والعطش .. ولابد لكى نفهم موقف الأمريكان فى الصومال اليوم ومنذ ساقوا إلى العالم أكذوبة أو أسطورة (عودة الأمل) إلى أن وجهوا السلاح إلى صدور الشعب الصومالى الأعزل أن نعود إلى التاريخ.

فى عام ١٩٧٦ عندما بدأ السوفييت فى مساندة الحكم الجديد فى أثيوبيا هب الأمريكيون إلى مقديشيو وتدفق على الصومال السلاح الأمريكى، ولما كانت أمريكا تتوق دائماً إلى عمل ما يخلق المتاعب للسوفييت فقد سمحوا لسياد برى أن ينزلق فى هوة حرب أوجادين ضد إثيوبيا وكان من جراء ذلك أن تدفق مليون لاجئ إثيوبى إلى الصومال فى ذلك الوقت. ظل الأمريكيون يساندون سياد برى الدكتاتور الفاسد مدة عشر سنوات يشجعونه على فساده ويمدونه بالسلاح. وفجأة عندما انتهت الحرب الباردة بين السوفييت

والأمريكان تخلى الأمريكان عن سياد برى ودون سابق إنذار وانحدر نظام سياد برى إلى الهاوية، وكان لابد لهذا النظام الدكتاتورى الفاسد أن يلفظ أنفاسه الأخيرة تاركاً الصومال مستنزفه وخاوية من كل شئ اللهم إلا من شحنات السلاح الأمريكى وهو المخزون الذى ساعد على اشتعال الحرب الأهلية الطاحنة التى قضت على البقية الباقية من الصومال، اختفت معالم الدولة فى مقبرة الحرب الأهلية وتدفقت حشودها من البشر جوعى وعطشى هرباً من المعارك الشرسة الدائرة بين الفصائل المتحاربة.

وفى شهر ديسمبر الماضى تدفق على الصومال مئات الصحفيين من جميع أرجاء العالم ليشهدوا عملية إنزال مشاه البحرية الأمريكية وما تلا ذلك من تدخل عسكرى أمريكى.

وكان السؤال الذى يردده الصحفيون بينهم وبين أنفسهم وبينهم وبين المسئولين (ما هى المكاسب التى يمكن أن يحققها التدخل الأمريكى فى القرن الأفريقى). كان الجواب يأتى من الأمريكين وعلى رأسهم السفير روبرت أوكلى.

«إن مهمة أمريكا مهمة إنسانية بحتة». سميت العملية (عودة الأمل) وصفق الناس فى العالم للتدخل الأمريكى الذى لحقه تدخل الأمم المتحدة ولكن ظل السؤال يتردد لأنه باستعراض التحرك الأمريكى فى جميع المواقف ومنذ التاريخ البعيد لم يثبت أن فى السياسة الأمريكية شئ اسمه (الإنسانية) وجاء الجواب الصريح القاطع فى مقال نشرته صحيفة كوريير دى لاسيرا الايطالية فى يناير الماضى وقالت فيه:

«تعمل على الأرض الصومالية أربع شركات أمريكية هى (أمكو) و (كونوكو) و (فيليبس) و (شيفرون) كما تعمل أيضاً شركة (ألفا) الفرنسية وشركة (أچيب) الايطالية. وقد اشتعلت الحرب فيما بينها للحصول على امتيازات بترولية من الحكومة السابقة لسياد برى الذى طردته الحرب خارج البلاد».

وكشفت الوثائق التى نشرتها (لوس أنجلوس تايمز) النقاب عن أن الشركات الأمريكية كانت فقد حصلت على امتيازات للتنقيب عن البترول فى الأرض اليابسة أما شركة (ألفا) الفرنسية فقد حصلت على حق التنقيب عن البترول واستغلاله فى مناجم من المحتمل اكتشافها مستقبلاً خارج اليابس وفى البحر المفتوح. وطبقاً للمعلومات التى أمكن جمعها فى الصومال فإن شركة (أجيب) قد قسمت نصيبها الصغير بين اليابس وتحت البحر

والآن (بعد سقوط سياد برى واختفاء الحكومة والدولة) أصبحت التزامات العقود القديمة حبراً على ورق. ولكن إذا كانت هناك مصالح فى الماضى فإن الدافع للتدخل أصبح أكبر وأضخم فالجميع يأملون ليس فى إمكانية التفاوض من جديد مع حكومات المستقبل حول الامتيازات القديمة فحسب ولكن أيضاً بهدف الحصول منها على امتيازات جديدة تتنازعها الشركات المتنافسة. وفى مثل هذه الحالة قد يخرج الأمريكيون بأكبر قدر من هذه الامتيازات بفضل تدخل قواتهم العسكرية، وتدخل فى هذا الإطار شركة (كونوكو) وهى الشركة الأجنبية الوحيدة التى ما يزال مكتبها مفتوحاً فى مقديشو.

فى مدينة اجتاحتها الحرب وتتحارب فيها مختلف الفصائل وجهاً لوجه وفى ظل سقوط وابل من القنابل وفى وسط عصابات السلب والنهب والعنف .. فى وسط هذا كله ظل مكتب شركة (كونوكو) الأمريكية مفتوحاً يمارس نشاطه على الرغم من نقل كافة المعدات والآلات إلى أمريكا. ومن المؤكد أن الدوافع وراء استمرار فتح هذا المكتب ليست دوافع إنسانية كما يقول الأمريكيون. ومنذ وصول مشاة البحرية الأمريكية إلى مقديشيو أصبح مقر شركة (كونوكو) المقر الفعلى الجديد للسفارة الأمريكية.

لقد أجرت شركة (كونوكو) العديد من الدراسات والأبحاث الچيولوچية فى الصومال منذ عام ١٩٥٢ وقد وصفت آخر هذه الأبحاث بأنها غاية فى الأهمية حيث يتوقع الفنيون اكتشاف حقول البترول على هذه الأرض غير أن النشاط الفعلى لشركات البترول بدأ فى منتصف الثمانينيات بعد أن تم اكتشاف حقلين ضخمين للبترول فى اليمن فى واد تحت الأرض والذى يتصل بعمق خليج عدن ليتصل بشمال الصومال. وفى دراسة تمت بناء على تعليمات البنك الدولى حول الطاقة البترولية لسبع دول أفريقية احتلت الصومال والسودان مراكز القمة حيث أكدت الدراسة أن البترول موجود وإن لم يتم بعد الوقوف على كميته. وقد اعترف ريمون مارشان المسئول عن شركة (كونوكو) فى الصومال بأنه بقى فى مقديشيو (لأهمية هذا البلد لشركتنا ومن أجل الدفاع ليست عن أعمالنا ومصالحنا).

اذن فالمسألة بوضوح كامل ليست (عودة الامل) وليست الدوافع الانسانية ولكنها بوضوح كامل مصالح بترولية ويلاحظ أن أكثر الدول نشاطا فى ضرب ما زعم بأنه جيش عيديد هى عدا أمريكا: ايطاليا وفرنسا وواضح أن للدولتين مصالح بترولية فى الصومال.

هذا هو الهدف الحقيقى للتحرك الامريكى ثم لتحرك الامم المتحدة بناء على التعليمات الامريكية. وهناك سؤال لابد أن يطرح نفسه .. لقد وصلت القوات الامريكية الصومال منذ ديسمبر من العام الماضى ثم تبعتها قوات الامم المتحدة فلماذا لم تحاول القوات الامريكية فى هذه الاشهر الطويلة نزع سلاح محمد فرح عيديد وأنصاره. ان الحقيقة تقول عكس ذلك تماما وهو يتسق مع نوايا السياسة، ففى ديسمبر الماضى صرح بطرس غالى بأن وجهة نظر الامم المتحدة هى نزع سلاح الفصائل المتصارعة وعلى النقيض من ذلك فان قائد القوات الامريكية فى الصومال قال (إن هناك استفسارات كثيرة حول من ننزع سلاحه ومن نبقى له سلاحه).

صرح متحدث باسم البيت الابيض (اننا نجمع الاسلحة كلما كان ذلك ممكنا وكلما استطعنا العثور على حامليها ولكن نزع السلاح لم يكن مدرجا ضمن مهام بعثتنا وهو لم يطرأ عليه أى تغيير).

بل لقد حدث ما هو أخطر فقد أبلغت قوات المشاة البحرية الامريكية الذين كانوا يصادرون السلاح من المسلحين في العاصمة مقديشيو أن كمية من البنادق الاوتوماتيكية قد أعيدت الى قائد الجماعة الرئيسية فى الصومال و هو الجنرال محمد فرح عيديد.

وقد أعلن بطرس غالى أنه حصل على تأكيدات من الولايات المتحدة أنهم سيقومون بنزع سلاح الميلشيات الصومالية، لكن ادارة الرئيس بوش أنكرت ذلك وقالت إن عملية نزع الاسلحة ستكون من المهام بعيدة المدى التى ستقتضى من الولايات المتحدة التزامات على المدى الاطول لحفظ السلام. ونشرت هذه التصريحات صحيفة (الهيرالد تريبيون) فى ١٩٩٢/١٢/١٥.

ما الذى غير الموقف الامريكى من محمد فارح عيديد؟ هل قتل ٢٣ باكستانيا هو السبب الذى حرك السياسة الامريكية والقوات الامريكية وقوات الامم المتحدة؟ ومتى كان قتل المئات أو الآلاف وليس العشرات من شعوب العالم الثالث محركا للسياسة الامريكية؟ لقد شهدت الشهور الماضية تزايد نفوذ عيديد واتفاقه مع الجنرال مورجار الذى يسيطر على الجنوب. خضعت الكثير من المناطق لنفوذه وربما هذا النفوذ هو الذى أغرى عيديد كى يهاجم سياسة أمريكا والامم المتحدة فى أذاعة مقديشو واعلانه فشل الامم

المتحدة فى تحقيق المصالحة السياسية وفشلها فى اشعار المواطن الصومالى العادى بجهود الامم المتحدة واعلانه رفض خطة الامم المتحدة لفرض الوصاية على الصومال لمدة ثلاث سنوات تعتبر مرحلة انتقالية، يضاف الى ذلك أن شعبية كلينتون وصلت الى الحضيض بما لم يحدث لرئيس أمريكى من قبل وكما قيل له إن بوش حقق شعبية فى حرب الخليج وجد كلينتون الصومال جاهزة لتحقيق نصر عسكرى تافه وهزيل.قد تخدع الشعوب وخاصة شعوب العالم الثالث وفى أفريقيا بالذات مرة أو مرتين ولكنها لن تخدع للأبد ولابد أن يقوم شعب الصومال كما قام غيره ليحقق بسواعده حل مشاكله ولا حاجة للدول الفقيرة (باعادة الامل) وغيره من المشروعات الإستعمارية حتى لو ارتدت مسوح الإنسانية وهى من الانسانية براء.

***

كنز اليابان الحى

هذا الفيلم يصور العلاقة المؤثـرة والنـــــــادرة
بين الاستاذ هايكن وتلاميذه. هذا شئ لايقـــدر
بثمن ولكنه وللاسف قد نسى تماماً.. عـــــالم
القلوب الدافئة بالعطاء الحقيقى. أتمنى أن تـترك
مشاهدة هذا الفيلم فى كل من يراه شعوراً بتجدد
الحيـــــاة تعـكسه ابتسامـــة علـــى وجـــهه.

أكيرا كيرو ساوا

احتفالاً بمرور خمسين عاماً على قيامه بالإخراج السينمائى قدم المخرج اليابانى الكبير أكيرا كيرو ساوا فيلمه الثلاثين بعنوان (مادادايو) وهى كلمة يابانية معناها (ليس بعد) أو بتعبير أوضح (لسه) والفيلم قصيدة من الشعر الذى يحمل شحنة من الدفء والأحاسيس الإنسانية الراقية.

يحكى الفيلم قصة كاتب ومدرس يابانى مشهور اسمه هاكيدا يوشيدا امتدت حياته (٨٤ عاماً حيث ولد عام ١٨٨٩ وتوفى عام ١٩٧١).. وهى فترة تحولات وتغييرات كبيرة فى تاريخ اليابان.

هناك أوجه شبه بين هاتين الشخصيتين العبقريتين فكيروا ساوا يبلغ ٨٣ عاماً من عمره ومازال يحمل على عاتقه مسئولية إنتاج الأفلام. ويوشيدا معروف بسخريته اللاذعة وكتاباته المتميزة وقدرته على مواصلة الحياة رغم كل المشاكل والصعاب التى تصادفه دون أن يفقد تفاؤله وحيويته وعندما اندمج فى المجتمع الفنى فى اليابان أدهش الجميع بمقولته البسيطة (أنا لا أحب ذلك لأنى لا أحب ذلك).

احتفظ يوشيدا دائماً بتفاؤله وحيويته حتى عندما فقد كل شئ فى الغارات الجوية على طوكيو فى الحرب العالمية الثانية.

وكان حبه للحياة جعله يبعد فكرة الموت عن تفكيره لأنه يعتقد فى داخله أنه يعيش إلى الأبد وأن حياته لن تصل إلى نهايتها.

وفى أعوامه الأخيرة احتفل تلاميذه بعيد ميلاده بتجمع يعرف باسم (ماداكايا) وهى لعبة بالألفاظ تعنى (هل أنت مستعد لأن تذهب إلى العالم الآخر) ويكون الرد عاماً بعد عام (مادادايو) أى (ليس بعد) (لسه) .. وهى نفس لعبة الأطفال فى اليابان وفى مصر الاستغماية أو (المساكة) عندما يغمون طفلاً ويختفون ويناديهم خلاص ويكون الجواب لسه ومن هنا أخذ كيرا كيرو ساوا اسم فيلمه الجديد (مادادايو).

صور المخرج حياة يوشيدا بحساسية وشعور شخصى بالموقف وسلط الضوء على حياته كمعلم وكنموذج مشع .. وحرارة الفيلم تنبعث من حرارة أعمال يوشيدا وعلاقته بتلاميذه خلال سنين طويلة. فى عام ١٩٤٣ هجر يوشيدا مهنة التدريس ليركز على الكتابة ورغم الغارات النارية على طوكيو إلا أن يوشيدا قرر أن يبقى فى المدينة (حتى لو أحرقت طوكيو وأصبحت رماداً فوق الأرض) وقد حدث، ومن بين ما دمر طبعاً بيت يوشيدا.

انتقل يوشيدا مع زوجته ليعيش فى عشة من الصفيح وأحس تلاميذه بأن أستاذهم يستحق مكاناً أفضل فبنوا له بيتاً من ثلاث غرف. وانتقل يوشيدا إلى البيت الجديد وقد عاد له تفاؤله وحبه للحياة وسخريته اللاذعة.

احتفل تلاميذه بعيد ميلاده الواحد والستين بنفس طريقة (مداكابا) وتكرر الاحتفال فى كل عام تال وحدث أن قطة ضالة وجدت مأوى فى منزل يوشيدا ولكنها اختفت ذات يوم.

أثر فيه اختفاء القطة تأثيراً فأصبح يائساً حزيناً فقد حيويته وشهيته وحاول تلاميذه بكل وسيلة إيجاد القطة الضائعة بالبحث عنها بأنفسهم فى الأحياء المجاورة وبالإعلان فى الصحف وفى الإذاعة، ولكن دون جدوى فلم تعد القطة وكانت إحدى المناسبات النادرة التى يجد فيها تلاميذه أنفسهم وقد تجمعوا فى شكل قوة تسعى لغرض واحد.

وبعد خمسة عشر عاماً من بدء هذا الاحتفال بعيد ميلاده أحضر تلامذته معهم فى الحفل أولادهم وأحفادهم وفى هذه المناسبة الخاصة سقط يوشيدا مريضاً ورغم جزع التلاميذ إلا أنه قام ليشرب كأس البيرة الكبير الذى تعود أن يشربه فى احتفال كل عام ليقولوا له (هل أنت مستعد) ويرد رده المعروف (ليس بعد).

ورقد يوشيدا فى فراشه يحلم وأصوات الأطفال يتناهى إليه صداها وهم يصيحون (هل أنت مستعد) ويأتيهم الجواب (ليس بعد).

سئل أكيرا كيروا ساوا من أين جاء بعنوان فيلمه الأخير (ليس بعد) فأجاب بأن الأستاذ يوشيدا يرفض فكرة الموت وتلاميذه يقابلونه مرة فى كل عام للاحتفال بعيد ميلاده ويسألوه (هل أنت مستعد) ويجيب (ليس بعد).

وسئل لماذا اخترت يوشيدا موضوعاً لفيلمك هل يحمل الفيلم رسالة معينة .. ويرد بالنفى أنه ليس فيلماً يحمل رسالة ما لقد أحببت يوشيدا دائماً وكنت أعود لقراءته كل حين. كان يقوم بأعمال لا تصدر إلا منه ففى مرة كتب كتاباً لأن قطاً له قد اختفى، وكان محبوباً ومحاطاً بتلاميذه وكانت علاقتهم به بلا حدود.

وسئل أكيرا كيروا ساوا هذه العلاقة بين الأستاذ وتلاميذه التى تتحدث عنها قد اختفت الآن فهل يعكس الفيلم نظرتك إلى هذه العلاقة وأجاب المخرج الكبير: قال بول ڤاليرى مرة إنه من المهم أن يتعلم التلاميذ من خلال شخصية أستاذهم أكثر مما يتعلمون من مواد ينقلها إليهم هذه الفكرة الرائعة نسيت الآن فى التعليم وأعتقد أن أفضل وسيلة لتعليم قيمة أساسية هى الطريق الذى استخدمه يوشيدا والتى ترتكز على تجربته الحية وأحس أن طريقة التعليم الحالية تملأ رؤوس التلاميذ بالمعلومات ولكنها لا تنضج إنسانيتهم.

ولد أكيرا كيرو ساوا فى مارس ١٩١٠ بمدينة طوكيو وكان والده ضابطاً كان يصحب أسرته إلى دار السينما وفى الثامنة شاهد أكيرو السينما لأول مرة ومنذ اللحظة الأولى

وقع الحب الكبير فى قلبه للفن السابع.

قدم كتاباً يقرب من أن يكون سيرة ذاتية تحدث فيه عن تجاربه فى الإخراج وقال عن السينما: الذى يجب أن تعرفه هو أن السينما رغم التقائها بكثير من الفنون ومجالات المعرفة وباحتوائها على خصائص مسرحية وفلسفية واتصالها بالاجتماع والسياسة والحضارة واحتفاظها بعلاقات وثيقة بفنون الرسم والنحت والموسيقى .. إلا أنها تظل فى النهاية السينما التى لا تشبه إلا السينما نفسها.

هناك شئ اسمه (الجمال السينمائى) لا نجده إلا فى إبداعات هذا الفنان الذى يسمونه فى اليابان (كنز اليابان الحى) فأفلامه هى أروع وجه ثقافى يقدم اليابانيون من خلاله أنفسهم إلى العالم.

شاهدت فيلم أكيرا كيروا ساوا الأخير (مادادايو) فى مهرجان «كان» الذى انعقد فى الشهر الماضى حيث عرض الفيلم فى البرنامج الرسمى ولكن خارج المسابقة وأحسست طوال الفيلم أن امتزاجاً قد تم بين شخصية يوشيدا نفسه والمخرج الكبير وتسلل المعنى العظيم للهتاف الداخلى الدافئ ليوشيدا وهو يخاطب تلاميذه وهوفى الحقيقة يخاطب الموت قائلاً بلا استعطاف ولكن فى قوة وحيوية وأمل (لسه) إنه يرفض الموت ويحس دائماً أن لديه ما يقوله وما يفعله أحسست وأنا أغادر دار العرض بهذا النداء يصدر من أكيرا نفسه فمازال عنده الكثير الذى يقوله ويقدمه فناً رائعاً بل شعراً حميماً كله إخلاص ووفاء.

الأهرام ٩٣/٦/٢٦

بين صندوق النقد .. وصندوق الدين!

تجرى هذه الأيام فى العاصمة الأمريكية (واشنطن) محادثات هامة وصعبة بين وفد يمثل الحكومة المصرية والمسئولين عن صندوق النقد الدولى والبنك الدولى .. هدف المحادثات الاتفاق على الخطوط العريضة لخطاب النوايا الذى سوف يوقع بين الطرفين بعد إزالة الخلاف الموجود حتى بدء المحادثات، ويترتب على توقيع خطاب النوايا المأمول أن يتم تنازل الدول الدائنة لمصر عن مبلغ حوالى ٣,٧ مليار دوالر بما يمثل نسبة ١٥٪ من إجمالى الديون المتفق على إعادة جدولتها .. كما يترتب على توقيع خطاب النوايا أيضاً فتح الطريق أمام التغيير الوزارى المنتظر فى مصر، إذ بهذا التوقيع تكون حكومة الدكتور عاطف صدقى قد أكملت شوطاً كبيراً فى مسار الإصلاح الاقتصادى وانتهت إلى مرحلة تقتضى إعادة النظر فى أشياء كثيرة فى مجال الاقتصاد والسياسة وغيرها. وسواء أعاد د. عاطف صدقى تشكيل الحكومة أو شكلها غيره فإن الأمور تستدعى وقفة متأنية تقتضى دراسة واعية لما نحن عليه الآن سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ثم الانطلاق بسياسات جديدة نحو مستقبل يحمل من المشاكل أكثر مما حمل الحاضر أو الماضى القريب ..

من كل ذلك تأتى أهمية توقيع خطاب النوايا بين صندوق النقد والبنك الدولى والحكومة المصرية ولا شك أن الصندوق والبنك يعرفان أهمية هذا الخطاب المطلوب توقيعه، ومن هنا تأتى الشروط والفروض ولكن هل فى استطاعة الحكومة أن تخضع لمطالب الصندوق وأن تنزل على اقتراحاته وأن تنفذ ما يطالب به.

إن الصندوق والبنك الدوليين جهتان أو هيئتان أجنبيتان لا يهمهما فى قليل أو كثير زيادة الأسعار فى مصر وخنق الطبقات العاملة من قسوة الحياة ولا يهمهما على الإطلاق أن

تذهب هذه الحكومة أم تبقى ولا يهمهما أكثر من ذلك بقى النظام كله أم تغير ولو ذهب إلى الشيطان نفسه. لا يتصور إنسان مهما بلغت به السذاجة أن هذه الهيئات الدولية يمكن أن تخضع لمنطق واقعى أو تضع فى الحسبان قدرة الناس على تقبل شروطه وأوضاعه المفروضة.

ولست أدرى لماذا أتذكر صندوق الدين كلما قرأت عن صندوق النقد وأعود على الفور إلى أيام الخديوى اسماعيل عندما أغرق مصر فى الديون. ورغم تأكيدنا على الفارق الكبير بين ديون اسماعيل وديون مصر فى السنوات الأخيرة، إلا أن المسألة فى النهاية من وجهة نظر المدينين تبدو واحدة والتصرف واحد ما دام الهدف هو استرجاع الدين أو نسبة كبيرة منه مع أرباحه إن أمكن ثم التدخل السياسى تبعاً للتدخل الاقتصادى فى شئون مصر الداخلية.

إننا نحمل ذكريات مؤلمة سواء من الماضى البعيد أو الماضى القريب لكل الهيئات الدولية التى تخلق لأسباب اقتصادية واضحة كل الوضوح ولكنها تتحول وببساطة شديدة إلى هيئة تدخل سياسية تفرض الوصاية والتحكم ثم تنتهى إلى نهاية تعيسة لكل الأطراف. قال الرافعى يصف صندوق الدين الذى أنشئ فى عهد الخديوى اسماعيل ليجمع أموالاً يسدد بها ديون الدول الأجنبية:

«كان صندوق الدين أول هيئة رسمية أوروبية أنشئت لغرض التدخل الأجنبى فى شئون مصر والسيطرة الأوروبية عليها وغل سلطة الحكومة المصرية فى شئونها المالية والادارية وهو اداة اعتداء على استقلال مصر المالى والسياسى».

وتبع إنشاء صندوق الدين دخول وزيرين انجليزى وفرنسى حكومة نوبار - أول وزارة فى تاريخ مصر عام ١٨٧٨ - ثم إعطاء الوزيرين فى وزارة توفيق حق (الفيتو) ثم تطورت الأمور إلى هاوية سحيقة عندما انضم اسماعيل إلى الجبهة الوطنية المؤلفة من المخلصين المصريين فكان قرار عزله وكانت النهاية المأساوية فى عهد خليفته وابنه محمد توفيق باحتلال انجلترا لمصر.

هذا عن الماضى البعيد وهو ليس بعيداً جداً ولكنه يعيش فى ذاكرة تنادى فى وجداننا ونحن نرى أوجه شبه كثيرة بين ما حدث وما يحدث.

أما الماضى القريب فيقول لنا ما هو أغرب وأمر وبعد أن تخلت انجلترا مرغمة عن قيادة المعسكر الاستعمارى لأمريكا وتطوير الاستعمار لأساليب وطرق جديدة تتناسب مع ظروف العصر. ظهرت هذه الهيئات الدولية كصندوق النقد الدولى وكالبنك الدولى للإنشاء والتعمير وهى طريقة امريكية ووصفة تساوى ما عرفناه فى تاريخنا القديم عن ذهب المعز وسيفه .. وعندما اختلفت مصر مع امريكا ووقفت أمام الأحلاف الأمريكية، التى أرادت أن تربط الشرق بعجلة السياسة الامريكية، وعندما حاربت مصر حلف بغداد صراحة وجهاراً نهاراً، وعندما تبنت مصر سياسة عدم الانحياز منذ مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ وعندما نفذت مصر صفقة الأسلحة التشيكية فى العام نفسه - كان لابد من تأديب مصر علانية جهاراً نهاراً. وكانت الاداة التى تملكها امريكا وتحركها كما تريد هى البنك الدولى وصندوق النقد الدولى. وقابل دلاس وزير خارجية امريكا يوجين بلاك مدير البنك الدولى فى يوليو ١٩٥٦ ثم خرج بلاك ليعلن أن مصر دولة مفلسة لذلك فإن البنك الدولى قرر سحب تمويل السد العالى الذى سبق وأن وعد به مصر. وكان الرد على هذا التأديب العلنى هو تأميم قناة السويس ثم العدوان الثلاثى على مصر فى أكتوبر ١٩٥٦ .. وفى التاريخ الأقرب وفى عام ١٩٧٧ وكلنا نذكر طلبات صندوق النقد والبنك الدولى وخضوع الدكتور القيسونى لطلباتهما ورفع أسعار السلع ثم ما حدث فى ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ وعندما يكتب التاريخ الحقيقى لمصر فى هذه السنوات سوف نعرف أن ما حدث بعد ذلك من تغيرات سياسية لا فى مصر وحدها بل فى المنطقة بأسرها وضعت بذرته فى أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧.

إذن فالتاريخ يحتفظ للبنك وللصندوق بأسوأ الذكريات لا لمصر وحدها بل لجميع الدول التى أوقعها حظها العاثر فى يد هذين الغولين.

إن مطالب الصندوق هذه المرة وفى الجولة التى تتم الآن فى واشنطن لا يستطيع الشعب المصرى أن يطيقها فى ظروفه الحالية وهو ما يجعل الحكومة المصرية ممثلة فى وفدها الكبير ترفض ونتمنى أن تصر على رفض هذه المطالب المجحفة بحق الشعب وقدرته على مواصلة الحياة فى ظروف بالغة القسوة. إن الصندوق يصر على تطبيق العديد من الاجراءات المتصلة بالضرائب والجمارك قبل بداية هذا الشهر أى قبل أن يبدأ العمل بميزانية ٩٤/٩٣.

ولم تعد مطالب الصندوق من الحكومة المصرية سراً بعد أن تناولتها الصحف العالمية والأجهزة الاقتصادية بالنشر والتحليل والتعليق. ويبرز فى مقدمة ملاحظات الصندوق ما يتصل ببيع القطاع العام أو ما سمى بالخصخصة، فالصندوق يرى أن بيع أصول عشرين شركة سنوياً عدد غير كاف فى ظل الاتفاقيات الشفوية بين الجانبين على طرح عدد أكبر من وحدات القطاع العام خاصة ما يتصل بالسياحة، ومطالب الصندوق بعدم استبعاد المشترين الأجانب. ويتهم الصندوق الحكومة المصرية أنها أجلت عملية إرساء العطاءات المقدمة من الأجانب والعرب والتى كان محدداً لها آخر موعد ٢٩ يونيو الماضى، ومن المعروف أن هذا التأجيل تم لضآلة تقديرات هذه العطاءات واحجام المصريين عن المشاركة فيها واعتقد أن بيع أكثر من ٢٠ وحدة فى العام يحدث أضراراً كثيرة بالاقتصاد المصرى ويؤدى إلى الخسف بأسعار هذه الوحدات علاوة على أن هذا البيع سوف تترتب عليه دون شك ورغم كل التأكيدات الاستغناء عن نسبة من العمالة فى هذه الوحدات، ولا أعتقد أن الصندوق الاجتماعى فى ظل موارده الحالية يستطيع أن يواجه أزمة بطالة تزيدها تعقيداً أعداد العمال الذين سوف يستغنى عنهم عند بيع هذه الوحدات.

يطالب صندوق النقد الدولى الحكومة المصرية بتطبيق المرحلة الثانية من ضريبة المبيعات بعد نجاح المرحلة الأولى التى بلغ المحصل الفعلى منها حوالى ٧,٢ مليار جنيه وزيادة ٨٧,٥٪ عن العام السابق ولا شك، كما ترى الحكومة المصرية أن المرحلة الأولى من ضريبة المبيعات قد حققت دخلاً ساهم فى تمويل عجز الميزانية إلا أن هذه الضريبة ساهم أيضاً فى النزول بحركة البيع والشراء بنسبة تترواح بين ٥٠٪ و ٦٠٪ من حجم التعاملات السابقة فضلاً عن تخفيض هامش ربح التجار بنسب تترواح من ١٠٪ الى ٢٠٪ لذلك فلابد إزاء هذا الكساد الذى ساهم فى خلقه تنفيذ المرحلة الأولى من ضريبة المبيعات من تأجيل تنفيذ المرحلة الثانية.

يطالب الصندوق أيضاً بتحرير التجارة الخارجية بنسبة ١٠٠٪ قبل أول يوليو الحالى وذلك من وجهة نظر الصندوق يفتح باب المنافسة بين الانتاج المصرى والأجنبى على أن تترك الأسعار لآليات السوق ونتيجة العرض والطلب، وترى الحكومة المصرية أن يؤجل التحرير الكامل إلى العام القادم ١٩٩٤ خاصة بالنسبة للملابس الجاهزة ومنتجات الغزل والنسيج والسلع الهندسية والمعمرة وذلك لعدم قدرة الانتاج المحلى على منافسة السلع

الأجنبية المشابهة والقضاء على الصناعات المصرية الناهضة قضاءً سريعاً وعدم ترك السعر لآليات السوق بالنسبة لهذه السلع لأنه سيوضع فى النهاية على عاتق المشترى الذى جار بالشكوى من مضاعفة أسعار بعض السلع.

ربما كان أهم مطالب صندوق النقد وأخطرها بالنسبة للاقتصاد ما يطالب به من فرض ضريبة على العائد من الودائع فى البنوك ويؤكد الصندوق أن هذه الضريبة تعتبر مصدراً جديداً لتغطية العجز فى الميزانية إذ توفر هذه الضريبة حوالى ٦٠٠ مليون من إجمالى الودائع التى تقدر بحوالى ٨٣ مليار جنيه مصرى و ٤٦ مليار بالعملة الأجنبية ويبلغ إجمالى العائد على الودائع بحوالى ١٠٫٥ مليارات جنيه سنوياً.

ولا شك أن فرض مثل هذه الضريبة سوف يلغى إحدى أهم الميزات التى يتميز بها الجهاز المصرفى المصرى ونظام الودائع وهو البعد من الضرائب وتعقيداتها والاحتفاظ بسرية الحسابات وإن كان البعض يقول إن هذه السرية لا تتعارض مع فرض الضريبة على الودائع لأن المحاسبة سوف تتم على الاجماليات باستخدام الرقم الكودى ومع ذلك سوف تؤثر مثل هذه الضريبة دون شك على حجم الودائع التى زادت بعد رفع سعر الفائدة زيادة كبيرة ولا داعى للتضحية بها فى سبيل ضريبة سوف تتناقص دون شك من جراء سحب الودائع وتحويلها إلى عملات أجنبية مرتفعة.

ومطلب آخر للصندوق وافقت عليه الحكومة المصرية وأعلنت عنه هو زيادة أسعار الكهرباء والبترول، ولا شك أن المصريين محدودى الدخل لم يعد فى طاقتهم أن يتحملوا أكثر مما يحملون. إن خفض العلاوة للعاملين فى الحكومة وقطاع الأعمال العام وما سوف يتبع ذلك أيضاً القطاع الخاص .. إن خفض نسبتها من ٢٠٪ إلى ١٠٪ بالاضافة إلى الأسعار التى ترتفع تلقائياً بعد زيادة أسعار الكهرباء والطاقة، هذه الزيادات مع خفض العلاوة قد تجاوز الحد الأقصى لطاقة الأغلبية العظمى من الشعب وكما قلت من قبل إن صندوق النقد الدولى والبنك الدولى لا يهمهما على الإطلاق جاع الشعب المصرى أو ثار، والمسألة هى مجموعة أرقام صماء لا يمكن أن تتحول فى نظرهم إلى آدميين يأكلون ويشربون ولهم متطلبات بوصفهم بشراً لا بهائم ولكن تنفيذ سياسة أولى الأمر هى الأساس. وقد يسخر خبير اقتصادى فى البنك الدولى وقد يكون مصرياً من هذا الكلام وعند الاقتصاديين قدرة على محق الحياة نفسها فى سبيل أن تصح بعض العمليات

الحسابية. إن مصر تعودت كلما حاولت أن تقف على قدميها وأن تكون كما هى مؤهلة له قوة حقيقية لا فى المنطقة بل فى العالم - اعتادت أن تقف فى مواجهتها القوى الكبرى لتعيدها إلى صفوف الدول الفقيرة لتظل دائماً فى حاجة إلى هذه القوى التى تفرض نفسها على العالم ليس بقوة اقتصادها فهى منهارة اقتصادياً وليس بقوة سلاحها ولكن بالمؤسسات الدولية فالاجهزة التى ترتدى لباس الأمم المتحدة أو العباءة الدولية هى فى حقيقتها تنفيذ السياسة الامريكية أو ما تمثله السياسة الامريكية فى مختلف دول العالم.

إن الموقف الامريكى من قضية الإرهاب يفضح الموقف الامريكى فى قضية الاقتصاد وهو موقف واحد تنسجم أجزاؤه بعضها مع البعض الآخر لتكون الصورة النهائية التى يجب أن يراها المصريون. لن يبنى مصر إلا الشعب المصرى، وإذا كنا اليوم نواجه ظروفاً غريبة علينا فلن يغير هذه الظروف إلا أبناء مصر. و فى الوقت الذى يجتاز فيه اقتصادنا عنق الزجاجة تتفتح السياحة على مصاريعها لتحقق دخلاً يصل أربعة مليارات دولار وتأبى القوى الشريرة المتربصة بمصر أن تحل مصر مشاكلها الاقتصادية لتظل دائماً أسيرة لقمة العيش وتضرب السياحة فى الصميم ويذهب دخلها أدراج الرياح، ورغم كل التفاؤل الذى يحمله المسئولون فى وزارة السياحة وبالرغم من كل الخطط والجولات فى الخارج إلا أن الحقيقة وهى أوضح ما تكون تقول إنه لا استعادة للسياحةقبل عام أو عامين ما لم تتناثر أحداث العنف بعد ذلك فتزرع الخوف مرة أخرى فى نفوس السائحين.

ونعود إلى مطالب صندوق النقد والبنك الدوليين فيما يتصل بسياسة الخصخصة وبيع وحدات القطاع العام للقطاع الخاص، وإذا كنا قد تساءلنا فى مقالنا على هذه الصحيفة منذ أسبوعين عن سبب وضع منشآت السياحة فى الدفعة الأولى من الوحدات المعروضة للبيع رغم أنها جميعها تحت ادارة أجنبية وفى موسم راكد بالنسبة للسياحة، والجواب بعد استعراض مطالب الصندوق والبنك الدوليين فالبدء بالسياحة مطلب من مطالبهما أى أن البيع للأجانب رغبة ملحة أيضاً وهم يضعون الأجانب والعرب والمصريين على مستوى واحد باعتبارهم شارين لا تفرقة فى الجنسية، وهنا لا حاجة لنا بتكرار ما سبق أن كتبناه ولكن الذى يغرى بالتدخل والمطالب أن سياسة الحكومة بالنسبة لبيع هذه الوحدات غير واضحة أو على الأقل هناك تردد نشأت عنه البلبلة فعملية التقييم ليست واضحة تماماً فى نظر المتتبع لهذه العملية كما أنه لا توجد قواعد بالنسبة للمصريين أو العرب أو الأجانب فقد

اتهم بعض رجال الأعمال المصريين الحكومة صراحة أنها قد انحازت إلى الأجانب بالذات وإلى شركة (الكوكاكولا) الأم فى بيع شركة الكوكاكولا المصرية وأقفلت الباب عليها. فى نفس الوقت اتهم صندوق النقد الحكومة صراحة أنه أجلت البت فى العطاءات الأجنبية والعربية التى كان الموعد النهائى للبت فيها آخر يونيو الماضى. هذا الاضطراب ينشأ دون شك من غموض موقف الحكومة وعدم وجود قواعد ثابتة يمكن للجميع مناقشتها أو الاتفاق عليها أو مخالفتها. الوضوح هو الدرع الواقية من الأقاويل والشائعات ولا يمكن القضاء عليها إلا بالوضوح والعلانية وهما ما نطالب به ولا نمل من المطالبة به حتى يطمئن الشعب على هذه الوحدات التى يملكها والتى بنيت بعرقه ودموعه وأعصابه.

لقد أسمى مسئول سياسى كبير صندوق النقد الدولى بصندوق (النكد) الدولى (بفتح النون والكاف) وكما يقول المصريون بحق ويصدق (اللى فينا مكفينا) ولسنا فى حاجة إلى اضافات من البنك الدولى أو الصندوق أو غيره وعلى هذه الهيئات أن تراجع نفسها مرات ومرات حتى لا تدفع البلاد إلى كارثة لا يعرفون أبعادها، وكلنا نعرف هذه الأبعاد جيداً وشعب مصر هو القادر وحده على تجاوز هذه المحن وتخطى هذه العقبات التى توضع فى طريقه عن عمد وباصرار غريب.

***

مؤهلات رئيس الوزراء والوزراء

تجاوز عمر مجلس الوزراء فى مصر المائة عام وتجاوز عدد الوزارات المشكلة حتى الآن المائة وخمسة وزارات فقد أنشئ مجلس الوزراء بالتشكيل النظارى بالأمر العالى الصادر من الخديوى اسماعيل فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ بتكليف نوبار باشا تكشيل أول (نظارة مسئولة) فى مصر أو كما جاء فى الأمر العالى (أن يكون أعضاء مجلس النظار بعضهم لبعض كفيلاً فإن ذلك أمر لابد منه) وقد صدر هذا الأمر الملكى بتشكيل أو نظارة مسئولة فى مصر باللغة الفرنسية ورد نوبار باشا على الخديوى اسماعيل قائلاً مولاى. بناء على أوامر سموكم أتشرف بأن أرض على جلالتكم طلب الموافقة على الأسماء الأتية لتشكيل النظارة الجديدة وهم: رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية والحقانية نوبار باشا

ناظر الداخلية رياض باشا

ناظر الجهادية راتب باشا

ناظر الأوقاف والمعارف العمومية على باشا مبارك

وناظر الأشغال العمومية بالنيابة

وأرجو سموكم أن تسمحوا لى بأن أترك لمدة قصيرة نظارة المالية شاغرة غير أننى سأقوم بادارة هذه المصلحة العامة إلى أن أتمكن من عرض اسم شخص أعرفه يحظى بتقدير سموكم وأنه يتمتع بالثقة العامة. ويبدو أن وزارة المالية مشكلة منذ أيام اسماعيل ونوبار حتى اليوم فليس من السهل إيجاد شخص يعرفه رئيس الوزاراء وتحظى بتقدير الخديوى ويتمتع بالثقة العامة.

فى ديسمبر عام ١٩١٤ وفى عهد السلطان حسين كامل وبعد قيام الحرب العالمية الأولى وإعلان بريطانيا الحماية على مصر صدر مرسوم سلطانى بتشكيل الوزارة برئاسة حسين رشدى باشا وألغى لفظ ناظر ونظارة واستخدمت كلمات وزارة ووزير ورئيس وزراء فى هذه الوزارة الرشدية كان اسماعيل صدقى وزير للأوقاف وفى مايو ١٩١٥ ضبطت الشرطة اسماعيل صدقى وزير الأوقاف فى عوامة بالنيل ومعه سيدة وكانا فى وضع غير أخلاقى فوق الفراش انتحرت السيدة واستقال اسماعيل صدقى ولكنه عاد بعد سنوات وزيراً بل رئيساً للوزراء مرتين مرة فى عهد فؤاد ومرة فى عهد فاروق وكان حادث اسماعيل صدقى هو الحادث الأخلاقى الوحيد الذى ضبط فيه أحد الوزراء متلبساً خلال المائة وخمسة أعوام.

منذ عام ١٨٧٨ حتى عام يوليو ١٩٥٢ شكلت وزارة وكانت الوزارة رقم ٦٩ برئاسة أحمد نجيب الهلالى أقصر الوزارات عمراً إذ شكلت يوم ٢٢ يوليو وأقيلت يوم ٢٤ يوليو بتشكيل الوزارة رقم ٧٠ وهى وزارة على ماهر وآخر وزارة شكلت بمرسوم ملكى وقعه فاروق قبل تنازله عن العرش ورحيله عن مصر بيومين.

وأول وزارة شكلت بمرسوم من مجلس الوصاية على أحمد فؤاد (الطفل) كانت فى سبتمبر ١٩٥٢ برئاسة اللواء محمد نجيب وهى الوزارة التى أضيفت صفة المحترم إلى أسماء الوزراء فقد جاء فى تشكيل الوزارة: السيد المحترم سليمان حافظ والسيد المحترم فتحى رضوان وهكذا عند تعديل الوزارة فى ديسمبر رفعت صفة المحترم وظلت مرفوعة حتى الآن وأكتفى بلقب السيد.

عدد الوزارات من ١٩٥٢ حتى ١٩٧١ ١٦ وزارة وفى عهد الرئيس السادات شكلت ١٤ وزارة وفى عهد الرئيس مبارك ٥ وزارات إذا احتسبنا وزارة كان يرأسها نائب رئيس وزراء هو المرحوم فؤاد محى الدين قبل أن يتولى رئاسة الوزارة ثم المرحوم كمال حسن على ثم د. على لطفى ثم د. عاطف صدقى.

بعد ثمانى سنوات قضاها هارولد ويلسون رئيساً لوزراء بريطانيا وفى مارس ١٩٧٦ عندما قرر الاستقالة قدم بعض النصائح لرئيس الوزراء الذى سوف يخلفه جاء فى هذه النصائح أن رئيس الوزراء يجب أن يكون على علم كامل بكل ما يجرى فى البلاد ولا يقبل اعتذار رئيس الوزراء بجهله بأى شئ يقع فى الدولة. وقال ويلسون وعلى رئيس الوزراء أن يجد

الوقت الكافى لينفرد بنفسه بعيداً عن مسئولياته العربية ليفكر فى هدوء فى مشاكل حكومته.

وأضاف هارولد ويلسون أن أهم ما يجب أن يتحلى به رئيس الوزراء هو قدرته على النوم فهو الرد الوحيد على ضغوط العمل - قيل أن اللورد روسبرى كان قد مضى سنتين رئيساً لوزراء بريطانيا ولكنه لم يكن يستطيع النوم فاضطر لترك المنصب.

أما الكاتب الروائى ترولوب فقد وصف رئيس الوزراء فى أحد أعماله الروائية فقال بشترط فى رئيس الوزراء أن يكون ذكياً وليس عبقرياً وأن يكون صاحب ضمير ولكن ليس موسوساً وأن يكون حذراً لا متردداً وأن يكون جريئاً لا مغامراً كما يشترط فى رئيس الوزراء أ يكون صاحب معده قوية وسلوك رفيع وجلد سميك.

أما الوزراء فقد قيل فى مؤهلاتهم الكثير ولكن أطرف ما قيل ما أوصى به مكيا ڤيللى قال هناك طريقة تمكن الحاكم من معرفة وزيره واختباره وهى طريقة لا تخطئ أبداً. فعندما يفكر الوزير بنفسه أكثر من تفكيره بالحاكم وعندما يستهدف فى جميع أعماله مصالحه الخاصة ومنافعه فإن مثل هذا الرجل لا يصلح لأن يكون وزيراً نافعاً ولن يكون فى وسع الحاكم الاعتماد عليه إذ أن من يعهد إليه الحاكم بمثل هذه المهام ويجب ألا يفكر فى نفسه فقط وإنما بالحاكم وألا يكرث بشئ إلا يكترث بأى شئ سوى ما يتعلق بالحاكم وعليه بدوره لكى يحتفظ بولاء وزيره وإخلاصه أن يفكر فيه وأن يغدق عليه المال ومظاهر التكريم مبدياً له العطف ومانحاً إياه الشرف وعاهداً إليه بالمناصب ذات المسئولية بحيث تكون هذه الأموال ومظاهر التكريم المغدقة عليه كافية لا تحمله على أن يطمع بثروات أو ألقاب جديدة وبحيث تكون المناصب التى يشغلها مهمة إلى الحد الذى يخشى فيه على ضياعها وعندما تسود مثل هذه العلاقة بين الحكام ووزراتهم فإن فى وسع كل فريق منهم أن يعتمد على الفريق الآخر أما إذا كان الوضع على النقيضين من ذلك فإن النتيجة تكون دائماً مرة لهذا الجانب أؤ ذاك.

ومنصب الوزير له مكانه خاصة فى دول العالم الثالث وخصة فى مصر. حتى أن المحافظين كانوا إلى عهد قريب يصرون على أن يلحقوا كلمة وزير بعد المحافظ (السيد الوزير المحافظ) أو (السيد اللواء الوزير المحافظ ...) ماداموا على درجة وزير من ناحية المرتب وكان بعض كبار الموظفين بالمجالس القومية المتخصصة أو فى رئاسة الجمهورية يضعون ملحقاً

باسمهم فى بطاقاتهم لقب الوزير ماداموا على درجة وزير من الناحية المالية.

وهناك مديرو بنوك ومؤسسات ورجال أعمال ضحوا بدخل يعادل دخل الوزير عدة مرات فى مقابل لقب وزير.

ورغم أن الخديوى اسماعيل نصح نوبار باشا أول رئيس وزراء فى مصر بضرورة تضامن الوزراء أو تكافلهم إلا آن ذلك لم يحدث ومنذ أول وزارة فالخلافات بين الوزراء تشكل جزءاً هاماً من الحياة الحزبية والوزارية فى مصر وهى إما لأسباب سياسية فى زمن الأحزاب أو أسباب مهنية أو شخصية فى عهود أخرى. وهناك وزراء بحكم المهنة .. غالباً ما يختلفون مع وزراء آخرين لتنازع الاختصاص أو عدم وضوحه فى بعض الأحيان.

فالخلافات كثيرة بين وزراء الزراعة والرى والثقافة والإعلام والشئون والعمل والمالية وجميع الوزارات. لا أقصد الحاليين ولكن من يتبع مسيرة هذه الخلافات يجد أنه شبه مفروضة بين هؤلاء الوزراء.

وخلافات الوزراء تتم فى اجتماعات مغلقة أؤ فى دوائر حزبية أو فى غرف ولم يحدث أو وقع خلاف على مرأى من الناس إلا ما حدث فى الستينات بين وزيرين كان الخلاف وكانت الخناقة على مبنى وزارة البحث العلمى فى شارع قصر العينى إذ أن هذا المبنى كان قد بدء فيه كمجمع ثقافى يتبع وزارة التربية والتعليم ربما ذلك يفسر وجود مسرح به وهو الذى أسمته وزراة الثقافة مسرح السلام. وكان ذلك قبل إنشاء وزارة البحث العلمى .. وعندما أوشك المبنى على الانتهاء - اتصل أحد الوزراء بوزارة الاسكان واتفق أن يعطى المبنى لوزارته واتصل الوزير الثانى بمحافظ القاهرة واتفق معه كذلك على أن يخص بالمبنى وزارته، وكان المبنى تنفق عليه وزارة الاسكان ومحافظة القاهرة وذات ليلة أبلغ موظفو الوزارتين الوزيرين بأن الوزير الآخر ينوى دخول المبنى خلسة وقام كل من الوزيرين ومعه عدد كبير من موظفيه وعدد كبير من اللوارى التى تحمل أثاث وأوراق الوزارة واتجهت القافلتان إلى المبنى فى شارع قصر العينى وأمام المبنى التقى الجيشان وأسرع الجيران من سكان العمارات المواجهة فأبلغوا بوليس النجدة الذى أسرع يحول بين الوزيرين وموظفى الوزارتين عن الاشتباك فى الشارع.

وظلت قوات الطرفين وعلى رأس كل منهما وزير عدة ساعات حتى تم الاتصال بالقيادة السياسية وصدر القرار فى صالح وزارة البحث العلمى وأدخل الوزير عفش الوزارة إلى المبنى

الجديد بين هتاف وتصفيق موظفيه ويعاونه بوليس النجدة والجماهير وعاد الوزير الخاسر يجر أذيال الخيبة. وفى أول تعديل وزارى تم بعد عدة أشهر أخرج الورزيران. ولكن ظل المبنى فى حيازة وزارة البحث العلمى حتى الآن.

ورغم التدقيق الشديد فى البحث والتحرى عن المرشحين لمنصب الوزير سواء فى عهد الوزارات الحزبية إذ كان المرشحون دائماً من الحزب ومعروفون لكل أفراده وفى عهد الثورة عهد بذلك لكل أجهزة التحرى الشرعية وغير الشرعية ورغم كل هذا التدقيق إلا أنه عين وزيران بطريق الخطأ أحدهما قبل الثورة والآخر بعد الثورة.

فى عام ١٩٥٠ وأثناء تشكيل النحاس باشا لوزارته اقترح أحد قادة الحزب أن يكون وزير (التموين) أحد المستشارين إذا أن الوزارة بها مخالفات كثيرة تستوجب التحيق وقال النحاس باشا هناك قاضى فاضل كان قد حكم على بالبراءة فى قضية ملفقة أذكر أن اسمه فرحات وهتف أحد الحاضرين المستشار مرسى فرحات ووافق الجميع واستدعى مرسى فرحات وصدر المرسوم وذهب الجميع إلى قصر عابدين وحلفوا اليمين وبعد حلف اليمين وهم على سلم قصر عابدين فاجأ النحاس باشا أحد الوزراء وسأله:

- مين ده

ورد الوزير

- دا المستشار مرسى فرحات وزير التموين

وصرخ النحاس باشا بصوت عال

- مش هوه .. مش هوه ..

واتضح فعلاً أن المقصود قطب فرحات لا مرسى فرحات ولكن ما الحيلة وقد تم صدور المرسوم وتم حلف اليمين.

أما المرة الثانية فقد حكاها الرئيس السادات بنفسه وكنت أحد المستمعين لها ففى يوليو أو أغسطس ١٩٧١ دعانى المرحوم الفريق محمد صادق وزير الدفاع لكى أشاركه فى افتتاح معرض للفنون التشكيلية يحوى أعمال الرسم والحفر التى قام بها أفراد الجيش الثانى الميدانى وكان ذلك فى معسكر الجلاء بالاسماعيلية وذهبت وبعد افتتاح المعرض وقبل الغذاء فوجئنا

بالرئيس السادات يصل إلى المعسكر وتناولنا مع الرئيس وكبار الضباط الغذاء ثم جلس يروى بعض الحكايات الطريفة ومما روى فى هذه الجلسة قال فى عام ١٩٦٨ كنت مع الرئيس عبد الناصر يبحث تشكيل وزارة جديدة واقترح الرئيس عبد الناصر أن نبحث عن أحد المتخصصين فى القانون الدولى كى يكون وزيراً للسياحة وقال أحد الجالسين هناك أستاذ فى الجامعة اسمه الدكتور غانم انسان ممتاز وكفء وقال آخر نعم اسمه حافظ غانم وفعلاً صدر التشكيل الوزارى وعين الدكتور - حافظ غانم وزيراً للسياحة وبعد أيام اكتشف أنه ليس أستاذاً للقانون الدولى وكان المقصود هو الدكتور اسماعيل غانم وبعد خلاف الدكتور حلمى مراد مع الرئيس عبد الناصر نقل د. حافظ غانم وزيراً للتعليم قال الرئيس السادات واحنا بنشكل الوزارة الجديدة فى مايو اللى فات مايو ١٩٧١ قلت لهم هاتوا بقى الراجل اللى نسيناه وهكذا عين الدكتور اسماعيل غانم وزيراً للثقافة وكان قد عين قبل أشهر فقط مندوباً لمصر فى اليونسكو بباريس.

ولا أعرف فى تاريخ الوزارة المصرية وزيراً اعترف صراحة أنه لا يستطيع أن يعمل وزيراً و طلب بنفسه من رئيس الجمهورية أن يعيده إلى الجامعة إلا الدكتور اسماعيل غانم وفى مساء يوم ٨ سبتمبر ١٩٧١. زارنى صديق كان يعمل فى ذلك الوقت بالقرب من الرئيس السادات وأبلغنى أن الرئيس طلب منه أن يقابل الدكتور اسماعيل غانم وزير الثقافة ويسأله ماذا يريد بالضبط ولماذا هو غير راضى عن عمله كوزير للثقافة وذهب الصديق إلى الدكتور اسماعيل فى بيته فقال له بصراحه أن يبلغ الرئيس أنه يعتذر عن الاستمرار وزيراً للثقافة لأنه لا يصلح لهذا المنصب وقد حاول خلال غدة أشهر أن يتلائم مع هذه المسئولية ولكنه لم يستطيع وهو يشعر أنه لا يصلح لأى عمل خارج الجامعة قال الصديق وقد أبلغت الرئيس السادات اليوم فاقتنع وطلب منى أن أبلغ الدكتور غانم أنه سيجيبه إلى طلبه فى التعديل الوزارى الذى سوف يحدث بعد أيام.

وفى يم ٩ سبتمبر أى فى صباح اليوم التالى اتصل الدكتور اسماعيل غانم وزير الثقافة بى تليفونياً فى الثامنة تقريباً وفوجئت به يعتذر عن حضور حفل افتتاح مسرح السامر المحدد له مساء نفس اليوم. كنا فى الثقافة الجماهيرية قد انتهينا من بناء مسرح السامر وحددنا لأفتتاحه يوم ٩ سبتمبر عيد الفلاح الذى كنا نعتبره فى الثقافة الجماهيرية فى ذلك الوقت بداية الموسم الفنى. أعتذر الوزير باصرار غريب وكنت أحاول أن أقنعه أن يحضر الحفل خاصة واللوحة التذكارية قد حفرت وبها اسمه ولكنه أصر كنت أعرف بينى وبين نفسى أنه أبلغ

مساء الأمس بأنه لن يبقى وزيراً بناء على طلبه وقدر أنه ترك الوزارة فعلاً مادام رئيس الجمهورية قد أبلغه بقبول طلبه وفعلاً لم يحضر الوزير حفل افتتاح مسر السامر وربما كان المنشأة الوحيدة التى ليس بها لوحة تذكارية عن الافتتاح أو من الذى افتتح وتغيب اسماعيل غانم عن مكتبه مدعياً المرض حتى لا يوقع على ورقة بعد أن تحلل من الوزارة بينه وبين رئيس الجمهورية وأن لم يعلن ذلك ولكن ضميره لم يسمح له بتوقيع ورقة وهو يعلم أنه لن يبقى وزيراً وفعلاً عين بعد أيام مديراً لجامعة عين شمس وتذكرت وزراء آخرين وقعوا قرارات ترقية وعلاوة لبعض المحاسيب بعد أن صدر قرار تركهم الوزارة بساعات وربما بأيام.

رحم الله اسماعيل غانم فقد كان طرازاً فريداً من الوزراء.

الأهرام ٩٣/٧/٣

الإرهاب بين التموين والتمويل

جاء الصيف وأحاط بنا الحر من كل جانب ولم يحضر الأخوة العرب وأغلب الظن أنهم لن يحضروا هذا العام. افتقدنا سباق العربات (الحنطور) فى شارع أبو الفدا وشارع جامعة الدول العربية. ولم نعد نسمع طوال الليل صوت (البمب) يدوى فى ليل القاهرة الساحر ولم نشكُ هذا العام من سوء استخدام المصعد فى عمارات الزمالك والدقى والمهندسين. وكان لغياب الأخوة العرب هذا الصيف آثار واضحة فقد تقلصت الحركة المسرحية الصيفية إلى عدد من المسرحيات لا يتجاوز عدده أصابع اليد الواحدة بعد أن بلغ عددها فى الصيف الماضى اثنتى عشرة مسرحية وهذه ايجابية يحققها غياب المتفرجين من الأخوة العرب، ولكن فى نفس الوقت ظلت الفنادق خالية والشقق المفروشة تنعى من فرشها. ولا شك أن هذا الأثر جزء من الآثار التى أحدثها غياب السياحة عن مصر بوجه عام.

هل نلوم الأخوة العرب على غيابهم ونسألهم أين أنتم ونحن فى أشد الحاجة إليكم لتشتركوا معنا فى تبديد ما يحيط بوطننا من شائعات. هل يمكن أن نلوم الحكومات العربية على غياب السائحين العرب. إن الناس لا يتحركون فى إجازاتهم بتعليمات حكوماتهم والناس أحرار يذهبون حيث يشاءون ويفضلون المكان الذى يعرفون أنهم سيسعدوا به ويرتعبون تماماً من حجم ما يقرأون ويسمعون أن السفر إلى مصر مغامرة غير مأمونة العواقب للذى تفرض عليه ظروفه السفر إلى القاهرة. أما صاحب الاختيار الحر فسيفضل أى مكان فى العواصم العربية أو الأجنبية عن الحضور إلى مصر والتعرض للموت بقنابل الإرهابيين. وإذا كانت الحكومات هى المسئولة فلابد أن نلوم حكومتنا لأنها تركت شركات السياحة المصرية تحمل المصريين إلى الخارج وكأنها تقول مادام الأجانب لم يحضروا إلى مصر هذا الصيف فلابد أن يذهب إليهم المصريون، وكأنه يعز على شركات السياحة المصرية أن تترك الجنيهات القليلة

الباقية فى جيوب المصريين ينفقها المصريون فى الاسكندرية أو بور سعيد أو رأس البر أو جمصة أو بلطيم فرأت أنه لابد أن ينفقوها فى جزر اليونان أو أسبانيا أو غيرها، ويبدو أن وزارة السياحة ما زالت تحت تأثير (سهل حشيش) غائبة عن التخطيط وماذا فعلت الاعلانات والمجهودات التى قامت وتقوم بها شركة العلاقات العامة الدولية التى أبلغتنا وزارة السياحة أنها ستدفع عن مصر الشائعات وترد على المبالغات وتعيد لنا السياحة أفواجاً أفواجاً من أوروبا وأمريكا ومن كل فج عميق.

ونعود إلى الأخوة العرب فنقول صراحة إنه لا جناح عليهم ولا لوم إذا تخلفوا عن الحضور إلى القاهرة بعد ما قرأوه ويقرأونه فى صحفهم أو صحفنا وبعد ما سمعوه وما يسمعونه من أهلنا سواء فى مصر أو خارج مصر. إن الذى يتناقله المصريون فى الداخل أو الخارج عن حجم الإرهاب وعن الحوادث التى يرتكبها الإرهابيون لابد أن يصيب من يقرأه بالخوف وهو أخف الآثار التى تحققت وفى سرعة وفى ضراوه وفى وقت مثالى بالنسبة لما كان يطمع فيه العابثون بأمن مصر. لقد هاجمنا الصحف الغربية وأجهزة الإعلام الأوروبية والأمريكية واتهمناها بالمبالغة الشديدة فيما تنشره عن الإرهاب وكيف أنها خلقت نجوماً من العدم، فأصبح عمر عبد الرحمن شخصية مصرية تتجه إليها التليفزيونات الأمريكية لتعلق على مقابلة الرئيس مبارك مع الرئيس كلينتون، وجعلت من صبى طبال فى امبابة أميراً ينتظر الوثوب إلى كراسى الحكم. وإذا كانت أجهزة الإعلام الأمريكية والبريطانية تجرى وراء الإثارة التى تحترفها أو كانت لها أهداف سياسية أخرى فلا لوم عليها إلا بقدر ما تطبق أخلاقيات المهنة وهى فى أوقات كثيرة تتوارى إما خجلاً أو عمداً لتتيح للسياسة اللاأخلاقية أن تأخذ مكانها بأجر معلوم أو غير معلوم. وإذا كنا فى جميع معاركنا فى الداخل أو الخارج فى السياسة أو الاقتصاد أو الأمن - إذا كنا نتوقع ذلك من أجهزة تناصبنا العداء بسبب أو بغير سبب فما قولنا فيما نقوم به نحن داخل وطننا وخارجه من مبالغات تصور الأمر فى مصر أكثر خطورة مما تصوره أجهزة الإعلام الغربية.

فى تقرير لإحدى هيئاتنا الرسمية عن حوادث الإرهاب التى وقعت فى خمسة عشر شهراً من أول يناير ١٩٩٢ حتى آخر مارس ١٩٩٣ يتضح لنا أنه فى هذه الشهور الخمسة عشر وقعت ٩٦ حادثة توفى فيها ٥٨ شخصاً وأصيب ١٢٠. من هذه الحوادث ١٧ حادثة ضد السياحة و ٢١ حادثة ضد الأقباط و ٣٨ ضد الشرطة و ٥ حوادث ضد محلات المجوهرات

ونوادى الفيديو ودور العرض السينمائى والمرافق العامة.

فعلى سبيل المثال وقع ١٧ حادثة لضرب السياحة راح ضحيتها ٥ أشخاص بينهم ٣ أجانب و ٢ من المصريين كما أصيب ٤٨ بينهم ٢٧ أجنبياً و ٢١ مصرياً.

أما قضايا التعدى على الأقباط فكانت ٢١ حادثة قتل فيها ٢٢ مصرياً منهم ٤ مسلمين و ١٨ قبطياً بينهم طفلان كما أصيب ٢٢ آخرون منهم ٥ مصابين بطلق نارى بينهم ٣ أطفال مسلمين.

وبلغت قضايا الاعتداء على رجال الشرطة ٣٨ قضية قتل فيها ٢٢ من رجال الشرطة منهم ٤ ضباط و ٥ صف ضابط و ١١ مجنداً وخفيران وطفلان كما أصيب ٣٣ منهم ١٠ ضباط وأمين شرطة واحد و ١٦ مجنداً وخفير وشرطيان سريان مواطنان وطفل.

هذه هى أهم الحوادث التى وقعت فى ١٥ شهراً يضاف إليها الحادثان الهامان اللذين استهدفا كاتباً ومسئولاً، وهما حادثة اغتيال الكاتب المرحوم فوج فوده ومحاولة اغتيال صفوت الشريف وزير الإعلام.

وبالمناقشة الهادئة ودون تهوين من شأن هؤلاء المجرمين ودون التهويل فى قدرتهم على إحداث هذا الإخلال بالأمن، وبمقارنة ما وقع فى مصر خلال عام ونصف بما يقع فى أى عاصمة عالمية من العواصم التى تتعرض منذ سنوات لمثل هذا الإرهاب نكتشف أن هذا العدد من الحوادث يقع فى أية عاصمة خلال شهر واحد أو شهرين لا خلال عام ونصف كما هو الحال فى مصر. ولكن الملاحظة الأولى فى مثل هذه المقارنة ستكشف على الفور أننا نفقد ضحايا أكثر مما يتناسب مع حجم هذه الحوادث وهنا يأتى الجهل بقواعد الأمن فى أول قائمة الأسباب، وليس فقدان قواعد الأمن قاصر على المواطنين العاديين فقط بل إنه يشمل - هذا الجهل الفاضح - بعض رجال الشرطة أيضاً. فمن غير المقبول عقلاً ومنطقاً أن يجلس لواء فى سيارته وفى مدينة تخضع لظروف غير عادية ويحظر فيها التجول - يجلس اللواء يقرأ صحيفة وكأنه يجلس آمناً فى داره أو مكتبه. وفى حادث آخر كان فقدان الحرص هو المتسبب فى الضحايا وكان الضحية هو ضابط المفرقعات نفسه عندما كان يبطل مفعول إحدى القنابل وفى مقر ادارة الدفاع المدنى والحريق.

ونعود إلى حجم هذه الحوادث ونسأل هل يتناسب رد الفعل مع الفعل نفسه أم تجاوزه

كثيراً. والجواب دون مجاملة أو دون مبالغة أن رد الفعل يتجاوز الحادث عشرات المرات . صحيح أنها المرة الأولى التى تواجه فيها مصر بمثل هذه الحوادث، وإذا كنا قد عرفنا الإرهاب فى تاريخنا القديم والحديث فقد كان إرهاباً سياسياً تتعرض له بعض الشخصيات السياسية المؤثرة فى الأحداث، أما وقد انتقلت المعركة إلى الجماهير المسالمة، إلى النساء والأطفال، فقد تغيرت المسألة فأصبحت لا هى سياسية ولا هى قاصرة على أشخاص أو أماكن بعينها. ومع اعترافنا بأن الشرطة لم تتعرض فى تاريخها لفقدان مثل هذا العدد من رجالها إلا أن ذلك كله يقل كثيراً عن الآثار المترتبة على هذه الحوادث فى الداخل وفى الخارج. تدفعهم كما قلنا الدوافع وراء مبالغة أجهزة الإعلام الأجنبية فى الحوادث، وقد نعرف أو نخمن من هم وراء هذه الحملات المقصودة والمسمومة فى نفس الوقت، ولكن هذه الحقائق لا تجعلنا نغض الطرف عما يحدث عندنا فى داخل مصر أو ما ينقله المصريون إلى الخارج عبر العاملين فى الدول العربية الشقيقة أو حتى الدارسين أو السائحين فى أوروبا وأمريكا ..

رغم صلتى الدائمة بأجهزة الإعلام المصرية والأجنبية وطوال اليوم إلى أنى على سبيل المثال ما عرفت خبر حادثة من تلك الحوادث عن طريق أجهزة الإعلام . بل عرفت أخبار الحادث الدقيقة بعد وقوع الحادث بأقل من ساعة وبالتليفون. فهناك بعد كل حادث متطوعون ينقلون المصائب إلى الناس، ينقلونها وكأنهم يقومون بعمل طولى خاصة عندما يكتشفون أنهم ينقلون لك خبراً لا تعرفه. وما من مرة نقل لى فيها حادث من هذه الحوادث بحجمه الطبيعى دون مبالغة على الأقل فى عدد المتوفين والمصابين، فهذا العدد دائماً يضرب فى خمسة أو فى عشرة على الأقل ليكون الحادث جديراً بالنقل ويزيد ثواب الذين نقلوه إلى الجاهلين به حتى لو وقع الحادث فى أسيوط أو أسوان حتى فى ذلك الحين. فالتليفون هو الناقل الأول للتفاصيل وقبل مرور ساعة من الزمان، نقل الخبر يشعر ناقله بالأهمية والمبالغة فيه تضاف الشعور بالأهمية، ونحن شعب ثرثار لا نعرف كيف نحتفظ بسر من الأسرار حتى لو كان إفشاء السر يوردنا موارد التهلكة. وحكاية المطار السرى ليست بعيدة وهى مثال واضح على عدم قدرة الشعب المصرى على الاختباء وعلى الاحتفاظ بالسر. قال مرة أحد مسئولى الأمن القومى إننا نعرف قرارات مجلس الوزراء ومداولاته من مراقبة تليفونات الوزراء صباح اليوم التالى لاجتماعات المجلس. تتحدث زوجات الوزراء مع بعضهن وتحكى كل منهن لزميلتها ما حدث فى المجلس مساء الأمس وتصحح لها السامعة بعض الوقائع وقد تصل المحادثة إلى

عتاب من إحدى الزوجات لزوجة وزير آخر عارض زوجها مشروعاً تقدم به الزوج الأولى وهكذا.

ومعنى هذا أنه حتى الوزراء أنفسهم لا يحتفظون بأسرار اجتماع مجلسهم وهو أعلى سلطة فى الجهاز التنفيذى للدولة لأن كل وزير يحكى لزوجته ما حدث وبالتفصيل، والزوجة تحكى .. وهكذا لا تدهش عندما تسمع قصة حدثت بين رئيس الوزراء مثلاً ووزيرين لأنه على الأقل ستحكى إحدى الزوجات الثلاث ما حدث فى هذا الاجتماع المحدود. وفى عهد الرئيس عبد الناصر كانت هناك نشرة سرية تتناول الأوضاع السياسية فى بعض دول العالم وكانت من السرية بحيث كانت نسخها ترقم وكان مجموع النسخ ست عشرة نسخة توزع على ستة عشر مسئولاً فى مصر. وجدت بعض نسخ هذه النشرة السرية جداً جداً عند بقال باع فيها قطعة من الجبن لأحد العاملين فى رئاسة الجمهورية وهو الذى كشف هذه النشرة. وطبعاً المسألة بسيطة فالشخص الذى يعتبر واحداً من أهم ستة عشر شخصية يحكمون مصر يقرأ النشرة ثم يلقى بها ويأتى الطباخ أو السفرجى يجمعها مع الصحف والمجلات ثم يبيعها للبقال لحسابه فى أغلب الأحيان. ومن هنا تخرج أهم أسرار الدول ليلف فيها البقال الجبن والزيتون، وهذا كله سببه فقدان الإحساس بالأمن وهذه مسألة يتعلمونها فى مجتمعات أخرى فى المدارس والبيوت وهى جزء من تربية الفرد وتكوينه أما السبهللة والتسليم القدرى الغريب فلا يتحمل مثل هذه الصفات.

وفى مقابل هذا المجتمع المفتوح على مصراعيه تكثر الشائعات وتجد من يروجها وقد ظلت الشائعات تتردد فى المجالس والبيوت والمحافل منذ بدأت حوادث الإرهاب. إنهم فى مصر الجديدة يعتدون على أى سيدة غير محجبة بالضرب بالجنازير أو بماء النار، وفى مصر الجديدة تروى نفس الرواية على أنها تحدث فى المهندسين، وتتناقل السيدات والفتيات هذه القصص وينتشر الخوف بين النساء. وتذهب القصص عبر التليفون إلى الأقارب والأصدقاء خارج مصر.

ويوم أبطل المتخصصون القنبلة التى وجدت فى شارع زكى بالتوفيقية فى هذا اليوم بالذات سمعت أن قنبلة أخرى أبطل مفعولها ووجدت فى شارع حسن صبرى بالزمالك .. لابد من إخافة سكان الزمالك وعد كبير منهم من الأجانب وخاصة السفارات. وثالثة وجدت فى شارع العروبة وأبطل مفعولها .. وشارع العروبة بالذات .. وماداموا قد وصلوا إلى شارع العروبة فقل على القاهرة السلام وطبعاً لا قنبلة هنا ولا قنبلة هناك وإذا كان قد حدث فلماذا

تخفى الشرطة ذلك. وإذا كان المنطق يقول إن الشائعات تكثر فى المجتمع المغلق ولا تتكاثر فى المجتمع المفتوح فقد حدث العكس ويبدو أن الناس يغلقون المجتمع لينشروا فيه شائعاتهم وشائعات قتل الأطفال فى المطرية وفى الهرم والجيزة. ورغم النفى المتكرر إلا أن الشائعة ما زالت تسرى بين الناس وأغرب ما سمعته من شائعات هو قول البعض إن الحكومة هى التى تضع القنابل كمبرر للقبض على أفراد الجماعات الاسلامية والدليل أنه لم تقع حادثة واحدة خلال انعقاد مؤتمر الوحدة الافريقية، إذن فلا جهود قام بها المسئولون عن الأمن وعن المؤتمر. بلاش. ربما حط الإرهابيون فى عينهم حصوة ملح ربما عجزوا عن أن يفعلوا شيئاً كل هذه أسباب معقولة أما أن الحكومة تضع القنابل وتقتل الأبرياء كى تقبض على هؤلاء. واعترافاتهم وترسانات الأسلحة التى ضبطتها الحكومة فى أوكارهم .. هل الحكومة هى التى ضربت السياحة وخنقت بيديها اقتصادنا لتحتاس أكثر ما هى محتاسة! إلى هذا الحد وصلت الإشاعات وينتشر الخوف بعد أن ضاعفنا. الواقع عشرات الأضعاف وينعكس هذا الخوف على معالجتنا للموضوع فى أجهزة الإعلام وتنطلق مذيعات التليفزيون ومذيعوه ليضعوا الميكروفونات فى فم أناس عاديين لا يعرف الواحد منهم أكثر من خمسين كلمة ليقول رأيه فى الإرهاب ويقول كلاماً عبيطاً تافهاً ونسأل ماذا تتوقع الست المذيعة؟ هل تتوقع أن يقول لها أحدهم أن الإرهاب شئ عظيم ربنا يكتر منه .. هذه الحصيلة تنتقل بكمها وحذافيرها إلى أبنائنا فى الخارج فى الدول العربية وفى الدول الأجنبية وتكون النتيجة ما نرى وما نسمع وكيف نتوقع أن يأتى لنا العرب بعد ما سمعوه ومن المصريين أنفسهم، كلام غامض لا تفهم منه شيئاً ولكنه يترك أسوأ انطباع لدى سامعه: الحالة مش قوى .. أصل الحكاية طولت .. الحكومة ضعيفة .. وهكذا.

فى مطار إحدى العواصم العربية جلسنا فى قاعة (الشرف) كما يسمونها، كنا عدداً من المدعوين بمناسبة ثقافية فى تلك العاصمة ،عدداً من الصحفيين والكتاب والفنانين والفنانات وعلى مسمع من الجميع قال الشاب الذى يرحب بنا إنه يعمل فى وزارة الخارجية وقد عين فى القاهرة ولكنه أسرع يطلب من رئيسه أن يستبدل القاهرة بأية عاصمة أخرى فى العالم.

وسألناه - لماذا ؟

قال - بسبب حوادث الإرهاب.

وحكى لنا أن مسئولاً كبيراً فى أحد أحزاب المعارضة المصرية كان فى زيادة تلك العاصمة قبلنا بأسابيع وفى لقاء مع بعض الشخصيات الرسمية تحدث عن الإرهاب فى مصر وقال ما معناه أن الأمر قد أفلت من يد الحكومة وأنه يتوقع اتساع مثل هذه الحوادث فى القريب العاجل. وكان أول أثر لما قاله سيادته أن خاف هذا الشاب العربى من العمل فى القاهرة وطلب نقله إلى عاصمة أخرى.

نعم هذا ما نفعله فى مصر التى نغنى لها عشر مرات فى اليوم ونقتلها عشرين مرة.

* * *

النصب على الطريقة الامريكية

عندما عدد الشرع المصرى طرق الاحتيال والنصب توقف عند طريقة يستخدم فيها النصاب ذكاءه الشديد حتى يوقع بالضحية واسمى المشرع هذه الطريقة بالطريقة الامريكانية. هذا قبل أن تصبح أمريكا سيدة العالم والقيمة على شئونه والمقصود لها تأديب العصاه فى جميع أنحاء العالم الأول والثانى والثالث والرابع إذا لزم الأمر. وقبل أن تصبح أمريكا هى حاكم العالم وقاضيه ورجل البوليس فيه. فى ذلك الوقت كان الذكاء الامريكى معروفاً حتى وصل إلى طرق النصب والاحتيال. ومع تقدم الزمن ومع تزايد غباء الضحية وهو مجموع شعوب العالم لم يعد الأمر يحتاج إلى كثير من الذكاء، فالضحية مخدوع مخدوع حتى ولو توفر الغباء بشكل واضح صريح فى تصرفات المحتال أو النصاب، وعندما كان كلينتون يسعى إلى الحكم بشرونا وبشروا العالم بسياسة جديدة تقوم على الشرعية الدولية وإعلاء حقوق الإنسان وجاء كلينتون فإذا بالسياسة الأمريكية تعود على يديه الكريمتين إلى سيرتها الأولى يوم كان المسدس هو حاكم الدنيا الجديدة وسرعة إخراجه من جرابه هى الفيصل فى المهزوم المقتول والمنتصر القاتل. واتضح أن الرئيس الجديد لا يفرق بين الشرعية الدولية والمصالح الأمريكية ويبدو أنهما صارا فى نظره شيئاً واحداً. وعندما يكون الإنسان كبير القلب يستوعب آلام الناس جميعاً، ويبدو أن قلب الرئيس كلينتون قد اتسع ليستوعب آلام شعوب الأرض من منظور أمريكى يفرق بين المصالح والمتاعب فيعمل من أجل الأولى وينفر من الثانية لأنه مش ناقص. تبدى الذكاء الأمريكى الشديد فى تعامل الأمريكان مع الشيخ عمر عبد الرحمن الذى اخترعوه وصدقوا أنفسهم فتصوروا أنه سياسى خطير يمكن فى يوم من الأيام أن ينتقل من صفوف العملا العملاء الضعفاء إلى صفوف العملاء الكبار. ومنذ وصل الشيخ إلى أمريكا فى مارس ١٩٩١ عن طريق الخرطوم وبتأشيرة دخول صالحة وقانونية، منذ

ذلك الحين والشيخ بموافقة ضمنية من الأجهزة الأمريكية يسن لسانه على مصر ورئيسها. وشعبها ومنذ ذلك الحين أيضاً والأجهزة الأمريكية حائرة فى موضوع الشيخ، فقد زعموا مزاعم متناقضة أولاً عن دخوله الولايات المتحدة وثانياً عن صحة التأشيرة. واعترف مسئول فى أحد الأجهزة أن الشيخ قدم لأمريكا من الخدمات ما يجعلها تضعه على العين والرأس.

وعندما فجر مركز التجارة العالمى فى نيويورك وقبض على بعض توابع الشيخ ومريديه ومنذ اللحظات الأولى استطاعت الأجهزة الأمريكية أن تخرج الشيخ كما تخرج الشعره من العجين وجلس فى المسجد يعلق على الحادث ثم على زيارة حسنى مبارك لأمريكا ولقائه برئيسها الجديد كلينتون وكأنه أصبح فى مقام ميتران وميجور وغيره من ساسة العالم. والأمريكان يعلمون قبل غيرهم أن عمر عبد الرحمن رجل على باب الله ومعلوماته فى السياسة لا تزيد عن معلومات كلينتون فى الفقه الإسلامى ..

معالجة السلطات فى أمريكا لقضية تفجير المركز التجارى ما زال يحيط بها الغموض، ويبدو أن السياسة الأمريكية لم تستقر بعد على طريقة معالجة القضية ولا عن الضحية الذى سوف تركز عليها دولة كانت أو أفرادا.ً وعندما وقعت هذه الجريمة وبعدها بأيام نشرت صحيفة نيويورك أنه وصل إليها خطاب بعد أربعة أيام من محاولة تفجير برج التجارة العالمى بنيويورك ولكنها لم تنشر شيئاً عنه إلا بعد أن (تأكدت) أن الخطاب صحيح وأن مصدره أحد المعتقلين الخمسة على ذمة القضية.

أما الخطاب الذى نشرت الصحيفة صورته الزنكوغرافية فيقول (الفرقة الخامسة - جيش التحرير - الفريق الركن أبو بكر المكى) والخطاب يحذر من أعمال إرهابية أخرى فى الطريق ضد المدنيين الأمريكيين وضد أهداف عسكرية لأمريكا منها أهداف (نووية) وذلك إذا لم تقطع أمريكا علاقتها الدبلوماسية باسرائيل وتتوقف عن التدخل فى شئون دول الشرق الأوسط وتتوقف عن مساعدة الأنظمة الدكتاتورية فى المنطقة. وعند نشر هذا الخطاب الغريب تبين لمن يحمل قدراً ضئيلاً جداً من الذكاء أنه خطاب ملفق وأنه محاولة ساذجة للربط بين الفلسطينيين وحادث مركز التجارة العالمى بنيويورك، وكانت سذاجة المحاولة مفضوحة فقد اختفى الحديث عن هذا الخطاب تماماً بعد أن تأكد لأصحاب المصلحة أن تزويره مفضوح وأنه لم يترك أثراً يذكر فى تحقيق ما يهدفون إليه.

ثم جاءت (كوميديا) القبض على عمرعبد الرحمن، ووواضح أن خلافاً حاداً يقوم بين سلطات أمريكية، فهناك من احتضنوه وحافظوا عليه حتى الآن وقد أعلنوا صراحة أن عمر عبد الرحمن قدم للولايات المتحدة خدمات لا تنسى، وهناك أجهزة أخرى ترى فى وجوده خطورة على أمن الولايات المتحدة نفسها. أما عن الجهة الأولى فقولها غريب جداً فمنذ متى كان هذا الوفاء لا لعميل كعمر عبد الرحمن ولكن لأى إنسان كبيراً كان أو صغيراً قدم للولايات المتحدة بل وللعالم كله أجل الخدمات؟ متى كان الوفاء جزء من أخلاقيات السياسة الأمريكية التى يحركها الكمبيوتر؟ وأعتقد أن الكمبيوتر حتى الآن ليس به خانات للخصال الانسانية، الصدق والوفاء والإخلاص وغير ذلك مما قد يتصف بعض الأفراد الأغبياء من البشر.

إن السياسة الأمريكية كما قلنا قد خانها الذكاء أو هى لم تعد بحاجة إليه ولم تعد تجد مبرراً كى تستر أعمالها ما دامت أصبحت قيادة العالم معقودة للرئيس الشاب وما دام النظام العالمى الجديد هو النظام الأمريكى الجديد والقديم .. واللى مش عاجبه يشرب من البحر الأبيض أو من البحر الأحمر ... سيان.

الأهرام ٩٣/٧/١٠

اقتصاد السوق .. واقتصاد السوء

زفت الحكومة على لسان رئيسها وبعض أعضائها بشرى الاتفاق مع صندوق النقد الدولى والبنك الدولى، وأعلنت أن بعثة من الصندوق سوف تزور القاهرة فى منتصف يوليو (ومعنى ذلك أنها فى القاهرة) لتوقيع خطاب النوايا ثم تسافر بعثة الحكومة المصرية على الطائر الميمون إلى فرنسا (ودائماً يسافر المدينون إلى فرنسا ولا أعرف السر فى ذلك) ثم الانضمام لنادى باريس والتباحث مع الدول الدائنة للتنازل عن ١٥٪ من ديون مصر والتى قدرها وكلاء المدينين بمبلغ ٣,٧ مليار دولار.

والحكومة لم تعلن لا من قبل ولا من بعد مسائل الخلاف بينها وبين الصندوق وما إذا كان الاتفاق الذى تم فى أمريكا قد تم بعد تنازل الصندوق عن كل مطالبه جميعها أو بعضها أم أن تنازلاً عن جزء حدث من هناك وموافقة على جزء حدثت من هنا حتى كانت النهاية السعيدة. وطبعاً لا أعتقد أن الحكومة سورف تعلن بشكل رسمى عن بنود الاتفاق وبنود الخلاف وبالتالى عن بنود النوايا، وإن كنا نثق فى نوايا حكومتنا الرشيدة ونحن نعرف تماماً النواية تسند الزير ومادام الزير قد انكسر فلا تنفع معه إذن لا نواية ولا حفنة من النوايا، ولكن لماذا تنشر الحكومة بنود الاتفاق أو بنود الخلاف ونحن شعب قاصر لا لنا فى الثور ولا فى الطحين، والحمد لله فحكومتنا الرشيدة أطال الله فى عمرها تستدين باسمنا وتنفق ما استدانته باسمنا أيضاً وتعجز عن السداد باسمنا، ومادمنا قد أعطينا الحكومة الختم وتركناه عهدة فى مجلس الشعب فهى تختم ما تشاء وما ترى وليس من حقنا الاعتراض، ولا يخطر على بالنا الاعتراض، ومادمنا شعباً من الجهلة القصر عديمى النظر وعديمى القدرة على التصرف فيجب علينا أن نرضى بالقليل، وإذا كان قليلاً فى نظرنا فهو كثير فى نظر الحكومة وأكثر مما نستحق كذلك. ومع كل هذا الحرص من حكومتنا الرشيدة وتكويشها على أسرار

الاتفاق إلا أننا برضه سوف نعرف من الناحية الثانية من البر الغربى، فالخواجات لا يكذبون ولا يعتبرون المسألة سراً من الأسرار فهم يقولون كل شئ بالمفتشر ولا يهمهم كبير ولا صغير لأنهم خواجات. ومن حسن الفطن أن ننتظر بعض الوقت حتى نعرف أسرار الاتفاق ثم نناقشه هنا بالمفتشر أيضاً وبالعربى الفصيح. وحتى يحين الحين نتحدث فى بعض الأمور الهامة، وهى هامة لأنها تتصل بمصلحة الناس ورزق الناس - لقمة عيش الناس - وأود أن أقول قبل أن أدخل فى الموضوع إنى لا أدافع عن نظام انتهى ولا أقف فى طريق نظام جديد ولا أرفض ما يسير فيه العالم كله الآن ولكنى أقول وفى صراحة شديدة إنه ليس كل ما مضى باطل وليس فى كل جديد خير ولكن الحكمة أن نأخذ أفضل ما فى الماضى لنطعم به الحاضر ونثبت به أقدام المستقبل. أنا لا أدافع عن النظام الاقتصادى القديم لأنه انتهى ومنذ زمن بعيد بل أنا سعيد حقيقة إذ واتتنا الجرأة والشجاعة الأدبية فأعلنا دون مداراة أو مواربة أننا نسير فى طريق اقتصاد السوق والخصخصة والقطاع الخاص وتقليص أو إنهاء دور القطاع العام، نعم هذا موقف شريف وأشرف وأفضل وأحسن من أن نسير فى طريق الاشتراكية وفى نفس الوقت نلعن أبوها صبح ومساء ونقول إنها اشتراكية الفقر والإلحاد وأكل أموال الناس بغير حق. أخطر ما يمكن أن يواجه شعباً من الشعوب أن تفعل حكومته الشئ وتتظاهر بغيره، ربما واتتنا الشجاعة بعد أن سقطت اشتراكية الفقر والغنى وجميع صور الاشتراكية فى مختلف دول العالم التى كانت تطبقها والتى كانت تزعم أنها تطبقها وهى فى الحقيقة كانت رأسمالية الدولة وغير ذلك من صور لم تصل بأى شعب من الشعوب التى اعتنقتها إلى بر الأمان، اللهم إلا شعباً واحداً هو الشعب الصينى ولكن تجربته وحدها نموذج خاص جداً لا أعتقد أنه يمكن تطبيقه فى أى مكان فى العالم إلا فى الصين ولا يمكن الاسترشاد به والاستفادة منه فى بعض الجزئيات الهامة. ونعود إلى النظام القديم فنقول أيضاً إنه مهماً سقطت النظم الاشتراكية فلا يمكن أن تسقط العدالة الاجتماعية لا يمكن أن يتلاشى حق الفقير قبل الغنى بدءاً مما جاء فى ديننا الحنيف عن الزكاة وانتهاء بكل ما جاء فى النظريات الاجتماعية واسمه بأوسع المعانى العدالة الاجتماعية.

والحاجة لهذه العدالة الاجتماعية تصبح ضرورة تنص عليها التشريعات عندما تنتقل رؤوس الأموال من الدولة إلى الأفراد أو من القطاع العام إلى القطاع الخاص، عندئذ تصبح العدالة دون تشريع مسألة اختيارية وهذا ما يخشاه أى حريص على المجتمع لأن العطاء لا

ينبع من مصدر قوى داخل كل إنسان .. هناك قلة تعطى عن اقتناع وعن رغبة وكثرة سوف تمسك، هناك قلة قليلة تقدم حق الدولة فى الضرائب، وهناك كثرة تتفنن لكى تتهرب من الضرائب ولكى تتحقق العدالة الاجتماعية لابد من نظام ضرائبى صارم ولابد من تغير حاسم، وأمامنا دول العالم الرأسمالية والتى سبقتنا بفراسخ طويلة فى طريق اقتصاد السوق، إنهم فى أغلب هذه الدول يعتبرون التهرب من الضرائب فى مقام الخيانة العظمى وتجريم المخالف سريع وحاسم وقاس، أما نحن فما زلنا نتراوح بين القسوة التى تبلغ حد الجريمة فى بعض الأحيان والتساهل الذى يبلغ حد الجريمة أيضاً فى أحيان أخرى، ولا ينفع هذا أو ذاك. وأعرف شخصيات مرموقة تقضى طوال النهار فى تزوير الأوراق لتتهرب من الضرائب ثم تغنى مساء (بلادى بلادى لك حبى وفؤادى) حبى وفؤادى فقط أما فلوسى فبعينك! اقتضت السياسة الاقتصادية الجديدة إلغاء الدعم الذى تحول مع السنين إلى عبء شديد الوطأة على ميزانية الدولة، وكان فى الدعم عيوب لا يمكن الدفاع عنها فقد كان فى أحوال كثيرة يذهب إلى غير مستحقيه كالدقيق الفاخر وفى أحيان أخرى يذهب إلى ما لا يجب أن يذهب إليه كأجهزة تكييف الهواء مثلاً ولكن هل ينكر إنسان عادل أن هذا الدعم نفسه كان أيضاً يذهب إلى مستحقيه وأنه لولاه لهلك أناس كثيرون؟ أليست العدالة تقتضى تعويض الناس الذين فقدوا الدعم بتعويض مادى بأى شكل من الأشكال حتى لا تهبط دخولهم فجأة وهى تهبط كل يوم. نحن لا ندافع عن الدعم ولكن ندافع عن حق الفقير فى تعويضه عن زيادة أسعار السلع الأساسية ولا نكتفى بأن نعتبر السلع الأساسية الخبز والسكر والزيت فقط فعليها وحدها لا يستطيع الناس أن يعيشوا حياتهم.

والقطاع العام وقد قيل فى هجائه أكثر مما قيل فى هجاء الاستعمار الانجليزى نفسه وأكثر مما قيل فى هجاء الصهيونية العالمية .. ومن الطبيعى أن إنساناً مهما كان لا يمكن أن يدافع عن الفساد الذى انتشر فى القطاع العام حتى أتى عليه ويبدو أنه أصيب فى طفولته بالسرطان الذى انتشر فى خلايا جسده حتى كان ما كان، والنتيجة ما نراه الآن من ديون من البنوك ومن انهيار فى الكثير من الشركات ولكن هل ينكر منصف ما قدمه القطاع العام للجماهير من سلع حددت أسعارها بصرف النظر عن تكلفتها لتكون فى قدرة الأغلبية من محدودى الدخل؟ هل ينكر أحد أن الضرب على قوانين الاقتصاد واختراع السعر الاجتماعى كان فى مصلحة الناس؟ وهل ينكر أحد أن تدخل الدولة فى الاسعار لم يكن من الممكن

تحقيقه لولا وجود القطاع العام؟ وهل ينكر منصف أن شكوى القطاع العام من العمالة الزائدة والتى تتبدى واضحة الآن كانت في صالح الخريجين؟ ربما قال البعض إنها بطالة مقنعة وغير ذلك من التعابير الاقتصادية الحديثة والعظيمة والتى نضرب لها ألف سلام ولكن مع كل ذلك كان هناك جيش جرار من العاطلين المقنعين يقبضون آخر الشهر، والآن ونحن نتخلص من القطاع العام بالبيع فى وضوح أو يقول أصحاب الشأن أننا نتوقع أن تكون هناك بطالة أو عمالة زائدة حوالى ٢٥٠ ألف مواطن سوف تستغنى عنهم الشركات عندما تنقل من قطاع الأعمال إلى القطاع الخاص. ثم مسألة سعر المنتج نفسه عندما تنقل إدارة الإنتاج إلى القطاع الخاص وتخضع لآليات السوق ولقانون العرض والطلب وننسى نهائياً حكاية السعر الاجتماعى أليس من المفروض أن يرتفع السعر مباشرة بضعف السعر القديم أو أضعافه؟ ألا يجب أن تحسب لهذا الارتفاع حساب؟ ألا يجب أن تعمل حساب الصدمة الأولى التى سوف يتلقاها محدودو الدخل وفارق كبير بين مجتمع يعيش فى ظل آليات السوق ومجتمع سوف يخضع لهذه الآليات لأول مرة منذ أربعين عاما، ألا يحتاج منا الأمر إلى دراسة منحنيات ارتفاع كل سلعة من السلع التى كان يبيعها القطاع العام بالسعر المعقول وما سوف يتعرض له هذا السعر من ارتفاع محتمل.

ومسألة تعيين الخريجين فى الحكومة والقطاع العام والتى اكتشفنا ومنذ سنوات أنها تمثل عبئاً شديداً على الميزانية وتحللنا منها بالتدريج ثم اختفت أليس حالها حال العمالة الزائدة فى شركات قطاع الأعمال إنها كانت سبيلاً لامتصاص عدد كبير من الشباب هم خريجو الجامعات ولا أدافع عن إلحاقهم بغير حاجة وبغير عمل حقيقى ولكن ألم تكن وسيلة لامتصاص طاقة الشباب؟ ألم تكن وسيلة لاختفاء البطالة المتزايدة عاماً بعد عام؟ أليست هذه المشكلة فى حاجة إلى علاج سريع حاسم؟

المسألة إذن وبوضوح كامل ليست فى النظريات وحدها فكل نظام اقتصادى له عيوبه ومزاياه، والمجتمع يختار النظام الذى يجعله أكثر رخاء وأكثر قدرة على حل مشاكله ونحن نسير الآن فى الطريق الذى سارت فيه أغلب دول العالم ولكن الدول التى نجح فيها هذا النظام لم تضع النظرية هى الأساس فقط ولكنها وضعت بجوار أسس النظرية العلمية حاجة الناس وقدرتهم على تحمل الأعباء ومحاولة حل المشاكل بطريقة هينة وسهلة. وإذا كان نظام الاقتصاد الحر أو اقتصاد السوق يقضى بتحجيم تدخل الدولة فليكن ذلك إلى حدود ضيقة لصالح

الناس، وتدخل الدولة إذا كان مرفوضاً فى أمور معينة فهو واجب للمحافظة على حقوق الجماهير وهو أوجب إذا كنا فى مرحلة صياغة النظام الجديد.

لا أريد أن أكرر إننا لا نقف فى سبيل التحول إلى نظام اقتصادى جديد فهو غير معقول وغير حقيقى ولكننا ننبه إلى أن هذا النظام يفرض علاجاً لما قد يترتب عليه من آثار قد تضر - إذا تركت دون علاج - وبالأغلبية العظمى من محدودى الدخل. إننا لا نريد أن تتحول ميزات اقتصاد السوق إلى عيوب وإلى سلبيات تفقده هذه الميزات. إننا لا نريد أن يتحول اقتصاد السوق إلى اقتصاد السوء الذى يزيد من غنى الغنى ويضاعف من فقر الفقير، إننا لا نريد أن نبيع السلام الاجتماعى وهو العمود الفقرى لأى مجتمع فى سبيل تطبيق نظام اقتصادى دون النظر إلى مزاياه وعيوبه، إننا ننشد فى النهاية نظاماً أفضل مما عرفناه ومما طبقناه وذلك بالنسبة لأغلبية الشعب لا قلة قليلة منه.

الأهرام ٩٣/٧/١٧

الدور المصرى الغائب فى الصومال

سقطت الأمم المتحدة فى مستنقع عميق فى الصومال ووقعت فى كمين أعدته بسذاجة الولايات المتحدة الامريكية عندما أرادت أن تضفى الشرعية على تدخلها العسكرى فى الصومال وأصبح الموقف الآن فى مقديشيو يثير السخرية ويثير الرثاء فى نفس الوقت. وفقدت الولايات المتحدة أعصابها ونفد صبرها ووجدت أنه لم يعد هناك مجال للاختباء خلف الأمم المتحدة ولم يعد هناك داع للتظاهر ورسم الروايات المحبوكة، فتدخلت سافرة لتهاجم الصوماليين العزل وتقتل ما استطاعت أسلحتها أن تصل من الجوعى العراة الذين يحملون بقايا سلاح وضعته فى أيديهم الولايات المتحدة نفسها عندما انحاز أعداء الأمس أصدقاء اليوم من السوفييت إلى إثيوبيا وانضم الأمريكان إلى الصومال. ونعود إلى موقف الأمم المتحدة اليوم فى الصومال فهى لا شك على خلاف مع الشعب الصومالى بقيادة محمد فارح عيديد، ولكن الجديد هو الخلاف الذى نشأ بين الأمم المتحدة وايطاليا وما تبعه من انحياز فرنسا وألمانيا إلى ايطاليا. والخلاف بين الأمم المتحدة وايطاليا نشأ بعد غارة الأمريكيين الأخيرة على أحد اجتماعات أنصار عيديد والتى راح ضحيتها كما أعلن الصوماليون أكثر من ٧٠ صومالياً قتيلاً، وكان من جراء هذا الهجوم الغادر ودور الأمم المتحدة غير المفهوم وغير الواضح وانسياقها خلف رغبة الولايات المتحدة وإرادتها أن هاجم قائد القوات الإيطالية الجنرال برونولوى تصرفات القوات الدولية وأعلن أنه لن ينفذ أوامر قائد القوات الدولية إلا بعد الرجوع إلى حكومته، وهنا تصرفت الأمم المتحدة تصرفاً متعجلاً طائشاً إذ أعلن السكرتير العام المساعد للأمم المتحدة عزل الجنرال الإيطالى ومطالبته بمغادرة الصومال، وهذا التصرف فى حد ذاته وبصرف النظر عن أنه لم ينفذ إلا أنه يدل دلاله واضحة على الطيش وعدم التعقل والانفعال والتسرع الذى يتصرف به ممثل الأمم المتحدة فى الصومال وهو الذى يعطى انطباعاً

عن سلوك الأمم المتحدة الذى لابد يصدر عن إحساس بالقوة حتى قبل الأعضاء المشاركين فى القوات المشاركة فيها بقدر ما أصبح لها شخصية معنوية مستقلة عن أعضائها. وقابلت إيطاليا هذا التصرف بالتهديد بسحب قواتها من الصومال ثم عادت فاكتفت بإعلان بقاء الجنرال برونو مع عدم سحب القوات.

وربما ثار سؤال لماذا كان الخلاف مع الصومال أولاً ولماذا كان هجوم الجنرال الإيطالى على الأمم المتحدة؟ لأن إيطاليا كانت إحدى الدول الثلاث المستعمرة للصومال انجلترا وفرنسا وإيطاليا، وكانت مقديشيو محل الخلاف والنزاع وهى مركز الأمم المتحدة والقوات الأمريكية ومركز القوات الموالية لعيديد. كانت مقديشيو تقع فى المنطقة التى تسيطر عليها إيطاليا ومن هنا يعتبر الإيطاليون أنفسهم أقدر على فهم الصوماليين والتعامل معهم من الأمم المتحدة ومن أمريكا، وهم يطالبون دائماً بأن يكون لهم الرأى الأخير فى أى تحرك دولى فى الصومال ولكن الأمم المتحدة لا تعير هذه الخبرة الإيطالية اهتماماً طالما هى تضع فى المقام الأول الخبرة الأمريكية الضئيلة أو المفتقدة تماماً. قال وزير الخارجية الإيطالى (لا توجد بين إيطاليا والأمم المتحدة أو بين إيطاليا والولايات المتحدة أية خلافات استراتيجية لكن هناك مشاكل واضحة ينبغى مواجهتها وإيجاد الحلول المناسبة لها وهذا ما حاولنا وما زلنا نحاول انجازه. علينا أن ندرس ما وقع على الأرض لكن لابد أن يكون واضحاً أن استراتيجية الأمم المتحدة لا يمكن لها أن تخلط بين السياسة والحب والكراهية لشخص معين. لا أعتقد أن على الأمم المتحدة أن تجعل من الموقف من الجنرال برونولوى مقياساً للعلاقة مع إيطاليا فبقاء الجنرال لوى فى موقعه على رأس القوات الإيطالية فى الصومال أو عدم بقائه أمر يتصل بسلطات الحكومة الإيطالية وحدها). وأعلنت فرنسا أنها ترجو أن يجد الخلاف بين الأمم المتحدة وإيطاليا حلاً سريعاً ولكنها فى نفس الوقت طالبت بأن تكون عمليات الأمم المتحدة فى الصومال واضحة تماماً فى نظر جميع الدول التى تتكون منها القوة الدولية بل ويجب أن تكون واضحة أمام العالم أجمع، أما ألمانيا فقد أيدت إيطاليا تماماً وقالت الصحف الألمانية أنه يتعين مراجعة العملية الألمانية فى الصومال بعد أن تحولت مهمة السلام فى هذا البلد إلى حرب وبعد أن أصبحت الأمم المتحدة طرفاً محارباً. وفى هذه الحالة فإن القضية لم تعد مجرد لعبة سياسية ولكنها تتصل بحياة الجنود بعد أن أصبحت بون متورطة فى الصومال ومن حقها المشاركة فى الجدل القائم حول الهدف من وجود قوات الأمم المتحدة فى الصومال والطرق العملية لإنجاز

مهمتها. كما طالبت صحف ألمانية أخرى بضرورة دراسة سحب القوات الألمانية من الصومال. ولا أريد أن أستطرد طويلاً فى الخلاف بين الأمم المتحدة وإيطاليا وغيرها من الدول غربية كانت أو غير غربية فإننا على ثقة من أن الولايات المتحدة سوف تطوق هذه الخلافات وسوف تنهيها تماماً وإن كان ما حدث ومهما انتهت الخلافات إلا أنه قد فتح أمام العالم الآن موضوعاً لابد سوف يناقش على أعرض المستويات وأوسعها وهو شرعية وجود الأمم المتحدة فى الصومال والحدود التى يجب أن تتصرف داخلها، ومن هنا أتصور أن هذا الخلاف الذى وقع شئ مفيد تماماً ليس من أجل الشعب الصومالى فقط بل من أجل مستقبل الأمم المتحدة نفسها، وربما كان أول تأثير لتزايد الانتقادات للأسلوب الذى تتعامل به قوات الأمم المتحدة مع الوضع الداخلى فى الصومال أن ارتفعت أصوات فى الكونجرس الأمريكى تطالب بسحب القوات الأمريكية فى حين يواصل المبعوث الخاص للأمم المتحدة الأدميرال جونثان هاو تهديده ووعيده بالقتال ضد قوات محمد فارح عيديد رافضاً الحوار معه مشترطاً عليه تسليم نفسه. ورغم القلق من أن مهمة إنقاذ الصومال قد حادت عن مسارها بسبب أعمال العنف إلا أن مبعوث الأمم المتحدة يصر على استخدام العنف ويرفض الحوار مع عيديد بل ويصرح إذا كان عيديد يريد السلام فليسلم نفسه، ثم يقول نحن مستعدون للحوار ولكننا لن نتفاوض مع عيديد إلا بعد أن يسلم نفسه للسلطات القضائية. وهذا نفسه ما أكده الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالى عندما قال (للأسف يجب أن نستخدم القوة لنزع سلاح مختلف الفصائل وأضاف أنه بدون ذلك لن تتمكن المنظمة الدولية من تحقيق عملية المصالحة وتوفير المساعدات الانسانية للسكان).

ناقشت الأمم المتحدة (مجلس الأمن) مشكلة الصومال ابتداء من أول عام ١٩٩٢ وأصدر المجلس مجموعة قرارات فى ١٩٩٢/١/٢٣ القرار رقم (٧٣٣) وفى ١٩٩٢/٣/١٧ القرار رقم (٧٤٦) وفى ١٩٩٢/٤/٢٤ القرار رقم (٧٥١) وفى ١٩٩٢/٧/٢٧ القرار رقم (٧٦٧) وفى ١٩٩٢/٨/٢٨ القرار رقم (٧٧٥)وجاءت هذه القرارات جميعها فى إطار الفصل السادس من ميثاق الأمم المتحدة حيث ناشد فيها مجلس الأمن الأطراف المتصارعة بتوفير المساعدات اللازمة لعمليات الإغاثة الإنسانية التى تقوم بها الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة والمنظمات الأخرى العاملة فى هذا المجال، لكن مجلس الأمن رأى أن هذه القرارات لم تكن كافية لكى تضع حداً لاستمرار تدهور الأوضاع والمعاناة التى يتعرض لها الشعب

الصومال مما دعا المجلس إلى إصدار قراره رقم (٧٩٤) فى ٣ سبتمبر ١٩٩٢ الذى يعد أساس تدخل الأمم المتحدة فى الصومال. أشارت مقدمة القرار إلى أن الموقف فى الصومال يعتبر حالة فريدة و أن تعطل وصول المساعدات والمأساة الإنسانية هناك يشكل تهديداً للسلم والأمن الدوليين وأن هناك انتهاكات لحقوق القانون الدولى ولحقوق الإنسان فى الصومال. إن أخطر ما يحويه هذا القرار هو الفقرة التى تشير إلى أن مجلس الأمن يعمل وفقاً للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة وهو الفصل الذى يشير إلى ما يتخذ من اجراءات فى حالات تهديد السلام والإخلال به ووقوع العدوان ويفوض المجلس السكرتير العام والدول الأعضاء فى استخدام كافة الوسائل الضرورية من أجل توفير بيئة أمنية فى أسرع وقت ممكن لعمليات الإغاثة الإنسانية فى الصومال، وقد ركز القرار على إعطاء الأمم المتحدة إشرافاً على عملية التدخل العسكرى من خلال مجلس الأمن والسكرتير العام للأمم المتحدة كما فوض القرار السكرتير العام والدول الأعضاء باستخدام كافة الوسائل الضرورية للوصول إلى الأهداف التى حددها القرار وهى تأمين عمليات الإغاثة وحماية المعونات والمساعدات المرسلة إلى سكانه الذين يعانون من المجاعة والحرب الأهلية معاً. ولم يعط القرار الدولى الأعضاء حرية مطلقة بل أنشأ آليه مناسبة تحقق التعاون بين الأمم المتحدة والقوات المتدخلة كما نص على قيام مجلس الأمن بإرسال مبعوث خاص إلى الصومال لوضع تقرير عن الإنجازات التى تمت على أن يلحق ضابط اتصال من قبل الأمم المتحدة بمركز العمليات الرئيسى فى الصومال.

وعلى الرغم من أن القرار قد سمح للولايات المتحدة بقيادة العمليات العسكرية فى مراحلها الأولى إلا أنه فوض السكريتر العام أن يحدد التوقيت المناسب لإنهائها.

والملاحظة الهامة أن قرار مجلس الأمم لم يشر صراحة إلى أن التدخل كان لأسباب إنسانية إنما اعتبر القرار أن الموقف فى الصومال يشكل تهديداً للسلم والأمن الدوليين ثم جاء تبرير التدخل بالقوة فى إطار الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة .. وهذا هو بالضبط التغير الكبير الذى طرأ على مسئوليات الأمم المتحدة .. هذه هى الخطوة الأولى فيما يجرى بالصومال الآن. والذى جرى أثناء مناقشة مجلس الأمن قبل صدور هذا القرار والقول بأن مشكلة الصومال ذات طبيعة خاصة أو أنها حالة استثنائية، هو بالضبط الذى أتاح للأمم المتحدة وللولايات المتحدة من قبلها التدخل فى الشئون الداخلية لدولة مستقلة. وميثاق الأمم المتحدة يحرم التدخل فى شئون الدول الأعضاء ويضع شروطاً خاصة لهذا التدخل العالمى وأهم

هذه الشروط دعوة السلطة الشرعية فى هذا البلد بطلب تدخل الأمم المتحدة واستعداد المجتمع الدولى لهذا التدخل العسكرى. ويقول البعض أن النظام الأساسى للأمم المتحدة يعارض نفسه أو أن المادة السابعة تترك الحرية لمجلس الأمن فى اتخاذ قرارات تدخل المجتمع الدولى عسكرياً فى يد مجلس الأمن بينما الفصل الأول يفضى على أنه (لا يوجد فى هذا النظام الموضوع حالياً ما يسمح للأمم المتحدة بالتدخل فى أمور هى فى المقام الأول من الأمور الداخلية لأية دولة) وقد نادت فرنسا ونادى السكرتير العام للأمم المتحدة عند إصدار قرار التدخل بضرورة نزع سلاح الفصائل المتحاربة، ولكن الولايات المتحدة وبريطانيا عارضتا ذلك وكان السبب معروفاً إذ أن جمع السلاح من الفصائل المتحاربة وتسليمه لجهة محايدة فى الأمم المتحدة قد يكشف عن أنواع السلاح والدول التى أمدت الفصائل المتحاربة به وقد يكون وراء ذلك شبهات كانت ثارت بعد حرب الخليج إذ تكشف من كان يسلح العراق وما سمى فى ذلك الوقت (العراق جيت) إذن كانت الخطوة الأولى فى أحداث الصومال بعد التدخل العسكرى الأمريكى هو قرار مجلس الأمن الذى يخالف ميثاق الأمم المتحدة والذى يعطى الحق للولايات المتحدة ثم لقوات ٢٩ دولة بالتدخل العسكرى ثم كان ترك السلاح فى يد الفصائل المحاربة ثم اللجوء للقوة فى محاربة بعض الفصائل دون الأخرى أو محاولة جمع السلاح الآن بعد أن فوتت الولايات المتحدة وبريطانيا فرصة جمعه خوفاً من انكشاف المستور والفضيحة أمام العالم أجمع عندما يعرف من كان يسلح الفصائل المتحاربة فى الصومال ريثما يكون هناك مبرر قوى للتدخل المسلح وقد كان.

لقد كان قرار مجلس الأمن (٧٩٤) نقطة تحول فى تاريخ العلاقات الدولية إذ شرع حق التدخل فى الشئون الداخلية للدول المستقلة لأهداف إنسانية وإن كان القرار قدخلا من ذكر هذا السبب. لقد علق الكثيرون فى دول العالم على هذا القرار عند صدوره ولكن ماذا يمكن أن يفعل تعليق أمام رغبة الولايات المتحدة فى التدخل العسكرى ودفعها للأمم المتحدة لتغطية هذا التدخل ثم تدويله كما يجرى الآن على الأرض الصومالية.

هذا عن الموقف فى الصومال اليوم وعن الموقف من الأمم المتحدة والذى لا يعرف إنسان إلى أين يسير وكيف سوف ينتهى، وإن كان أصبح واضحاً أن الولايات المتحدة والأمم المتحدة قد قررتا ضرورة التخلص من محمد فارح عيديد بأى ثمن كان ليس فقط ٢٥ ألف دولار المكافأة المعلن عنها لمن يقبض عليه حياً أو ميتاً ولكن مهما بلغ عدد الضحايا من الصوماليين

أنفسهم، ولا شك أن محمد فرح عيديد لن يستطيع مقاومة الولايات المتحدة والأمم المتحدة لأشهر قادمة فلابد أن يسقط فى أيدى هذه القوات التى تعتبر هذا الرجل الآن هو المتسبب فى كل ما يجرى فى الصومال. هذا عن اليوم والغد القريب ونخرج من ذلك إلى سؤال هام وضرورى وهو أين نحن فى مصر مما يجرى فى الصومال.

فى البداية نقول أن مصر قامت بدور كبير فى حصول الصومال على استقلاله عام ١٩٦٠ وهو ليس الدور الذى قامت به مصر بالنسبة لأكثر من ٣٠ دولة فى افريقيا حصلت على استقلالها فى الستينات، ولكن كان للصومال وضع خاص وكان لمصر جهد خاص .

الصومال عضو فى جامعة الدول العربية التى تقودها مصر والتى تنطلق جهودها من مقرها فى القاهرة. والصومال دولة افريقية وعضو فى منظمة الوحدة الأفريقية والرئيس مبارك يرأس هذا العام منظمة الوحدة الأفريقية.

والصومال عضو فى منظمة المؤتمر الإسلامى ومصر عضو مؤسس فى هذه المنظمة الإسلامية الكبيرة. ألا تضع عضوية الصومال لهذه المنظمات الهامة الثلاث على مصر مسئولية خاصة تحتم عليها القيام بدور خاص وعلى وجه السرعة لإنقاذ شعب الصومال من مصير خطير يسير إليه. وبالإضافة إلى عضوية المؤسسات الإقليمية والعالمية التى تقودها مصر فالصومال إحدى دول البحر الأحمر واستراتيجية الأمن القومى المصرى تفرض على مصر التحرك السريع لإنقاذ هذا البلد الأفريقى العربى المسلم. لقد حاولت مصر التدخل فى العام الماضى واجتمع فى القاهرة مؤتمر المصالحة الذى لم يحقق أهدافه ولا أدرى هل أدى ذلك إلى يأس الدبلوماسية المصرية، وفى مثل هذه الأمور محاولة واحدة لا تكفى بل يجب أن تتبعها محاولات ومحاولات خاصة ومصر تتمتع بوضع خاص لدى كل الأطراف المتصارعة الآن فى الصومال سواء أكانت فصائل صومالية أم دول أجنبية.

إن مصالح مصر العليا تحتم عليها القيام بهذا الدور ولا شك أن جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية ومنظمة المؤتمر الإسلامى مطالبة جميعها بالتدخل السريع من أجل الحفاظ على استقلال دولة عضو فى المنظمات الثلاث.

ليس من المقبول عقلاً ومنطقاً أن نتفرج على الصراع بين الأمم المتحدة والولايات المتحدة من ناحية وقيادة هامة من قيادات الشعب الصومالى .. وليس من الحكمة أن نترك صراعاً

يقوم بين الدول الكبرى على الصومال ونحن فى موقف المتفرج.

إننا إحدى الدول الـ ٢٩ التى تشكل قواتها القوة العسكرية للأمم المتحدة ولا نطالب فى هذه المرحلة بسحب هذه القوات ولكننا نطالب بالتدخل السلمى لحل مشكلة الصومال. يجب على مصر أن تقوم وعلى الفور بدورها العربى الأفريقى ودورها الإنسانى أيضاً ودورها الذى تفرضه أوضاعها الجغرافية وأمنها القومى .. فهل تفعل؟

الأهرام ٩٣/٧/٢٤

بين محنة الأغنياء .... ومأساة الفقراء

يقولون أنه تم الاتفاق بين الطرفين على خطاب النوايا وبشرنا بأن الخطاب سوف يوقع فى القاهرة قبل رحيل وفد الصندوق ثم قالوا سوف يعرض الخطاب على المسئولين فى أمريكا ثم يكون التوقيع فى سبتمبر القادم. قالت صحف المعارضة إن الحكومة المصرية خضعت لمطالب الصندوق، وقالت الصحف القومية إنه لم يحدث على الحكومة أى نوع من الضغوط بل حدث اقتناع كامل بنجاح المرحلة الأولى من الإصلاح الاقتصادى واقتناع أكمل بترتيبات المرحلة الثانية وأجمعت الصحف القومية والمعارضة على أن المحادثات كانت صعبة وطويلة وقاسية ولكن الحمد لله وصل الطرفان إلى خطاب النوايا. ولكن هل يمكن لكل طرف أن يعرف على وجه اليقين نوايا الطرف الآخر؟ أم أن المسألة أعمق من ذلك والنوايا التى توضع على الورق لا تزيد عن كونها تعهدات يقطعها كل طرف على نفسه فى مواجهة الطرف الآخر بمعنى إذا أعطيتنى كذا فعلت كذا وإذا فعلت أنا ابتداء كذا فيجب أن تعطينى كذا، وهذه الوعود هى التى سميت بالنوايا والحقيقة تقول أن الطرفين أشبه باثنين يقبض كل منهما على يد الآخر وكما يقول المرحوم عبد الرحمن الشرقاوى فى قصيدة من شعره (أينا يصرخ قبل الآخر) وفى حالتنا هذه فالصراخ محكوم به على طرف دون الآخر لأنه المحتاج والأضعف، هو المدين وليس الدائن هو اليد السفلى لا اليد العليا ودائماً كانت اليد العليا أفضل من اليد السفلى. ونسأل فى سذاجة هل حقيقة تتضمن (نوايا) الصندوق مساعدة الاقتصاد المصرى وانتشاله من وهدته والارتفاع به إلى مستوى يضمن للشعب حياة إنسانية كريمة لجموع الشعب بدءاً من الفقراء ساكنى القبور لا الأغنياء فقط؟ هل حقيقة يريد الصندوق ذلك أو أن هذا فى نيته أو بين نواياه الكثيرة؟ الواقع أن هذا أبعد ما يكون عن نوايا الصندوق فهو لا يهمه فى كثير أو قليل زاد فقر الفقراء أم زاد غنى الأغنياء ولا يهمه فى قليل أو كثير ارتفعت مصر لتطاول الدول

الغنية أو سقطت فى براثن الفقر والجوع فاستحقت رحمة الأغنياء ومساعدة القادرين، ولست أقول هذا الكلام متجنياً ولا متشائماً ولا دافعا لخير ولا محافظاً على وضع سئ ولا باحثاً عن وضع أسوأ فسبق أن نبهت وأنبه مرة أخرى أنه لا تمسك بماض قريب أو بعيد ولا رومانسية وطنية تكتفى بقول الشعر فى حب الوطن وهى تظن أن الحريق هو احمرار السماء عند الغروب فتزداد ولها وتزيد القول شعراً. إنه واقع ينطق به الحال ليس عندنا فقط ولكن عند كل من سبقنا على الطريق ولا يأخذنا الغرور فنتصور أننا نحن أول العابرين أو طليعة السائرين ورحم الله سعد مكاوى فله رواية رائعة اسمها (السائرون نياماً) وأنا أرفض أن نسير نياماً فلابد إذن من الصراخ حتى لو أقض مضاجع الكبراء وعكر عليهم صفو أحلامهم الوردية وأزاحها ليضع مكانها كوابيس قاسية ولكنها حقيقة واضحة ولكنها واقعية. ونعود إلى ما اتضح من نوايا الصندوق حتى الآن فقد نشر فى جميع مجالات النشر أن الحكومة المصرية وافقت على أن تتراوح التعريفة الجمركية على السلع الواردة بين ٥٪ كحد أدنى و ٨٠٪ كحد أقصى وقيل بشكل أكثر وضوحاً أن الـ ٨٠٪ وهى الحد الأقصى سوف تقل تدريجياً. خلال سنوات الاتفاق الثلاث لتصبح ٥٠٪ وكانت الحكومة المصرية فى محادثات نيويورك قد اعترضت على ذلك وأصرت على أن يظل الحد الأقصى للجمارك ١٠٠٪ بالنسبة للسيارات والسلع المعمرة والملابس الجاهزة ومن المؤكد أن الصندوق أصر وانتقلنا إلى لعبة (البلاديفير) وأينا يصرخ قبل الآخر وخرجنا على بركة الله ولكن أجبنا الصندوق إلى طلبه وبذلك انخفضت جمارك السيارات والسلع المعمرة إلى ٨٠٪ ومعنى ذلك انخفاض سعر هذه السلع على حساب الموارد السيادية وفى مقدمتها ايرادات الجمارك ولصالح الشركات الأجنبية المصدرة ووكلائها فى مصر. إذن إقبال المصريين على شراء هذه السلع بعد خفض أسعارها هو إقبال على دعم الصناعات الأجنبية وعلى حساب الخزانة المصرية. وكل ذلك يجرى تحت عنوان براق جميل يقول (تحرير التجارة الخارجية) وكلمة تحرير هى كلمة لها رنين عظيم خاصة فى سمع الشعوب التى استعمرت وطال استعمارها وكانت أحلامها (هى التحرير) ولكن وبسذاجة أيضاً نسأل تحرير التجارة الخارجية من ماذا؟ طبعاً التحرير يكون بفك القيود ولكن لماذا وضعت قيود التعريفة الجمركية؟. وفى الدول المستقلة توضع هذه القيود لصالح الشعب إما لزيادة موارده أو لحماية صناعاته، أو التضحية بهذه الموارد وضرب الحائط لصالح الصناعة المحلية فلا يمكن أن يكون تحريراً إلا إذا كنا نجاهد ونقتطع من لقمة العيش كى نعزز التجارة الامريكية والألمانية

واليابانية وغيرها .. والجزء المحلى بهذا التحرير هو رفع قيد آخر أشد ظلماً وأكثر قسوة من تقييد التعريفة الجمركية وهو القيد السخيف المتخلف الذى كان يقصر نشاط التجارة الخارجية على المصريين. فى زمن اشتراكية الفقر كانت التجارة الخارجية وقفاً على القطاع العام ولكن مع موافقتنا على تحرير التجارة الخارجية من سيطرة القطاع العام ولأنها تجارة تجرى على أرض مصر ولأنها استيراد موارد أجنبية ليستهلكها أهل مصر فقد ظلت قاصرة على المصريين. أما التحرير الجديد فتصبح التجارة المصرية الخارجية «سداحاً مداحاً» ويكون من حق الشركات الأجنبية الاشتغال بها داخل مصر وبذلك ترفع عن التجارة الخارجية كافة القيود حتى تنطلق الصناعات الامريكية والأوروبية والأسيوية داخل مصر .. يراها الإنسان المصرى فيقبل عليها ليحل مشاكل الدول الغنية ولا داعى لأن نسأل مرة أخرى فى سذاجة أشد لصالح من توضع هذه القيود فى خطاب النوايا ؟ هل هى فعلاً لصالح الشعب المصرى أم أنها لصالح الشعوب فى الدول الغنية؟ وتحرير التجارة الخارجية سوف يلازمه أيضاً تحرير التجارة الداخلية من الاستعمار المصرى فسوف يتاح للشركات الأجنبية العمل فى التجارة الخارجية والداخلية فى مصر.

وقد بشرتنا الصحف بأن الأخوة الأفاضل الذين طال غيابهم عنا: صيدناوى وهانو وعدس وغيره من أولاد العم اليهود وغيرهم الذين فروا من ثورة يوليو تقدموا فعلاً لشراء محالهم التى أنشأوها بعرقهم وهم على استعداد للعودة واستلام ممتلكاتهم فى مصر فهم جاهزون وأعتقد أننا أيضاً جاهزون.

وتحرير التجارة الخارجية الذى يطالب به الصندوق وتستجيب له الحكومة المصرية وتزف البشرى بقرب تنفيذه .. يعترف عضو ادارة الصندوق وممثل مجموعة دول الشرق الأوسط بالصندوق أن الدول الكبرى لا تطبق ما سوف تطبقه مصر وهو تحرير التجارة الخارجية وتجعلها سداحاً مداحاً كما تفعل مصر ولكنها تضع القيود وتحدد الحصص على واردتها فى بعض السلع حماية لإنتاجها المحلى كالولايات المتحدة الأمريكية التى تضع حصصاً على واردتها من الملابس الجاهزة والمنسوجات، بل هناك دعم لبعض المنتجات فى أمريكا وأوروبا واليابان.
ويعترف عضو مجلس إدارة الصندوق بأن هذا يضر بالدول النامية. ويخلق مناخاً بعدم المساواه. التحرير إذن كما قلت وصفة قاصرة على الدول النامية و من أهم الاتفاقات التى تمت بين الحكومة والصندوق هو ما نشرته الصحف يوم السبت الماضى ٧/٢٣ من أن الحكومة قررت

إعداد قانون جديد يلغى المعوقات أمام إنشاء شركات خاصة للتأمين ويفتح الطريق أمام شركات التأمين الأجنبية للعمل على قدم المساواه مع الشركات المحلية ومعنى ذلك بوضوح أنه فى الطريق إلينا شركات تأمين أجنبية أمريكية وانجليزية وفرنسية وغيرها لأنه مادامت التجارة الخارجية قد تحررت من المصريين فهل من المعقول أن تأتى شركة فرنسية مثلاً تعمل فى القاهرة فى التجارة الخارجية وعندما تريد التأمين على بضائعها التى تستوردها من دولة أجنبية .. هل من المعقول أن تذهب إلى شركة تأمين مصرية متخلفة تعطيها مالا كى تؤمن لها على بضاعتها ؟ لقد كان تمصير البنوك وشركات التأمين فى عام ١٩٥٧ من أكثر الخطوات الوطنية التى اتخذتها مصر فى عهدها الحديث وكانت لا تقل فى نظر المصريين وحتى المراقبين المحايدين خارج مصر بل وفى دول الاستعمار نفسها بل كانت أعظم وأخطر من جلاء الجيش الانجليزى عن مصر. إن تحرير الاقتصاد المصرى معركة لم تبدأها ثورة يوليو و اقتبستها من الكفرة الاشتراكيين ولكنها كانت نداء مصرياً خالصاً قال به واعتنقه طلعت حب وجيل كامل من الاقتصاديين الذين شاركوا فى بناء مصر الحديثة ودفعوا الثمن من حياتهم وجهادهم ضد الاستعمار الانجليزى الذى كان يجعل من مصر بجانب الاحتلال العسكرى ذيلاً تابعاً للاقتصاد البريطانى وحقلاً للقطن لتشغيل مصانع لانكشر الانجليزية. ولكن إذا كنا فقدنا التميز ونعتبر اليوم أن من واجبنا بل ونفاخر بأننا نحرر أيضا مجال التأمين من الاستعمار المصرى داخل مصر لنفتحه أمام الأجانب فقد فعلنا ذلك فى مجال البنوك فأصبح لدينا فى مصر بنوك أجنبية وفروع لبنوك أجنبية تصل حوالى المائة، ويا ليت الأمر اقتصر على التصريح لهذه البنوك أو لهذه الفروع فى العمل بمصر ولكن قانوناً صدر منذ أشهر يعطى هذه البنوك الأجنبية الحق فى الاشتغال بالعملة المصرية التى كانت ممنوعة عليها تعزيزاً للبنوك المصرية وتأكيداً لدورها فى خدمة الاقتصاد المصرى التى تنتسب إليه والتى هى فى الأول والآخر ملك للشعب صاحب المصلحة فيه لأنه يملكها.

وهناك أربع بنوك مصرية فقط وللأسف إنها قطاع عام وسوف نقوم بتحريرها إن شاء الله فى القريب العاجل عندما تنتهى هذه البنوك من بيع شركات القطاع العام والمعروفة الآن باسم قطاع الأعمال. عندما تنتهى البنوك من بيع هذه الشركات فسوف نبيعها هى الأخرى وهكذا دائماً جزاء سنمار. سوف نحرر هذه البلاد من ربقة القطاع العام ثم نحررها من المصريين، هكذا فعلنا فى البنوك وهكذا نفعل اليوم فى مجال التجارة الخارجية وسوف نفعل غدا فى مجال

شركات التأمين. وكلما وجدنا قيداً على أى نشاط يستطيعه أسيادنا الأجانب نحرره من القيود التى تقيده ونقدمه هدية متواضعة لبلاد الصندوق وشعوبها. إن نهايات القرن التاسع عشر مثل نهايات القرن العشرين وأمام هذا الزحف الأجنبى على الاقتصاد المصرى نعود بالذاكرة إلى أيام تشبه تماماً هذه الأيام وهى أيام الخديوى اسماعيل، وإذا كنا تحدثنا ذات مرة عن التشابه بين صندوق الدين فى عهد اسماعيل وصندوق النقد فى عصرنا الحاضر فهناك وجه شبه آخر وقد بدأ فى عهد اسماعيل وكثر فى بداية هذا القرن مع الاستعمار البريطانى وصول أفواج من الأجانب الاقتصاديين والمغامرين إلى مصر فكونوا المصارف والشركات فى مجال التأمين والعقارات والأرض الزراعية وفى الصناعة حتى استولوا تماماً على الاقتصاد المصرى وتحكموا فى مقدرات مصر. ربما قدرنا هو الذى يعيد اليوم ما حدث بالأمس ونحن نرى الباب يفتح على مصراعيه وفى كل مجال أمامهم وكأنه لم تكن مجالات. الاستثمار كافية ولم تكن البنوك قادرة على استيعاب نشاطهم كله ولكن لابد من التأمين والتجارة الخارجية وغير ذلك من المجالات. إن الاستعمار يقضى وجود رأس المال مع المستعمر القادم من بعيد أما هذه الحالات فلا تحتاج إلى رؤوس أموال فهى باقية فى الخارج ونشاطها فى الداخل يجمع ما تبقى فى يد المصريين من جنيهات ليرسلها إلى الخارج لحل مشاكل الشعوب الغنية الغلبانة التى ترزخ تحت أعباء كثيرة ولابد أن نساعدها إنسانياً على حل مشاكلها فنقضى على البطالة مثلاً حتى ولو كان ذلك على حساب زيادتها فى مصر.

إن السياسة الاقتصادية فى مصر وفى غيرها من الدول التى تتعامل مع صندوق النقد الدولى والبنك الدولى تتجه مباشرة لكى تكون صورة من السياسة الاقتصادية التى تطبقها الولايات المتحدة الأمريكية وتطبقها دول الغرب والشرق الغنية. إن الليبرالية الأمريكية هى المثل الأعلى الذى تحرك جميع الهيئات الدولية والأمريكية اقتصاد العالم كى يتجه إليه خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوروبا. ومعنى ذلك بوضوح أنه لم يعد أمام دول العالم من مذهب اقتصادى غير المذهب الأمريكى الواضح المعالم وهو ما تعتنقه أيضاً الدول العربية ومن حق الدول الفقيرة أو النامية التى يتحول اقتصادها بفعل التزاماتها الدولية حتى ولو بفعل اقتناع أبنائها أنفسهم .. من حق المتشككين أن يسألوا هل نجحت هذه السياسة الاقتصادية فى حل المشاكل فى الدول التى أخذت بها وهى الدول الغنية فعلاً أو أغنى دول العالم هل نجحت هذه السياسات فى حل مشاكل هذه الدول؟ إن الواقع يقول العكس تماماً وربما

كانت قمة طوكيو واضحة كل الوضوح وليست فى حاجة إلى جهد فى الفهم أو الاستنتاج فالعالم كله يعانى من كساد رهيب أخل بالتوازن فى كل هذه الدول الغنية.

والبطالة تصل إلى معدلات تترواح من ١٠٪ و ١٥٪ من مجموع سكان هذه الدول والديون تحسب بالمليارات، أما الفساد فكأنه طوفان هادر يجتاح هذه الدول اجتياحاً قاسياً فينهار الحزب الشعبى الحاكم فى اليابان ويسقط بعد ربع قرن كامل، أما فى ايطاليا فثبت أن أغلبية الساسة الإيطاليين قد ربوا فى حجر الفساد وعملوا فى خدمة المافيا ربما منذ سقوط موسولينى فى الأربعينيات أما انجلترا فهى فى انهيار واضح ورئيس وزرائها يعانى سكرات الموت وقد فقد حزب المحافظين ثقة الشعب الانجليزى ولم يحصل حزب العمال على هذه الثقة لذلك فأعظم السياسيين فى انجلترا لا يستطيع أن يتنبأ بالمستقبل السياسى فى هذه الدولة العريقة فى سياستها وفى اقتصادها وفى تقاليدها. أما فرنسا فهى نموذج يقرب من كوميديا البوليڤار أو الكوميديا الشعبية التى اشتهرت بها فرنسا فرئيس الجمهورية الاشتراكى اليسارى يحكم ببرلمان يمينى ومجلس وزراء يناصبه العداء ويصر قبل كل ذلك أنه سوف يكمل مدته إلى عام ١٩٩٥. إذا كان ذلك هو حال الدول الغنية التى أخذت باقتصاد السوق وأصبحت فلسفة الحياة فيها تقوم على هذه الأسس، إذا كان هذا هو حالها فى ظل هذه السياسات الاقتصادية التى تقدس الفرد وتضعه فى مقام الهدف والغاية، وإذا كانت تمقت التدخل الحكومى وتضع الحكومة فى زاوية محاطة لا تخرج عنها ولا تتحرك فى غير مجالها، إذا كان هذا هو حالهم إذا كان الأغنياء يعيشون اليوم فى محنة حقيقية باعترافهم فماذا يفعل الفقراء وهم يعيشون مأساة الفقر والديون والبطالة ثم يتحرك العالم يطالبهم وهم عراة أن يضعوا القبعة والبيبيون على أجساد عارية تماماً حتى يكون منظرهم على الأقل غير مؤذ للعين وحتى يشبهوا ولو فى نصف أجسادهم أسيادهم الأجانب.

لقد ناقش الأغنياء مشاكلهم فى طوكيو وخفضوا من قيود جماركهم قبل الكثير من السلع التى يتبادلونها وحاولوا قدر الإمكان أن يحركوا الكساد العالمى الذى يعيش فى ظله الجميع وعندما خرجوا عن مشاكلهم وتعرضوا لمشاكل الدول الفقيرة فى العالم لم يجدوا مشكلة فى الشرق الأوسط وفى العالم غير المقاطعة الاقتصادية التى يفرضها العرب على اسرائيل ليس من اليوم ولا من الأمس القريب ولكنها ومنذ احتل الاسرائيليون أرض العرب وطردوا الفلسطينيين خارج ديارهم. إن هذا هو ما لاحظه الإغنياء من مشاكل الشرق

الأوسط.. لم يتحدثوا عن الدول النامية فى هذه المنطقة ولا عن فقرها وديونها وهى جميعها بدأت مع الاستعمار الذى كان يتكون منهم هم أنفسهم، ولم يتحدثوا عن مشاكل افريقيا ولا عن الموت الذى يحصد أبناءها حصدا .. فقط الحصار الاقتصادى المضروب حولها وكان قرارهم الغاضب بضرورة فك الحصار عن اسرائيل .إنه ترف الأغنياء ،إنه غطرسة القوة وتعاليها حتى عن الحديث الجاد لا بشأن الشرق الأوسط الذى يعيش المأساة المفروضة عليه فواجبه أن يمنح البترول وكل كنوز أرضه بل وحصته القليلة للأغنياء يتاجرون ويصدرون ما يتاجرون، وعندما يستشعرون الخطر يحدق بها يقيمون الحراسة على نفقة أصحابها الذين يحافظون عليها ليس من أجل شعوبهم ولكن من أجلهم هم ثم لا يرون من مشاكل فى المنطقة إلا ما تشكو منه- ظالمة - اسرائيل دون حتى أن يخجلوا إذا بدت قراراتهم منحازة فهذا شئ لا يهم ما داموا قد انفردوا بالعالم يحكمون فى ظل نظام عالمى جديد هم أصحابه وسدنته ما أيأس من منظر يلتسن وهو يبتسم فى بلاهة ويطلب إحساناً من هذه الدول التى ربما كسبت الكثير من معارضته ومن محاربته للدولة العظمى التى كان ينتسب إليها. كان مشهده مثيراً وهو يستجدى ويعود غانماً بثلاثة مليارات من المساعدات كى يزيد فراراً من ماضيه وكى يوغل فى إهالة التراب على تاريخه القديم والحديث معاً.

* * *

موسكو تعرف الدموع

موسكو من أقدم العواصم الأوروبية وإذا كانت المدن كالأشخاص تتصف كل مدينة بأوصاف خاصة وتعطى كل مدينة إشعاعاً خاصاً ويكون استقبال الغريب لها إما بالقبول أو بالرفض، حتى عندما تقع المدن فى نطاق حضارة واحدة إلا أنها تختلف فى الروح وفى الشخصية. موسكو إحدى العواصم العالمية التى كانت تشع ثقافة فى العهد السوفيتى ويقول التاريخ أنها كانت أيضاً عاصمة ثقافية مزدهرة فى العصر القيصرى.

أما اليوم وبعد أن انفك الاتحاد السوفيتى إلى عدد محدود من الجمهوريات ومن القوميات فالمسألة فى حاجة إلى بحث جديد.

ذهبت إلى موسكو مرات عدة، ذهبت فى الستينيات مع الاستاذين المرحوم يوسف ادريس والصديق فتحى غانم لحضور مؤتمر للأدباء. ثم عدت لموسكو فى عام ١٩٨٥ عضواً فى أول وفد برلمانى يزور الاتحاد السوفيتى بعد قطيعة استمرت ثلاثة عشر عاماً، ثم تتابعت زياراتى لموسكو منذ عام ١٩٨٥ حتى العام الماضى فزرتها أكثر من عشر مرات مدعوا من اتحاد الكتاب ومن اتحاد المسرحيين ومن اتحاد السينمائيين وكنت عضواً فى المؤتمر العالمى الذى دعا إليه جورباتشوف فى فبراير عام ١٩٨٧ تحت عنوان عالم بلا حرب وحضره ٨٠٠ شخصية من بلدان العالم من مهن ثمان: عسكريون سابقون وسياسيون وفلاسفة وعلماء وأدباء وفنانون.

وكنت حريصاً خلال هذه السنوات أن أحضر مهرجان موسكو السينمائى الذى يقام كل عامين وقد تابعت دوراته فى ٨٥، ٨٧، ٨٩، ١٩٩١. أما هذا العام فقد اعتذرت عن حضوره لأول مرة. لم أتحمس للذهاب إلى موسكو بعد ما شهدته من انهيار فى الزيارات السابقة فى المرافق فى الفنادق فى المطاعم فى كل شئ حتى أنى وكنت عضواً فى الوفد الذى صحب

الرئيس مبارك إلى موسكو فى مايو ١٩٩٠ لم أتناول وجبة ساخنة إلا فى العشاء الذى دعا فيه جورباتشوف الرئيس مبارك والوفد المصاحب له فى الكرملين، وفى هذا العام قرأت عن سرقة الحقائب فى مطار موسكو وسألت عن الفندق الذى سوف ننزل فيه ووجدت أنه أحد فنادق الدرجة الثالثة وقد نزلت فى أهم فنادق موسكو وكان أكثرها إثارة فندق راسيا أو روسيا والذى يقع على الميدان الأحمر وفى مواجهة الكرملين وقبر لينين وأعتقد أنه أكبر فندق فى العالم إذ يحوى ٦٠٠٠ حجرة ولكن فى الزيارة الأخيرة منذ عامين شاهدت الفيران تنزل فيه بأعداد تفوق عدد حجراته الستة آلاف.

يقول يورى حدجايف رئيس مهرجان موسكو الذى أقيم فى أول هذا الشهر (أول يوليو) شاكيا ..لقد انتهت الحرب الباردة ولكن المؤسسات السينمائية الأمريكية الكثيرة ما زالت تعيش فى المخابئ الواقية من القنابل وهى تتجاهل مهرجان موسكو تماما،" وقد أرسلت رسالتين إلى جاك فلانتى (رئيس اتحاد الموزعين الامريكين) ولكنى لم أتلق رداً حتى الآن، لقد واجهت مهرجان موسكو عقبات سياسية ومالية وهذه العقبات وحدها كافية ولم يعد فى استطاعتى قبول هذا التجاهل المتعمد وغير الرسمى من الشركات الامريكية. لقد كان التجاهل الرسمى شيئاً مقبولاً أما ما يحدث الآن فغير مقبول.

أما الحياة الثقافية الآن فى موسكو فعبر عنها سيدوروف وزير الثقافة الروسى فى حديث لإحدى الصحف الامريكية يقول فيه إنه لم يعد لدينا حدود فروسيا بلد التطرف فى كل شئ لقد فقدنا الأسلوب وأصبح كل شئ مباحاً فليس هناك شئ أو شخص ممنوع لم تعد هناك حدود للحرية أو للفوضى وأصبح حالنا كما يقول ديمترى أحد شخصيات رائعة ديستويفسكى الأخوة كرامازوف (إن الروح الروسية واسعة وفى حاجة إلى تضييق) نعم نحن اليوم فى حاجة إلى تضييق حريتنا أو وضع حدود لها.

فى عام ١٩٨٠ فاز الفيلم السوفيتى (موسكو لا تعرف الدموع) من إخراج وتمثيل فلاديمير ميشوف بجائزة الأوسكار الامريكية لأحسن فيلم أجنبى. وإذا أتيح لميشوف أن يخرج فيلماً جديداً اليوم فإنى أتوقع أن يكون عنوانه (موسكو تعرف الدموع).

يبدو أن موسكو (المدينة) لا تعانى وحدها مما يحدث الآن بل وكل ما يكتب عنها يلاقى مصيراً مجهولاً. لقد نشر الجزء الأول من هذا المقال فى مفكرة الأسبوع الماضى (٧/٢٤)

واختفى الجزء الثانى وظهر المقال ناقصاً وحار القراء وحرنا معهم ولم نعرف بعد أين اختفى الجزء الثانى من المقال وعلى ذلك نعيد نشر المقال كاملاً مع الاعتذار الشديد للقراء والدعوات ألا يتكرر ما حدث حتى لا يحتار القراء ونحتار معهم).

الأهرام ٩٣/٧/٣١

كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا

احتلت السياحة منذ عدة سنوات مكانة متقدمة فى اهتمامات الصحف وأجهزة الإعلام المصرية. وتنوعت ميادين الاهتمام بالسياحة واختلفت وتعددت ولكنها ظلت دائماً فى مقدمة الموضوعات المثيرة للاهتمام، ففى البداية ثار الاهتمام بالسياحة كمصدر من مصادر الدخل القومى الذى لا يتناسب ومنذ سنوات بعيدة مع حجم ما تحويه مصر من آثار فرعونية وقبطية واسلامية وما تتمتع به من قوة جذب سياحية من حيث الأمان والطقس وغير ذلك. وربما كان الاهتمام بالسياحة هو الدافع إلى الاهتمام بالآثار التى يعتبرها العالم المتقدم ملكاً للانسانية كلها، لذلك فقد أقبل أكثر من مرة على المساهمة فى انقاذها سواء من مياه السد العالى أو من عوامل القدم وأسباب تساقطها وانهيارها ولم يقف العالم المثقف يوماً أمام المحاولة الدائبة للمحافظة على هذه الآثار العظيمة بل ومحاولات الكشف عن المزيد منها. وارتبط بالاهتمام بالسياحة محاولة تغير هيكل إدراتها.

ولا شك أن وزير السياحة الحالى فؤاد سلطان كان رائداً فى ميدان (الخصخصة) أو تحويل القطاع السياحى كله من القطاع العام إلى القطاع الخاص ووقفت قوى كثيرة أمام محاولاته الأولى ووجه بحملات متتالية واعتقد أنها لم تهدأ إلا بعد أن أصبحت سياسة الدولة فى كافة الميادين هى الخصخصة، بل وعادت الدولة لا وزير السياحة هذه المرة للمؤسسات السياحية التى عهد بإدراتها إلى شركات ومؤسسات أجنبية عادت لها الدولة كى تنهى ملكيتها للقطاع العام وتعرض مؤسساتها وشركاتها فى الوجبة الأولى التى تلقى بها فى فم القطاع الخاص المتعطش لمثل هذه الوجبة السمينة واللذيذة فى نفس الوقت والتى تحوى كميات غير محددة من الفيتامينات المتنوعة. ومع الانفتاح السياسى والذى تبعه الانفتاح الاقتصادى كثرت مؤسسات السياحة، المصرية وأقبل عدد كبير من المصريين على إنشاء شركات

للسياحة، وأمام هذا الطوفان الكبير والإقبال العشوائى كان لابد أن يتسلل إلى هذا الميدان طائفة من النصابين والفهلوية الذين لا يملكون مالاً ولكنهم يملكون قدرة على النصب والخداع، متصورين أن هذه الفهلوة يمكن أن تعوضهم عن المال اللازم لإقامة مؤسسة سياحية تحترم القواعد الاقتصادية والتقاليد السياحية، وتعددت حوادث النصب على المصريين المسافرين إلى الخارج وعلى الأجانب القادمين إلى مصر. ولعل أبرز حوادث النصب تمت فى ميدان لا يمكن أن يتصور إنسان أن تمارس عمليات النصب فيه لأنه ميدان يتصل بدين الله الحنيف وهو الذى ينهى عن مثل هذا السلوك المعوج، وأقصد بذلك رحلات الحج السياحى أو العمرة السياحية وبدلاً من أن يكون ذكر الله والسعى إلى الأراضى المقدسة تنفيذاً للفرض الإلهى إلا أن هؤلاء الذين لا يقيمون وزناً لوازع قانونى أو لرادع دينى جعلوا من أداء هذه الفريضة وسيلة للحصول على الربح الحرام والإساءة المتعمدة لضيوف الرحمن.

انتعشت السياحة وكان هذا الانتعاش وسيلة جذب لمزيد من الجادين ومزيد أيضاً من النصابين. وكما يقول المصريون (فرحة ما تمت خدها الغراب وطار) وكان الغراب فى المرة الأولى غراب عربى من العراق عندما طار ليحط فى الكويت محاولاً أن يبتلعها فأشعل المنطقة بحرب ضروس اشتركت فيها دول العالم إما بقواتها أو أعصابها أو اقتصادها، وكان لذلك أثره على السياحة فى مصر بل امتد أثره ليشمل السياحة فى أوروبا وعم الكساد وتأثرت شركات السياحة وأضير الكثيرون، ثم مرت الأزمة فى سرعة نسبية واستعادت مصر أفواجها السياحية .ولكن ذلك لم يطل لمدة معقولة فإذا هذه المرة يحط الغراب قادماً من مصر إلى مصر فيضرب السياح على يد نفر من أبنائها الصغار. صغار فى تفكيرهم وفى وجدانهم وفى إحساسهم بالانتماء وصغار عندما حركهم كبار بدراهم معدودات يقتلون الغرباء ثم يستديرون ليقتلوا آباءهم وأخوتهم لا يفرقون بين كبير ولا صغير ولا حارس ولا محروس. وعادت السياحة تعانى من جديد. ومنذ دخلت السياحة فى أزمة حقيقية وقعت بعض الأمور التى تستحق المناقشة، فالآراء التى تطرح على صفحات الصحف والتصريحات التى ترتفع فى الندوات والاجتماعات والبيانات التى تحرر كلها تدور فى فلك واحد لتؤكد مصالح هى الدافع الوحيد لها بصرف النظر عن الأوضاع السائدة فى المجتمع اليوم، بل بصرف النظر عن النظام الاقتصادى الذى يسير فيه المجتمع، بل والأشد خطورة أنه وفى أحيان كثيرة يتعارض مع مصالح المجتمع نفسه.

الأثر السريع لما حدث فى ميدان السياحة أن أسرعت الفنادق وبالتحديد ذات الخمسة نجوم بتوفير عدد من العاملين فيها دون أن تقع إدارات هذه الفنادق تحت أى نوع من المسألة ودون أن يكون من حق المستغنى عنهم من العاملين - وهم يكونون حوالى ٣٠٪ من مجموع العاملين - دون أن يكون من حقهم الاستناد إلى أى سند قانونى يحفظ لهم عملهم أو أية حقوق لهم قبل هذه المؤسسات الغنية بل فائقة الغنى .. ولكن كيف يتم ذلك؟ لأن كل مؤسسة من هؤلاء تحتفظ بعدد من العاملين المؤقتين على الورق والدائمين فى الواقع وهذا العدد من العاملين يقوم مقام مانعة الصواعق فهو العدد الذى يمكن الاستغناء عنه إذا قل إيراد الفندق دون أن يترتب على هذا الاستغناء أية مخالفة للقانون ودون أن يكون لهؤلاء المستغنى عنهم أية حقوق. وهذه بالضبط أخلاقيات الإدارات الأجنبية التى يهمها تحقيق الربح فقط وعلى أعلى مستوى دون النظر لمن يعملون أو لمن يستغنى عنهم مادام هذا الاستغناء يقلل من المصروفات ويتيح فرصة أكبر لزيادة الإيرادات. وهذا هو أسلوب المحتلين لا أسلوب الاقتصاديين الذين يرعون الذمة والضمير والحقوق الانسانية للعاملين أما تحقيق الربح مع وزيادة البطالة فى المجتمع فهى مسألة لا علاقة لهم بها لأنها لا تنفع فى دستور القطاع الخاص أجنبياً كان أو مصرياً.

وعندما أقبل الصيف موسم الأجازات للمصريين اندفعت شركات السياحة المصرية تعلن عن رحلات للمصريين إلى شواطئ اليونان بل وإلى والت ديزنى فى باريس، وتنافست هذه الشركات فى تقديم التسهيلات فالرحلة بالتقسيط المريح وعلى أشهر عدة وصيف ولا تدفع شيئاً إلى غير ذلك من المغريات.

وثار الكثيرون وطالبوا بضرورة تدخل وزارة فى المسألة فإنه من غير المعقول أن تكون السياحة فى مصر فى مثل هذه الأزمة وتقوم شركات السياحة فى نفس الوقت بترحيل المصريين إلى مصايف أجنبية وهاجم البعض هذه الشركات واتهموها بعدم الولاء لمصر. ونتوقف لحظات لنناقش هذا الأمر الذى يبدو فى نظر البعض مجرد سلوك غير مسئول من بعض الشركات السياحية ونسأل ابتداء ما هى الجهة التى يحق لها التدخل لمنع هذه الشركات من تنظيم رحلات خارجية للمصريين؟ هل هى وزارة السياحة أو الداخلية أو من وبأى حق تتدخل الحكومة فى هذا النشاط ألسنا نطبق الآن نظام الاقتصاد الحر الذى يرفض تدخل الدولة فى أى شأن من شئون الاقتصاد ونترك الأمر كله لنظرية العرض والطلب؟ إذن فبأى حق تتدخل الدولة

الآن فى حرية شركات السياحة فى إعداد هذه الرحلات؛ طبعاً لا يستطيع إنسان أو جهة أو وزارة أو هيئة أن تمنع مصرياً من السفر إلى الخارج إلا فى حدود القانون إذا كان مثلاً محكوماً عليه أو متهرباً من الضرائب. وفى غير هذه الحالات فكل مصرى من حقه السفر إلى أى مكان وفى أى وقت كان إنه حق دستورى إذا اعترضه إنسان يصدر قاضى الأمور الوقتية حكماً واجب النفاذ بأحقية المواطن للسفر إلى الخارج. إذن لماذا تطرح فى ظل نظام لا يتدخل لا فى حرية الشركة ولا فى حرية الفرد ولا أتصور أن هناك جهة تستطيع أن تقول لهذه الشركات أن تتوقف، ولماذا الشركات فقط إن الإعلان عن هذه الرحلات يتم بواسطة جهاز التليفزيون المملوك للدولة وفى الصحف القومية والحزبية إذن فالاعلان هو الذى يروج لهذه الرحلات. إذن فما هو المطلوب؛ هل مطلوب من هذه الشركات أن تكف عن هذه الرحلات وهى لا تجد مرتبات العاملين فيها؛ هل نناشدهم بالوطنية؛ ونقولها صريحة قبل أن يقولوها هم أن للصبر حدوداً وللوطنية حدود. ومادمنا قد حررنا اقتصادنا فنحن قد حررناه من كل الدوافع والنوازع غير الدوافع الاقتصادية ونوازع الربح ولا يخضع الآن إلا لقانون العرض والطلب وهو الأمر الوحيد المطاع فى هذا الشأن.

إن الصارخين لا يجب أن يصرخوا مادمنا قد ارتضينا الطريق ولا يجب أن نتوقف عند أول منعطف فنخالف دستور النظام الذى ارتضيناه والذى نسرع الخطى فى سعادة وحبور لكى تتم مسيرتنا فيه حتى يدخل الحبور والسرور على الصندوق وأصحابه الغر الميامين.

ويتصل بهذا مباشرة تلك المطالب التى أسفرت عنها اجتماعات شركات السياحة مع المسئولين فى الحكومة ومجلس الشعب وبعض مؤسسات الدولة المتصل عملها بالسياحة، وقد نشرت الصحف ما أسمته ببيان مجمع الأعمال السياحى عن كارثة السياحة، قال البيان بعد مقدمة عن أهمية السياحة وعما يتصل بما تمر به السياحة الآن الذى اعتبره البيان (كارثة) على السياحة والاقتصاد القومى وطالب باتخاذ التدابير التالية:

- دعم وحدات قطاع النشاط السياحى من عوائد وتعويضات حرب الخليج لحين حصر خسائرها.
- وضع خطة عملية سريعة التنفيذ للسفارات والقنصليات بالخارج للدعاية السياحية المباشرة.
- دعم ومساندة وكالات السفر للسياحة الخارجية التى تعمل مع قطاع السياحة فى مصر

بتزويدها بالمطبوعات وبرامج الدعاية التى تخفف من حدة الإعلام الخارجى المعادى.

- التركيز على السياحة العربية بالاتفاق مع الدول الخليجية من خلال الاتصالات الرسمية والشخصية مع دراسة أسباب قيام بعض الأسواق الأخرى باستقطاب وسحب كثر من السياحة العربية إليها.
- إنشاء جهاز لمواجهة الأزمات على مستوى قطاع السياحة بميزانية خاصة وخطة عمل جاهزة.
- ضرورة تفهم أجهزة الدولة على المستويين التنفيذى والمحلى لأوضاع الشركات والمنشآت التى أضيرت بسبب كارثة السياحة والوقوف إلى جانبها ويتأتى ذلك بما يلى:
- إعادة جدولة الديون وإطالة مدة سداد القروض لحين انتهاء الأزمة.
- توفير بعض القروض الإضافية للمشروعات التى تعانى اختناقات السيولة.
- تأجيل تحصيل أرصدة الضرائب المستحقة عن السنوات السابقة من ٩٢/١١/١ لحين انتهاء الأزمة على أن يتم التحصيل بعد ذلك بأقساط ميسرة وبدون فوائد.
- ترحيل خسائر فترة هبوط السياحة نتيجة الكارثة لمدة خمس سنوات.
- إلغاء قرار احتساب ضريبة مبيعات على وجبات العاملين وكذلك على الصناعة المجانية بالفنادق.
- تأجيل سداد حصة العمل فى اشتراكات التأمينات الاجتماعية بالنسبة للعاملين مع الإعفاء من فوائد التأخير والجدولة فى السداد إلى ما بعد انتهاء الأزمة.
- إعادة النظر فى أسعار الطاقة الكهربائية والمياه والمحاسبة على الاستهلاك الواقعى وليس على حد أدنى أو فى العقود وتقسيط المستحق على المنشآت السياحية عن مدد سابقة وبدون فوائد حتى تنتهى الأزمة.

هذا إذن ما وصل إليه العاملون فى قطاع السياحة لمعالجة كارثة السياحة، وهذا كله فى حاجة إلى مناقشة صريحة ومحايدة.

الملاحظة الأولى والتى تتصل بالملاحظة التى أبديناها على موضوع تحريض المصريين على السياحة فى الخارج هو أنه ليس هناك اقتناع بأن النظام الاقتصادى فى مصر قد تغير

فمازال أصحاب هذه الاقتراحات والقرارات والتوصيات يتصورون الحكومة مسئولة عن كل شئ ومازالوا يتصورون أنفسهم فى عداد الموظفين أو أنهم قطاع عام على الحكومة أن تقيلهم من عثرتهم، ولم يسألوا أنفسهم ولنا أن نسألهم ماذا فعلوا بأرباح السياحة التى بلغت ٤ مليار جنيه فى سنوات سابقة؟ ماذا ادخروا منها حتى أنهم يصرخون ويملأون الدنيا صراخاً بعد بضعة أشهر لحق بهم الكساد فيها؟ وإذا كان هذا الكساد يرجع إلى بعض الأحداث التى وقعت فى ميدان السياحة فمن الممكن أن يحدث هذا الكساد فى أى وقت دون أن يكون الإرهاب هو المسئول عنه، وهذا هو حال السياحة فى كل مكان فهل ستظل الشركات السياحية تعتمد على الدولة فى كل شئ حتى أنهم عندما فكروا فى إنشاء صندوق أو جهاز لمواجهة الأزمات على مستوى قطاع السياحة بميزانية خاصة وخطة عمل جاهزة طالبوا الدولة بأن تنشئ لهم هذا الصندوق من أموالها ولم يفكروا فى إنشاء هذا الجهاز بأموالهم هم وبأرباحهم التى حققوها. إن المشكلة الحقيقية فى تكوين هذه الشركات والمؤسسات فإما أنها لا تقوم على قواعد اقتصادية حقيقية أى أنها شركات مفلسة أو أنها تقوم على الفهلوة، ولا أقصد طبعاً كل الشركات ولكن الواضح أن عدداً منها ينطبق عليه هذا الكلام وإلا لما انهارت بعد بضعة أشهر وكل من يعمل فى هذه الميادين معرض للمكسب والخسارة. يمكن للدولة أن تساعد فى الدعاية وفى تقسيط استحقاقاتها من خدمات أو ضرائب ولكن على قطاع السياحة المسئولية أن يبحث ويعمل ويكد. إن بعض أصحاب مؤسسات القطاع الخاص يعتبر نفسه خاسراً إذا حقق ربحاً قدره ٨٠ جنيهاً وكان يتوقع أن يحقق مائة عندئذ لا يعترف بأنه كسب ثمانين ولكنه يعتقد ويريد منا أن نعتقد أنه خسر عشرين. هذا الأسلوب غير مقبول فى ظل اقتصاد حر يعتمد على القطاع الخاص ويحد مسئولية الدولة.

لقد تحدثنا أكثر من مرة عن النظام الاقتصادى الجديد فى مصر وهو ليس جديداً فى دول كثيرة، وقد تحدثنا كثيراً عن الآثار الجانبية لهذا النظام ولكن مادمنا قد بدأنا التنفيذ ومادمنا نعتمد الآن إلى حد كبير على القطاع الخاص فعلى هذا القطاع أن يتحمل مسئولياته، فلن يبنى اقتصاد لها أى مستقبلها شركات مفلسة أو مهزوزة أو مرتعدة أو جشعة، وإذا كنا سوف نعتمد على الدولة فى كل شئ ونستغيث بها عند كل عقبة فلماذا كان هذا الشقاء فى سبيل تحويل الاقتصاد ولماذا كل هذا الجهد إذا كنا بعد هذا الذى حدث (كالمنبت لاأرضهاً قطع ولا طيراً أبقى) أو كما نقول فى أمثالنا الصادقة (كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا).

المذكور على وش جواز

أعلنت حركة تنقلات ضباط الشرطة فى الأسبوع الماضى وقالت الصحف إنها أكبر حركة فى تاريخ الشرطة حيث تناولت التنقلات ما يقرب من الألفى ضابط، والذين يعملون بالشرطة أو الذين عملوا بالشرطة يعرفون أن من أقسى الأيام التى تمر بهم أيام (الحركة) عندما يعلمون أنها فى طور الإعداد إلى أن تعلن ثم ما سوف يترتب عليها من تغيير فى مكان العمل والتحويل للأولاد من مدارس إلى مدارس ونقل العفش، وهى بكل الأوضاع حتى ولو كانت للمكان الذى يرغبه الضابط لا تخلو من مشقة وبهدلة وفى الماضى كانت أكبر حركة للتنقلات هى تلك التى يجريها وزير داخلية فى وزارة حزبية تتولى الحكم وترتب الأوضاع لصالح الحزب وأنصاره، فبعد أن يستقر الحزب فى الحكم وبعد أن تغير الوزراء يجرى تغيير وكلاء الوزارات ثم ضباط الشرطة ويتبع ذلك تغيير بعض العمد والمشايخ فى الأقاليم. ورغم قصر المدة التى قضيتها ضابطاً فى الشرطة إلا أنى كنت أعيش كغيرى فترة قلق عندما تكون حركة التنقلات فى الطريق. وفى إحدى المرات التى كانت الحركة فيها على وشك الإعلان عنها انتاب القلق أحد الضباط وكان يعمل فى نقطة تتبع مركز قويسنا وعندما أعلن أن الحركة سوف تنشرها الصحف فى اليوم التالى قضى ليلته ساهراً قلقاً وفى الصباح ارتدى ملابسه وذهب إلى شريط السكة الحديد وكان يعلم أن القطار السريع بين القاهرة والاسكندرية يحمل الصحف التى بها الحركة، وهذا القطار لا يقف لا فى قويسنا ولا فى أية محطة صغيرة وأمسك الضابط بقطعة قماش حمراء ووقف على الشريط يشير إلى القطار، ورأى السائق الضابط يرتدى الملابس الرسمية ويرفع علماً أحمر لابد أن هناك كارثة ووقف القطار وانزعج الركاب وأسرعوا إلى النوافذ يستطلعون الأمر فشاهدوا الضابط يقفز إلى القطار ثم يسير فى العربات حتى يجد بائع الصحف فاشترى منه صحيفة ثم قفز تاركاً القطار وأشار إليه بالرحيل تاركاً الركاب

يضربون كفاً بكف، وأبلغ السائق عن الضابط فى طنطا وحقق معه وجوزى بتهمة تعطيل المواصلات العامة.

فى عام ١٩٥٠ تولى الوفد الحكم وكان من الطبيعى أن تصدر حركة تنقلات بين ضباط الشرطة ولارتباطى بالوفد فى ذلك الوقت فقد عرفوا برغبتى فى النقل من المنوفية إلى الاسكندرية حيث تقيم أسرتى. وفى نفس الوقت كان بعض أعضاء الحزب السعدى فى المنوفية لا يحبوننى طبعاً لأنى أميل إلى الوفد ورغم العداء المعروف بين الحزبين إلا أن بعض قادتهم كانوا على علاقة خاصة ببعض أقطاب الوفد. وظهرت حركة التنقلات وقرأت أسمى منقولاً من المنوفية إلى الأسكندرية، وبعد أسطر قليلة وجدت أسمى مرة أخرى وهذه المرة اسم الشهرة (سعد وهبه) منقولاً من المنوفية إلى أسيوط وفى صباح اليوم التالى ذهبت إلى وزارة الداخلية فى القاهرة أسأل إلى أين نقلت إلى الأسكندرية أم أسيوط؟ لقد تصور الذين وضعوا الحركة أن الإسمين لضابطين الأول صديق الوفد ينقل إلى الأسكندرية والثانى أوصى قادة السعديين ضده فينقل إلى أسيوط وبعد محاولات تم تأكيد النقل إلى الأسكندرية وقد كان.

فى حالات كثيرة كان النقل يتم بناء على التقارير السرية وقد ألغيت السرية أول الثورة وأصبح من حق الضابط أن يواجه بتقريره إذا كان يتضمن اتهاماً أو أى أمر غير عادى ينسب إليه، ولا أعرف إن كانت التقارير اليوم علنية أم عادت لتكون سرية وأغلب الظن أن هناك النوعين علنية يواجه بها الضابط وسرية قد توروده موارد التهلكة دون أن يدرى. وفى عام ١٩٥٢ وبعد قيام الثورة شكلت فى جميع الوزارات لجان للتطهير وشكلت لجنة وزارة الداخلية بالانتخاب وهى اللجنة الوحيدة التى تم تشكيلها بهذا الشكل الديمقراطى. كنت عضواً منتخباً بهذه اللجنة وكنت أصغر أعضائها سناً (٢٧ سنة) وأصغرهم رتبه (ملازم أول) وأقمت فى القاهرة عدة أشهر لكى أحضر اجتماعات اللجنة مساء كل يوم، وكان وجودى فى القاهرة بعيداً عن محل إقامتى فى الأسكندرية وبلا عمل غير عضوية اللجنة فرصة لكى يعهد لى الأعضاء بتلخيص ملفات الضابط تسهيلاً لعمل اللجنة وأتيح لى أن أقرأ عشرات التقارير السرية التى تكتب فى الضابط. قرأت مرة فى أحد التقارير السرية هذا التعبير (المذكور خاطب ..وعلى وش جواز) والمذكور هنا هو أحد ضباط الشرطة السابقين أما هذه الجملة فهى ما جاء بتقرير سرى سنوى كتبه مدير الإقليم الذى كان يعمل به الضابط وأرسل به إلى وزارة الداخلية وحفظ بعد ذلك فى «ملف خدمة» الضباط. والمفروض أن التقرير السرى يراد به معرفة قدرة الضابط

فى عمله ومدى أمانته ونشاطه ونزاهته إلى آخر ما يتصل بعمله كموظف حكومى يتناول أجراً من الدولة لقاء عمل يقوم به، ولكن السيد المدير المحترم تجاهل الغرض من التقرير وترك البيانات المطبوعة الموجودة به دون رد واكتفى فقط بهذه الحقيقة الخطيرة وهى أن الضابط المذكور على وش جواز، ومهما أغرقنا فى الخيال وسرنا بعيداً فى تصوراتنا فلن نستطيع أن نجد العلاقة بين الأمن العام وكون المذكور خاطباً وما هى الحقائق الخطيرة التى سوف تكتشفها وزارة الداخلية عندما تعلم أن المذكور على وش جواز.

الأهرام ٩٣/٨/٧

مقديشو - سراييفو وبالعكس

فى أسبوع واحد أصدر الجنرال بيل كلينتون تهديدين بالقيام بعمل عسكرى خطير الأول للانتقام لمقتل أربعة جنود أمريكيين من قوة الأمم المتحدة فى الصومال الذين راحوا ضحية الصراع الدامى بين قوات الأمم المتحدة والقوات الامريكية من جهة والصوماليين الحفاة العراة الجوعى العزل من ناحية أخرى. والثانى هو التهديد العاشر أو العشرون الذى أطلقه كلينتون للصرب لرفع حصارهم عن البوسنة. وبالنسبة للصوماليين فمن المؤكد أن كلينتون سوف ينفذ تهديده الذى حدد موعده بعد التأكد من المسئولين عن الكمين الذى أعد للجنود الامريكيين ورغم أن التحالف الوطنى الذى يرأسه محمد فارح عيديد قد نفى مسئوليته عن هذا الحادث إلا أن الدلائل تقول أنه سوف يكون مسئولاً وسوف يدان وسوف يتعرض هو وأنصاره للانتقام الامريكى الرهيب، وإذا كان هذا الانتقام يأتى من تهديد واضح وصريح من الرئيس الامريكى كلينتون فإن العمليات العسكرية السابقة التى قامت بها قوات الأمم المتحدة والولايات المتحدة وقعت دون تهديد شفهى سابق. هذا عن التهديد المتصل بما يجرى فى مقديشو أما التهديد المتصل بما يجرى فى سراييڤو فكلينتون ربط التهديد برأى حلف الأطلنطى، وحلف الأطلنطى ربط رأيه برأى الأمم المتحدة أى مجلس الأمن، ومجلس الأمن لن يقر إطلاقاً التدخل العسكرى فى البوسنة لأنه أى مجلس الأمن لا يصدر قراراته لأسباب إنسانية أو شرعية أو تحقيقاً للعدالة ولكنه يصدرها لأسباب تتصل بمصالح دولية حتى ولو كانت على أنقاض كل المثل الإنسانية. لذلك لن تتحرك قوات الأمم المتحدة للقيام بأى عمل عسكرى فى سراييڤو، ولكن هذا لا يمنع من قيام كلينتون بالإدلاء بتصريحات فورية حاسمة كل فترة من الزمان للإدعاء بأن الولايات المتحدة أو النظام العالمى الجديد يضع فى اعتباره القيام بعمل عسكرى ضد الإبادة العرقية والمواقف اللاإنسانية التى بدأها الصرب من قتل واغتصاب جماعى تثير

ضمير العالم كله مما يشاهده الناس على شاشات التليفزيون كل ليلة وما يتضاءل بجواره أقسى عمليات الاغتصاب والتعذيب التى وقعت فى تاريخ الإنسانية. لقد فشل چورج بوش وفشل كلينتون ووارين كريستوفر فى إيجاد مبرر لسلبية الولايات المتحدة فى مواجهة عدوان الصرب على زميلتها فيما مكان يعرف بيوغوسلاڤيا، والعالم يقارن بين مواقف الولايات المتحدة فى العراق عند غزو الكويت والموقف بالنسبة لما يجرى الآن فى البوسنة. والرد على هذه المقارنة أن ما يجرى فى البوسنة لا يؤثر على المصالح الامريكية فى شئ حتى إذا اندلعت حرب أوسع نطاقاً فى البلقان فهى لا يمكن أن تهدد امدادات البترول لأمريكا كما فعل غزو العراق للكويت. إنها من وجهة نظر السياسة الامريكية مجرد حرب أهلية تدور داخل نطاق دولة يوغوسلاڤيا المنهارة وليست هناك مصلحة حقيقية للولايات المتحدة إلا إذا كانت تقف موقفاً إنسانياً لوقف عمليات الإبادة الجماعية التى تجرى على أساس عرقى. إن حرب الخليج لم تشتعل لضمان وصول الولايات المتحدة الامريكية إلى بترول المنطقة فحسب، بل ومن أجل الدفاع عن مصالح أمنية جوهرية فى نظر القيادة الامريكية وهى مقاومة العدوان الذى قد ينتشر حتى يهدد مصالح أمريكية أكثر حيوية وأكثر اتساعاً. لقد زعمت الولايات المتحدة أنها فى سبيل إقامة نظام عالمى جديد تديره الدول العظمى وفقاً لميثاق الأمم المتحدة وأن النظام العالمى الجديد يقوم على ضرورة فرض القانون الدولى ضد العدوان، ولكن فى محاولة للهرب من المأساة اليوغوسلاڤية يقول بعض العارفين بأسرار السياسة الامريكية أن انهيار الاتحاد السوڤيتى، قد جعل عملية تنفيذ القانون ضد العدوان أقل أهمية بالنسبة للحلفاء الغربيين مما كان عليه أيام توسع الاتحاد السوڤيتى و ويدفع عدد كبير بأنه نظراً للتغييرات التى طرأت مؤخراً على السياسة الروسية فإن فرض القانون ضد العدوان أصبح اختيارياً.

إن الغارات على مقديشو وهذه السلبية الواضحة فى سراييڤوا تقطع بأن الولايات المتحدة تكيل بمكيالين فيما يتعلق بالأزمات الدولية، وبوضوح أكثر ليس للولايات المتحدة الامريكية أية مصلحة حيوية تتصل بما يحدث فى البوسنة وفى نفس الوقت فإن حلفاء امريكا من الأوروبيين يقفون جميعاً فى صف الصرب ويعتبرونها دولة من دول التحالف وهم معها بشكل واضح أو مستتر ضد قيام أية دولة إسلامية فى منطقة البلقان، يستوى فى ذلك الألمان والانجليز والفرنسيون، وإذا كان هناك تأكيد أن الخطاب الذى نشر والذى قيل أن ميجور رئيس الوزراء البريطانى أرسله إلى وزير خارجيته والذى يحذره فيه من قيام دولة مسلمة فى

وسط أوروبا.. إذا كان هذا الخطاب حقيقة خطاباً مزوراً فإن مضمون الخطاب هو الذى تنفذه فعلاً الدول الأوروبية جميعها بدءاً من الروس الذين يقفون مع الصرب صراحة والذين هددوا باستخدام الفيتو إذا أصدر مجلس الأمن قراراً بالتدخل العسكرى ضد الصرب والذين يقيمون جسراً جوياً يمدون عن طريقه الصرب بكل أنواع السلاح، وكذلك تفعل غيرها من الدول الأوروبية ومادامت المشكلة يوغوسلافية أو حتى أوروبية فما شأن الولايات المتحدة بها. إن القرارات التى أصدرها مجلس الأمن بالحصار الاقتصادى على الصرب قرارات مضحكة فهى تنتهك كل يوم، وهناك ساعات معينة فى الليل وفى النهار تترك فيها قوات الأمم المتحدة مواقعها على الحدود حتى يتاح للصربيين أن يحصلوا على ما يريدون من بضائع ومواد خام تكفل لمصانعهم العمل وعدم التوقف خاصة فى هذه الفترة الهامة - فترة الحرب وضرورة تمويلها فضلاً عن السلاح الذى يقدم لهم هدية من حلفائهم الأوروبيين.

وما هو الوضع فى البوسنة الآن بعيداً عن الحرب .. لقد عبرت عن ذلك جريدة الهيرالد تريبيون إذ قالت من المؤلم أن نعلم أن البوسنة بالإضافة إلى تدميرها وتمزيقها قد حرمت من أدنى حقوق الإنسانية، يرجع ذلك ببساطة لأن الكروات والصرب يريدون تجويع المسلمين حتى يقبلوا بتقسيم البلاد، فقط لأن الهيئات المانحة للمعونات لم توفر الدعم الضرورى وهذا ما أوردته وكالة الإغاثة التابعة للأمم المتحدة والمفوضية العليا لشئون اللاجئين، وقد تعثرت وتعطلت الشاحنات التى تحمل الطعام للمسلمين المحاصرين بسبب الرسوم الابتزازية التى فرضها الصرب والكروات البوسنيون الذين يفرضون تجزئة وحشية وقد استنفذت الموارد المالية ولم يتم تعويضها وهو ما يدفع وكالة اللاجئين بأن تقطع عملياتها فى البوسنة.

وفى هذه اللحظات الأخيرة من مأساة البوسنة نجد من الصعب حشد شعور كاف بالغضب لمواجهة هذا العدوان الجديد وقد تمت الاستعانة بالجهود الدولية ولكن هذا لا يعنى حرية التصرف لهؤلاء المسئولين عن تلك الاعتداءات، وهل يدرك الصرب والكروات فى البوسنة أنهم باستخفافهم بالإدارة الدولية وانتهاكهم للأعراف الإنسانية فإنهم يجلبون على أنفسهم الاحتقار العميق فى كل مكان وأن شهرتهم بالقسوة العرقية الإجرامية الشديدة ستكون لها عاقبتها عليهم على طول السنين وستفرض عليهم جهداً فائقاً للعودة للحياة الدولية الطبيعية.

ففى نفس الوقت لا يمكن تصور مشاركة الجاليات الصربية والكرواتية فى أى من فواتير المعونات التى تنكرها المليشيات التابعة لهم على المسلمين، وبالنسبة للهيئات المانحة والتى

تتناقص معوناتها بشكل خطير بسبب تضاؤل الاهتمام وضعف الميزانية ولا يجب أن يكون هناك شك بشأن طبيعة التزاماتهم ولا يوجد من يستحق المساعدة الدولية أكثر من البوسنيين المسلمين. إنهم مجتمع دمره التطهير العراقى وقد أنكرت عليه المساعدة المسلحة المباشرة أو الأسلحة دفاعاً عن النفس والآن فإن إنكار سبل الإعاشة اليومية عنهم من الأمور التى تذهب بالعقل.

ويتطلب توفير الأموال الضرورية من أوربا مجهوداً إضافياً وخاصاً إنها تتلكأ وكذلك أمريكا، أما الدول المسلمة فقد رفضت توفير المعونات على أساس أن كارثة البوسنة كانت من عمل الآخرين. وإن كانت المعونة الإنسانية يجب أن تكون واجب الجميع.

إن تهديد الولايات المتحدة الذى يجرى كل فترة من الزمان على لسان كلينتون تهديد أجوف لن يتحول إلى واقع حى لأنه ببساطة شديدة ليس فى صالح الولايات المتحدة الأمريكية ولو كان فى صالحها لانقلب العالم فى أربع وعشرين ساعة وقامت قيامة الحلفاء من الكبار والصغار على السواء لتأديب المارقين المهددين لمصالح الولايات المتحدة فى أى ركن من العالم.

هذا عن البوسنة وما يحدث فى سراييفو، أما فى الصومال وما يجرى فى مقديشو فقد سبق أن قلنا أن الولايات المتحدة غرقت فى مستنقعات الصومال وهى نفسها هى التى انقادت إلى الولايات المتحدة حتى جرتها إلى هذا المصير. والعالم كله يتساءل اليوم عن وظيفة قوات الأمم المتحدة فى الصومال وعندما قرر المجتمع العالمى أن تذهب قوات عسكرية إلى الصومال كان واضحاً ومعروفاً بل وهذا ما تضمنه قرار مجلس الأمن أن هذه القوات ذهبت لتأمين وصول الإمدادات الإنسانية للصوماليين الذين يفقدون الآلاف كل يوم ضحية الجوع والمرض. ولكن لقد تحولت مهمة قوات الأمم المتحدة الآن إلى نوع من حرب العصابات. فهل ذهبت قوات الأمم المتحدة إلى الصومال كى تدخل فى حرب عصابات مع أبناء الدولة التى ذهبوا لحمايتها ومع الناس الذين ذهبوا لإنقاذهم من الموت جوعاً فقتلوهم هم بالرصاص والقنابل والصواريخ، ومن السخرية أن يكون هذا الرصاص هو رصاص الأمم المتحدة وأن تخرج هذه الصواريخ من طائرات أو من قواعد عليها لافتة الأمم المتحدة.

لقد عبر رئيس وزراء ايطاليا عن رأيه وهو فى طريقه لحضور مؤتمر قمة طوكيو عندما قال «إن مهمة الأمم المتحدة فى الصومال مهمة سياسية والجانب العسكرى يعمل فى خدمة

الجانب السياسى وبناء على ذلك فإن الهدف هو إيجاد الظروف المواتية والتى تسمح لهذا البلد الافريقى بالحكم الذاتى، ومن هذا المنطلق تنوى ايطاليا القيام بدورها فى الصومال والنتيجة هى أن مهمة الأمم المتحدة سيكون لها اعتبارها ».

ويرى وزير الخارجية الايطالية أن أية عملية عسكرية ستتعرض لخطر العجز والفشل ما لم يتم البحث عن حل سياسى، وباختصار كما قال رئيس الوزراء فإن الأمر يتعلق بألا تعمل كقوات احتلال ولكن ينبغى أن تظل القوة العسكرية الفعالة طوال الفترة اللازمة لوضع حل سياسى ثابت فى هذه المنطقة.

ويساند ايطاليا فى موقفها الفاتيكان. أما الجديد فى الأمر هو ما يتصل بفرنسا إذ نشر نبأ يفيد بأن فرنسا تفكر فى القيام فى شهر أكتوبر القادم بسحب قواتها البالغ عددها ١٣٠٠ رجل من الصومال وذلك لأسباب اقتصادية. غير أن مثل هذا القرار سيغير خطة مهمة الأمم المتحدة كما قال مساعد وزير الدفاع الايطالى إذ أن هناك رفضاً متزايداً للدور الذى تقوم به القوات التابعة للأمم المتحدة فى الصومال. وإذا كانت الولايات المتحدة قد خدعت العالم كله عندما زعمت أنها ترسل قواتها تحت عنوان (إعادة الأمل) وكان هناك إصرار على أن تسبق قوات الولايات المتحدة قوات الأمم المتحدة لتحظى بفضل السبق فى إنقاذ الصومال فقد تحول موقفها الآن تحولاً تاماً. واستطاعت بعض الحوادث التى جرت فى الأونة الأخيرة أن تحول الموقف الامركيى تحولاً تاماً، فيصبح وهو يسلم المسئولية لقوات الأمم المتحدة يصبح طرفاً فى نزاع لا يعرف مداه إلا الله. وقد نجحت الولايات المتحدة للمرة الثانية فى جر الأمم المتحدة لما لا تقصده ولا تتمناه وليس غريباً إذن أن ترتفع الأصوات فى الولايات المتحدة نفسها لسحب قواتها من الصومال.

إن تهديدات كلينتون إذا اتصلت بمصالح الولايات المتحدة الامريكية تصبح حقيقة وإذا كانت فى غير ذلك فهى مجرد فرقعات فى الهواء. إن النظام العالمى الجديد الذى رسمته وتنفذه الآن الولايات المتحدة الامريكية لا يعترف بأية حقوق لشعب الصومال ولا لشعب البوسنة ولا لغيرهما من شعوب العالم الثالث مادام بعيداً عن مصالح أمريكا وأمنها، أما ما عدا ذلك فلتفعل القوة ما تشاء سواء أجاءت من امريكا أم من حلفائها. حلفاء اليوم وحلفاء الأمس وحلفاء الغد وأى حلفاء.

يرقى .. إذا ماتت والدته !!

تحدثت فى مفكرة الأسبوع الماضى عن التقارير (السرية) التى كان يكتبها الرؤساء فى ضباط الشرطة واستكمالاً لهذا الحديث:

هناك قصة كان يتداولها ضباط الشرطة عن أحد المديرين فى ذلك الزمان كتب تقريراً عن أحد الضباط قال فيه «إنه ضابط غير ملتفت إلى عمله يقضى كل وقته أمام المرآة يسبسب شعره» وتقول القصة إن الضابط حرم من الترقية بناء على هذا التقرير وعندما تخطاه الدور للترقية لم يعرف السبب وظل متأخراً عن زملائه إلى أن توصل ذات يوم إلى كبير يشغل منصباً فى الداخلية وتظلم إليه، وأراد الكبير أن يدرس حالته فاطلع على الدوسيه السرى الخاص به ووجد التقرير سبب الكارثة فاستدعى الضابط وواجهه به فما كان من الأخير إلا أن خلع طربوشه ليعلن أنه مصاب بالصلع وأنه ليس فى رأسه شعرة واحدة تستحق (السبسبة) أو الوقوف أمام المرآة .. وعشرات القصص عن التقارير السرية وعن التهم التى كان يلقيها الرؤساء المغرضون فى وجه صغار الضباط فتؤثر فى مستقبلهم دون أن يعرفوا عن حقيقتها شيئاً أو تتاح لهم فرصة الدفاع عن أنفسهم قبلها .. وكان هذا النظام يتيح لكل رئيس ذى هوى أن يحطم مستقبل الضباط كما يشاء دون أن يخشى حتى مواجهتهم بما يكتب.

تفشى الجبن وتفشى الخوف وأصبح النفاق ومداهنة الرؤساء هو الطريق الوحيد لنيل الحق فى الترقية أو العلاوة .. لقد قرأت تقريراً كتبه الحكمدار الانجليزى فى أحد الضباط اكتفى فيه بكلمة SMART وطبعاً طالب له فى نهاية التقرير بالعلاوة والترقية حيث كانت الوجاهة أحد المؤهلات المهمة للترقية.

وكتب مرة مأمور أحد المراكز فى التقرير السرى لضابط بالمركز يجيب على سؤال مطبوع

نصه: «هل يستحق الترقية؟».

كانت إجابة المأمور التى كتبها بخطه «يستحق إذا ماتت والدته ..».

وقد فسر لنا أحد الضباط المخضرمين هذا القول الغريب عندما قال لنا إن هذا المأمور كان مولعاً بلقب القمار وكان يتصيد ضحاياه من صغار الضباط الذين لا يستطيعون معارضته إذا تحسن حظه أو كسب بالباطل .. وكان هذا الضابط لا يميل إلى لعب القمار فضلاً عن أن والدته كانت تقيم معه .. وكان يترك مائدة المأمور ويفضل البقاء فى المنزل مع والدته لذلك حقد المأمور على هذه الوالدة التى تبعد الضحية عنه وعندما حان موعد كتابة التقرير السرى لم ينس حقده الشخصى فعلق ترقية الضابط على وفاة والدته.

أذكر أن مفتشاً للبوليس كان اسمه عبد الفتاح رفعت كان يكتب تقاريره بالعربية الفصحى. كتب مرة تقريراً فى ضابط اسمه (مخلص) يقول فى التقرير (ساء فأل من اسماه مخلص) ليت البوليس (يتخلص منه). ووقعت هذه الواقعة فى أحد مراكز الوجه البحرى توثقت علاقة أحد الضباط برئيس مكتب البريد بالمركز وذات ليلة أفصح رئيس مكتب البريد للضابط عن سر خطير قال إن مأمور المركز عند كتابة التقارير السرية فى الضباط يستدعى كل ضابط على حدة ويقدم له التقرير الذى كتبه فيه وكله ثناء على جهود الضابط وإشادة به ثم يضع التقرير فى مظروف يغلقه ويسلمه للضابط ليضعه بيده فى صندوق البوستة ويطمئن الضابط تماماً ويشيد برأى المأمور فيه، فى نفس الوقت يتفق المأمور مع رئيس مكتب البريد أن يعيد إليه الخطابات التى يضعها الضباط فى الصندوق وعندما يتسلمها المأمور يمزقها ويكتب تقارير أخرى مملوءة برأيه السئ فى الضابط ويقوم بإرسال هذه التقارير السيئة إلى الوزارة فى مصر. عرف الضابط ألاعيب المأمور وعندما حان وقت التقارير استدعاه المأمور كما استدعى غيره وأطلعه على تقريره ثم سلمه المظروف ليضعه بنفسه فى صندوق البريد ولكن الضابط لم يفعل ذلك بل ذهب بنفسه إلى محطة السكة الحديد وعندما وصل القطار سلم بنفسه الخطاب إلى عامل البريد الموجود بالقطار وعاد سعيداً وقد فوت على المأمور تنفيذ مؤامرته. ثم كان الضابط الحويط فخوراً بنفسه فهو الوحيد الذى وصل تقريره الممتاز إلى الوزارة أما زملاءه فقد عادت تقاريرهم من البريد ليسود المأمور غيرها، وظهرت حركة الترقيات وفوجئ الضابط بترقية جميع زملائه وحرمانه هو من الترقية وحده وكاد يجن كيف يحدث ذلك و هو الوحيد الذى كتب عنه المأمور تقريراً ممتازاً. وبعد فترة نقل المأمور وحل غيره ثم جاء المفتش الانجليزى

للتفتيش على المركز واستدعى الضابط ليطلع على أموره وهل حسن من سلوكه أم مازال سيئاً . وسأله الضابط لماذا لم تتم ترقيته وقد أشاد به المأمور فى تقريره؟ ورد المفتش الانجليزى موضحاً له سبب عدم ترقيته فقال له إنهم فى الوزارة يعرفون أن هذا المأمور إنسان سئ لذلك فإن أشاد بأحد الضباط فمعنى ذلك أن هذا الضابط سئ مثله وإذا هاجم ضابطاً فمعنى ذلك أنه ضابط ممتاز، وعند إعداد الترقيات والإطلاع على التقارير وجدوا أن المأمور هاجم جميع الضباط إلا ضابطاً واحداً كان تقريره ممتازاً واستنتجوا من ذلك أن جميع الضباط ممتازون وأن هذا الضابط بالذات ضابط سئ فرقى الجميع إلا هو .. وهكذا كان حرص الضابط الحويط السبب فى عدم ترقيته.

الأهرام ٩٣/٨/١٤

تحرير التجارة بين الأغنياء والفقراء

يرى بعض الاقتصاديين أن تحرير التجارة الخارجية من أهم عوامل تحقيق الرخاء والتنمية فى أى مجتمع، وبالقطع يقتنع المسئولون عن البنك الدولى وصندوق النقد هذا التفكير ولذلك كانت (روشتة) علاج الاقتصاد المريض تحوى أول ما تحوى تحرير التجارة الخارجية ولا شك أن هذا الدواء إذا كان قد ثبت نجاحه فى بعض الدول ليس بالضرورة أن يكون ناجحاً فى دول أخرى فلكل دولة ظروفها الخاصة وعلاقاتها الفريدة بالدول الأخرى، وقد أثبتت التجربة الحية أن ما ينفع مجتمعاً من المجتمعات قد لا ينفع مجتمعات أخرى وإذا كان المجتمع الواحد يحوى طبقات مختلفة وفئات متباينة مما يجعل توحيد التعامل مع المجتمع مشكلة يحاول الإخصائيون علاجها فى المجتمع الواحد فلا شك أن المجتمعات التى تحوى هذه المتناقضات يزيد الخلاف بينها فى أمور جوهرية تجعل التعميم فى حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية شيئاً يتصل مباشرة بالتركيبة الطبقية ويتصل أيضاً برصيد المشاكل فى كل من هذه الميادين وقدرة المجتمع نفسه على مواجهتها بل وقدرته على تحمل السير فى طريق العلاج الطويل. ولكن لماذا يضع بعض الاقتصاديين تحرير التجارة الخارجية فى مقدمة وسائل العلاج الناجح فى مسائل الاقتصاد العالمى؟

إن خبرة الثلاثين عاماً التى تلت تحرير التجارة فى نهاية الحرب العالمية الثانية تقول أن حجم التجارة الخارجية قد. تضاعف كما تزايد معدل النمو بدرجة كبيرة جداً فى الولايات المتحدة وفى غرب أوروبا وفى اليابان.

ولكن النظرة الفاحصة لما حدث فى هذه الدول تفيد بأنه ليس من المنطق فى شئ إرجاع هذا النمو الكبير والرخاء الواضح خلال ثلاثين عاماً إلى تحرير التجارة الخارجية وحده فإن دول

أوروبا واليابان كانت قبل الحرب العالمية من الدول الصناعية الكبيرة وفى نهاية الأربعينيات وفى الخمسينيات أعادت هذه الدول بناء صناعاتها التى دمرتها الحرب بمساعدة المال الأمريكى. لم تكن إعادة بناء هذه الصناعات شيئاً صعباً فالعمالة المدربة مازالت موجودة وكان لديهم الأسواق التى تنتظر السلع المصنعة وكذلك كانت لدى هذه الدول جميعها الرغبة فى الوصول بإنتاجها إلى الأسواق الامريكية العريقة والتى تستوعب إنتاجاً متنوعاً من دول مختلفة. كان أكثر الدول التى استفادت من هذا النظام المانيا واليابان وهما الدولتان اللتان كانت خسارتهما أكبر أثناء الحرب، ولكنهما الدولتان الأكثر ديناميكية وطموحاً فضلاً عن عامل آخر هام وهو إبعاد هاتين الدولتين بمقتضى اتفاقيات الصلح عن الدخول فى ميدان المنافسة العسكرية بمنعها من التسلح ووجود جيش كبير قوى يحتاج سلاحاً وعتاداً ومالاً كثيراً. إن هذا الذى فعله الحلفاء بدولتى المحور الكبيرتين وظناً أنهم بذلك يعاقبون هتلر وأعوانه كان فاتحة خير كثير لهاتين الدولتين.

وهناك أيضاً النجاح الذى حققته اليابان بالذات والذى اعتمد اعتماداً كبيراً على التصدير، إنه نموذج حذت حذوه النمور الأسيوية الأربعة (كوريا الجنوبية وتايوان وهونج كونج وسنغافورة) لا شك أن نجاحها يرجع لا إلى تحرير التجارة ولكنه يرجع فى المقام الأول إلى نجاح الصادرات لا الواردات بل يرجع نجاح دول أسيا إلى تقييد الواردات وهذا فى بساطة شديدة يتناقض مع تحرير التجارة الذى تقول به الهيئات الدولية.

ربما كان الرخاء الذى عاشت به الدول الكبرى خلال ثلاثين عاماً يرجع إلى أسباب كثيرة منها دون شك التجارة الحرة أو تحرير التجارة ولكن ماذا يجرى الآن فى العالم. لقد اجتمع الأغنياء السبعة فى طوكيو وكان أهم ما دفع إلى هذا الاجتماع وأهم ما ناقشه الأغنياء هو الكساد والركود الاقتصادى الذى يلف العالم وفى مقدمته دون شك دول هؤلاء الأغنياء السبعة.

وقد أصدروا قرارات تسير فى نفس الطريق وهو تخفيض التعريفة الجمركية لتنطلق التجارة بشكل أوسع وهو إصرار على أن العلاج القديم هو نفس العلاج الجديد مع الاختلاف فى الظروف وفى المشاكل وفى التغييرات الكبيرة التى طرأت على العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اليوم.

ولكن إذا كان تخفيض التعريفة الجمركية وإطلاق حرية التجارة هو الحل فلماذا وضعت الولايات المتحدة الامريكية العراقيل أمام استيراد الصلب من تسع عشرة دولة أوروبية. وذلك بأن زادت من التعريفة الجمركية على صادرتها من الصلب لتصل هذه التعريفة ما بين ٢٧٪ و ٣٦٪.

قالت مجلة تايم فى عددها الصادر ٧/٥ إن نظرية التجارة الحرة المقدسة تعانى أحد نكباتها، ففى واشنطن قامت وزارة التجارة الامريكية بفرض تعريفات جمركية باهظة لمكافحة سياسة الإغراق وتزيد نسبتها بين ٢٧٪ و ٣٦٪ على ٣,٢ بليون دولار وتمثل قيمة منتجات الصلب المستورد من تسع عشرة دولة.

ودافعت عن ذلك بقولها إن هذه المنتجات كانت تباع بأسعار تضر بالمنتجين الامريكيين. ويبدوا أن واشنطن تحاول أن تقول بعد قيامها بزيادة التعريفة الجمركية مرتين من قبل أن كل منتجى الصلب فى الخارج كانوا يتآمرون لضرب منتجى الصلب الامريكيين. وقد ثارت الحكومات فى أرجاء العالم على ذلك ويقول ليون بريتان مفوض الجماعة الأوروبية للسياسة التجارية إنه من غير المقبول تماماً استغلال واردات الصلب فى دول الجماعة الأوروبية وسائر الدول الأخرى ككبش فداء لمشكلات تضرب فى أعماق الولايات المتحدة.

كما أن الولايات المتحدة الامريكية تحمى صناعة النسيج بفرض جمارك غير عادية على وارداتها من المنسوجات.

تقول تايم (وترتفع هذه الأيام أصوات هامة فى أماكن كثيرة من العالم لتصف نموذج التجارة الحرة بأنه سبب لمشكلات العالم الاقتصادية وليس حلاً لها. ففى أوائل شهر يوليو الماضى هاجم رئيس البرلمان الفرنسى وهو من المحافظين نظرية التجارة الحرة الدولية باعتبارها العصا التى يربط إليها الحمل الأوروبى الوديع الذى وقع ضحية لنهم منافسيه الشرسين). وتساءل قائلاً لم نسعى لفض الحواجز التجارية من خلال الجات (المنظمة الدولية للتجارة) إذا كانت الولايات المتحدة واليابان تتخذان تدابير الحماية، وردد رئيس البرلمان الفرنسى ما قاله فرانسوا ميتران الذى دعا إلى فرض مزيد من الحواجز التجارية لمواجهة انخفاض الأجور فى بلدان العالم الثالث خاصة المؤسسات الصناعية الكبرى فى شرق أسيا، وحتى رجل الصناعة الرأسمالى المتحمس الفرنسى البريطانى السير جيمس جولد سميث فيقول إن النتيجة الرئيسية

لحرية التجارة هى إفقار العالم الصناعى وزعزعة استقراره فى نفس الوقت الذى تفترس فيه العالم الثالث بقسوة من خلال السياسة الاستغلالية للأجور وشروط العمل وربما تعد ضرورة تغيير التجارة فى واشنطن أكثر تأثيراً من الاتحاد الأوروبى المتشكك، فبدلاً من الخطب الرنانة عن حرية التجارة فى عصر ريجان وبوش يتحدث المسئولون فى إدارة كلينتون عن تجارة عادلة وتبادل للامتيازات مع التعامل مع المتنافسين وتقدم الولايات المتحدة بمطالب جامحة لإجراء إصلاحات من كل قطاع على حدة من قطاعات الصناعة اليابانية لمواجهة الفائض التجارى المستمر لليابان.

يقول جيمس دوبينس سفير الولايات المتحدة السابق لدى الجماعة الأوروبية (إن المشكلة الأساسية فى التجارة الحرة هى أن جميع الدول تكسب لكن الجميع لا يكسبون، فالشركات تتعرض للإفلاس وبعض الناس يفقدون وظائفهم حتى مع ازدياد ثراء الدولة نفسها).

فى نفس الوقت تلجأ دول العالم الثالث والكتلة الشيوعية السابقة إلى خيار التجارة الحرة. فيقول مارى مانجستوا أحد الاقتصاديين العاملين فى مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية فى چاكرتا (إننا لا نستطيع أن نقدم الكثير للتأثير على القوى العظمى لكننا نشعر بقلق بالغ لأننا لن نستطيع الوصول إلى أسواقهم).

يقول أحد كبار المسئولين التجاريين اليابانيين (قد تكون هذه السنة الأولى التى نتشكك خلالها فى نتيجة التجارة الحرة وأهميتها فحتى الآن كانت قيمتها وأهميتها من الأمور المسلم بها .. لقد كانت مثل الإنجيل).

هذا إذن رأى بعض الاقتصاديين والمسئولين عن تحرير التجارة الخارجية فواضح أنها إذا كانت سبباً فى سرعة التنمية والرخاء التى شملت أمريكا واليابان والدول الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية إلا أنها ليست كل الأسباب، ومحاولة وضع كل هذه النتائج على عاتق تحرير التجارة الخارجية وحدها محاولة للوى الحقائق وتجميل بعض الأمور أكثر مما تحتمل. النقطة الثانية والهامة جداً فى نفس الوقت هى أن الدول الكبرى تقوم بفرض الحماية لبعض صناعاتها فى مواجهة نفس هذه الصناعات الواردة من دول أخرى إليها. والنقطة الثالثة أنه إذا كانت الدول الكبرى تضع حداً للمنافسة فهل تستطيع الدول الصغرى أن تدخل أسواق الدول الكبرى على قدم المساواة. إذن فما هى الفوائد التى يمكن أن تعود على الاقتصاد المصرى من تحرير

التجارة الخارجية؟

لقد تحدثنا عن ذلك فى مفكرة سابقة منذ أسبوعين وكانت القرارات المنفذة لم تصدر بعد ولكننا كنا نعرفها ونتوقعها ولم يكن ذلك نوعاً من التنبؤ أو رجماً بالغيب ولكن قواعد اللعبة معروفة وأصبحت فى متناول أى إنسان مهما حاولت بعض الحكومات، ومنها حكومتنا، أن تحيط المسألة بغموض مقصود. وظهرت إذن التعريفة الجمركية الجديدة ورفع الحظر عن ٤٤ سلعة وبقيت سلع قليلة فى دائرة الحماية. لقد تحدثت بعض الصحف وتناولت بعض الأقلام ما حدث بشئ من التخوف ولكن بشئ كبير من الترحيب، بل لقد زادت بعض الصحف فوضعت فتح الباب أمام الاستيراد بأنه فى مصلحة المستهلك ونسأل ببساطة أى مستهلك فى مصلحته فتح كل هذه النوافذ على مصاريعها؟ وهل الأغلبية هى التى تبحث عن السيارة أو عن الثلاجة المستوردة أم التى تنتظر استيراد خمسين صنفاً من الجبن أو غير الجبن من السلع الغذائية؟ إذا كانت حصيلة الضرائب الكلية قد زادت فهذا تخفيف من أعباء الميزانية دون شك ولكن فى مقابل ماذا؟ ما هو الثمن الذى سوف تدفعه فى مقابل زيادة حصيلة الضرائب؟ إنها الصناعات الوطنية.

لقد بدأ تطبيق السياسة الجديدة فى التجارة وظهرت نتائج سريعة لهذه السياسة وكلها تشير إلى أننا نسير فى طريق محفوف بالمخاطر. سوف تتوقف صناعات مصرية كثيرة وسوف تزيد البطالة وسوف نقف بعد فوات الأوان لنندم على ما فعلناه ولكن كيف سيكون ذلك.

فليكن هذا موضوع حديثنا فى الأسبوع القادم.

الأموات .. طبقات !!!

لا أعتقد أن شعباً من شعوب الأرض يحفل بالموت كما يحفل الشعب المصرى سواء فى النعى وفى العزاء وفى الجنازة وفى الخميس أو الخمسان ثم الأربعين. وهى طقوس أعتقد أنها انحدرت إلينا من الفراعنة ولا أثر لها فى الإسلام أو المسيحية، والفراعنة هم الذين احتفلوا بالآخرة أكثر من احتفالهم بالحياة الدنيا فشيدوا المقابر ووضعوا الشراب والطعام ليتناولها الميت فى العالم الآخر وأغلب ما خلفه لنا الفراعنة من آثار عظيمة هى فى حقيقتها قبور لحفظ الموتى بل كان اهتمامهم ببقاء الميت بعيداً عن التعفن واضحاً فاخترعوا التحنيط الذى ذهب سره معهم ولم يكتشفه علماء هذا الزمان.

الاحتفال إذن بالموت خاصية مصرية تماماً. توفى منذ أسابيع قليلة أحد مديرى البنوك فى مصر وكان لابد أن تنعيه سائر البنوك فى صفحة الوفيات، ولم تكتف البنوك بأسطر تقليدية تنعى بها الزميل العزيز ولكنها لأنها بنوك وفلوسها كثيرة فردت مربعات ومستطيلات تنعى فيها الرجل حتى استغرق نعيه أكثر من صفحة وهذا لم يحدث حتى ولو كان الميت عظيماً أو وزيراً. ولكن للمال شأن حتى فى الوفاة. أذكر أن وزارة الداخلية فى العهد الغابر كانت تنعى الضابط المتوفى حسب رتبته وكانت تنشر النعى فى (الجريدة البوليسية) وهى الجريدة التى كانت تنشر فيها أحداث الشرطة الداخلية. إذا كان المتوفى ملازماً أو نقيباً (يوزباشى) أو رائداً (صاغ) كتب النعى هكذا (تعلن وزارة الداخلية مع الأسف وفاة الملازم فلان ويشطب اسمه من عداد القوة من يوم كذا وهو اليوم التالى لوفاته) أما إذا كان المتوفى ضابطاً عظيماً بلغة العسكرية أى عقيد أو عميد أو لواء صار النعى هكذا (تعلن وزارة الداخلية مع الأسف الشديد وفاة العقيد فلان.......).

فالضابط الصغير الوزارة آسفة لوفاته أما إذا كان الضابط كبيراً فالوزارة شديدة الأسف.. وهناك من الناس من يشغله كثيراً حاله بعد وفاته لا من حيث ميراث المستحقين ولكن من حيث الاهتمام به والجنازة التى سوف يشيع بها ، وهناك الكثيرون من الفقراء عندما يبلغهم سن الموت يحرصون على توفير مصاريف الكفن والجنازة وغيرها من الطقوس ويعهدون بها إلى أحد أصدقائهم أو أحد أفراد أسرتهم الموثوق بهم. وهناك كثيرون يهتمون بإعداد مقابرهم بأنفسهم قبل الموت وكأنهم يخشون أن يتركهم الأحياء يدفنون فى الطريق العام، وفى كل المقابر هناك مقابر الصدقة والتى تقدم مجاناً للذين يتعرضون للشقاء فى الدنيا وفى الآخرة حيث لا يجدون مكاناً يدفنون فيه.

وبعض الناس لا يهمهم فى كثير أو قليل أن تقام لهم جنازات كبيرة أو غير ذلك. وقد أوصى المرحوم الكاتب يحيى حقى أن يدفن بغير جنازة وألا يدعى أحد للسير خلف جثمانه واحترمت ابنته وصيته إلى حد بعيد فلم يعرف أحد بموته إلا بعد أن تم تشييع الجنازة. ومع تقدم الزمن تغيرت عادات المصريين فمنذ سنوات وفى بعض الأحيان كانت ليالى العزاء تمتد إلى سبعة أيام وربما إلى أربعين يوماً.

لتوفيق الحكيم مسرحية اسمها (عرف كيف يموت) تحكى قصة زعيم سياسى شغلته جنازته بعد وفاته فأخذ يعد بنفسه طقوس الجنازة كيف تكون ومن يسير أولاً وبعد ذلك وخط سيرها والنعى .. إلخ وقبل أن يلحقه الموت كان سائراً فى الشارع بعد أن أعد كل شئ لجنازته سقط فى بالوعة ومات غارقاً فى المجارى.

وإذا كان الناس يحفلون بالرتب والألقاب فى حياتهم فإنهم كذلك بعد وفاتهم فإذا كان الميت إنساناً عادياً أطلق عليه لقب المرحوم، أما إذا كان وزيراً أو كبيراً قيل المغفور له، أما إذا كان من رجال الدين قالوا رضوان الله عليه وكأن الرضوان والمغفرة والرحمة طبقات فى حين أنها كلها مطلوبة لمن أصبح فى رحاب الله.

وكان حضور الجنازات والسير فيها واجب تفرضه تقاليد المجتمع المصرى، وفى صبانا طالما سرنا فى جنازات لا نعرف أصحابها ، ومع تقدم الزمن أصبحت هذه العادة فى الطريق إلى الزوال ولا أنسى أنه فى جنازة الرائد المسرحى الكبير زكى طليمات كان عدد المشيعين لا يزيد عن عشرين شخصاً فى الوقت الذى أستطيع بذاكرتى أن أعد أكثر من مائتين من الفنانين

تتلمذوا على يديه وعلمهم أصول الفن بل وأصول الحياة.

ذهبت مع مأمور المركز وأنا ضابط صغير نسير فى جنازة أحد الأعيان وزيادة فى التكريم لم نكتف بالسير فى الجنازة والعزاء بل رأى المأمور أن نذهب مع الأسرة إلى المدافن حتى يدفن الرجل. وذهبنا وعندما وضع الجثمان في القبر وقف ابنه الأكبر وهو شاب ريفى فى العشرينيات من عمره وقف عند رأس القبر ينعى أباه قال لا فض فوه وهو يخاطب والده الميت (مات مطئمن) (لا مطمئن) يا أبو جلب أبيض ورواك رجالة جزمة أصغر واحد فيهم برقبة الموجودين دول كلهم .. قال ذلك وأشار بيده علينا جميعاً المأمور وأنا بجواره والأعيان. قال المأمور ونحن نغالب ابتسامة رغم أننا فى موقف حزين: المرحوم عرف يخلف ..!

الأهرام ٩٣/٨/٢١

التحرير .. والتدمير ..

لا أعرف من هو العبقرى الذى اختار أول أغسطس موعداً للبدء فى تحرير التجارة الخارجية وإعلان التعريفة الجمركية الجديدة فى تنفيذها من ٢٩ يوليو الماضى. ربما كان هذا الاختيار مرتبطاً بموسم الأوكازيونات. تصور هذا العبقرى الاقتصادى أو الاقتصادى العبقرى أن التعريفة الجمركية الجديدة التى سوف ترفع أسعار بعض السلع يمكن للتخفيضات التى يمنحها الأوكازيون أن تمتص هذه الزيادة، وربما كان الموعد مرتبطاً بالميزانية الجديدة وربما بالمحادثات التى تمت مع صندوق النقد والبنك الدوليين، المهم أن هذا هو ما حدث فإما كان مقصوداً فقد كان هناك قصر نظر واضح وإذا كان مفروضاً فالحظ قد لعب دوراً سلبيا.. المهم أن الأوكازيونات قد بدأت ووصلت نسبة التخفيضات إلى ٥٠، ٦٠٪ وازدحمت شوارع وسط القاهرة بالخلق وأصبح الزحام لا يطاق ولكن للفرجة فقط، فقد تحولت المتاجر بقدرة قادر إلى معارض للمشاهدة وهز الرؤوس ومصمصة الشفاة بعد أن كانت حوانيت للبيع والشراء وسبحان مغير الأحوال، زحام شديد ولا بيع ولا شراء وكما يقول المثل العربى الفصيح (اسمع قعقعة ولا أرى طحناً) فنحن نرى زحاماً ونسمع همهمة ولا نرى بيعاً ولا شراء. الكساد يلف كل شئ. والكساد له أسبابه ومن أطرف ما قرأت أن الحكومة هى التى فرضت الكساد كى تقضى على التضخم، وهذا القول يساوى بالضبط القول العبقرى الذى زعم أن الحكومة تغذى الإرهاب كى تحاربه وتتركه ينتصر عليها مرة وتنتصر عليه مرات لتحميس اللعب وإشعال المنافسة وإدخال السرور على قلوب المتفرجين. المهم أن التعريفة الجمركية الجديدة قد بدأ تنفيذها ولكن المستهلكين الذين زعمت الحكومة وبعض الصحف أنها صدرت لصالحهم كانوا أذكى ممن حاولوا أن يضحكوا عليهم ولم يستجيبوا حتى للتخفيضات المغرية، والمسألة فى الأول والآخر ليست نظريات وليست كلاماً كبيراً وليست مؤتمرات ولا اجتماعات ولكنها حقائق فإذا كان لدى الناس

المال الذى يتيح لهم شراء ما يريدون أقبلوا عليه وهم فى أحيان كثيرة قد يشترون ما ليسوا فى حاجة إليه وفى أحيان أخرى قد لا يهمهم زيادة السعر أو تحريكه بعض الشئ فالحاجة تدفع إلى التضحية، أما إذا عز المال فماذا يفعل المواطن حتى فى مواجهة الضرورات؟ يفعل ما يفعله المواطنون الآن يمرون للمشاهدة ثم يرددون بصوت عال أو منخفض (العين بصيرة والأيد قصيرة).

تحدثنا من قبل عن تحرير التجارة الخارجية وقلنا بوضوح إن الدول الغنية لا تستطيع أن تطبق قواعدها على إطلاقها وإنها وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكي تفرض الحماية على بعض إنتاجها وكذلك تفعل اليابان ودول السوق الأوروبية. وقلنا إنه إذا كانت الدولة الغنية تفعل ذلك فمن باب أولى يجب أن تفعله الدول الفقيرة أو النامية ولكن يبدو أن مثل هذا الكلام يذهب فى الهواء أمام ضغوط البنك الدولى. وفى هذه الكلمات نخرج من حيز النظريات إلى الواقع .. فى السوق المصرية التى بدأت تتأثر إلى حد كبير بمجرد الإعلان عن السياسة التجارية الجديدة قبل أن تصل السلع التى فتح باب استيرادها وقبل أن نرى المؤسسات والشركات الأجنبية التى أبيح لها العمل فى مصر فى ميدان التجارة. الغريب أن هذه السياسة معروفة من زمن طويل وكان معروفاً أيضاً أنها جزء من صفقة البنك الدولى وأنه تجرى حولها المحادثات وعندما تم ذلك كله لم يتحرك أحد، ولا أعرف ماذا حدث للناس فإنهم لا يتحركون إلا بعد وقوع الواقعة وكبار الاقتصاديين والناس أصحاب السوق أصحاب المصانع الذين يملأون الدنيا صراخاً الآن، لم يتحدث واحد منهم ولم يرفع صوته مرة واحدة ضد هذه القرارات وهى فى طور المناقشة أو فى طور الإعداد، ولكن بعد صدورها يبدأ الصراخ عندما تصبح حقيقة واقعة و يكون من العسير أن تتراجع الحكومة عنها فى ذلك الوقت فالمسألة متصلة بهيبة الحكومة بل بهيبة النظام كله، والموضوع لا يجب أن يأخذ هذا المسلك من الجانبين فعلى أصحاب المصلحة أن يكونوا حريصين على معرفة ما يدور من حولهم وعلى الحكومة ألا تنفرد وبمثل هذه السياسات وتعتبرها قرارات إدراية هى المسئولة عنها، ففى بعض الأحيان تعقد اللجان وتطول المناقشات فى أمر تافه لا يقدم ولا يؤخر، أما القرارات المصيرية المتصلة بحياة مجتمع بأسره رؤوس أموال وعمال وعاملين تنقض فجأة وكأنها القدر الذى لا يقدم علامة ولا مقدمة لنزوله.

ونعود إلى السوق المصرية فى مواجهة ما حدث ونبدأ بالصناعة العريقة فى مصر وهى

صناعة النسيج.

المنسوجات:

ينتهى هذا العام العمل بالاتفاقية الدولية التى تنظم تجارة المنسوجات بين دول الجات (١٠٨ دول) بينها مصر. وسوف يعقد مؤتمر تحرير التجارة الخارجية فى أورجواى ليصدر اتفاقاً جديداً يعمل به من أول العام القادم، والاتفاقية القديمة التى تنتهى هذا العام كانت تضمن لمصر حصة محدودة من منتجاتها من الملابس والمنسوجات لتصديرها إلى الأسواق الأوروبية والامريكية، إلا أن الاتفاق الجديد فى (أورجواى) سيحرر تجارة المنسوجات ويلغى نظام الحصص ويفتح باب المنافسة على مصراعيه بين الجميع وسوف تحدد اتفاقية (أورجواى) فترة انتقال مدتها ١٠ سنوات يتم فى نهايتها تحرير كامل لصناعات النسيج.

ولكن هل صناعة المنسوجات فى مصر قادرة على المنافسة الحرة مع إنتاج الدول الأوروبية والامريكية. إن صناعة الغزل والنسيج الصناعة الرائدة فى مصر تلاقى صعوبات ضخمة وفى مقدمتها نقص خامات القطن وارتفاع أسعارها وزيادة تكلفة التشغيل وأخيراً فتح باب الاستيراد والذى سينقل المنافسة بين المنسوجات المصرية والإنتاج العالمى إلى السوق المحلية. وخلال السنوات العشر الأخيرة أغلقت مصانع نسيج كبيرة أبوابها ووصلت نسبة الغلق فى المحلة الكبرى قاعدة صناعة النسيج فى مصر إلى ٥٠٪ من مصانعها، وفى دراسة أعدها المعهد القومى للتخطيط عن صناعة المنسوجات فى مصر خلال العقود الثلاثة الأخيرة اتضح أن مشكلات هذا لقطاع بدأت مع الانفتاح الاقتصادى، وتمثلت مظاهر الأزمة فى عدم قدرة المنتج المصرى على منافسة المنسوجات المستوردة، ويرجع ذلك إلى عدم توافر استثمارات كافية لتنفيذ خطط الإحلال والتجديد وطرح المنتج المحلى وفقاً لأسعار لا تعكس التكلفة الحقيقية أو الاقتصادية وإغراق السوق المحلى بمنسوجات مصرية دون جمارك.

ويقول أصحاب مصانع النسيج بعد فتح الباب أمام الاستيراد أن المنتج المصرى غالى التكلفة بسبب ارتفاع أسعار الخامات ولوازم التشغيل والزيادات الضخمة فى أسعار الكهرباء والتقديرات الجزافية للضرائب، أما المنتج المستورد خاصة من دول شرق أسيا فهو أقل تكلفة وأكثر جودة وأرقى تكنولوجيا كما أن حكومات هذه الدول تتدخل لدعم صادراتها ومنها صناعة النسيج.

السجاد والموكيت:

وقد تلقت صناعة السجاد والموكيت ضربة قاضية فإن الإنتاج المصرى من الموكيت والسجاد يغطى السوق المحلية تماماً ويسمح بفائض للتصدير يصل إلى ٤٠٪ من الإنتاج، وفتح باب استيراد السجاد والموكيت سيؤدى إلى إغراق السوق المصرية بالمستورد وتحويل الإنتاج المصرى إلى راكد فى المخازن.

ولا يمكن للصناعة المحلية منافسة المستورد من حيث الأسعار لأنه مهما انخفضت التكلفة المحلية لن تتمكن من منافسة نظيرتها الأجنبية لأن التكنولوچيا المتقدمة تؤدى إلى خفض تكاليف الإنتاج.

السلع المعمرة:

تؤكد تقارير الشركات الهندسية والغرف التجارية أن قطاع السلع المعمرة يعانى من ركود شديد حيث تشير التقارير إلى أن مخزون الشركات الهندسية وصل إلى ٤٠٠ مليون جنيه لسلع لمبات الفلورسنت والمكانس الكهربائية والبوتاجازات والسخانات. وزيادة عن فتح باب الاستيراد أمام السلع الأجنبية أضيفت ٥٪ ضريبة مبيعات وقد تسبب ركود السوق الواضح إلى تقديم الشركات لهذه السلع بالتقسيط المريح ومن ذلك يتضح أن المنافسة لن تكون فى صالح الإنتاج المصرى.

الصناعات الغذائية:

والمشكلة فى الصناعات الغذائية المستوردة أنها تحظى بدعم كبير من الدول المنتجة لها بحيث لا يستطيع الإنتاج المحلى منافستها فالسوق الأوروبية تقدم دعماً لهذه الصناعات يصل إلى ١٥٠ مليار دولار فى العام.

وعلى سبيل المثال فسعر طن الجبن الأبيض (ڤيتا) فى الخليج ١٧٠٠ دولار وفى مصر ١٢٠٠ دولار بينما يباع فى أوروبا بـ ٢٢٠٠ دولار. وهناك مثل آخر من اللبن الفرنسى حيث يباع لتر اللبن فى مصر بسعر ٢,٥ جنيه فى حين يتم بيعه فى فرنسا نفسها بمبلغ يساوى ٣,٥ جنيه. هذا عدا أجور الشحن والنقل والتخليص والجمارك التى تصل إلى ٣٠٪ ويمكن

أن تصل إلى ٥٠٪.

وسياسات الدول الأوروبية بالنسبة لهذه السلع إغراق أسواق دول العالم الثالث وتقديم الدعم الذى أشرنا إليه لصالح زراعها ومنتجيها. ويتوقعون أن ينخفض الإنتاج المحلى بنسبة ٢٥٪.

الطباعة:

أما ما حدث فى ميدان الطباعة فهو أغرب ما حدث فى هذا الميدان حيث تعرض قطاع الطباعة لزيادة التعريفة الجمركية على الورق من ٥٪ إلى ١٥٪ وهذا يعنى زيادة الأعباء على الطباعة بنسبة ١٠٪ على الأقل بخلاف الرسوم الأخرى التى تدفع للحكومة.

هذه القرارات فى صالح بيروت على حساب المطابع المصرية بالإضافة إلى تأثيرها على أولياء الأمور نتيجة رفع أسعار الكراس والكتاب المدرسى وتأثيرها الثقافى فى نفس الوقت.

الحكومة تطبع ٩٠٪ من المطبوعات والقطاع الخاص ١٠٪ فمعنى ذلك أن الحكومة ستدفع للحكومة.

وتشير بيانات غرفة الطباعة إلى إغلاق ٦٤٠ مطبعة من ١٥٠٠ خلال العام الماضى بسبب ضريبة المبيعات.

ومحاربة الكتاب ورفع سعره يتم فى الوقت الذى تقود السيدة/ حرم رئيس الجمهورية وللعام الثانى معركة هى معركة دفع الأطفال إلى القراءة، وفى الوقت الذى ينادى فيه الجميع المخلصون لهذا البلد أن الكتاب هو الوسيلة الأولى فى محاربة الأفكار المنحرفة ودفع الشباب بعيداً عن الوقوع فى براثن التيارات الضارة بالوطن.

هذه أمثلة قليلة من كثير ولكنها تعبر بوضوح عما يجرى فى السوق المصرى الآن نتيجة لسياسة تحرير التجارة التى هى ركن هام من أركان النظام الاقتصادى الجديد اقتصاد السوق.

وفى مواجهة هذه السياسة الجديدة تبرز مكامن الخطر الذى يزداد ويشتد إذا لم تقف الحكومة بحسم أمام سياسة الإغراق. وكان لابد أن يصدر قانون الإغراق مع التعريفة الجمركية الجديدة ومع رفع رسوم المبيعات، وهذا القانون يعطى الحكومة حق مواجهة الإغراق السلعى عن طريق الأسعار المنخفضة والمدعمة وقد قرأت أن القانون يناقش الآن فى وزارة الاقتصاد أن

وعليها أن تسرع بإصداره.

هناك خطر آخر وهو التهريب. والتهريب كان يقع فى ظل كل النظام القديم وهو سيقع فى ظل كل نظام. ورغم أن منافذ التهريب محدودة ومعروفة إلا أننا لم ننجح حتى الآن فى منع تهريب عدة مليارات من المخدرات كل عام. وهى السموم التى تفتك بشبابنا واقتصادنا كل يوم، كما أنه فى فتح الباب أمام الاستيراد هناك أيضاً خطر تزوير الفواتير وغش البضائع خاصة تلك التى ترد من شرق أسيا وتحمل ماركات عالمية وهى متقنة التزوير والتزييف.

بعد كل هذه الاحتياطات المطلوبة والتى نرجو أن تكون حاسمة إلا أننا مازلنا نتساءل هل يمكن أن تنجو الصناعة الوطنية من التدمير كنتيجة لهذه السياسة الجديدة. إن فتح الاستيراد سوف يستنفذ مواردنا من النقد الأجنبى وسوف يكون لهذه السياسة آثارها السلبية على الجنيه المصرى وسوف تزيد معدلات العجز فى الميزان التجارى المصرى وسوف يلجأ القطاع الخاص إلى الائتمان الخارجى لتمويل وارداته المتزايدة.

هل تساوى السيطرة على السوق المصرية التنازل عن ١٥٪ من ديوننا الخارجية أو ٢٠٪ فى المرحلة القادمة أن الاقتصاد المصرى كان قادراً أن يعوض كل هذه الديون وفى النهاية نحن فى الانتظار.

* * *

الجميلة والوحش والسياسة الامريكية

انتهى منذ أسبوع واحد العرض الامريكى المبهر (الجميلة والوحش) ونستطيع أن نتحدث عنه بمنأى عن أجهزة الاعلان المتربصة لكل كلمة فيها رائحة الدعاية والدعوة، وكان لى حظ حضور حفل الافتتاح بدعوة من الصندوق، ليس صندوق النقد كما قد يتبادر الى الذهن ولكنه صندوق التنمية الثقافية. وكانت أول ملاحظة الاحظها عندما دخلت الصالة المغطاه الذى يقام بها بها العرض هو زيادة عدد الوزراء الذين يحضرون العرض بصورة غير مألوفة، فهذا العدد الكبير لم أسعد بمشاهدته الا فى مجلس الشعب عندما يكون حاضرا رئيس الجمهورية أو فى الاوبرا أو قاعة المؤتمرات اذا كان الحفل رسميا يشرفه الرئيس، أما فى حفل فنى ليس فيه رئيس الجمهورية ولا رئيس الوزراء فالمسألة تستحق فعلا التفكير خاصة أن السادة الوزراء الذين ننعم بوجودهم على قمة السلطة التنفيذية فى بلادنا لا يفرطون فى وقتهم الثمين يقتطعون منه ساعات يقضونها فى السينما أو المسرح، والحمد لله حتى الان لم يضبط أحد من السادة الوزراء فى مكان مشبوه كأحد مسارح الدولة أو فى أى عرض موسيقى أو استعراضى من عروضها، هذا بالطبع لا ينطبق على الوزيرين اللذين يعملان فى هذا الميدان وهما صفوت الشريف وفاروق حسنى وزيرى الاعلام والثقافة لأنهما بحكم عملهما بل بحكم مسئولياتهما الدستورية مسئولان عن التردد على مثل هذه الاماكن ومشاهدتها عملا بالمثل الشعبى الاصيل (طباخ السم بيدوقه). على العموم هى بادرة طيبة وان كان بعض سيئى النية قالوا انهم جاءوا فى هذا العرض الامريكى ونحن على (وش) تعديل وزارى وبرضه العلاقات الطيبة مع الأمريكا فى هذه الأيام غير المفترجة .. نهايته، العرض ممتع وجميل ومبهر وكان الاقبال شديدا وخاصة على المقاعد التى يباع الواحد منها بمائة وخمسين جنيها، وهو مبلغ يساوى نصف مرتب وكيل وزارة ولكن برضه الفلوس موجودة وخصوصا اذا كانت الفرجة

أمريكانى وكانت الأرض مغطاة بالجليد الذى كنت أخشى أن يتسبب حر القاهرة الشديد فى أن يسيح ولكن يبدو أن أزمة السياحة قد أبعدته عن هذا المصير القاتل. جزعت عندما قرأت أن تكاليف هذا العرض تصل الى ستة ملايين من الجنيهات ولكن يبدو أن اثنين من المصريين لديهما المعرفة الحقيقية والحس الاصيل بقدرة الشعب المصرى المالية وهما عبد الشكور شعلان وسمير غريب الاول هو مدير صندوق النقد الدولى والثانى هو مدير صندوق التنمية ولا شك أن «الجميلة والوحش» سوف يحققان ربحا طيبا للصندوق وبقى أن نعرف فيما سوف ينفقه الأخ سمير فالثقافة شراقى ولا نود أن نقول مع الشاعر

كالعيس فى البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

قصة الجميلة والوحش التى شاهدتها يلخصا أصحابها فى الكلمات التالية.

(يحكى أنه فى سالف العصر والاوان فى بلدة بعيدة كان يعيش أمير وسيم ولكنه كان أنانيا وشريرا. وفى ليلة شتاء باردة مرت سيدة متسولة بالقصر وطلبت المأوى فى مقابل وردة حمراء رائعة الجمال. ولكن الأمير المدلل اشمأز من مظهرها ورفض طلبها آمرا: (اذهبى بعيدا عن هنا أيتها السيدة العجوز) وحذرته السيدة قائلة (ياسيدى لا تنخدع بالمظهر الخارجى فإن الجمال جمال النفس (ولما أمرها الامير مرة أخرى بالابتعاد كشفت السيدة العجوز عن نفسها واذا بها تنقلب الى ساحرة جميلة وكعقاب على تصرفه الارعن حولته الساحرة الى وحش بشع وانزلت لعنة شديدة على القصر ومن فيه، ولكنها قبل أن ترحل أعطت الوحش هديتين .. الاولى مرآة سحرية يرى من خلالها العالم خارج القصر والثانية وردة حمراء مسحورة تظل مزدهرة حتى ميلاده الحادى والعشرين فاذا تعلم الوحش كيف يجب انسانة ويكتسب حبها له قبل سقوط أخر ورقة من الوردة يزول مفعول السحر وإلا فإنه مقضى علية إن ظل وحشا الى الابد وتستمر الاحداث ... ولكن نقف أمام هذا الجزء من الحدوته ولا أدرى لماذا تصورت الامير الجميل الذى كان وسيما وأنانيا وشريرا الولايات المتحدة الأمريكية ورأيت السيدة المتسولة التى أتته فى ليلة شتاء تبحث عن مأوى أوروبا ولكن الامير اشمأز منها فحولته الى وحش بشع وأعطته الساحرة هديتين الوردة ومرآة يرى بها العالم وهى المخابرات الامريكية التى تعمل فى جميع انحاء العالم (C.I.A)

وكما أشارت الساحرة حاول الوحش أن يحب الشرق الانسانة الجميلة ويكسب حبها قبل

آخر ورقة من الوردة ولكنه لم يستطع فظل مفعول السحر وأصبح مقضى عليه أن يظل وحشا الى الأبد.

الأهرام ٨/٢٨ / ٩٣

ملاحظات حول حادث الشيخ ريحان

ربما أصبحت قاعدة لا خروج عنها أن تأتيك الأخبار السيئة أو غير السعيدة فور وقوعها أما الأخبار السعيدة فتفقد فى الطريق وكأنها تتدلل حتى يذهب طول الانتظار بحلاوتها وحتى يذهب طول الزمان بروعتها. هكذا يحدث دائماً وكأن الإنسان على موعد ثابت مع كل ما يثير الحزن أو الأشجان أو التفكير أو يدفع للخوف والانزعاج والقلق. وهذا ما وقع لى منذ أيام قليلة. يوم الأربعاء ١٩ أغسطس الماضى ومنذ أسبوعين تقريباً كنت فى إحدى المصحات فى قرية صغيرة تقع فى جنوب المانيا وعلى بحيرة تحيط بها سويسرا إلى أقصى الشرق والمانيا إلى أقصى الجنوب والنمسا إلى أقصى الشمال. كنت قد غادرت عيادة الطبيب بعد أن تناولت العلاج اليومى على ساقى التى تتماثل للشفاء من سقطة غبية وقعت منذ عام، وعلى قلبى الذى أثقلته الحياة بما يحمل وما لا يحمل فأصبح يطلب العلاج كل عام. كنت أدخل حجرتى لأسمع رنين التليفون، وهو صوت نادر فى هذا المكان البعيد عن مصادر الإزعاج جميعها، ورفعت السماعة لأتلقى خبراً من زميل مصرى يرقد فى الغرفة التى تعلو غرفتى فى المصحة (المحاسب يوسف نبيه) كان على الخط مع صديق له بالقاهرة كان يتصل بالجامعة الامريكية لإلحاق ولد له، ومن محدثه بالجامعة الامريكية جاء خبر الانفجار الذى هز أركان الحى وطلقات الرصاص التى تابعته وخبر سقوط قتلى وجرحى وعلى رأسهم وزير الداخلية اللواء حسن الألفى. واتصلت بمكتبى القريب من مكان الحادث أسأل عن مزيد من التفاصيل ولم يكن لديهم أكثر مما أعْرف وأسرعت إلى التليفزيون وإلى محطة الـ C.N.N وبعد دقائق كان الخبر الذى أذاعته وظلت تذيعه كل دقائق يحمل نفس المعلومات بعد أن أضافت إلى ما أعرفه أن تبادلاً لإطلاق الرصاص قد جرى عقب الانفجار فى شارع الشيخ ريحان بين حرس الوزير والإرهابيين. وبعد عدة نشرات صحح الخبر ليؤكد كما سمعت فى البداية أن ما سمع من

إطلاق للنار وتصور البعض أنه تبادل جرى من جانب واحد فقط وهو حرس الوزير الذى فاجأه الانفجار ولم يعرف مصدره فأطلق الرصاص للوقاية والحماية رغم الجهل بمصدر الانفجار أو مركزه.

وتتابعت نشرات الأخبار على شاشات التليفزيون أفهم بعضها ولا أفهم البعض الآخر ولكن الصور واحدة والتصور واحد. وبدأت أتلقى مكالمات من مصريين فى أوروبا علم واحد منهم بوجودى. كانوا مجموعة يقيمون فى مجمع سكنى فى وسط سويسرا سمعوا لبعض الإذاعات التى أكدت أن تبادلاً لإطلاق الرصاص قد وقع فى الشارع وأن وزير الداخلية قد لقى حتفه، وقضيت وقتاً أقسم أن تلك مبالغات مقصوده وأنه لا تبادل لإطلاق الرصاص. كانت الصورة قاتمة وكان نقل الصورة يحمل من المبالغات ما يكاد يصور الأمر وكأن حرباً أهلية بين قوات مسلحة من الجانبين قد وقعت فى وسط القاهرة بين الأمن والخارجين على القانون العابثين بالأمن. وبعد يوم أو يومين انقشعت السحب عن الحقائق المجردة وتبددت مخاوف كثيرة، ولكن شيئاً كبيراً وخطيراً ظل يعيش فى العقل ويدور فى الخاطر ويملأ القلب جزعاً وخشية فإن الذى حدث، وإن كانت عناية الله قد أحاطت بالوزير وإذا كانت رعايته قد أحاطت بمن كان فى مكان هذا الحادث، إلا أن ما وقع وبكل المقاييس شئ مروع يجب أن نقف أمامه محاولين معرفة أبعاده الحقيقية دون تهويل ولا تهوين حتى نعرف إلى أين نسير وحتى نرى مواقع أقدامنا وحتى نحميها من أن تغوص فى أرض رخوة أو تقع فى كمين منصوب.

وأبدأ بوضع هذه الحقيقة فى مكانها من هذا الكلام، إن محاولة اغتيال وزير داخلية مصر فى يوم الأربعاء ١٨ أغسطس هى أخطر محاولة قام بها الإرهاب منذ عام ١٩٨١ عندما نجح فى اغتيال رئيس الجمهورية وعندما قتل أكثر من مائة جندى وضابط فى مذبحة أسيوط. هناك أحداث أخرى زاد فيها عدد الضحايا من القتلى والجرحى عن حادث الشيخ ريحان، وهناك أحداث أخرى نجح القتلة فى القضاء على الضحية المقصود بالاعتداء كما وقع فى حادث المرحوم رفعت المحجوب أو فرج فوده أو غيره من كبار ضباط الشرطة ورغم كل ذلك ورغم الفشل فى النيل من وزير الداخلية إلا أن الحادث يظل أخطر حوادث الإرهاب منذ أكتوبر عام ١٩٨١ وذلك لأسباب عدة. أولها المكان والزمان. ففى أغلب حوادث الاعتداء على شخصيات تم الاعتداء أمام منزل الضحية أو قريباً منه، ففى حادث محاولة اغتيال وزير الداخلية حسن أبو باشا تم الحادث أثناء دخوله منزله، وفى حادث محاولة اغتيال وزير

الداخلية النبوى اسماعيل تم ذلك وهو فى شرفة منزله، وفى حادث محاولة اغتيال وزير الإعلام صفوت الشريف تم ذلك بمجرد خروجه من منزله، وفى حادث اغتيال الدكتور فرج فوده تم ذلك أيضاً عند خروجه من منزله ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا محاولة اغتيال وزير الداخلية زكى بدر ومحاولة اغتيال وزير الداخلية عبد الحليم موسى وهو الحادث الذى راح ضحيته الدكتور رفعت المحجوب، إذ تم الأول فى طريق عودة الوزير إلى منزله بشارع صلاح سالم وتم الثانى بشارع الكورنيش وهو طريق ذهاب الوزير إلى مكتبه. وفى الحادث الأخير ومما نشر فى الصحف ويعرفه الكثيرون فإن اللواء حسن الألفى يسكن حى مصر الجديدة وفى مكان هادئ شرق الحى ويقطع طريقاً طويلاً أثناء ذهابه إلى عمله أو عودته منه، وإذا كان البحث عن مكان أكثر هدوءاً وأقل أمناً وأصلح لارتكاب مثل هذه الجرائم فلابد أن هناك عشرات المواقع فى طريق الوزير أصلح وأأمن وأهدأ وأكثر صلاحية للاغتيال من شارع الشيخ ريحان، وبالذات من المكان الذى تمت فيه العملية فى شارع الشيخ ريحان وأمام الجامعة الامريكية وعلى بعد أمتار من وزارة الداخلية وعلى بعد أمتار من مجمع التحرير الذى يضم ٨٠ ألف موظف وفى مواجهة وزارة الشئون الاجتماعية وعلى بعد بضعة مبان من مجلس الشعب والشورى ومجلس الوزراء وعشرات الوزارات، ومعنى ذلك أن الحراسات الموكل إليها تأمين هذه المرافق العامة تبلغ جيشاً جراراً مسلحاً بأحدث الأسلحة غير ما يقف أمام وداخل وزارة الداخلية من عربات مصفحة. إذن فاختيار المكان قصد عن عمد ونية تعنى التحدى الذى أراده مدبرو الحادث ومرتكبوه فلا يمكن لمكان أن يحمل هذا الكم الهائل من الإعلام مثل هذا المكان.

إذن فالدعاية والإعلام مقصودان ربما قبل القتل فى حد ذاته، فإذا كان التخلص من الوزير هو الهدف الوحيد لما كان المكان هو المكان، ولكن القتل المتصل بالإعلام وبمعنى التحدى هو الهدف الواضح والمقصود. والمكان هو الذى حدد الزمان فيمكن القول أن الوزير يسلك الطريق نفسه فى أوقات أخرى ربما فى المساء ولكن ارتكاب الجريمة فى المساء سيفقدها أيضاً كماً كبيراً من الدعاية وإحداث الذعر المقصودين والطريق آهل بالمارة والمنطقة آهله بكل ما بها لذلك كان اختيار الوقت مضافاً إلى اختيار المكان محققاً للغاية التى قصدت لذاتها.

ومن أهم الملاحظات التى أسفر عنها حادث الشيخ ريحان أيضاً بالإضافة إلى اختيار المكان واختيار السلاح فقد كان إطلاق الرصاص هو الوسيلة المكررة فى أغلب الحوادث التى استهدفت شخصيات عامة، ففى جميع المحاولات التى تمت ضد وزراء الداخلية حسن أبو باشا

والنبوى اسماعيل وعبد الحليم موسى وصفوت الشريف وفرج فوده بل ومحاولة اغتيال مكرم محمد أحمد واغتيال جميع ضباط الشرطة تمت جميعها بالسلاح وتمت أغلبها بطريقة واحدة وهى الضرب فى المواجهة وتحييد الحرس أولاً ثم التصويب على الهدف، وهذه الطريقة والتى استخدمت بحرفة واضحة فى حادثى رفعت المحجوب وصفوت الشريف واستخدام الموتوسيكل والفرار فى عكس اتجاه الطريق .. هذه كلها تفاصيل تدرب عليها الإرهابيون فى باكستان بواسطة المخابرات الامريكية وكان الهدف من تدريبهم عليها استخدامها فى التخلص من القيادات السوفيتية داخل كابول، وقد استخدم بعضها ولكن ليس على نطاق واسع لأن أفغانستان سقطت قبل التوسع فى استخدام هذه الأساليب. إذن فهناك مجموعة من الإرهابيين دربت على أيدى الامريكان هم الذين ارتكبوا الحوادث التى أشرت إليها وكانوا غاية فى المهارة ثم غاية فى الذكاء فى مغادرة مسرح الجريمة دون سقوط أى منهم فى أيدى الشرطة. أما المفرقعات فقد استخدمت بطريقة الإلقاء والجرى أو بشئ كثير من البدائية مع الجبن الشديد كحادث قنبلة العتبة أو مقهى وادى النيل أو تحت أتوبيس السياحة أمام المتحف أو فى القللى.. كلها حوادث تدل على أن الهدف لم يكن شخصاً ولكنه كان إحداث ذعر والضحايا يتم اختيارهم عشوائياً فى مواقع آهلة بالمواطنين ولكن المقصود ليس مواطناً بذاته وشخصه وبمقارنة كمية المتفجرات فى جميع هذه الحوادث نرى أنه لا يمكن مقارنتها بالمتفجرات التى استخدمت فى حادث الشيخ ريحان فقد كشف التقرير الفنى لخبراء الأدلة الجنائية بوزارة الداخلية أن القنبلة التى استخدمت فى حادث محاولة اغتيال وزير الداخلية اللواء حسن الألفى تحوى ٢٢ كيلو جراماً من المواد شديدة الانفجار و ٦ كيلو جرامات من الديناميت المخلوط بكرات الرلمان بلى وأن التفجير حدث نتيجة اتصال العبوة بمفجرات كهربائية واستخدم فى تشغيلها الجهد الكهربى لبطارية الدراجة البخارية. وواضح إذن من كمية المتفجرات التى تحويها قنبلة شارع الشيخ ريحان الفارق الكبير بينها وبين القنابل التى استخدمت فى حوادث سابقة وقطعاً كبر الكمية وطريقة صياغتها ورلمان البلى المطعمة به، وكله مقصود لإحداث أكبر الأضرار والتأكد من إتمام المهمة على الوجه المطلوب مهما كان عدد الضحايا، بل إن حجم الضحايا كان أيضاً مقصوداً لذاته لإضفاء صفات الضخامة على الحادث وتحقيق الهدف الإعلامى الكبير منه.

الملاحظة الثالثة والهامة جداً هى التضحية بعنصرين من عناصر الإرهاب المدربة والماهرة

متعددة السوابق لاشتراكها فى حوادث سابقة .. التضحية بها بشكل انتحارى الهدف منه هو عدم ترك ثغرة يدخل منها عدم التوافق فى الزمن كما حدث فى محاولة اغتيال وزير الداخلية زكى بدر، أى ببساطة مادام هناك نية انتحارية فلا مجال على الإطلاق لافتراض الخطأ فى التوقيت وفى التصويب وهو ما حدث فعلاً، أما نجاة الضحية فالعوامل خارجة عن إرادة الجميع ولأسباب لا ترجع لحذق أو لذكاء أو لأى محاولة لدفع خطر حال، ولكنها قضاء وقدر وحماية من الله سبحانه وتعالى ولا فضل لأحد ولا لأى إنسان ولا لخطأ وقع فهى مسألة لا تتصل بالإرادة الانسانية ولكنها تتصل مباشرة بإرادة الله. أما القول بأن الإرهابيين نزيه نصحى وضياء حافظ قد خدعا وأن مدبرى الحادث لم يطلعوهما على شدة الانفجار وعلى مداه فذهبا ضحية جهلهما بالآثار المترتبة على الانفجار فتاريخ هذين الإرهابيين وجهادهما فى سبيل الإرهاب يجعلهما أكبر من أن يخدعا، بل لا شك أنهما ممن يخدعون غيرهم ولا يخدعهم غيرهم، ولا شك أن مسألة الانتحار هذه تطور جديد وخطر فى اتجاه الإرهابيين وفى الإعداد للحوادث التى يريدونها.

من هذه الأسباب نستطيع القول بأن حادث محاولة اغتيال وزير الداخلية يحمل فى طياته مؤشرات هامة وخطيرة فى نفس الوقت تجعل منه أهم الحوادث التى ارتكبها الإرهابيون منذ عام ١٩٨١.

ولا أريد أن أتوقف عند التهوين الذى تقصد إليه بعض الصحف وبعض الأقلام من الاستنتاجات المتفائلة التى تقول إن هذا الحادث يكشف عن أن الإرهاب يترنح أو أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة أو أن هذا الحادث يدل على اليأس، فهذه الأقوال المتفائلة كلها لا تقوم على أساس من أدلة وقرائن واقعية ولا تزيد على أن تكون أمنيات لا تصمد فى وجه الحقيقة الناطقة بالعكس تماماً.

ولا أريد أن أبدو أيضاً مهولاً، ولكن أقول من المقطوع به أنه تم إخراج أعداد كبيرة من قيادات العمل الإرهابى إما بالقبض أو الموت أو الاعتقال وإبعادهم عن ساحة العمل الإرهابى.. هذه حقيقة لا ينكرها أحد ولكن الحقيقة الأخرى تقول إنه مازالت هناك قيادات إرهابية هاربة من أحكام أو هاربة من جرائم أو مجهولة لأجهزة الأمن أو مازالت غائبة عن الوطن ويمكن لها أن تعود وتدخل البلاد من مداخل كثيرة آمنة مطمئنة. إذن فهناك عناصر قادرة على القيام بأمثال هذه الجرائم مادامت قد طورت من أساليبها فالاحتمالات قائمة والمسألة لا تحتاج إلى

جيش جرار بل إلى بضعة أفراد مدربين وقادرين على العمل والتضحية فى الوقت المناسب، وأنا هنا لا أضخم فى حجمهم لأن المسألة ليست بالضخامة وليست بالعدد ولكنها بالذكاء والتدريب والقدرة على الخداع. وفى المقابل مازلنا فى حاجة إلى إحساس أشد بالأمن ومعناه وطرقه وزواياه، ولا معنى لأن نقرأ أن اللواء حسن الألفى ألغى إغلاق شارع الشيخ ريحان فى طريق موكبه حيث كان الإغلاق متبعاً منذ زمن بعيد وأنه رفض أن يستقل السيارة المصفحة وغير ذلك من أمور لا أعتقد أنها فى صالح وزير الداخلية الرجل المسئول لا عن أمن شخصه فقط ولكن تمتد مسئوليته إلى جماهير هذا الشعب بدءاً بالمسئولين و انتهاءً بأصغر المواطنين سناً وشأناً. وليس من الشجاعة فى شئ إهدار نظم الحراسة بدعوى أنها قد تضايق بعض الناس والاتكال والقدرية يمكن أن يكونا سلوكاً مقبولاً وهو غير مقبول بالقطع فى أى أمر من الأمور ولكن عندما تصل المسألة إلى الحياة تكون بالقطع مرفوضة ومرذولة والله سبحانه وتعالى هو القائل «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» ونحن نعرف أننا نحارب عدواً فقد القدرة على التمييز وفقد القدرة على الإحساس بالجرم، وفقد القدرة على معرفة الحق من الباطل، وفقد القدرة على معرفة ما يريده الله وما ينهى عنه فى كل كتبه وما نهى عنه كل رسله وما ينهى عنه الشرع والقانون.

* * *

الغردقة بين البيروقراطية والعشوائية

قال مدير الفندق مرحباً

- حمد الله ع السلامة .. جيتو وجه الخير معاكم ..

وتصورت أن كلمات الرجل لا تزيد عن كلمات مجاملة فقد تعود أن يرانى وأسرتى كثيراً فى العامين الآخرين. ولكن بعد خطوات فى الفندق الكبير وبعد جولة سريعة فى المدينة اتضح لى أن الرجل لكم يكن مجاملاً وأن السائحين الأجانب قد فاجأوا المدينة وأن الفنادق والقرى السياحية قد عادت تمتلئ من جديد ..

كان ذلك فى مدينة الغردقة عاصمة البحر الأحمر فى الأسبوع الأول من الشهر الماضى (أغسطس).. أحسست بأن شيئاً ما قد جد على الموقف وأنا مازلت فى مطار القاهرة فصالة الركاب فى الخطوط الداخلية وهم المتجهون إلى الصعيد وإلى البحر الأحمر كانت تفيض بالجالسين وجميعهم من الأجانب ولكنى لم أتصور أن تعود السياحة وبكامل طاقتها كما شاهدت بعينى رأسى فى الغردقة وبعد ساعة واحدة من الملاحظة العابرة فى مطار القاهرة.

كانت مفاجأة للجميع وكان منظر السياح فى سوق المدينة كما عبر سائق التاكسى (شئ يفرح) وتحول كل مواطن فى الغردقة بل كل وافد إلى خبير سياحى يحلل - بمنطقه الخاص - الظاهرة الجديدة .. ضرب السياحة فى تركيا .. غارات اسرائيل على لبنان .. الحوادث داخل اسرائيل نفسها .. أقتناع الأجهزة المسئولة عن السياحة فى الغرب أن مصر مازالت أقل دول العالم حوادث وأكثرها أمناً خاصة بالنسبة للسياح. وفيما الجميع سعداء ومشغولون بالتحليل والتدليل إذا بظاهرة تواجه السياح والزائرين تكاد تقضى على كل شئ ،لقد انقطعت المياه عن المنازل والفنادق والقرى السياحية وقضينا ساعات نبحث عن قطرة ماء ثم استقرت الأمور إلى

انقطاعها ساعات وعودتها ساعات أخرى وأقسم المسئولون عن الفندق أنهم يدفعون عدة آلاف جنيه كل يوم كى يجلبوا الماء فى فناطيس من قنا. وقيل كلام كثير عن سبب انقطاع المياه أطرفه ما قاله لى سائق السيارة أن قنا تؤدب الغردقة لأنهم لم يسددوا ما عليهم فقد أغلقوا ماسورة وتركوا واحدة .. إلى تفسيرات كثيرة كلها تغيظ وكلها ليست إلا دليلاً على العجز الشديد عن مواجهة الكارثة وهنا بيت الداء.

الغردقة نموذج حى على العشوائية خاصة فى المناطق السياحية، فقد قسمت الأرض وبيعت أو منحت وأقيمت المشروعات بالفنادق والقرى السياحية قبل أن تقام البنية الأساسية التى تحتاجها مثل هذه المدينة. لا ينكر أحد فضل وجهد المحافظ يوسف عفيفى صاحب المبادرة فى خلق منطقة سياحية عالمية فى الغردقة ويبدو أنه قد يئس من الوزارات وأراد أن يضع الجميع أمام الأمر الواقع فبنيت الغردقة على غير أساس من الخدمات الرئيسية، الرصف فقط هو الذى أخذ حقه ثم الكهرباء إلى حد ما وإن كانت عاجزة فى المناطق الجديدة داخل الغردقة نفسها، أما المياه فما زالت مشكلة تدخل لحلها رئيس الجمهورية بنفسه، وهناك وعود أن تنتهى هذا العام وقبل العام المقبل والله أعلم. الغردقة ومشاكلها تمثال حى على سوء العلاقة بين المحافظة والوزارات، فإهمال الغردقة لم يكن مصادفة أو شيئاً غير معروف فقد بذل اهتمام زائد بجنوب سيناء وبالساحل الشمالى وذلك على حساب الغردقة، وإذا كان ذلك إغاظة فى المحافظ السابق فما ذنب الذين يدفعون الثمن وما زالوا يدفعونه حتى الآن؟ فى الغردقة اليوم محافظ جديد هو اللواء يسرى الشامى وعلاقته حسنه بالوزراء لذلك فقد عاد الاهتمام بالغردقة ولكن المشاكل التى يواجهها المحافظ اليوم تبدأ من المياه وتنتهى بالتليفونات وهو يتحمل مسئولية تقصير ممثلى الوزارات والهيئات القومية التابعين لرئاستهم فى القاهرة الذين لا تهمهم الغردقة ولا تهمهم السياحة فى كثير أو قليل مادام المحافظ لا يملك لهم نفعاً ولا ضراً. هناك مناطق داخل الغردقة، المدينة السياحية العالمية، مازال سكانها يشربون من الفناطيس وعربات الماء .. صحيح أن السقايين لم يظهروا فى الغردقة بعد أن غادروا القاهرة فى أوائل القرن العشرين ولكن يمكن أن يظهروا إذا تكاسلت وزارة الإسكان والمرافق فى تنفيذ خط المياه الموعودة به الغردقة. لقد حلت بعض المشاكل، حلت مع الزمن ولكن ما زالت هناك مشاكل كثيرة تهدد مدينة مصرية تتمتع بطاقة جذب سياحى هائلة.. مشاكل الصيادين .. مشاكل الصحة وهى كارثة أخرى ومع احترامى الشديد للسيد وزير الصحة وما سمعت عن

إعجاب سيادته بمستشفى الغردقة العام أود أن أقول لسيادته على مسمع من الناس إن مستشفى الغردقة هى أقذر مستشفى فى العالم، وهذه ليست معلومات نقلها لى أحد فقد شاء حظى العاثر أن أرقد فيها ليلة منذ عام ورأيت بعينى راسى وفى حجرة العمليات وحجرة العناية المركزة الصراصير تجوب المكانين وتحاول أن تجد لها طريقاً بين أعقاب السجائر التى تغطى أرضية الحجرتين. رغم أن هناك مدير ووكيل وزارة وعشرات المسئولين وطبيب عظام شاب واحد يرأسه عشرات الرؤساء الذين لا يفعلون شيئاً ويقوم هذا الشاب وحده بكل شئ. الغردقة تحتاج إلى صراع عنيف مع الوزارات المختلفة وهناك محافظ جاد يريد أن يعمل كل شئ ولكنه وحده لا يستطيع أن يعمل الكثير لأن الكثير فى يد أصحاب الحل والعقد .. وللأسف مازالوا جميعهم يعيشون فى القاهرة.

الأهرام ٩٣/٩/٤

إيران تسلح الصرب لقتل المسلمين .. وتصرخ دفاعاً عنهم

في سبتمبر عام ١٩٩٢ قبض في ميناء زغرب على شحنة من الأسلحة الإيرانية في طريقها إلى الصرب، ولا شك أن المخابرات الامريكية هي التي اكتشفت ما تحمله السفينة من أسلحة إيرانية، وقد وصلت طائرة تابعة لشركة الطيران الإيرانية تحمل معونات إنسانية لمدينة سراييفو وكشف النقاب على ما تحمله حقيقة هذه الطائرة الإيرانية. كانت تحمل وحدات إطلاق قذائف مضادة للدبابات وأربعة آلاف قطعة من رشاشات الهجوم المعمرة بالذخيرة ومليون طلقة وقد نشرت ذلك صحيفة نيويورك تايمز الامريكية وأعلن المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الامريكية استنكاره لهذه المحاولات الملتوية للتحايل على القرار الدولي الذي يحظر تزويد الصرب بالسلاح. دهش العالم أمام هذا السلوك الإيراني الذي كان يبدو غريباً فإيران أول جمهورية إسلامية تعلن صبح مساء أنها تقف مع المسلمين في البوسنة ولكنها في الحقيقة لا تتورع على أن تمد الصربيين بالسلاح الذي يقتلون به المسلمين.

ربما يدهش العالم من هذا السلوك ولكن الايرانيين لا ينظرون إلى المسألة من هذا المنظور ويؤكدون أن ما يراه الآخرون من تناقض واضح بين سياستهم الرسمية وسلوكهم في الواقع ليس في الحقيقة إلا تناقض ظاهري، حيث أنهم يهدفون إلى إصابة هدفين في وقت واحد وكلاهما مرتبط تمام الارتباط بالهدف الآخر: بناء الامبراطورية الفارسية وبناء الامبراطورية الاسلامية، وبناء الأولى يحتاج إلى المال حتى ولو كان عن طريق ملتو مليئ بالقاذورات، وبناء الثانية يحتاج إلى الإدعاء المستمر بالوقوف في صف المسلمين والدفاع عنهم ضد أعدائهم في كل مكان.

وتقوم فلسفة النظام الإيراني على التفرقة تماماً بين المصلحة الوطنية في نظرهم ومسألة

الأيديولوچية، وعندما تتصادم المصالح المادية مع الادعاءات الإسلامية فإن إيران لا تغرق فى الحيرة أو التساؤل ولكنها تتجه مباشرة إلى مصالحها المادية ضاربة عرض الحائط بالتزاماتها الإسلامية .. فخلال الحرب العراقية الإيرانية عرفت إيران طريق اسرائيل وتعاقدت معها على توريد السلاح لتحارب به جارتها العراق، وفى نفس الوقت كانت تدعى أنها تقف فى مواجهة اسرائيل وكانت توعز لحزب الله فى لبنان أن يقوم بأعمال فدائية ضد اسرائيل فى الوقت الذى يعرف الإسرائيليون إلى أى حد تقوم علاقاتهم بإيران. وبعد أن انتهت الحرب العراقية الإيرانية لم يتورع الإيرانيون عن عقد صفقات تجارية مع العراق نفسه وتقوم منذ قرار الأمم المتحدة لفرض الحصار على العراق بسبب حرب الخليج - تقوم إيران بتزويد العراق بما يحتاجه من مواد غذائية وغير ذلك من مواد مقابل حصولها على البترول العراقى الذى تحصل عليه مخفضاً بنسبة ٥٠٪ ثم تعيد بيعه فى الأسواق الخارجية بسعر أقل من الأسعار العالمية.

كل هذا مباح فى نظر إيران مادام يدر عليهم الأموال التى تستخدم فى زعزعة الاستقرار فى بعض البلدان التى يضعها الإيرانيون داخل دائرة الامبراطورية الإسلامية التى يسعون إلى إنشائها.

إن الفصل الجديد فى مأساة إيران هو ما تقوم به من دعم الجرائم التى تثير عالم اليوم وعمليات القتل وانتهاك الأعراض التى يوقعها الصربيون بالمسلمين. إن الفصل الجديد فى المأساة كشفت عنه صحيفة (لوفيجارو) الفرنسية فى عددها الصادر فى ٦ أغسطس الماضى تقول الفيجارو:

«من مقر تواجده فى باريس استطاع مواطن لبنانى أن يكون ثروة هائلة بفضل تعاونه مع إيران وذلك عندما قام هذا الشخص المعروف بباعه الطويل فى أعمال الوساطة بطرح عرض مغر على الصرب بعد تضييق الخناق عليهم بموجب تطبيق الحظر الدولى عليهم، أما هذا العرض فكان يقضى بإمدادهم بآلاف مؤلفة من براميل البترول الإيرانى المهرب وحتى تتسلم صربيا هذه الصفقة كان يلزم تمريرها عبر أراضى بلد مجاور هو اليونان ومن ثم كان لزاماً أيضاً على حكومة هذا البلد أن تغمض عينيها عن عملية الانتهاك المتحدية لقرار الحظر الدولى ولكن بصرف النظر عن جسامة المخاطرة فقد كانت أرباحها مجزية ومشجعة بطبيعة الحال ولجميع الأطراف.

ولو أمعنا النظر فى الأسلوب الذى يدير به قادة إيران الشئون الاقتصادية فى بلدهم ستبين أنهم عاجزون عن مواءمتها والقوانين التى تحكمها فى العصر الحديث مما يجعلهم يصطدمون بصعاب خطيرة فى هذا المضمار، وبالرغم من حجم العائدات عليهم سنويا وقدرها نحو خمسة وأربعين مليار دولار إلا أن المقرضين الأجانب ينتابهم الذعر كلما فكروا فى حجم المديونية الخارجية الإيرانية التى تصل إلى خمسة وعشرين مليار دولار، ونقلاً عن مصادر موثوق بها فى أحد أجهزة المخابرات الغربية فإن قيمة العقد البترولى الذى طرحوه على صربيا يعد مغرياً للغاية بما أنه سيضمن لبلجراد تموينا طويل الأجل من البترول بكميات محددة لعدة سنوات قادمة وبسعر ثابت أقل من معدل السعر الذى تقرره منظمة الأوبك وذلك حتى موعد انتهاء هذا العقد، وفى المقابل طلب الإيرانيون أن يحصلوا فوراً ونقداً على مبلغ ثمانمائة مليون دولار».

ولا شك أن هذا المشروع يعد خيانة صريحة للسياسة الرسمية التى تتبناها طهران تلك التى تزعم أن الإيرانيين يساندون - باسم التضامن مع جماعة تشترك معهم فى اعتناق نفس الديانة الإسلامية - المعركة التى يشنها مسلمو البوسنة ضد الصرب لدرجة أن طهران تطوعت بتشكيل الجزء الأكبر من القوة الإضافية التى قامت سبع دول من أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامى بعرض تكوينها فى يوم ١٣ يوليو الماضى على منظمة الأمم المتحدة بهدف تعزيز قوات الطوارئ الدولية الموجودة بالفعل هناك، وقيل إن إيران قد أبدت استعداداً لإيفاد عشرة آلاف رجل من رجالها ضمن قوة التعزيز المقترحة والتى قيل أيضاً إنها ستكون فى حدود ثمانية عشر ألف رجل.

قال الإمام الخمينى فى بيان له بمناسبة حرب أكتوبر ١٩٧٣ وكان بعيداً عن إيران مازال يعيش فى المنفى فى فرنسا:

«المسلمون يروون بدمائهم أرض الإسلام من أجل أن تبقى عظمته ومن أجل أن تعود لفلسطين أرض النبوات حريتها وشاه إيران مشغول عن ذلك بهمومه الرخيصة بإقامة الاحتفالات الباذخة ومظاهرات الفرح الخادع تدعيماً لنظامه المهترئ.

الأمة الإسلامية والعربية مشدودة بكل حواسها إلى الأرض السليبة موجهة كل مقدراتها للدفاع عن الإسلام وقيمه وتعاليمه وللدفاع عن المسلمين وحقهم فى الحياة الحرة الكريمة.

إن الحكومة الإيرانية والشاه الذى أصبح لا اعتبار له ولا وزن نظراً لتبعيتهما للولايات المتحدة وخضوعهما لما تخططه يتظاهران بالصمت والحياد، لكنهما فى الواقع يقفان إلى جانب اسرائيل ويقدمان لها شتى أشكال الدعم والمساندة ابتداء من إطلاق يد العصابة الصهيونية فى جميع أرجاء البلاد مما أوقع الاقتصاد الإيرانى فى خطر خراب بنيته وانهيار قاعدته، ومروراً بإرسال الضباط الإيرانيين للتدريب فى اسرائيل، وانتهاء باستمرار تدفق النفط الإيرانى إلى أعداء الإسلام والإنسانية ليستخدموه فى حربهم القذرة ضد المسلمين والعرب».

وبعد سقوط شاه إيران ونجاح الثورة وإنشاء أول جمهورية إسلامية وتولى الخمينى الحكم المطلق فى إيران واصل الهجوم على اسرائيل بشكل واضح وحاسم فى نفس الوقت قال الخمينى:

«إن معظم مصائبنا من أمريكا ومن إسرائيل التى هى جزء لا يتجزأ منها.

- إننا ضد اغتصاب الأراضى وضد الصهاينة ولا تهاون مع أعداء الإسلام.
- إن الشعب الفلسطينى المسلم يجب أن يعود إلى أرضه ويجب أن تزول اسرائيل.
- لن نشرب النفط بالتأكيد وسنبيعه بالأسعار العادلة لمن لا يجاهر بالعداء للإسلام ولن نبيعه لإسرائيل ولا لجنوب أفريقيا».

وقال فى ذكرى قيام دولة اسرائيل عام ١٩٧٩ «إذا قتلت وأنا أحارب خلف رشاش فلسطينى فأريد أن أدفن فى فلسطين».

«لم ينس الشعب الفلسطينى مفتاح وطنه الأم وأنا أرغب بشكل كبير فى أن آخذ هذا المفتاح وأذهب إلى فلسطين لأفتح أبواب الناصرة».

فالخمينى إذن وقبل أن يصل إلى مقاليد الحكم ينعى على شاه إيران أنه يمد اسرائيل بالبترول لاستخدامه فى (حربهم القذرة) ضد المسلمين، وعندما يصل الخمينى إلى الحكم تذهب تصريحاته أدراج الرياح وتبدأ السياسة الانتهازية تأخذ طريقها إلى التنفيذ وخلفاؤه اليوم يمدون الصرب بالبترول ويتدفق كى يساعدهم فى (حربهم القذرة) ضد المسلمين، وهم لا يكتفون بالبترول بل يمدونهم أيضاً بالسلاح ماداموا يدفعون الثمن. أما اسرائيل التى حاربها بالكلام ويحاربها خلفاؤه اليوم بنفس تصريحاته النارية فقد اشترى منها السلاح كى يقتل به جيرانه من العرب المسلمين وهو قد باع لهم البترول كى يحصل على السلاح وقد حصل على المال الذى يحقق به أحلامه والتى مات قبل أن يحقق جزءاً منها وهى أيضاً الامبراطورية

الإسلامية والامبراطورية الفارسية.

والغريب أن حكام إيران اليوم عندما أذيع فى العالم دورهم فى دعم الصرب لقتل المسلمين دافعوا عن أنفسهم بمنطق يبلغ حداً من السذاجة لا يقتنع به حتى الأطفال. بدأ الإيرانيون يشككون فى إسلام مسلمى البوسنة لأن هؤلاء المسلمين فى نظر الإيرانيين لا يستحقون الوقوف بجانبهم أو الدفاع عنهم لأنهم يعيشون فى أوروبا وقد اكتسبوا عادات أوروبية هزت صحيح إسلامهم، فالكثيرون منهم يشربون الخمر ويأكلون لحم الخنزير وترتدى فتياتهم الملابس القصيرة ولا يرد على المساجد منهم سوى ١٠٪ لأداء الصلاة. إذن فليس من واجب إيران الدفاع عن هؤلاء المسلمين لأنهم لا يتبعون تعاليم الإسلام بحذافيرها. هذا هو المنطق الذى يردده الإيرانيون، ولم يرددوه علانية حتى الآن ولكنه يتسلل كأنه المبرر للجرائم التى ترتكب، ولكنهم فى نفس الوقت مازالوا يدافعون علانية عن المسلمين ويهاجمون الصرب ليل نهار لارتكابهم الجرائم التى ثار العالم ويثور من أجلها كل يوم. بل لو تركنا حروب الصرب ضد المسلمين فإنه يبدو من غير المفهوم أيضاً أن تقف إيران الدولة الإسلامية الأولى فى العالم - أن تقف إلى جانب أرمينيا المسيحية فى نزاعها الدامى حول ناجورنو كاراباخ بدلاً من مساعدتها أذربيجان المسلمة الشيعية رغم أن أذربيجان كانت قبل مائة وخمسين عاماً جزءاً من إيران ولكن تتخذ إيران هذا الموقف لأنها تخشى من احتمال سيطرة تركيا على القوقاز.

هذه هى سياسة الجمهورية الإسلامية الأولى فى التاريخ الحديث والتى تعتبر نفسها منارة العالم الإسلامى والنموذج الذى يجب أن يحتذى والتى تنظر إليها الجماعات الإسلامية فى مختلف دول العالم على أنها التجربة الناجحة وهى ناجحة فعلاً فى تقديم أسوأ نموذج لسياسة دولة تعرف معنى القيم وتنتهج سياسة تدوس القيم الإنسانية وتختلف قبل هذا وذلك مع المبادئ التى تدعى أنها تدين بها وتعلن عنها ليل نهار.

* * *

زكى نجيب محمود

فقدت مصر والعالم العربى رائداً من رواد الفكر والفلسفة والأدب هو العالم الأديب زكى نجيب محمود. ولا أعتقد أن مشتغلاً بالأدب والفكر والفن لم يعرف زكى نجيب محمود ولم يتأثر به سلباً أو إيجاباً فلم يكن الأديب الكبير مجرد عالم بالفلسفة ولا مجرد مفكر يشغل نفسه بقضايا الإنسان ومستقبله وثقافته، ولكن شغله الأكبر كان إعلان رأيه وموقفه فى مختلف القضايا التى يهرب الكثيرون من مواجهتها خاصة إذا كانت ذات مفهوم مغلوط ولكنه شائع. تصدى زكى نجيب محمود لقضايا كثيرة، كان دائماً فى صف الحقيقة من وجهة نظره وكانت فى أحيان كثيرة لا تكسب له جماهير تؤيده وإن كانت تكسب له أقلية تجله وتحبه. حارب التجهيل المتعمد وحارب فرض الرأى على الحق وحارب من أجل التنوير معارك قيادية. عرفت زكى نجيب محمود فى الستينيات عندما أصدر مجلة الفكر المعاصر ورأس تحريرها وكانت بحق نافذة رحبة على الفلسفة المعاصرة ومعبراً سخياً للفكر المعاصر، وكان من كتاب المجلة طائفة من تلاميذه كان يتخيرهم بعناية شديدة ويواصل مسئوليته عنهم فى كل ما يكتبون . كنت مسئولاً عن إدارة النشر التى تصدر عنها مجموعة المجلات الأدبية والثقافية التى تصدر عن مؤسسة التأليف والنشر، وكانت جلساتى معه جلسات ثقافة ومتعة، كان رحمه الله عازفاً فى صراحة ووضوح عن كل ما يسعى من أجله زملاء له يقلون عنه معرفة وعلماً ومنزلة، كان أقرب إلى المتصوفة الذين يذوبون فيما يعتقدون وتأتى عليهم مراحل الاتحاد بين ماهم عليه وما يعشقون، وزكى نجيب محمود وصل إلى هذه المكانة فاتحد مع الفكر واتحد مع التنوير فكونا شيئاً جليلاً واحداً فى البداية والنهاية. كان إلى جانب عمق الفكر سهل الأسلوب رقيق العبارة وكأنه شاعر يحس ويترجم إحساسه بقدرة فائقة فى التعبير. أذكر أننا فى مرة من المرات التى امتدت فيها يد الحاكم إلى الثقافة فوحدت بينها وبين الإعلام فى جهاز

واحد، أذكر أن المدافعين عن الثقافة الذائدين عنها هجمة الإعلام الشرس كانوا يكتبون ويقدمون الأسانيد عن الخلاف الشديد فى مفهوم كل من النشاطين ونحن نقدح القرائح بحثاً عن الأسانيد النقلية والعقلية إذا بزكى نجيب محمود يكتب مقالاً عن الفرق بين الإعلام والثقافة يبدأ بأسطر يقول فيها (إنى لا أحمل أحداً على أن يأخذ بحرف مما أقول لكننى أقوله لأننى أراه وأول الرؤية عندى فيما أنا بصدد الحديث فيه الآن هو أن بين الإعلام والثقافة من الفرق النوعى البعيد ما يعرضنا للخطر إذا نحن جمعناهما فى ساحة مشتركة وضعناهما تحت عنوان واحد قد يوحى بأنهما شيئان ينتسبان إلى والد واحد مع أن العلاقة بينهما هى على أحسن الفروض لا تزيد عن العلاقة بين أبناء الخالات لكل ابن منهم والده المستقل. ولذلك فكل منهم ينتمى إلى أسرة ليست هى أسرة ابن خالته. ولكى أوجز الفرق بين الإعلام والثقافة فى بداية حديثى أقول أن الإعلام يصور لنا الحياة كما يراد لها أن تعاش وأما الثقافة فتصور الحياة كما هى معاشة بالفعل ولكنها تصورها بعد عجنها وخبزها فى أفران الأدب والفن وما يلحق بالأدب والفن من ضروب الصياغة .....

رحم الله زكى نجيب محمود رحمة واسعة وألهم ذويه وتلاميذه وعشاقه ومحبيه الصبر والسلوان.

الأهرام ٩٣/٩/١١

غزة .... اريحا
بداية أم نهاية؟

لم يتوقف صخب العالم بعد ولا أعتقد أنه سيتوقف فى وقت قريب فمنذ أعلن عن توصل اسرئيل ومنظمة التحرير الفلسطينية إلى اتفاق، أصاب العالم مس من الجنون، عشرات التصريحات ومئات الأحاديث والتعليقات، الصحف والإذاعات وشاشات التليفزيون تحولت جميعها فى لحظة واحدة تتحدث عن اسرائيل والفلسطينيين، تاريخ القضية منذ مؤتمر بازل قبل مائة عام مرورا بوعد بلفور وحروب اسرائيل وقرارات مجلس الأمن، عادت إلى الذاكرة وشاشات التليفزيون شخصيات عالمية تعيش فى الظل بعيداً عن الأحداث الجارية .. أما فى فلسطين فمظاهرات تأييد ومظاهرات شجب ورفض ومسيرات. وتتابعت الأحداث حتى الاعتراف المتبادل ثم تصل المسرحية إلى قمتها الدرامية ويظهر على المسرح الشخصيات الرئيسية تحيى الجمهور: كلينتون ووزير خارجيته وعرفات ووزير خارجيته ورابين ووزير خارجيته ثم لكى تأخذ الصورة بعداً أوسع من حقيقتها يظهر فى جانب الصورة وزير خارجية روسيا الاتحادية بديلاً عن وزير خارجية الاتحاد السوفيتى السابق ممثلاً للدولة الشريكة فى الدعوة لمؤتمر السلام فى مدريد ..

وفى الفصل الثالث فى البيت الأبيض تصل إلى المشهد الدرامى العنيف عندما يصافح عرفات رابين ووزير خارجيته بيريز، ويصفق المحتفلون ويتوقف العالم أمام هذا الحدث الفريد ويعتبر البعض مصافحة عرفات لرابين من أهم الأحداث التى وقعت فى تاريخ الإنسانية فى القرن العشرين، فيقارن هذا الحدث الذى استغرق ثوان معدودات بتوحيد ألمانيا وظهور أول إنسان على القمر واستسلام اليابان فى الحرب العالمية الثانية، وتقول صحيفة أخرى إن العالم شهد بعض المعجزات فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين مثل سقوط حائط برلين وانهيار الاتحاد السوفيتى والإفراج عن نيلسون مانديلا ثم الاتفاق بين الاسرائيليين والفلسطينيين

وتستعيد صحيفة قولاً لبن جوريون كان قد علق به فى عام ١٩٥٦ على ما يجرى من أحداث فقال (إذا أراد الإنسان أن يكون واقعياً فعليه أن يؤمن بالمعجزات).

إذن فالذى حدث هو المعجزة أو هو الزلزال فى قول آخر .. هو حدث كبير بكل المقاييس وسواء وافقنا على الاتفاقية والاعتراف المتبادل أم رفضناهما فهذا لا يقلل من أهمية ما حدث ولا من خطورته ولا من آثاره فى مستقبل الأيام ليس على الفلسطينيين فحسب بل وعلى العرب أولاً وعلى منطقة الشرق الأوسط ثانياً. والخلاف فى الرأى نستطيع أن نتصوره ونتوقعه بل ونطالب به وهو حق مشروع لكل عربى بل هو واجب خاصة فى مثل هذه الأمور المصيرية التى يتحدد فيها مستقبل المنطقة، ولكن الذى لا يقبله إنسان هذا الصغار الذى يقوم به بعض من يزعمون إنهم قيادات فلسطينية عندما يتحدثون عن القتل بل ويعلن واحد منهم أنه يتمنى أن يقتل عرفات بيديه، يقول ذلك نافخاً أوداجه على شاشات التليفزيون الأجنبية دون خجل ودون إحساس بأن مثل هذه التهديدات الجوفاء لا تجعل منه إنساناً محترماً بل تؤكد أنه قاتل محترف وأنه لا يملك أمر نفسه وأنه يعمل (بلطجياً) عند من يدفعون له راتبه.

ونعود إلى القضية فنسأل ما الذى دفع العالم إلى هذا الابتهاج الشديد وهل حقاً حل السلام بين اسرائيل والفلسطينيين وهل حقاً زال الخلاف وحل الوئام؟ إذا أردنا الحقيقة والصدق قلنا ببساطة إن ما يمر به العالم من سعادة غامرة وما قام به الأمريكيون من مظاهر الاحتفال وما شمل الأغلبية من فلسطينيى الضفة والقطاع كلها تعبر عن أمنيات صادقة بأن يتحقق الأمل المنشود وأن يسود السلام وأن تخرج هذه المنطقة من العالم من جحيم مستمر دائم إلى عهد تعيش فيه كما يعيش البشر فى ظل حرية وعدالة وحقوق يتمتع بها آخرون يشاركونهم فى الإنسانية ويشاركونهم الوجود على نفس الخريطة وفى نفس الفترة من الزمان. هذا أمل ومازال فى دائرة الأمل، ولكن هل ما وقع حتى الآن يشير إلى قرب تحقيق هذا الأمل؟ البعض يقول نعم والبعض يقول لا. إذا قيل أن الاتفاقية اختصرت الضفة والقطاع إلى غزة وأريحا قالوا إنها اتفاقية إعلان مبادئ وأن الضفة والقطاع هى الخطوة الأولى، هى بقعة الأرض الفلسطينية التى سوف يرتفع عليها العلم الفلسطينى ويبدأ فيها الحكم الذاتى ممتداً إلى بقية الضفة حتى تقوم دولة فلسطين. وإذا قيل إن الاعتراف بالقرار ٢٤٢ يعنى الاعتراف بحق فلسطين فى القدس الشرقية وهى من الأراضى التى احتلت فى عام ٦٧ قيل ونحن لم نفرط

فى القدس وسوف تكون موضوعاً للمباحثات قبل حلول العام الثالث كما جاء فى اتفاقية إعلان المبادئ. وإذا قيل إن الاتفاقية تضمنت عودة اللاجئين الذين خرجوا فى حرب ٦٧ ولم تذكر شيئاً عن اللاجئين فى حرب ٤٨ وهم النسبة الغالبة من مجموع اللاجئين فى فلسطين والأردن ولبنان قيل إن القرار ٢٤٢ تحدث عن لاجئى ٦٧ أما اللاجئين قبل ٦٧ فسيكونون موضوع المناقشة مع المسائل المعلقة القدس والمستوطنات والحدود واللاجئين والتى ستبدأ قبل العام الثالث مع الاتفاقية. وإذا قيل لماذا كان الاعتراف بين دولة اسرائيل ومنظمة التحرير ولماذا لم يكن بين دولة اسرائيل ودولة فلسطين فالاعتراف يكون بين دولتين لا بين دولة وهيئة أو حزب وسبق أن أعلن ياسر عرفات فى عام ١٩٨٨ إقامة الدولة الفلسطينية فكيف إذن لا تعترف اسرائيل بدولة فلسطين؟ ألم يكن ذلك يوفر أموراً كثيرة سوف تتحقق أو لا تتحقق فى السنوات القادمة؟ ويقال رداً على ذلك إنه إذا تم الاعتراف فى إعلان المبادئ بدولة فلسطين ما الحاجة إذن لأى نوع من المفاوضات؟ أليس معنى ذلك أن تكون القضية قد حسمت عندئذ؟ إن الذى تم توقيعه هو إعلان مبادئ وقيام الدولة الفلسطينية حقيقة لا يستطيع أحد أن يتجاهلها فالذى يجرى اليوم سوف يقود إليها دون شك. ونسأل خلسة أو مع الإعلان أن فى قضايا الشعوب وفى مثل هذه الأمور تكون العلانية هى الركن المثبت لأى اتفاق ولا يمكن أن يتم مثل هذه الأمور خلسة أو فى غفلة عن الطرف الآخر، لابد من وضع جميع الأوراق على المائدة ومناقشتها جميعها حتى يمكن الوصول منها إلى نتائج واضحة. لا أريد أن أبدو يائساً فى الوقت الذى تشعر فيه الأغلبية الغالبة بالأمل ونحن جميعاً طلاب سلام ولا يوجد إنسان فى العالم يحب الحرب للحرب ولا يعشق السلام الذى يمنح الناس فرصة العيش الحر الكريم، ولكن هناك فارق كبير بين التسليم بالأمر الواقع وتحقيق الأهداف، صحيح أن الظروف العربية والعالمية القائمة الآن هى أسوأ ظروف يمكن أن تمر بها القضية الفلسطينية فى كفاحها العادل من أجل تحقيق مطالب الشعب الفلسطينى، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتى انفردت أمريكا بالعالم وأصبحت الآمر الناهى، وما النظام العالمى الجديد إلا تأكيد السيادة الأمريكية المنفردة على مقدرات العالم، وما الحماس لحقوق الإنسان باعتباره الركيزة الأساسية التى يقوم عليها النظام العالمى الجديد إلا شعاراً أجوف لا يحمل مضموناً ويكفى أنه يذبح أمام الأمريكان وأمام العالم كله كل ساعة بل كل دقيقة فى سراييڤوا وفى غيرها من مدن البوسنة المسلمة آلاف المسلمين بل يذبح كل ساعة وكل يوم على يد الأمم المتحدة والولايات المتحدة فى

مقديشو بالصومال عشرات الصوماليين. هذا عن المشهد العالمى أما المشهد العربى فهو ألعن وأضل سبيلاً فالفرقة العربية والتشرذم لم تصلا إلى القاع كما وصلا اليوم. إن هذا القول يتردد الآن وكأنه مبرر للتوقيع على اتفاقية تكتفى بجزء من المطالب الفلسطينية وتقنع بخطوة واحدة فى الوقت الذى كان الجميع يأملون فى خطوات وخطوات، ولكن هل كان لكفاح الشعوب أجلاً محدداً عندما يصلون إليه يلقون بالسلاح ويقبلون كل ما يعرض عليهم؟ إن كفاح الشعوب لا يوقفه إلا تحقيق المطالب مهما طال الطريق وإذا انتهى جيل ولم يصل إلى غايته فكفاه ما قطعه من طريق ويقوم بعده جيل جديد ولا لوم ولا تثريب على من لم يتحقق فى عهده ما يريده الشعب. والمشهد العربى والمشهد العالمى ليسا الركن الأساسى فى تحقيق كفاح الشعوب وإن كانا عاملاً هاماً دون شك ولكن كل شئ قابل للتغير وما دمنا مازلنا فى عصر المعجزات فقد تقع معجزة ما تغير من موازين القوى فى العالم بل وربما تدفعه دفعاً إلى نظام عالمى أكثر جدة من النظام العالمى الجديد الراهن.

لقد تم توقيع الاتفاق ولا معنى لأن يظل الحديث فيما كان وأمامنا ما هو فى طريقه لأن يكون .. تم التوقيع أمام مشهد مثير وإذا كان البعض يخشون أن تنكص اسرائيل على أعقابها فنحن لا نخشى ذلك فحتى إذا استطاعت أن تخدع الفلسطينيين وتخدع العالم كله - وهى لا تستطيع - حتى إذا وقع هذا فما الذى يمنع من أن نطالب عرفات بأن يحمل عصاه على كاهله ويرحل يعود إلى تونس أو يأتى إلى القاهرة أو أية عاصمة عربية أخرى؟ وما الذى يمنع من أن تبدأ الانتفاضة من جديد بعد أن يكون قد انضم إلى أطفال الحجارة آلاف مؤلفة من شباب فلسطين كانوا يحفظون الأمن ومسلحين؟ صحيح أنه سلاح الشرطة ولكنه أقوى من الحجارة دون شك. وإذا كانت الاتفاقية تحمل عشرات الملاحظات إلا أن الشئ الذى تحقق دون شك هو أن جزءاً من فلسطين سيكون منذ اليوم فى حيازة الفلسطينيين، ودخول القيادة الفلسطينية إلى الداخل إنجاز كبير فمن هناك تستطيع أن تقود المعركة فى ظل السلام أفضل من أن تقود الحرب - كما كانت تفعل - (بالريموت كنترول). إن أهم ما تحويه اتفاقية إعلان المبادئ هو الملحق الاقتصادى الذى يتحدث عن بنك للشرق الأوسط وعن مثلث اقتصادى متكامل بين فلسطين واسرائيل والأردن، وهذا هو الفصل الأول فى حلم اسرائيل بالهيمنة الاقتصادية على المنطقة وإنشاء السوق الشرق أوسطية التى تكون اسرائيل قائدة مقدراتها بإمكاناتها التكنيكية وقدرتها على تحريك الأموال وخضوع اقتصاديات دول كثيرة

لرغباتها وأوامرها. أنا لا أتهم الفلسطينيين والأردنيين بالغفلة ولا أعتقد أن اسرائيل أكثر منهم ذكاء ولكن المغريات كثيرة ولابد أن نلاحظ أن الكثير من الفلسطينيين فى غزة والضفة الغربية الذين صفقوا للاتفاقية يعيشون عاطلين منذ أن فرضت اسرائيل عليهم الحصار الأمنى ومنعت عنهم مصادر رزقهم من العمل فى اسرائيل، وكأنها كانت تعد المسرح بتجويع الفلسطينيين حتى يصفقوا لأية اتفاقية تخرجهم من حالة الموت التى كانوا يسيرون إليها مهرولين، لقد ترددت هذه الاقتراحات وهذه المشروعات منذ فترة طويلة ولا شك أن جهات كثيرة سوف تساعد فى هذا المجال فعندما يعلن أن البنك الدولى قد أعد دراسة عن احتياجات التنمية فى غزة والضفة الغربية وأنه انتهى منها وأن هذه التنمية تحتاج إلى ٤ مليارات دولار إذا كان قد أعلن ذلك فأعتقد أن من حقنا أن نسأل متى بدأ البنك الدولى فى إعداد هذه الدراسة التى لا شك استندت على دراسات ميدانية؟ متى وكم استغرقت الدراسة ومن الذى طلبها أو أشار بها ؟ كلها أسئلة واضحة الجواب حتى إذا لم يأت من أصحاب الجواب .. كل شئ أصبح واضحاً وهذا هو مصدر الخوف أو على الأقل موجب الحرص فى مسائل الاقتصاد.

وأمر آخر يهم .. إن اتفاقية إعلان المبادئ قد حددت مجال المفاوضات بين اسرائيل والفلسطينيين وكلها أمور تتصل باسرائيل وفلسطين داخل حدودها ولم تخرج عن الحدود إلا عندما ذكرت التنسيق مع مصر والأردن ولكن من الذى سوف يناقش اسرائيل فى الشروط الجوهرية الأخرى اللازمة لتحقيق السلام فى المنطقة، ولا أقصد مفاوضات سوريا ولبنان مع اسرائيل فهذه دون شك سوف تصل إلى نهايتها فى وقت قريب، ولكنى أقصد أمرين يخصان العرب جميعهم ويخصان المنطقة على اتساعها. الأول هو ضرورة إعلان اسرائيل التخلص من شعارها المرفوع فوق الكنيست عن اسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات .. صحيح يمكن أن يختفى الشعار من فوق الكنيست ولكنه يظل داخل عقل وقلب الاسرائيليين، ولكن ماداموا قد تمسكوا بحذف مواد معينة من ميثاق منظمة التحرير وهى المواد التى تدعو للكفاح المسلح فنحن من حقنا أيضاً أن نتمسك بحذف هذا الشعار المستفز لمصر والأردن وسوريا والعراق وفلسطين. والأمر الثانى هو ما تحتفظ به اسرائيل من سلاح نووى ورفضها الدائم التوقيع على معاهدة حظر الأسلحة النووية وأعتقد أيضاً أنه لا يمكن للسلام أن يسود المنطقة ولا يمكن أن تطمئن دول المنظمة إلا إذا تخلصت هذه الدولة من سلاحها النووى وأظن أن السابقة بين أمريكا والاتحاد السوفيتى المنهار توضح السلوك الدولى اللازم فى هذا المجال .. من الذى

سوف يفاوض اسرائيل فى هاتين المسألتين .. أعتقد أنها مسئولية العرب جميعاً أو المنظمة المعبرة عنهم وهى جامعة الدول العربية.

وبعد

من حقنا بعد هذا الحديث أن نسأل.

غزة وأريحا .. بداية أم نهاية؟ ..

بداية طريق يتحقق فيه السلام وتعود للفلسطينيين حقوقهم المشروعة؟

أم نهاية كفاح شريف لا يعرف إلا الله متى يبعث من جديد؟ ..

ونحن نودع الاحتفالات ونسمع أصداء الموسيقى فى الأفق البعيد فنتذكر بيتين من الشعر للشاعر المصرى محمود عماد يقول فيهما.

كل شئ قد انتـــهى ... وانقضى العرس يا عروس

والذى كان يشـــتهى ... صار تشقى به النفــوس

* * *

لماذا كانت الداخلية أهم الوزارات؟

يعود إنشاء وزارة الداخلية فى مصر إلى عهد محمد على الكبير عندما أصدر فى عام ١٨٣٧ قانون (السياستنامة) والذى وضع فيه التنظيم النهائى للدواوين وتضمن القانون المذكور توصيف دواوين سبعة على الوجه الآتى:

١- الديوان الخديوى (الداخلية).

٢- ديوان كافة الإيرادات.

٣- ديوان الجهادية.

٤- ديوان البحر.

٥- ديوان المدارس.

٦- ديوان الأمور الافرنكية والتجارة المصرية.

٧- ديوان الغاوريقات.

وكان كل ديوان من هذه الدواوين ينقسم إلى ورش وكان رئيس الورشة يسمى ناظراً أما رئيس الديوان فكان يسمى رئيس الديوان ثم تحول إلى مدير عموم الديوان، وبعد أقل من ثلاث سنوات من صدور قانون (السياستنامة) سمى رؤساء الدواوين نظاراً وكانت أول مرة يستخدم فيها «ناظر» لمنصب كبير بعد أن كان رئيس الورشة هو الناظر، وظلت الوزارات تسمى دواوين يرأسها نظار إلى أن أنشأ الخديوى اسماعيل نظام مجلس النظارة وظهرت إلى الوجود نظارات واختفت نظارات، وتغيرت تسمية الدواوين إلى نظارات فتحول الديوان الخديوى إلى نظارة الداخلية وتحول ديوان كافة الإيرادات إلى نظارة المالية وديوان الجهادية إلى نظارة الجهادية والبحرية وديوان المدارس إلى نظارة المعارف والأوقاف وديوان الأمور الافرنكية والتجارة المصرية إلى نظارة الخارجية وظهرت نظارة جديدة استدعتها ظروف التحول وهى

نظارة الحقانية ثم ظهرت نظارة الأشغال بعد أن زاد حجم المرافق العامة كالموانى والخطوط الحديدية والترع ونحوها.

وظلت تسمية النظارة قائمة حتى عام ١٩١٤ عندما أعلنت بريطانيا الحماية على مصر فى عهد السلطان حسين كامل وتغيرت النظارات إلى وزارات وتغير الناظر إلى وزير وظل الوزير وزيراً حتى اليوم.

شكل نوبار باشا أول نظارة فى عهد اسماعيل وتولى بالإضافة إلى رئاسة مجلس النظار نظارتى الخارجية والحقانية، أما وزير الداخلية فكان رياض باشا وظل رياض باشا ناظراً للداخلية فى وزارة الأمير محمد توفيق وانضمت إليه وزارة الحقانية، وعندما شكل شريف باشا نظارته الأولى فى أبريل ١٩٧٩ احتفظ لنفسه بنظارتى الداخلية والخارجية وبدأ عهد جديد ظل سنوات طويلة كان رئيس مجلس النظار يتولى بنفسه نظارة الداخلية، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا إذا كان رئيس مجلس النظار غير مسلم فنظارة الداخلية ثم وزارة الداخلية بعد ذلك لم يشغلها غير مسلم منذ إنشائها حتى اليوم، فعندما كان نوبار باشا رئيساً لمجلس النظار كان ناظر الداخلية رياض باشا وهو مصطفى رياض باشا وعندما رأس مجلس النظار بطرس غالى باشا تولى وزارة الداخلية سعد زغلول باشا، وكان ذلك فى نوفمبر عام ١٩٠٨ وفى ديسمبر ١٩١٤ صدر المرسوم السلطانى بتشكيل وزارة حسين رشدى باشا الثانية وكان رئيسها حسين رشدى وزيراً للداخلية وفى ظل ثورة ١٩١٩ وبعد استقالة محمد باشا سعيد شكل يوسف باشا وهبة وزارته الأولى واحتفظ لنفسه بوزارة المالية أما وزير الداخلية فكان محمد توفيق نسيم باشا الذى شكل الوزارة التالية وكان وزيراً للداخلية. ومنذ ذلك الحين وفى أكثر الوزارات كان رئيس الوزراء فى نفس الوقت وزيراً للداخلية، فتولاها بعد توفيق نسيم عدلى يكن باشا وعبد الخالق ثروت وتوفيق نسيم: مرة ثانية ويحيى ابراهيم، وعندما شكل سعد زغلول وزارته الأولى التى سميت وزارة الشعب بعد أن اكتسح الوفد أول انتخابات نيابية احتفظ سعد زغلول لنفسه بالإضافة إلى رئاسة الوزراء بوزارة الداخلية. ثم كان أحمد زيور باشا رئيساً للوزراء ووزيراً للداخلية وفى وزارته الثانية ١٩٢٦ تولى الداخلية اسماعيل صدقى باشا، وتولى مصطفى النحاس باشا الوزارة ست مرات احتفظ فى خمس منها بوزارة الداخلية بالإضافة إلى الرئاسة ولم يترك وزارة الداخلية لغيره إلا فى وزارته الأخيرة ١٩٥٠ إذ تركها لفؤاد باشا سراج الدين وتبعه رؤساء الوزراء الذين خلفوه حتى قيام ثورة يوليو إذ تولى

الداخلية مرتضى المراغى ومحمد هاشم. وتولى سليمان حافظ وزارة الداخلية فى أول وزارة فى الثورة برئاسة على ماهر ثم تولى جمال عبد الناصر وزارة الداخلية وزكريا محيى الدين حتى انتقلت لضباط الشرطة فى عهد على صبرى إذ تولاها عبد العظيم فهمى ثم عادت لضباط الجيش: عباس رضوان وشعراوى جمعه، ثم عادت لضباط الشرطة ابتداء من عام ١٩٧١ عندما تولاها ممدوح سالم وظل وزير الداخلية ضابط شرطة حتى اليوم.

ولكن لماذا تنفرد وزارة الداخلية بهذه الأهمية الكبيرة التى تجعل رؤساء الوزارات فى جميع العهود يحتفظون بها لأنفسهم وإذا فرطوا فيها فذلك لأقرب المقربين إليهم قبل قيام الأحزاب، ولشخصية بارزة وهامة فى الحزب بعد تشكيل الوزارات الحزبية .. لا شك أن ذلك يرجع إلى أن وزارة الداخلية ومنذ كانت دائرة الديوان الخديوى هى المهيمنة على الأمن والنظام فى الداخل أى أنها وسيلة الحاكم لفرض إرادته ونفوذه على المحكومين فهى التى تعين العمد وتفرض النظام وتساعد فى تحصيل الضرائب وتباشر كل ما من شأنه تسهيل مهمة الحاكم وفرض هيمنته، وعندما تطورت الأمور أصبحت مسئولة عن اختيار وتعين الحكام المحليين ابتداء من شيخ الخفر والعمدة وشيخ البلد والحارة إلى مدير المديرية والمحافظ، وعندما طرأ تطور جديد آخر أصبحت هى المسئولة عن إجراء الانتخابات أو بمعنى أصح تزويرها لصالح الحزب الحاكم بصرف النظر عن كونه حزب الأغلبية أو الأقلية وبصرف النظر فى جميع الحالات عن رأى الناخبين أنفسهم، وفى عهد الاحتلال كانت وزارة الداخلية هى المسئولة عن توطيد قواعد الاحتلال بضرب العناصر الوطنية ومنع المظاهرات والقبض على العناصر الوطنية.

وبذلك كانت وزارة الداخلية مطلوبة ومهمة فى كل عهد من العهود الوطنية والعهود الخيانية. هناك وزارات تكون هامة فى مراحل، قليلة الأهمية فى مراحل أخرى، فمثلاً ديوان الغاوريقات الذى أنشئ بقانون (السياستنامة) فى عهد محمد على ما لبث أن ألغى لأن الغاوريقات كانت تعمل لصالح القوة العسكرية أى أنها هى المصانع الحربية، وعندما ضربت القوى العسكرية المصرية وحدد عددها وتسليحها ألغيت المصانع الحربية فألغى ديوان الغاوريقات، كما أنه عندما أعلنت الحماية على مصر ألغيت وزارة الخارجية لأن مصر فقدت استقلالها ولم يكن من حقها أن تتصل بالدول الأجنبية. وهكذا ظلت وزارة الداخلية ومنذ أنشئت من أهم وزارات الحكومة المصرية.

الأهرام ٩٣/٩/١٨

أحلام اسرائيل فى السيطرة على العرب اقتصادياً

كان الإعلام الغربى محايداً وهو ينقل وقائع الحدث الكبير من حديقة البيت الأبيض ويحدد من الذى مد يده أو لا ومن الذى مدها بتردد أو الدور الذى قام به كلينتون للتقريب بين الذراعين حتى تتصافح اليدان. وقبل ذلك كان الإعلام الغربى محايداً وهو ينقل مراسم الاعتراف المتبادل وينتقل من تونس إلى تل أبيب. ولو اكتفى الإعلام الغربى بالنقل المباشر أو غير المباشر كان إعلاماً صادقاً محايداً لا ينحاز إلى جانب ولا يلون الحوادث ولا يغير من الحقيقة لصالح طرف من الأطراف. ولكن لأن هذه الأحداث الكبيرة المتلاحقة كان لابد لها من إحياء ذكرى إحداث كثيرة تمت فى الماضى القريب أو فى الماضى البعيد كان لابد من تقديم الخلفية التاريخية و أصل القضية وسببها وهنا كان الغش والكذب والخداع وتغيير الحقيقة والعبث بالتاريخ، واشتركت فى ارتكاب هذه الجرائم جميعها كل أجهزة الإعلام الغربى من صحافة وإذاعة وتليفزيون، فمثلاً جميع الحروب التى وقعت بين اسرائيل والعرب كان المبادرون بالاعتداء على الدولة الآمنة هم العرب. هم دائماً وفى جميع الحروب الذين يهاجمون اسرائيل التى تعيش فى سلام ولكن العرب يرفضون لها هذا السلام ويشنون عليها الحرب الشعواء، وعندما رفض العرب قرار الأمم المتحدة فى ١٩٤٨ بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود لم تذكر صحيفة واحدة أو جهاز إعلامي واحد أن العرب فى ذلك الوقت كانوا ضعف الاسرائيليين والأمم المتحدة منحت اسرائيل ضعف الأرض التى خصصتها للعرب.

ولم تقل صحيفة واحدة سبب المشكلة ولم تتحدث عن وعد بلفور ولم تذكر شيئاً عن الإرهاب الإسرائيلى والعصابات التى قتلت الانجليز والعرب وكان يقودها قادة دولة اسرائيل من بعد، ولم تذكر صحيفة واحدة حرب العصابات التى فرضت على السكان الآمنين ولم يصور صحفى واحد كيف يعيش اللاجئون فى الخيام فى لبنان والأردن وغزة .. ضاعت الحقيقة فى

لحظات بل استطاع رابين أن يقلب الصوت عندما أثار شفقة المحتفلين معه فى حديقة البيت الأبيض عندما تحدث عن ضحايا الحرب وعن الرجل الذى دفن أولاده الذين قتلهم العرب طبعاً ولم يكن رابين فى حاجة إلى أن يوضح أن اسرائيل رغم كل هذه المحن إلا أنها دولة متسامحة تجلس وتوقع مع الذين قتلوا شبابها ويتموا أطفالها و دفعوا الآباء دفعاً لدفن أولادهم بأيديهم أما نحن فعندما أتيح لنا أن نتحدث إلى العالم وإلى التاريخ نسينا كل ما وقع لنا وأزجينا فقط الشكر مضاعفاً للقتلة ولحلفائهم من الأمريكان ...... أمجاد يا عرب أمجاد.

قال رابين بشجاعة لا يحسد عليها (سأتحدث مع منظمة التحرير الفلسطينية لأن الوفد الفلسطينى غير قادر على تقديم شئ ولا أخفى أننى أفعل ذلك بتقزز ...) أما نحن فلم نشعر بأى تقزز ولكن على العكس تماماً شعرنا بالحب يغمرنا فى لحظة واحدة، ولولا أنهم حذرونا لا ندفعنا مع عواطفنا نقبل الجميع بل نقبل جدران البيت الأبيض ورحم الله شاعرنا العربى الذى طاف يقبل ذا الجدران وذا الجدار ...

سأل كبير معلقى الإذاعة البريطانية الموضوعية المحايدة سأل سفير اسرائيل فى لندن:

- هل تثقون فى عرفات ...

لم يسأل صحفى أو إذاعى واحد عربياً واحداً: أبو عمار أو أى عربى.

- هل تثقون برابين ...

لماذا .. لأن عرفات هو المشكوك فيه أما رابين فهو كالجنيه الذهب لا يكذب ولا يتجمل.

ونترك هذه المقدمات أو بالأحرى هذه المنغصات وندخل فى الموضوع.

القراءة الهادفة لاتفاقية إعلان المبادئ بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل توضح فارقاً كبيراً بين الجزء السياسى والجزء الاقتصادى فى الاتفاقية، ففى الوقت الذى جاء فيه الجزء السياسى غير محدد وقد أرجأ أهم الموضوعات إلى وقت آخر تجرى فيه المباحثات بعد سنين على الأقل مثل موضوع القدس واللاجئين والمستوطنات والحدود- جاء الجزء الاقتصادى واضحاً ومحدداً وشاملاً بل وضع عدة مشروعات مشتركة فى صلب الاتفاقية أو فى ملاحقها بشكل أدق فالملحق رقم ٣ يقول فى أهم ما جاء فيه:

بروتوكول حول التعاون الاسرائيلى - الفلسطينى فى البرامج الاقتصادية والتنموية:

اتفق الجانبان على إقامة لجنة فلسطينية - اسرائيلية دائمة للتعاون الاقتصادى تركزت بين أمور أخرى على النحو التالى:

١- التعاون فى مجال المياه بما فى ذلك مشروع تطوير المياه فى الضفة الغربية وقطاع غزة.

٢- التعاون فى مجال الكهرباء بما فى ذلك برنامج لتطوير الطاقة الكهربائية.

٣- التعاون فى مجال الطاقة بما فى ذلك برنامج لتطوير الطاقة يأخذ فى الاعتبار استغلال البترول والغاز لأغراض صناعية خاصة فى قطاع غزة وسيشجع المزيد من الاستغلال المشترك لموارد الطاقة الأخرى وسيأخذ هذا البرنامج فى الاعتبار أيضاً بناء مجمع صناعات بتروكيماوية فى قطاع غزة وكذلك تمديد أنابيب لنقل البترول والغاز.

٤- التعاون فى مجال التمويل بما فى ذلك برامج تطوير وعمل مالى لتشجيع الاستثمار الدولى فى الضفة الغربية وقطاع غزة وفى اسرائيل وكذلك إقامة بنك فلسطينى للتنمية.

٥- التعاون فى مجال النقل والاتصالات بما فى ذلك برنامج يحدد الخطوط العامة لإنشاء منطقة ميناء بحرى فى غزة.

٦- التعاون فى مجال التجارة وكذلك إعداد دراسة جدوى إقامة مناطق حرة فى قطاع غزة وفى اسرائيل وحرية الوصول المتبادل إلى هذه المناطق.

٧- التعاون فى مجال الصناعة بما فى ذلك برامج التنمية الصناعية الذى سيوفر مراكز البحث والتنمية الصناعية الاسرائيلية - الفلسطينية المشتركة التى ستشجع المشروعات الفلسطينية- الاسرائيلية المشتركة وتضع الخطوط العامة للتعاون فى صناعات النسيج والمنتجات الغذائية والأدوية والالكترونيات والماس والصناعات المتعلقة بالكمبيوتر والعلوم.

الملحق رقم ٤ يقول: بروتوكول حول التعاون الاسرائيلى - الفلسطينى حول برامج التنمية الإقليمية ..

١- سوف يتعاون الجانبان فى إطار جهود المفاوضات المتعددة الأطراف للنهوض ببرنامج تنمية للمنطقة بما فى ذلك الضفة الغربية وقطاع غزة تبادر إليه الدول السبع الكبار. ستطلب الأطراف من السبع الكبار السعى لإشراك دول أخرى مهمة فى هذا البرنامج مثل أعضاء

منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية ودول ومؤسسات عربية إقليمية وكذلك أعضاء من القطاع الخاص.

٢- سوف يتشكل برنامج التنمية من عنصرين:

أ- برامج التنمية الاقتصادية للضفة الغربية وقطاع غزة.

ب- برنامج التنمية الاقتصادية الإقليمى.

جـ- يمكن أن يتشكل برنامج التنمية الاقتصادية الإقليمى من العناصر التالية:

١- إقامة صندوق تنمية للشرق الأوسط كخطوة أولى وبنك تنمية للشرق الأوسط كخطوة ثانية.

٢- تطوير خطة اسرائيلية - فلسطينية - أردنية مشتركة لتنسيق استغلال منطقة البحر الميت.

٣- قناة البحر المتوسط (غزة) - البحر الميت.

تتحدث الملاحق (الاقتصادية) عن تعاون فى المجالات المختلفة ولا شك أن الموضوع يتجاوز (التعاون) إلى ما يشبه (الاندماج) فالتعاون لا يقوم إلا بين أنداد أو بين طرفين هما على قدم المساواه من حيث القوة والسيادة، ومنذ توقيع الاتفاق وفى كل المناسبات لا يكل بيريز مهندس الاتفاقية عن الحديث عن الجانب الاقتصادى وهو ينبه فى حديثه أن الجانب الاقتصادى هو أساس الجانب السياسى وأنه لا يمكن للجانب السياسى أن يقوم إلا إذا قام الجانب الاقتصادى وتحقق بقوة وبسرعة. وتحدث شيمون شتريت وزير الاقتصاد الاسرائيلى عن أهمية الناحية الاقتصادية فى الاتفاقية، وعاد بيريز يتحدث عن احتمال إنشاء سوق شرق أوسطية وعن احتمال القيام بمشروعات مشتركة وهو أول من حول فكرة (التعاون) الواردة فى الملاحق إلى (الدمج) وتحدث مطولاً عن مشاريع دمج إقليمية، ولم يصمت اسحق رابين بل طالب الدول الغنية بتقديم الدعم الاقتصادى للكيان الجديد حتى تنجح الاتفاقية ويعم السلام منطقة الشرق الأوسط.

ومن الواضح أننا أمام رغبة اسرائلية واضحة لإيجاد جسر اقتصادى تعبر عليه المصالح الاقتصادية إلى المنطقة العربية، وقد تعلمت اسرائيل درساً هاماً من فشلها فى التطبيع

الاقتصادى والثقافى مع مصر أو أدركت أنها لا يمكن أن تدخل المنطقة العربية سافرة وباسم اسرائيل ولابد لها من غطاء عربى تدخل به العالم العربى وتواجه المواطن العربى الذى يرفض حتى اليوم التعامل مع الاسرائيلى. إن اسرائيل تطمع أن تتحول إلى (هونج كونج) الشرق الأوسط .. تحصل على العمالة الرخيصة من غزة والضفة وتحصل على الاستثمارات الهائلة من دول الخليج العربى وتتمتع بالسوق العربية ذات القوة الكبيرة بشرياً وشرائياً.

عندما تم توقيع الاتفاقية أعلن فى سرعة غريبة أن (المال) ليس عقبة على الإطلاق فهو موجود وبوفرة غير محدودة. يا سبحان الله .. فجأة اتضح أن المال الذى يتطلع اللاجئون طوال نصف قرن لفتات منه يقتاتون به حتى يواصلون الحياة - اتضح أنه ليس عقبة على الإطلاق. تحدث القادة فى العالم بدءاً من كلينتون نفسه مطالباً بتوفير المال لاسرائيل والفلسطينيين واجتمعت المجموعة الأوروبية وعلى سبيل المساعدة العاجلة اعتمدت ٦٠٠ مليون دولار فى خمس سنوات، ثم وبعد يوم أو يومين اتضح أن هناك ثلاثة مشروعات جاهزة للتنمية الاقتصادية فى غزة والضفة الغربية بدءاً من أريحا واسرائيل. والمشاريع الثلاثة أعدتها جهات دولية أو علمية لا تتحرك اعتباطاً وتحتاج إلى وقت طويل للدراسة حتى تصل إلى ما تعتبره مشروعاً متكاملاً. الدراسة الأولى أعدت فى جامعة هارفارد الامريكية وقامت بها مجموعة من الاقتصاديين الفلسطينيين والأردنيين والاسرائيليين وانضم إليهم بعض الخبراء المصريين والدراسة تتكون من بعض المشاريع الاقتصادية الرئيسية حول المرحلة الانتقالية لاقتصاد فلسطين واقتصاد الشرق الأوسط فى مرحلة السلام. والدراسة الثانية أعدها البنك الدولى للإنشاء والتعمير وقد أذيعت بعض تفاصيلها وتطالب بمبلغ يصل إلى ٤,٣ مليار دولار كمساعدات عاجلة فى مدة ١٠ سنوات للاقتصاد الفلسطينى فى مرحلة الحكم الذاتى فى غزة والضفة الغربية المحتلة. أما المشروع الثالث فمشروع اشترك فيه أكثر من ٨٠ اقتصادياً يقودهم الاقتصادى الفلسطينى الدكتور يوسف صايغ ويقدر هذا المشروع احتياجات فلسطين بأحد عشر ملياراً من الدولارات.

وتلتقى المشاريع الثلاثة فى التأكيد على الإنعاش الاقتصادى وفى التأكيد على اتفاقات السلام فى المنطقة وخاصة الضفة الغربية وغزة، بينما يركز مشروع البنك الدولى ومشروع هارفارد على رؤية متكاملة للإنعاش الاقتصادى من خلال إطار إقليمى يشمل اسرائيل والضفة وغزة والأردن ويمتد إلى مصر وسوريا ولبنان ثم منطقة الشرق الأوسط كلها،

ومن المتوقع أن ترتكز الدراسة التى يقوم بها البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة على العلاقة بين الاقتصادين الفلسطينى والأردنى والدول العربية.

ويشير تقرير البنك الدولى وهارڤارد إلى إنشاء بنك شرق أوسطى إقليمى للتعمير على غرار البنوك الإقليمية فى المناطق الأخرى من العالم.

ولم يتوقف الاهتمام عند المؤسسات الدولية أو الإقليمية فقط بل إن الدول الأوروبية شكلت فرق عمل لبحث قطاعات معينة اقتصادية فى الاقتصاد الفلسطينى، فقد نشرت الفايننشال تايمز البريطانية أن بريطانيا ستدرس الخدمات المالية والأنظمة المصرفية وتدرس المانيا إزالة الحواجز التجارية بين دول المنطقة وتدرس أسبانيا قطاع الزراعة وتدرس ايطاليا موارد المياه الجوفية بينما تعمل فرنسا على دراسة جدوى اقتصادية لمشروعات إقليمية فى مجال المواصلات ومنها طريق برى يربط الاسكندرية فى مصر باسرائيل وسوريا وتركيا بما يمكن عربات النقل من نقل البضائع براً من الشرق الأوسط إلى أوروبا.

أما البيت الأبيض فقد خطط لتقديم دعم مالى فورى لغزة. إن الاتجاه الواضح الآن فى جميع المشروعات المطروحة لتحقيق ما ورد فى الملاحق الاقتصادية هو إيجاد منطقة تجارة حرة بين اسرائيل والفلسطينيين والأردن، فى المرحلة الأولى بين اسرائيل والضفة وغزة، وفى المرحلة الثانية تنضم الأردن، وإنشاء بنك الشرق الأوسط للتعاون والتنمية لتقديم المساعدات وتمويل المشروعات لأعضاء المنطقة التجارية الحرة وسوف تخلق المنطقة الحرة كياناً اقتصادياً يضم أكثر من ١١ مليون نسمة ويزيد ناتجه القومى عن ٦٥ مليار دولار سنوياً ويمكن للمشروع أن يضم فى وقت لاحق مصر وسوريا ولبنان.

إن جميع هذه المشروعات وما سوف يظهر فى القريب العاجل تهدف إلى إنعاش اسرائيل وكسر الحواجز التى كبلتها السنوات الماضية وفتح الأسواق العربية أمام إنتاجها وجذب رؤوس الأموال العربية إلى الاستثمار فيها، ومن أجل ذلك لا مانع من بعض التنازلات الشكلية ولا بأس من تدخلات أمريكية وزيارات كلينتونية بعضها للإحراج وبعضها للضغط وبعضها للتخويف والإنذار، كل ذلك كى تهيمن اسرائيل على اقتصاديات العالم العربى وتصبح فى الحقيقة والواقع وليس فقط فى السياسة والفكر مرفأ السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط بعد أن يكون قد قضى تماماً على المقاومة العربية، بل على العروبة نفسها، وبعد أن تكون

المنطقة قد تحولت وتغيرت ففقدت انتماءها القومى واكتسبت انتماء جغرافيا هو الشرق الأوسط.

الاهرام ٢٥ / ٩ / ٩٣

ماتحرقوها وتخلصونا..!

تعددت حوادث الحريق فى مدينة العاشر من رمضان وفى بعض المصانع الوطنية وكان غريباً أن تتعرض المصانع فى مدينة من أحدث المدن الجديدة والتى عرفت التكنولوچيا المتقدمة طريقها إليها - أن تتعرض لحوادث الحريق وأن تجرى عمليات الإطفاء بطريقة بدائية بعد أن قطع العالم شوطاً بعيداً سواء فى الإنذار بالحرائق أو بطريقة إطفائها، ولا شك أن المسئولية تقع أولاً على الأجهزة التى أقامت هذه المدينة والتى مازالت مسئولة عنها، وأيضاً وبشكل مباشر على أصحاب هذه المصانع التى أقاموها بأموال كثيرة وأغفلوا حوادث متوقعة خاصة عندما يكون العمال والحراس والمسئولين عن الأمن فى مستوى التسيب الذى أصبح صفة متصلة بالعاملين فى هذه المهن فى القطاع العام أو الخاص.

وللدهشة الكبيرة التى قوبلت بها سلسلة الحرائق هذه ذهبت التفسيرات تحمل أقصى سوء نيه يمكن أن يظهر فى مثل هذه الأمور. فمن قائل إن هذه الحرائق افتعلت للحصول على مبالغ التأمين والهروب بها إلى الخارج بعد أن لاقت الصناعة المصرية لطمات من تحرير التجارة الخارجية ورفع القيود على الاستيراد وغمر الأسواق بصناعات أجنبية مشابهة للصناعات المصرية وأقل منها تكلفة وسعراً. وقال آخرون بل هى حرائق متعمدة وأن أصحاب المصانع المحترقة من الأخوة المسيحيين فلابد أن هذه الجرائم موجهة للاستثمار المسيحى كوجه من وجوه الفتنة الطائفية اللعينة التى يحاول إشعالها شباب منحرف غير مسئول. وكالعادة انتهت التحقيقات فى جميع حوادث الحريق إلى استبعاد العمد وتعليق الاتهام على السلك الكهربائى الذى حدث به ماس قضاء وقدر تسبب فى اشتعال النار. وجرائم الحريق من الجرائم التى تهتز لها دوائر الشرطة عند الإبلاغ بها، وفى أحيان كثيرة ورغم التقدم العلمى إلا أن أجهزة الإطفاء تعجز دائماً عن مقاومة النيران ولا يوجد دليل أكبر على العجز المؤلم من احتراق دار الأوبرا

المصرية فى أكتوبر ١٩٧١ وهى على بعد خطوات من إدارة الإطفاء نفسها فى ميدان العتبة. وعندما وقع حريق مسرح البالون فى يونيو عام ١٩٧٥ واحترقت معه خيمة السيرك القومى وخيمة مسرح السامر وانطلقت حيوانات السيرك مذعورة فى شوارع القاهرة وبينها الأسود والنمور والفيلة قمت بإجراء تجارب على أجهزة الإطفاء بأجهزة وزارة الثقافة وبدأت بالمتحف المصرى وبه تليفون خاص يتصل بالمطافئ وقد وجدته معطلاً منذ سنوات ووجدت مصادر المياه فى حوش المتحف مسدودة، واكتشفت بعد جولة فى جميع مرافق وزارة الثقافة أننا نعيش بمأمن من الحرائق بالستر وببركة دعاء الوالدين وبفضل توسط أولياء الله الصالحين الذين تزخر بمقابرهم قاهرة الألف مسجد.

من العسير اكتشاف الفاعل فى جرائم الحريق العمد، لذلك فجميع الجرائم تنسب إما إلى عقب سيجارة أو إلى سلك كهربائى حسب الأحوال وحسب موضع النار ومن أين بدأت .ومن المقطوع به أن عقب السيجارة وأن سلك الكهرباء أبرياء من ٩٩٪ من الحرائق التى تنسب لهما زوراً وبهتاناً.

ومن أطرف المحاضر التى تسجل حريقاً ما كتبه رئيس نقطة وهو صول أبلغ بحريق فى مبنى من دور واحد يرتفع عن الأرض عدة أمتار وفوقه قش وانتقل الصول للمعاينة ولم يجد سلكا كهربياً يمكن أن ينسب إليه الحريق كما أن الحريق لم يقع على الأرض لينسبه إلى عقب سيجارة فهداه تفكيره إلى ماكتبه فى المحضر وهو أنه يبدو أن رجلاً كان يركب جملاً ألقى بعقب سيجارة كان يدخنها أعلى المبنى فسقط العقب بين القش واشتعلت النار.

فى بداية خدمتى عملت ضابطاً ببلوكات نظام الاسكندرية، وبلوكات النظام كانت تخطر بالحرائق وتنتقل قواتها إلى مكانها لتضرب كردونا على مكان الحريق وتساعد فى إجلاء الضحايا ثم تستمر لحراسة المكان بعد الإطفاء. وكان وجود ضباط وجنود البلوكات فى الحرائق ضرورياً كوجود رجال الأطفاء سواء بسواء. ومنذ بداية شهر يونيو لاحظت أن الضباط القدامى عندما يصلون إلى المكتب يسألون عن الحرائق هل هناك بلاغ بأى حريق. وبعد ذلك عرفت أنهم تعودا على حدوث حريق فى ترسانة ميناء الاسكندرية فى شهر يونيو كل عام وقبل الجرد السنوى وبدء السنة المالية فى أول يوليو، وكان معروفاً أن هذا الحريق السنوى يغطى العجز الحادث عن السرقات طوال العام وفى كل عام تجرى الشرطة ثم النيابة التحقيق وتعتبر الجريمة ضد سلك كهرباء أحدث شرارة أشعلت ناراً. وكان مدير بلوكات النظام يرفض منع الضباط

الإجازة الصيفية إلا بعد الانتهاء من حريق الترسانة وكان الضباط يقلقون ويسألون عن الحريق كل يوم، وعندما تأخر الحريق بلغ القلق مداه بزميل كان محدداً لزواجه إجازة الصيف اتصل تليفونياً بالترسانة وصرخ فيمن رد عليه.

- ما تحرقوها بقى وتخلصونا ...

وكأنما وقعت الاستجابة لمطلبه ففى اليوم التالى أبلغنا بحريق شب فى ترسانة الميناء وانتقلنا والمطافى ثم النيابة واتضح أن الحريق شب بسبب ماس كهربائى من سلك عار تسبب فى إشعال النار وبدأت لجان الجرد فى حصر الخسائر التى ترتبت على الحريق.

الأهرام ٩٣/٩/٢٥

هل دفنت العروبة فى غزة واريحا ؟

فوجئ العرب كما فوجئت كل شعوب الأرض بالوصول الى اتفاق اعلان المبادئ بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية وهو الاتفاق المعروف باسم (غزة ... وأريحا) ويبدو أن العرب من حظهم أن يفاجأوا بأى شئ يتصل باسرائيل حربا كان أو سلما، فحروب اسرائيل التى هاجمت فيها العرب كانت تقع فجأه استنادا الى نظرية يؤمن بها الاسرائيليون ويعلنونها دائما تقول إن العربى تشله المفاجأه فاذا فوجئ فقد القدرة على التكيف مع الوضع الجديد وحتى يستطيع أن يلم نفسه ويرد على العدوان تكون القوى المفاجئة قد تمكنت من اتخاذ أوضاع تمكنها بعد ذلك من النصر المحقق. قال ذلك الاسرائيليون وعملوا به وهى ليست حقيقة علمية أو واقعية ولاينفرد العرب بأنهم تشلهم المفاجأه فاسرائيل نفسها فوجئت فى حرب ١٩٧٣ وشلت مقاومتها تماما ولولا استجابة الولايات الامريكية لصراخ مائير وديان وغيرهما وبسرعة تم اقامة الجسر الجوى وتدفق السلاح على صحراء سيناء لكانت اسرائيل قد انتهت تماما. واذا كانت المفاجأة لأسباب كثيرة مبررة فى الحرب فهى ليست مبررة في السلام لأنه اذا كان غياب القدرة على التفكير يشل القدرة على الردع فإنه فى السلام العقل الواعى المتيقظ مطلوب حتى تكون الاستجابة عقلانية بعد تحليل وتمحيص واقتناع ولكن هذا قدرنا مع اسرائيل.

لقد اعتبر العرب القضية الفلسطينية دائما قضية فلسطينية أولا عربية اسلامية ثانيا ودخلت القدس وقضية اللاجئين والاستيلاء على أرض العرب ضمير كل مواطن عربى فى كل بقعة عربية ودخلت القضية كقضية كيان كل دولة عربية وشكلت الى حد كبير سياستها بل أصبحت قضية فلسطين هى المحور الأساسى الذى تتحرك من حوله السياسة العربية منذ نصف قرن من الزمان و كانت العامل الاساسى فى قيام ثورات العربية وفى القضاء على زعامات و بروز زعامات أخرى، بل و قضية فلسطين هى التي شكلت العلاقات الدولية

العربية لا فى المنطقة فحسب بل ومن حولها كذلك، فدخول الاتحاد السوفيتى الى المنطقة سببه الأساسى حاجة العرب الى السلاح وعجزهم عن الحصول عليه من أى مصدر غير الاتحاد السوفيتى ووقوف امريكا فى جانب اسرائيل بل وضعها دائما فى موضع الاقوى والاكثر تسليحا كل ذلك له أثره الكبير فى صياغة الحياة السياسية فى منطقة الشرق الاوسط لا فى المنطقة العربية فقط.

والذى تحمل العبء الاكبر هم العرب، كل العرب، أو بمعنى أصح هى العروبة كفكر وكحلم وكواقع تنتسب اليه جماهير من الناس. إن القدس لها مكانتها عند المسلمين ولكنا وجدنا دولا اسلامية كثيرة لا تأخذ من اسرائيل موقف العداء، رأينا تركيا وايران في عهد الشاه وبعد الشاه تمد اسرائيل بالبترول وتعقد معها صفقات السلاح، ومن هنا يتعاظم دور العرب الذين وقفوا مدافعين عن عروبة فلسطين وعن الرموز الاسلامية فى القدس أيضا، فالعروبة أعزت الاسلام ووضعته فى موضع ما تحارب من أجله. لذلك ليس بغريب اليوم أن يتوقف الكثيرون أمام فكرة العروبة تضامنا أو قومية أو حلم وحدة متسائلين ما الجديد الذى طرأ على فكرة العروبة وهل ما سيجرى على ارض فلسطين يدفع العروبة الى الامام أم هل يدفنها ويهيل عليها التراب. إن بعض الكتاب قالوا صراحه إنه باختفاء القضية الفلسطينية وهى القضية المحورية فى الصراع العربى الاسرائيلى سوف تختفى العروبة وسوف يحل مكانها الانتماء الاسلامي. سوف تكون الفكرة الاسلامية عوضا عن الفكرة القومية. وهذا قول يحتاج الى مناقشة فالاسلام لم يكن فى يوم من الايام فى تناقض مع العروبة، وهى لم تكن فى يوم من الايام بديلا عن الاسلام، وفى الانسان الواحد لا تناقض بين أن يكون عربيا مسلما أو عربيا غير مسلم أو مسلم غير عربى، فالاسلام دين انتماء عقائدى والعروبة انتماء ثقافى وحضارى وقومى ولاتنازل عنه ولا مناقشة له والانسان فى حاجة الى العقيدة والانتماء القومي ولايمكن لأى منهما أن يحل محل الاخر وفقدان واحد منهما يجعل الانسان ناقصا يحس بهذا النقص كما أنه لا يمكن أن يتحول احدهما ليكون بديلا للآخر لانه لن يؤدى الوظيفة التى يؤديها الاخر فلكل منهما وظيفته داخل النفس الانسانية. وفى الواقع والتاريخ ما يؤكد ذلك ويثبته. وربما كان أفضل مثل على الحماس لهذين الاتجاهين الخلاف الشهير الذى وقع بين محمد على وولده ابراهيم، فعندما خرجت الجيوش المصرية بقيادة ابراهيم خارج مصر كان محمد على يحلم بامبراطورية اسلامية وكان ابراهيم مقتنعا بامبراطورية عربية وقد تناقش الوالد وابنه مناقشات

طويلة واحتدم بينهما الخلاف حتى قيل انهما الأب والابن رفعا السيوف كل فى وجه الآخر. ولكن ابراهيم كان القائد الفعلى للجيش والذى يقوده من معركة إلى معركة وكانت كلمته فى الشهيرة أنه لن يتوقف مادام يجد أناسا يتحدثون العربية. و كان رد فعل الغرب سريعا ومباشرا وجاءت فرنسا تعلن انها تحمى الموارنة والكاثوليك في لبنان، وأعلنت بريطانيا أنها تحمى الدروز والبروتستانت فى سوريا، وأعلنت روسيا أنها تحمى الارثوزوكس، ووقف السلطان عبد الحميد حاميا للاسلام والامبراطورية الاسلامية .. اشعلوها اذن حربا دينية ثم جاء طوفان القومية العربية فداهم هؤلاء جميعا وقضى عليهم واختفت كل النزعات الدينية لتكون علاقة بين الانسان وربه وسارت العروبة وصاغت جميع هذه الدول فى بوتقة واحدة.

وخطت العروبة خطوة كبيرة عندما قامت جامعة الدول العربية ولا معنى لأن يردد بعض المتفلسفين أن الجامعة العربية أعلن قيامها إيدن وأن الانجليزهم الذين أقاموها. وهى حكاية تاريخية تخلو من المضمون تماما فان الجامعة العربية ومنذ مولدها، مهما كانت القابلة، كانت عربية وعندما دخلت الجيوش العربية فلسطين عام ١٩٤٨ كانت جيوشا عربية، ولا أتوقف كثيرا عند الخيانة وعند الهزيمة وعند مؤامرات الدول الكبرى وفرض الهدنة وغير ذلك من أحداث ولكنى فقط أتحدث عن فكرة العروبة. وهزم العرب فى فلسطين وكانت اسرائيل وقيل لقد انتهت العروبة وقضى على الفكرة تماما وهناك خريطة للشرق الاوسط ستضعها اسرائيل. قامت اسرائيل وقويت وتسلحت واعترف العالم بها وحذفنا من قاموسنا كلمة (المزعومة) ثم أصبحت تستقبل المهاجرين وتشهر الحروب وحدها أو مع حلفائها.

فهل ماتت العروبة أم زادت قوة وقامة؟

وفى حرب ١٩٦٧ احتلت اسرائيل الضفة وغزة والقدس والجولان وسيناء وقال المحللون جميعا لقد انتهى العرب وأعلن قائدهم تنحيه عن المسئولية وتحمله لها وهاجمت الجماهير العربية حتى أعادته الى مكانه ولم تسقط العروبة بل زادت قوة ومناعة وكانت لاءات الخرطوم ثم كانت حرب الاستنزاف.

إن العروبة اليوم ومنذ حرب الخليج تمر بفترة من أسوأ ما مرت به فى تاريخها وربما كان ذلك من الاسباب التى دفعت اسرائيل الى الموافقة على الاتفاقية الاخيرة وربماكان هذا المشهد العربى صورة مخيفة أمام الفلسطينين الذين وافقوا ووقعوا ولكن هل ما يجرى اليوم أبشع مما

حدث بالامس والذى ذكرته فى الاسطر السابقة؟ نعم ولتكن ضربة ولكنها دائما موقوتة وسوف يخرج العرب منها كما خرجوا من سابقتها. ان أخشى ما أخشاه اليوم أن تتعرض الفكرة القومية للهجوم من العرب أنفسهم .إن أخشى ما أخشاه أن تتحول كلمات عابرة عن ضيق نفسى الى أكبر من ذلك فنقرأقريبا تبادلا للاتهام بين الفلسطينين وسائر العرب وندخل عندئذ فى باب المن والتنكر للحقيقة وخداع النفس. لقد أفزعنى ما قرأته فى بيان أصدرته فتح داخل الأرض المحتلة يوم ٩٣/٩/٧ وهى تندد بتحفظ بعض الدول على اتفاقية اعلان المبادئ. .. «قادونا للمجازر باسم قضية فلسطين ...حكموا شعوبهم بالحديد والنار باسم شعب فلسطين. جعلوا من بعض من تقودوا على بعض فصائل المقاومة أدوات لهم لينالوا من وحدة شعبنا وهذا غيض من فيض نذكره فقط التاريخ..»

صحيح ما تقوله فتح فإن بعض الحكام العرب استقطبوا لحسابهم زعامات فلسطينية ولكن هل من العدل أن تلوم الراشى وتضرب صفحا على المرتشى .. واذا كان هؤلاء الحكام العرب قد انحرفوا بالقضية لحسابهم وحساب زعاماتهم فى دولهم اليس هناك قادة من الفلسطينين قبلوا وارتضوا أن ينحرفوا بقضية هى قضيتهم لحساب آخرين. وقبضوا الثمن. لم يكن هؤلاء القادة من اللاجئين الذين يبحثون عن القوت والا عذرناهم وقلنا مع حكيمنا العربى (طالب القوت ما تعدى) ولكنهم كانوا دائما من أصحاب الرزق الموفور والحياة الرغدة لم يكن ينقصها الا زعامة مفتعلة ورصيد فى المصارف الأجنبية، لا أريد أن أتمادى فى المناقشة فأنا لا أريد أن أدخل فى معركة قبل أوانها، الذى أعرفه وأكاد أراه بل أكاد أقرأ ما سوف يسود منه الصفحات.

ربما كانت أفعالا سريعة واستجابة عصبية لبعض ما وقع فى عواصم عربية من أحداث استفزت الذين يعيشون فى جحيم الأرض المحتلة. وبهذا الاعتبار يمكن اعتبارها بل وقبولها كذلك، أما أن نبدأ فى المعايرة ثم ننجذب الى حيث نتبادل الاتهامات ثم نتقاذف بما لا يجب أن نتقاذف به فهذا ما أخشاه وأعتقد أنه ليس فى صالح فلسطين وليس فى صالح سائر العرب حتى لو وقع ذلك وهو ليس ببعيد عن امكانية الوقوع فإن العروبة هوية لا يمكن التنازل عنها وصفة لا يمكن مناقشتها وتاريخ لا يمكن الرجوع فيه وسوف تستمر وسوف تعيش وسوف تقوم من عثرتها كما قامت فإنها سر الحياة لهؤلاء البشر الذين يعيشون بين المحيط والخليج.

طلعت حرب بين النعناعية والعنانية

قرأت كتابا عن طلعت حرب كتبه الاستاذ رشاد كامل وهو من أشمل وأعمق وأبسط ما كتب عن طلعت حرب وأعتقد أنه الكتاب الأول عن الاقتصادى الكبير بعد كتاب فتحى رضوان عن طلعت حرب. المهم اننى التهمت الكتاب فى ساعات معدودة ولكنى وقفت طويلا عندما جاء فى صفحة ١٢٦ عن وفاة طلعت حرب اذ قال رشاد كامل (ومضت الاسابيع والشهور (٢٤ شهرا كامله) وكان طلعت حرب يقيم فى بلدة النعناعية (قريبا من دمياط) ووافته المنيه يوم ٢١ اغسطس ١٩٤١، عند هذه الكلمات أغلقت الكتاب وعادت بى الذاكرة نصف قرن من الزمان. فى يوليو عام ١٩٤٠ كنت اقضى جزءاً من الصيف وأنا تلميذ فى مدرسة دمنهور الثانوية فى منزل خالى بدمياط وذات يوم جاء جدى ليصحبنى لقضاء عدة أيام في بيته بقريتنا (البصارطة) القريبة من دمياط. وكنت أقسم الإجازة بين دمياط والبصارطة. اذكر اننا كنا نذهب من دمياط الى البصارطة بالاتوبيس وكان يسمى فى هذه المنطقة فى ذلك الوقت الطواف الكافورى - لا أذكر - اذ كان للاتوبيس فى كل منطقة اسما مختلفا فهو كافورى نسبة لصاحب الشركة فى دمياط بجوار الكباس وكانت اخر محطة بالمدينة يغادرها بعدها الى الريف تقع عند كوبرى (غيط النصارى) وبعد مغادرة دمياط يقف الاتوبيس فى قرية صغيرة ولكنها حسنة المنازل اسمها (العنانية) وكانوا يسمونها ايضا (القنطرة البيضة) وفى هذا اليوم من صيف ١٩٤٠ وقف الاوتوبيس أمام منزل كبير من طابقين كان أقرب الى القصر وفى المواجهة كانت مصطبة عريضة يجلس اليها رجل يقرأ فى صحيفة اشار لى جدى على هذا الرجل وقال لى هل تعرف من هذا فأجبته بالنفى فقال - إنه طلعت حرب باشا ..

وعدت انظر للرجل كان يرتدى عباءة سوداء فوق جلباب أبيض ناصع البياض وكانت بين يديه صحيفة يقرأها وسألت جدى هل هذه بلدته فأجاب بالنفى وقال إنه يقضى أياما عند

فلان. ولا أذكر الاسم الذى نطق به جدى وتأهبنا كى يواصل الأوتوبيس رحلته وسمعنا صوت المحرك وتكرر صوته وفجأة أعلن السائق أن الأوتوبيس عطلان وقفز أمامنا ليعبث بالموتور وفجأة لكزنى جدى وهو يقوم وقد لمعت فى عينيه فكرة أشرق لها وجهه.

تعالى نسلم على طلعت باشا.

ونزلت خلف جدى واتجه الى طلعت حرب وقام الرجل يصافحه فى ود وصافحنى وجلس ثم جذبنى الى جواره يسألنى فى أى المدارس وفى أى سنة ثم يتمنى لى التوفيق ونادى طلعت باشا يأمر بالقهوة، ولكن جدى اعتذر وهو يشير الى الاوتوبيس الذى كان يبدو أن أصبح صالحا لاكمال الرحلة فقد رأينا الركاب يعودون الى مقاعدهم وقمنا نصافح الرجل وعدنا الى مكاننا بالاوتوبيس، وبدأ جدى يحكى لى قصة طلعت حرب وما فعله فيه الانجليز وعملاء الانجليز من حكام مصر الذين اطاحوا به حتى جاء الى العنانية تاركا مكانه فى بنك مصر ليجلس جلسته هذه يقرأ الصحف، وسار الاوتوبيس أذكر أن المحطة التالية (للعنانية) أو (القنطرة البيضاء) كانت قرية (الشعراء) ثم (عزب الفشن) ثم (البصارطة) وبعد شهر واحد سمعت بوفاة طلعت حرب وعلمت أن المنية قد وافته فى المكان الذى شاهدته فيه قبل شهر واحد وهو (العنانية) كما هو اسمها فى الواقع لا النعناعية كما ورد الاسم فى كتاب الاستاذ رشاد كامل. وأنا اعرف أن طلعت حرب من الشرقية ولا أذكر ماذا قال جدى عن سبب وجوده بالعنانية أو القنطرة البيضاء وأين كان يقضى وقته وعند من، حبذا لو أكمل الاستاذ رشاد كامل فضله وتعب كما فعل فى كتابه وأفادنا للتاريخ - ماذا كان طلعت حرب يصنع فى العنانية ولماذا كانت إقامته الدائمة أو شبه الدائمة على الاقل.

سمعت بطلعت حرب قبل أن أراه. سمعت به فى الثلاثينيات وأنا تلميذ صغير يلعب فى أجران القرية كانت شركة بيع المصنوعات المصرية تملك أسطولا من السيارات التى كانت تعتبر محالا متنقلة كانت تحمل البضائع وتطوف المدن والقرى فى ريف مصر تعرض بضاعتها وتبيع للناس مصنوعاتها المصرية، كانت وسيلة الجذب هى السينما وربما كانت المرة الاولى التى أراها فى حياتى واذكر أغنية لعبد الوهاب فى الاحتفال ببنك مصر مطلعها يقول.

يابنك مصر دا عيدك

عيد الوطن والمال

وعلى هذه السينما المتنقلة التى كانت توضع شاشتها على الارض شاهدت فيلما تسجيليا عن مصانع المحلة علمت عندما كبرت أنه من اخراج رائد السينما المصرية محمد كريم وعند قيام الحرب العالمية الثانية وعندما تعرض بنك مصر لأزمة صنعها الاستعمار الانجليزى وعملاؤه من الباشوات المصريين شرح لى مدرس التاريخ بمدرسة دمنهور الثانوية الأمر وعرفت من يحارب طلعت حرب ولماذا يحاربه الانجليز.

وعندما تقدم العمر واتسع أفق المعرفة ودفعتنى الحياه لكى أعمل بالثقافة وقفت طويلا أمام جهاد طلعت حرب الثقافى لا الاقتصادى. إنه منشئ ستوديو مصر وشركة مصر للتمثيل والسينما ومطبعة مصر وهو الذى بنى مسرح الازبكية. وبعد عمر طويل عندما أنشأت الدولة وزارة الثقافة وبدأت تدخل ميدان الانتاج الثقافى كانت مطبعة مصر مولد القطاع العام فى مجال الطباعة والنشر، وكان مسرح الازبكية، مهد القطاع العام فى مجال المسرح بل مسرح الازبكية ظل منذ انشأه مقراً للفرقة المصرية والفرقة القومية والمسرح الحديث ثم المسرح القومى وظل منارة المسرح منذ أنشأه طلعت حرب الى اليوم.

فى تاريخ مصر شخصيات لها بصمات وسيظل طلعت حرب واحدا من الذين صنعوا مصر الحديثة نذكره ونحن نبيع اقتصاد مصر ونخصص بنوك مصر ونعرض ستوديو مصر للشارين، ومن سخرية القدر أن يقرر الغرب الاحتفال عام ١٩٩٥ أى بعد عامين بمرور قرن على صناعة السينما العالمية وتقرر الحكومة الفرنسية وهى مهد صناعة السينما على أيدى الاخوة لوميير تقرر بين ما قررته الاحتفال بقلاع السينما فى العالم ومن بين هذه القلاع (ستوديو مصر) الذى قررت أن تنفق على تجديده ليكون أحد معالم الاحتفال بمرور مائة عام على اكتشاف فن السينما .. هذا فى نفس الوقت الذى نعرضه فى مصر للبيع ولعن الله أمة تبيع تاريخها ورحم الله طلعت حرب.،

الاهرام ١٩٩٣/١٠/٢

بمناسبة تشكيل حكومة جديدة
هل نحن فى حاجة الى وزارة للأمن؟

ترتفع بين الحين والآخر خاصة اذا لاح فى الافق تعديل وزارى أو نحوه أصوات تطالب باختصار عدد الوزارات إما بإلغاء البعض أو بإدماج أكثر من وزارة فى وزارة واحدة، والغريب أن هذه الصيحات تأتى من أناس المفروض انهم عركوا الحياة الادارية وعرفوا الى حد كبير اختصاص الوزارات وعرفوا بالتالى قابلية بعضها للاندماج فى البعض الآخر.

وفى هذا السياق تبدى حجج كثيرة وتعقد مقارنات بين مصر الدولة النامية وغيرها من الدول العظمى، وفى مجال المقارنة يتضح أن حظ مصر من الوزارات وبالتالى من الوزراء أكبر من حظ بعض الدول الكبرى ويخرجون من ذلك على أننا إزاء هذا التضخم فى عدد الوزارات والوزراء مطالبون بإحداث نوع من التخفيض حتى نوازى الدول الكبرى وكأن عدد الوزارات أو عدد الوزراء يخضع لحجم الدولة ولا علاقة له بوظائف معينة مفروض أن تقوم بها هذه الوزارات..

وبعض الناس يحسون بسعادة كبيرة اذا ألغيت وزارة أو اذا خرج وزير بصرف النظر عن علاقة هذا المواطن السعيد بالوزارة الملغاة أو بالوزير المفصول. فى الستينات كان صديق لى يجلس فى سيارة الاوتوبيس وكان جاره يقرأ فى صحيفة يومية وارتفع صوته وهو يقرأ فلان خرج من الوزراء وصاح جار للاثنين «أحسن .. فى ستين داهية» والتفت صديقى يسأل هذا السعيد هل يعرف هذا الوزير فأجابه بالنفى، هل سمع عنه أى شئ يجعله يسعد هذه السعادة بمغادرته الوزارة فأنكر الرجل فى صراحة شديدة أنه يعرف عنه أى شئ من قريب أو من بعيد، وكان لابد أن يسأله صديقى اذن لماذا هذه السعادة الشديدة التى تلوح عليك لمجرد أن سمعت أن الرجل فقد منصبه فأجاب الرجل وهو يعبر بذلك عن نفسه وعن كثيرين من غيره.

- ما كلهم ولاد كلب ...

اذن فهو موقف عام من الوزراء، ربما كان موقفا طبقيا وربما كان رفضا لكل هذه الفئات صاحبة القرار ربما كان شيئا أعمق من ذلك، ولكن الغريب هنا أن منصب الوزير فى مصر له جاذبية شديدة تجعل بعض الناس يضحون بأشياء كثيرة فى سبيل الحصول عليه، ورغم ذلك فهو فى نفس الوقت من أكثر المناصب جلبا للكراهية والسخط يقابل ذلك على طول الخط الجاذبية الشديدة التى تنطلق من هذا المنصب لكى تجذب ألوان المداهنة والنفاق، وطالما شاهدنا ونشاهد كيف يعامل الوزراء فى حضورهم وكيف يعاملون فى غيابهم. المهم نعود الى الوزارات وهى موضوعنا اليوم مع احترامنا الشديد للسادة الوزراء وليكن حديثنا فى المجرد لا صله له بهذا أو ذاك. عندما أعلن رئيس الجمهورية منذ عشرين عاما عن الغاء وزارة الثقافة هلل الكثيرون لهذا القرار العبقرى وقال البعض اننا لا نحتاج الى وزارة الثقافة وهل كان عندنا وزارة ثقافة عندما ظهر فى مصر طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ؟ طبعا لا.. لماذا اذن يكون عندنا وزارة ثقافة؟ وكأن وزارة الثقافة هى التى عطلت ظهور طه حسين جديد أو عقاد جديد أو حكيم جديد أو محفوظ جديد. أو أن العكس هو الصحيح أى انه اذا لم يكن عندنا وزارة ثقافة لظهر طه حسين جديد وعقاد جديد وحكيم ومحفوظ جديدان. وقال آخرون إن أمريكا ليس بها وزارة ثقافة فلماذا يكون عندنا ونسى هؤلاء أن أمريكا ليس بها وزارة تخطيط ولا تموين ولا صناعة ولا انتاج حربى .. ولا.. ولا .. فلماذا فقط تلغى وزارة الثقافة لأنه لا يوجد مثلها فى أمريكا ولا تلغى الوزارات الاخرى التى ليس لها مثيل فى أمريكا. وقالت طائفة ثالثة إن وزارة الثقافة هذه من نتاج النظام الشيوعى فهى لا توجد الا فى الدول الشيوعية ورد عليهم آخرون فقالوا إن فى فرنسا وزارة ثقافة وكذلك فى ألمانيا وايطاليا وهى دول غير شيوعية ... وهكذا اذا ألغيت وزارة أو فكر أحد فى الغائها فسوف يلاقى ترحيبا شديدا وسيبحث له السعداء بالالغاء عن حيثيات ربما لم تخطر له على بال. هذا عن الالغاء ولكن البعض يتواضعون فيتحدثون دائما عن الادماج والوزرات المرشحة للادماج هى وزارت فى نظرهم متشابهة أو قريبة فى الاختصاص فلا داعى اذن لوجود وزارتين ويكفى وزارة واحدة لماذا ؟يكون الرد الجاهز خفضا للنفقات. وكيف يتحقق خفض النفقات هل سيطرد موظفو الوزارة الملغاه أم المندمجة؟ بالطبع لا اذن فهل هو مرتب الوزير ووكلاء الوزارة وهل الغاء مرتب هؤلاء يحقق خفضا فى المصروفات. وهل يساوى هذا الخفض ان كان من الممكن

تحقيق هذا التخفيض بالغاء نصف بند العلاقات العامة فى أى وزارة من الوزارات. لى صديق أراد أن يخفض من مصاريف التدخين فتوقف عن شراء الكبريت. اذن ما الذى يراد بالوزارات.
كتب ويكتب هذه الايام كلام كثير عن التشكيل الوزارى الجديد، ولأن هذا التشكيل الجديد يأتى فى نفس الوقت الذى يتم فيه الاصلاح الاقتصادى والذى يتغير فيه نظام المجتمع وندخل فى اقتصاديات السوق فلابد أن يصحب ذلك الغاء وزارات ظهرت فى النظام القديم ولم يعد لها أهمية فى النظام الجديد. ولكن أليس فى ذلك استعجال لشئ لم يحدث بعد فمازلنا رغم بداية عملية الخصخصة نعيش فى ظل قطاع الاعمال ورغم الغاء الدعم فمازالت بعض السلع الاساسية مدعمة ولن يحدث أن ينتقل المجتمع بين يوم وليلة من نظام اقتصادى الى نظام آخر. ان ذلك لا يحدث بقرار ولا عشرات القرارات ولكنه نظام يأخذ حقه فى النضوج ثم يظهر وفى نفس الوقت يختفى نظام آخر. ضرب مثل بوزارة التموين ورد رئيس الجمهورية إن وزارة التموين باقية لأن الدعم باق للخبز وبعض السلع الاساسية، وعلاوة على ما تحدث به السيد رئيس الجمهورية فان وزارة التموين ليست من اختراع ثورة يوليو وليست من انجازات النظام الشمولى أو الاشتراكى فوزارة التموين انشئت فى عام ١٩٤٠ عندما شكل حسن صبرى باشا وزارة فى ٢٧ يونيو وعين وفيها صليب سامى بك وزيرا للتموين كانت الحرب العالمية الثانية قد بلغت أشدها وكانت بعض السلع قد اختفت من الاسواق وبدأت الحكومة توزع بعض السلع بالبطاقات كالزيت والسكر والبترول وبدأ بيع الخبز بالميزان. وأنشئت وزارة التموين للإشراف على تنفيذ هذه النظم وظلت قائمة منذ عام أربعين حتى تجاوز عمرها نصف القرن، ولا أعتقد اننا حتى لو اختفى الدعم بعد أعوام نستطيع أن نترك الناس كل الناس فقيرهم وغنيهم للسوق حتى فى المواد الاساسية وحتى فى لقمة العيش التى تقيم الاود ونظل فى حاجة الى جهاز يوفر الخبز والمواد الاساسية للفقراء ولو بسعر معقول.

من الاقتراحات التى ارتفعت هذه الايام وترتفع بين حين وآخر ادماج وزارتى الرى والزراعة فى وزارة واحدة ويقال كلام كثير فالزراعة تحتاج الى ماء والماء يتبع وزارة الرى وكأن احتياج الزراعة للماء اكتشاف جديد لا يعرفه الناس منذ وجدت الزراعة أو وجد الماء. أولا أريد أن أقول عن خبرة إن عملية ادماج الوزارات من أخطر ما يحدث فى الادارة المصرية بالنسبة لحقوق العاملين وأقدميتهم ومخصصاتهم، وقد شاهدت بعين رأسى وكنت مسئولا فى وزارة (الثقافة) التى تعرضت للاندماج وللفك عدة مرات رأيت كيف تضيع حقوق العاملين

وشاهدت كيف تتفاوت مرتبات اثنين من الموظفين يحملان مؤهلا واحدا ويجلسان فى حجرة واحدة ويؤديان عملا واحدا ويقبض أحدهما ضعف الاخر لأن هذا يصرف له بدل طبيعة عمل لأنه جاء من تلك الوزارة وهذا لا يصرف له لأنه من موظفى هذه الوزارة أصلا ... اذا فكر رئيس الوزراء فى ادماج وزارات أو مصالح فلابد أن تدرس أوضاع العاملين دراسة متأنية محايدة حتى لا تضيع مصالح الناس، هذا عن الادماج كسياسة أو اسلوب أما بالنسبة للزراعة والرى فقد حدث أن اندمجا مرة وأعتقد فى النصف الثانى من السبعينات واذا لم تخنى الذاكرة حدث هذا عندما كان المهندس ابراهيم شكرى وزيرا للزراعة والرى ثم لم تعش التجربة ولم تتكرر بعد ذلك. واذا عدنا للتاريخ لوجدنا أن وزارة الرى أقدم من وزارة الزراعة.

وزارة الرى حديثة التسمية، واضافة الموارد المائية لاسم الوزارة حديث جدا ربما فى آخر وزارة لعاطف صدقى ولكن اختصاص وزارة الرى كان جزءاً من اختصاص وزارة الاشغال التى انشئت منذ انشاء مجلس الوزاراء فى عام ١٨٧٨ وفى أول وزارة كلف الخديوى اسماعيل نوبار باشا بتأليفها ضمت على باشا مبارك ناظرا للاوقاف والمعارف العمومية وناظر للاشغال العمومية وبعد أربعة أشهر توصلت الوزارة الى الشكل النهائى فاشتملت على سبع وزارات هى الداخلية والخارجية والجهادية والمعارف العمومية والاوقاف والحقانية والاشغال. وكان اختصاص وزارة الاشغال فى ذلك الوقت يضم اختصاصات وزارات الرى والمواصلات والكهرباء والاسكان المعروفة الآن. بل انضمت الى اختصاص وزارة الاشغال بعد سنوات قناة السويس بعد افتتاحها، وحتى الى وقت قريب كانت دار الاوبرا الملكية تتبع وزارة الاشغال اذ كانت هذه الوزارة تتبعها المبانى الحكومية وكانت الاوبرا الملكية وحتى انتقلت الى وزارة المعارف مجرد مبنى حكومى. أما وزارة الزراعة فقد ظهرت أول ما ظهرت فى ٢٠ نوفمبر ١٩١٣ فقد أصدر الخديوى عباس حلمى الثانى أمرا سلطانيا بانشاء وزارة الزراعة جاء فيه:

نظرا للحالة الخاصة بهذا القطر الذى هو قطر زراعى بطبيعته بحيث يجب بذل أقصى الاهتمام بتنظيم أعمال مصلحة الزراعة وتوسيع نطاقها حتى يكون لها أثر فعال فى السير بالبلاد فى طريق الرفاهية والارتقاء أكثر من ذى قبل،

فبعد موافقة رأى مجلس النظار أمرنا بما هو آت:

المادة الاولى:

تكون مصلحة الزراعة نظارة يتولى ادارتها ناظر يعاونه وكيل نظارة. وهكذا صارت وزارة الزراعة وأصبحت فيما بعد من أهم الوزارات. ثم أنشئت وزارة للاصلاح الزراعى ووزارة لاستصلاح الاراضى مالبثتا أن انضمتا الى وزارة الزراعة فأصبح الاصلاح الزراعى هيئة تتبع وزارة الزراعة وأصبحت الزراعة وزارة للزراعة واستصلاح الاراضى.

أما الرى والموارد المائية فأعتقد وأى انسان يعرف الظروف التى تمر بها الحياة فى الشرق الاوسط وفى منطقتنا يعرف تماما أن مشكلة المياه هى المشكلة القادمة فى الطريق وليست منابع النيل فى أثيوبيا ولا فى كينيا ولا فى السودان بمعزل عن مشاكل كثيرة قادمة. والذين يقرأون عن مشاكل المستقبل القريب يعرفون تماما أن معاركنا القادمة سوف تكون على نقطة ماء لذلك فبقاء هذه الوزارة ليس ضروريا فحسب بل هو مشاركة حيوية وهامة، لا أقصد البقاء كجهاز ادارى ولكن كجهاز يبحث ويدرس ويعمل على توفير المياه لاستزراع الاراضى الشاسعة حاليا والبحث فى المستقبل. قد يقول قائل إن مهمة الدراسة والبحث تقع فى اختصاص مجالس البحوث ومعاهدها وربما فى اختصاص مجالس متخصصة ايضا ولكن أضيف الى ذلك أن الاولى بهذه الدراسات التى يجب أن تقوم بها مختلف أجهزة البحث هى الوزارة المختصة التى تملك التطبيق العملى للنظريات البحثية. ان وزارة الرى والموارد المائية من وزارات الماضى والحاضر والمستقبل وحرام أن تلحق بوزارة اخرى مهما كان حجمها ودورها.

الاقتراح الثانى الذى يظهر فى مثل هذه المناسبات وهناك ايضا الحاح عليه هو ادماج الاعلام والثقافة وقد جرب هذا الإجراء وفشل فشلا ذريعا. فالاعلام كما يظهر من اسمه وطبيعته اعلام الناس بشئ أى ابلاغهم به أما الثقافة فدورها وهدفها يختلف تماما عن هدف الاعلام، والثقافة هى عصب هذا الشعب وهى هويته وهى ثروته الحقيقية وعندما تبدأ مشاكل هذه المنطقة السياسية فى أن تجد لها حلا تبدأ الثقافة المصرية فى أن تتخذ دورها الحقيقى فهى مصدر ريادة هذا الشعب ومصدر قوته فى نفس الوقت.

فى تاريخ الوزارات المصرية وزارات غريبة ظهرت واختفت أو تغيرت رسالتها فوزارة الشئون الاجتماعية ظهرت فى وزارة على ماهر ١٩٤٠ وكان اول وزير لها عبد السلام الشاذلى باشا. وان كان البعض يتصور انها من وزارات الثورة.

وفى وقت الحرب العالمية الثانية تشكلت وزارة للوقاية من الغارات الجوية سميت وزارة الوقاية المدنية كان أول وزير لها فى وزارة حسين سرى باشا عام ١٩٤٢ عبد القوى أحمد باشا. وفى وزارة أحمد نجيب الهلالى فى أول مارس ١٩٥٢ والتى استقالت فى ٢ يوليو ١٩٥٢ كانت هناك وزارة ظهرت لأول مرة واختفت أيضاً مع اختفاء هذه الوزارة هى وزارة دولة للدعاية وكان وزيرها هو الأستاذ محمد فريد زعلوك.

المهم أن الاقتراحات بالإدماج أو الإلغاء فى حاجة إلى تفكير وهى دائماً ليست فى صالح العمل الوزارى وبالتالى ليست فى صالح الشعب.

ولكن هناك وزارة لم يفكر فيها أحد من المشغولين بالتشكيلات الوزارية رغم أنه ليست اختراعاً بل هو أسلوب اتبعته أغلب دول العالم وهو إنشاء وزارة للأمن العام بعد فصل أجهزته عن وزارة الداخلية فاختصاص وزارة الداخلية يتسع حتى يشمل أموراً لا تتصل مباشرة بالمفهوم الحديث للأمن العام. لقد حدث ذلك فى الخارج ويحدث فى مصر الآن فقد تطورت الجريمة ولم تعد وقفاً على الجرائم التقليدية التى عرفناها طوال هذا القرن والقرن السابق له وظهر نوع من الجرائم فى حاجة إلى مكافحة بطرق تتوائم مع تطوره وخرجت آثار الجرائم عن حدود إصابة المجنى عليهم إلى آثار عريضة تستهدف المجتمع كله أمناً وسياسة واقتصاداً. وهذا ما تنبه إليه المجتمع العالمى ويحاول أن يعالجه بتخصيص جهاز بل وزارة كاملة يكون اختصاصها الأمن العام بمختلف صوره، فلم يعد من المعقول أن يكون وزير الداخلية المسئول عن الأمن مسئولاً عن إدارة الانتخابات وإدارة المرور والدفاع المدنى والحريق والأحوال المدنية والحج وأمور و إدارية كثيرة أخرى. صحيح هناك إدارات مختصة وهناك مساعدون للوزير ولكن كل هذا فى النهاية يحتاج إلى عقل واحد وقلب واحد (وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) قد يقال إنه ليس من الحكمة والداخلية فى معركتها الآن مع الإرهاب أن يتوقف كل شئ لنبحث ونشكل، وربما كان هذا الكلام منطقياً وسواء فكرنا فيه اليوم أو الغد فهو سبيلنا فى النهاية ونحن لا نعارض التطور حتى لو قاومناه ردحاً من الزمان فليكن فى (أجندة) الإصلاح السياسى والإدارى، وأود أن أنبه مادمنا قد تعرضنا للإرهاب أن الحل البوليسى ليس هو أفضل الحلول وليس هو الحل الوحيد وربما كان آخر هذه الحلول فى تفكير الوزارة الجديدة أيضاً أن تتسع اختصاصاتها لبحث هذه الأمور.

* * *

العمدة .. بين التعيين والانتخابات

إذا اختل النظام وعمت الفوضى وانتشرت الفتنة فى بلد من البلاد قلنا أنه (بلد من غير عمدة) ومفهوم هذا القول أن العمدة هو الذى يحفظ النظام ويمنع الفوضى ويحارب الفتنة. والحقيقة أن هذا هو المفروض ولكن ليس كل ما هو مفروض يتحقق وكثيراً ما تذهب الامنيات أدراج الرياح. ومنذ عرفت مصر نظام العمد وهى تئن منه وتتوجع فالعمدة فى أرض الإقطاعى سيفه المسلول وسوطه الذى يشق أجساد الفلاحين وصرافه الذى يعتصر من دمائهم فهو وسيط الشر وربيب الخبث وسفير إبليس. والعمدة فى أرض الحكومة موظف قاسٍ كاذب ومرتشٍ ولص يسرق الطرفين لحسابه الخاص يقتص من الفلاح ومن صاحب الأرض كناظر الوقف سواء بسواء. والعمدة فى أيام السخرة هو مورد الأنفار مسئول عن توريد عدد معين من البشر يسوقهم كالبهائم لا فرق عنده بين شاب وشيخ، بين سليم ومريض، بين مشرف على الموت ومن هو فى عنفوان صحته وشبابه. إنه مسئول عن العدد فقط لا عن محتواه. وهو فى زمن التجنيد عين لا تخطئ وجاسوس له ألف أنف وأنف يشم الأنفار الهاربين على بعد مئات الأميال وآلاف الكيلو مترات. وهو فى أرضه إقطاعى صغير يضم إلى صفات الإقطاعى قسوة السلطة الغاشمة التى تضرب ولا تضمد وتسيل الدمع ولا تجففه وهو فى الجرائم شاهد زور يأتى بالمتهم ربما قبل أن تقع الجريمة ولديه اعترافات جاهزة وموثقة بتوقيع المعترفين أو على الأقل ببصمة أصابعهم العشرة.

هناك عمد صعاليك موظفون عند الباشوات والباكوات وهناك من العمد باشوات وباكوات وفى تاريخ الإدارة فى مصر عشرات النماذج.

ربما كان أشهر عمده فى الفن هو عمدة كفر البلاص الذى باع القطن ونزل إلى القاهرة

وخفيره خلفه يحمل سلاحه الميرى وذهب يفنطز فى شارع عماد الدين فالتقطه الفنان الكبير نجيب الريحانى فخلده فى أعماله الكوميدية الرائعة.

سمعت أم كلثوم وعبد الوهاب والشيخ رفعت فى دوار أحد العمد لأول مرة عام ١٩٣٤. كان ذلك فى بيت محمد بك عيد عمدة درشابه مركز المحمودية محافظة البحيرة. كنت تلميذاً بمدرسة درشابه الابتدائية، وكان الراديو قد بدأ يظهر فى بيوت قليلة فى المدن وأقل من القليلة فى الأرياف واشترى محمد بك عيد الراديو ووضعه على نافذة حجرة المسافرين يسمعه عليه القوم الجالسون فى الداخل والفلاحون الجالسون فى الحوش خارج المبنى وكنت واحداً من الجالسين. كان هذا العمدة هو صلتى بالمخترع الحديث - الراديو .

عندما عينت فى أول خدمتى ضابطاً بمركز منوف كان هناك جمعية (عمد) بعد أيام وهو اجتماع يضم جميع عمد قرى المركز مع المأمور وبقية الهيئة البوليسية بالمركز. كان الكثيرون يهتمون بجمعية العمد اهتماماً كبيراً فالضابط الذى يريد خادمة لأهله أو لأقاربه أو لأصدقائه ينتظر هذا اليوم ليكلف عمدة أو اثنين بالمهمة أو لكى يحاسب عمدة أخلف الميعاد، وعامل البوفيه يسعد باجتماع هذا العدد الكبير من الشريبة وبعضهم سوف يمنحه بقشيشاً سخياً وصاحب مطعم الفول المجاور للمركز ينتظر هذا الاجتماع بفارغ صبر لأن غفراء العمد سوف يتناولون طعامهم لديه. وقبل الاجتماع بيومين دخل مكتبى بالمركز الشيخ الكمشوشى مراسل المقطم فى منوف والكمشوشى نسبة إلى كمشوش وهى قرية فى مركز منوف غير كمشيش التى تتبع مركز تلا والتى حدثت فيها جريمة قتل اتهمت فيها عائلة الفقى بقتل صلاح حسين زوج شاهندة مقلد، كمشوش هى قرية الشاعر البائس عبد الحميد الديب المهم أن الشيخ الكمشوشى وضع أمامى على المكتب عدداً كبيراً من الكتب القديمة اشتراها من سور الأزبكية وطلب منى أن أبيعها للعمد فى الاجتماع وقد كتب على كل كتاب الثمن الذى يريده هو جنيه.. نص جنيه .. ريال وهكذا. وثرت فى وجه الشيخ الكمشوشى ورفضت فكتب فعلاً فى جريدة المقطم يهاجمنى فيه عنوانه (اغيثونا من الحويكم الجديد) والحويكم تصغير حاكم وهو أنا إذ كنت مجرد ملازم لا أستحق لقب حاكم.

عندما يتولى أحد الأحزاب الحكم كان أول عمل يقوم به وزير الداخلية الجديد فصل عدد كبير من العمد هم أنصار الحزب الآخر. وكان انتقال منصب العمدة من شخص إلى آخر يتم الإعلان عنه بزفة التليفون عندما ينتقل من بيت العمدة القديم إلى بيت العمدة الجديد وكان

التليفون يستقبل بالزغاريد وبإطلاق الرصاص ابتهاجاً بقدومه السعيد.

كان من مؤهلات العمدة أن يكون ميسور الحال يملك عدداً من الأفدنة ولم يكن هذا الشرط يتصل فقط بأن يكون العمدة من أصحاب الطين ولكن أن يكون قادراً على الإنفاق على العمودية، إذ نص قانون نظام البوليس القديم على أن من مسئولية العمدة إطعام أهل الحفظ لذلك كان تناول الداورية - حتى إذا كان رئيسها ضابط أو المأمور نفسه - تناولها الطعام عند العمدة ليس كرماً من العمدة ولا تطوعاً ولكنه تنفيذ حرفى للقانون.

نقل مأمور أحد المراكز وفى حضرة المأمور الجديد وبحضور عدد من العمد الذين جاءوا للتهنئة تحدث البعض عن مثالب المأمور السابق وهى عادة مصرية صميمة وانبرى أحد العمد للدفاع عنه وسألوه لماذا هذا الدفاع الحار فقال العمدة: والله الراجل كان طيب وابن حلال أنا مرة نقلونى للصعيد والراجل نزل مصر وعمل المستحيل لحد ما لغى النقل. وسأله المأمور الجديد دفعت له حاجة ورد العمدة - مبلغ بسيط على قد المشوار والمصاريف. وضحك الموجودون من سذاجة العمدة ومن فجر (بضم الفاء) المأمور الذى اخترع قصة نقل العمدة حتى يحصل منه على مبلغ، ومتى كان العمد ينقلون؟ وذات يوم دخل عمدة على نقطة بوليس .. كان ضابط النقطة كونستبلا ولاحظ المأمور إن الكونستابل معكر المزاج فسأله عن السبب فقال الكونستابل إن الحكومة سوف تبيع النقطة لذلك فهو حزين لا يعرف ماذا يعمل بعد أن يبيعوا النقطة وسأله العمدة - حيبيعوها بكام وأجاب الكونستابل بميتين جنيه بس وسأل العمدة - ودى تكسب؟ ورد الكونستابل - طبعاً .. المخالفات وحدها تدر دخلاً كبيراً.. مخالفات الحيازات ومخالفات الرى وغيرها. واتفق العمدة مع الكونستابل على أن يبيعه النقطة ودفع له المقدم مائة جنيه وزيادة فى طمأنة الزبون سلم الكونستابل للعمدة الخيل الحكومية وكانت ثلاثة أحصنة تأكل الحديد. وبعد أيام حضر العمدة إلى النقطة فلم يجد الكونستابل ووجد كونستابلاً آخر مكانه وعرف أن القديم قد نقل، ولاحظ العمدة أن الكونستابل الجديد لا يقدم له فروض الطاعة والولاء كصاحب العمل فقال له كيف يعامله وهو صاحب النقطة بهذا الشكل وكلمة من هنا وكلمة من هنا وانكشف المستور وبدأ التحقيق وقال الكونستابل البائع هذا عمدة مجنون كيف يصدق عاقل أن الحكومة تبيع النقطة؟ وسأله المحقق: وكيف سلمته خيل الحكومة؟ وأجاب لقد وصلت إشارة رسمية من المركز أنه بمناسبة عدم وجود (عليقة) للخيل بالنقطة أو المركز يرجى إطعام الخيل إدارياً لدى العمدة. وحفظ

التحقيق.

قررت وزارة الداخلية إلغاء نظام انتخاب العمد وقيام الوزارة بتعيينهم وسوف تشهد مصر من العمد المعينين ما يفوق ما فعله المنتخبون .. وتحيا الديمقراطية.

الأهرام ٩/١٠/٩٣

هل بدأت أم انتهت ثورة اكتوبر الثانية؟

حقق بوريس يلتسين نصرا كبيرا على البرلمان الروسى بقوة الدبابات والمدافع والسلاح الأبيض وكان ثمن هذا النصر كبيرا فقد سقط المئات داخل مبنى البرلمان وفى شوارع موسكو وعدد القتلى فى أحداث أكتوبر الجارى أكثر من عدد القتلى فى عام ١٩١٧ عندما قامت ثورة أكتوبر الأولى وأستولى الشيوعيون على الحكم أقاموا دولة كانت عظيمة وكان اسمها الاتحاد السوفيتى. قال يلتسين إن الديمقراطية قد انتصرت فى روسيا واعلن الحداد العام وتحول البيت الابيض الى بيت اسود، ولم يكن البيت وحده هو الاسود فكان هناك الاثنين الاسود والثلاثاء الاسود والعاصمة السوداء التى كان اسمها موسكو. وتأكيداً للديمقراطية وعملا بنصها وروحها تتابعت اجراءات بوريس يليسين فبعد القبض على زعيمى التمرد روتسكوى وحسبو اللاتوف وجهت اليهما تهمة محاولة قلب نظام الحكم ثم عزل النائب العام ثم ضغط على رئيس المحكمة الدستورية فاستقال، ولكن استقالته لم تكن كافية فأصدر يلتسين قرارا بالغاء المحكمة الدستورية التي تجرأت ووصفت قراره بحل البرلمان فى ٢١ سبتمبر بأنه قرار غير دستورى رغم أن يلتسين نفسه وهو يعلن من تليفزيون موسكو حل البرلمان اعترف صراحه أنه قرار غير دستورى، ولكن يلتسين وحده صاحب الحق فى اقرار ما هو دستورى وما هو غير دستورى وليس ذلك من سلطة المحكمة الدستورية لذلك يجب حلها. ثم قام بفصل حاكمين اداريين الكسندر سورات وفيتالى موخا وهما حاكما منطقتى امور ونوفو سبير يسك لانهما عارضا موسوم حل البرلمان وعين بدلا منهما ڤلاديمير موليتا وايڤان انيدريك. ثم حل جميع الاحزاب والتنظيمات المعارضة (١٦حزبا وتنظيما) ثم طالب الاقاليم والمقاطعات بحل مجالسها وأعلن أن الاحزاب والتنظيمات المعارضة لسياسته لن يسمح لها بالاشتراك في الانتخابات المقرر اجراؤها فى ١١، ١٢ ديسمبر القادم، وأعلن أن رؤساء الادارات فى الاقليم والمقاطعات

والمناطق المتمتعة بالحكم الذاتى لن يتم انتخابهم وسوف يعينون بمرسوم رئاسى.

ورصدت صحيفة (موسكو فسكايا لوسو موليتسى) المتحمسه ليلتسين مليونى روبل (الفى دولار) لمن يقدم معلومات عن مكان اختفاء قادة التمرد الذين لم يقبض عليهم حتى الان وأهم من تشير اليهم الصحيفة (الكسندر باكشوف) قائد تنظيم الوحدة الوطنية الروسية وايلياكرنستا نيتوف زعيم جبهة الانقاذ الوطنى (وهو ائتلاف قومى شيوعى) وفيكتور رابيلوف زعيم منظمة روسيا العاملة الشيوعية، وكان قرار حظر المنظمات الثلاث قد أصدره يلتسين يوم الاحد ٩٣/٩/٢٦، وبهذه الاجراءات يكون يلتسين قد تولى السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية كل ذلك باسم الديمقراطية وحتى تتحقق الديمقراطية ،وربما تساءل أى معلق سياسى أو أى طالب يقرأ التاريخ ما الفرق بين السلطات التى يحظى بها يلتسين الان وبين السلطات التى كان يتمتع بها ستالين خالق عباة الفرد وأحد بناة الاتحاد السوفيتى المنحل؟ وهل غفر له انتصاره في الحرب العالمية الثانية واقامة هذه الدولة العظمى هل غفر له التضحية بحقوق الانسان وبالديمقراطية وبالحرية؟ اليس هذا هو السبب الاساسى والوحيد لاقامة بنيان ضخم على هشيم من المبادئ الانسانية وهو الذى تسبب فى انهياره بعد سبعين عاما؟ الا يتعلم الناس من التاريخ أم أن السلطة تدير الرأس كما تفعل الخمر الذى يتحدث الغرب وحلفاء يلتسين كثيرا عن غرامه بها و إدمانه لها واقباله عليها بنهم شديد رغم أنه يعانى من قصور فى وظائف القلب.

المهم أن يلتسين سعد بما انجزه. والاكثر سعادة منه هو بلاشك الرئيس الامريكى كلينتون الذى أبدى تعاطفا شديدا و مساندة قوية للرئيس يلتسين، وان كان قد دعاه علانية وعلى مشهد من العالم كله ان يلتزم الديمقراطية الشديدة وقد نفذ بوريس التعليمات حرفيا والتزم بالديمقراطية ومازال ملتزما بها، حتى عندما سقط في البيت الابيض وتحت وقع قنابل دبابات يلتسين خمسمائة قتيل لم يعر الرئيس الامريكى الامر اهتماما لانه كان مشغولا مع قيادته بالبحث عن الموقف فى الصومال بعد أن فقد الجيش الأمريكى. خمسة عشر جنديا، وبالطبع الخمسة عشر جنديا امريكيا فى حساب اى بورصة انسانية فى العالم يساوون اكثر من خمسة عشرألف روسى فالامريكى الواحد بألف هكذا يقول السعر المعلن حتى فى موسكو نفسها، واذا كان الدولار بألف روبل فبالتالى المواطن رالامريكى بألف مواطن روسى هكذا اقتصاديات السوق والسوء معاً ... ما الذى حدث فى امريكا قبل الاحداث الاخيرة، وهل فوجئت بها

الولايات المتحدة الامريكية كما زعمت اجهزة الاعلام أن الامريكان فوجئوا بقرار يلتسين حل البرلمان؟ بل زادت اجهزة الاعلام تضليلا فزعمت أن كلينتون غضب من يلتسين وأنه قال له ثاني مرة ما تعملش كده. الاحداث السابقة لهذا القرار قد تفيد في فهم الصورة من جانب آخر.

لم يكن كلينتون راضيا عن الاوضاع فى روسيا فى الفترة السابقة لهذه الاحداث وكان يلتسين يشير دائما الى أن الذى يقيده والذى يمنعه من الاسراع فى تطبيق اقتصاد السوق وتنفيذ تعليمات صندوق النقد الدولى هو البرلمان والقوى المعارضة له. وفى شهر سبتمبر الماضى والذى صدر فيه قرار يلتسين بحل البرلمان يوم ٢١ منه حدث الآتى. فقد زار تشيرنو موردين رئيس وزراء روسيا واشنطن فى اوائل سبتمبر، كما زارها بعد أيام وزير الدفاع الروسى جراتشيف واجتمع باسبين وزير الدفاع الامريكى, وفى ١٣ سبتمبر زار واشنطن أيضا وزير الخارجية الروسى اندريه كوزيريف واجرى محادثات مطولة مع كريستوفر وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية. وأعقب هذه الزيارات سلسلة من التغييرات فى المناصب الاقتصادية والأمنية فى حكومة موسكو. وكان من اهم التغييرات التى أدخلت الطمأنينة على قلب الرئيس الامريكى وعلى قلب صندوق النقد الدولى هو تعيين إيجور جايدار نائبا أول لرئيس الوزراء ووزيراللاقتصاد فى روسيا وقد قيل فى موسكو وفي واشنطن أن هذا التعيين تم بناء على تعليمات كلينتون، فهذا الرجل معروف باقتناعه الشديد بتعليمات صندوق النقد الدولى واستعداد لتنفيذ كل ما يشير به البنك أو الادارة الامريكية و علاج الاقتصاد الروسى بالصدمات وهو السبب الرئيسى للخلاف بين يلتسين ومعارضيه فى الاحزاب والتنظيمات ومع عدوه الرئيسى: البرلمان.

إن جميع الاجراءات التي اتخذها يلتسين والتي مازال يتخذها والتى تعتبر جميعها قضاء على الديمقراطية ودفنا لها تحت أنقاض البيت الابيض جميع هذه الاجراءات تتنزل بردا وسلاما على كلينتون رب الديمقراطية فى النظام العالمى الجديد لانها تتم لحساب الديمقراطية.

هذا عن امريكا وأين الغرب فى هذه المعمعة ... الغرب تابع ذليل. فإنه بوضوح يرى أنه لابديل لما فعله يلتسين فإنه يرى بوضوح رأى الغرب ابتداء من لندن وانتهاء بتيرانا عاصمة البانيا اخر معاقل الشيوعية فى اوروبا.

فقد قال جون ميجور لا أعتقد أن الرئيس يلتسين كان في وسعه أن يتصرف أى تصرف

آخر غير ما أقدم عليه وأنا أبدى اعجابى الشديد بقوة تحمله طوال الاشهر الماضية ولابد أن يعلم مدى ما نقدمه له من مساندة وتأييد ربما اكثر من أى وقت مضى ..

وقال رئيس جمهورية البانيا لاجدال فى أن رد فعل الرئيس يلتسين كان عملا مشروعا اضطر اليه حتى يعيد الامن والنظام الى روسيا ..

واجتمع إثنا عشر وزير خارجية فى المجموعة الاوروبية فى لكسمبورج وبحثوا الموقف وأثناء اجتماعهم وصلتهم رسالة حسب اللاتوف وروتسكوى، حمل الرسالة صحفى ايطالى وأبلغها لسفير بلجيكا فى موسكو الذى. لوزير خارجيته ونقلهاللمجتمعين، وكانت الرسالة تطلب ضمانا لسلامتهم فى حالة قيامهم بالتسليم، وقد حدث. وتحدث وزير خارجية بريطانيا هيرد فأعلن استعداد المجموعة الاوروبية لاقامة منطقة حرة للتجارة مع روسيا وبحث توسيع تعاونها مع حلف الاطلنطى.اذن فالغرب سعيد جدا بما حدث لماذا لأن يلتسين انتصر على الفاشية والشيوعية وقد رددت اجهزة الاعلام فى العالم كله شرقه وغربه أن روتسكوى وحسبو اللاتوف شيوعيان يريدان اعادة عقارب الساعة الى الوراء وكان من الطبيعى أن يقف الكتاب - جميع الكتاب - ضد الشيوعيين الذين يريدان أن يبعثوا الاتحاد السوفيتى المنحل من التراب ويقيموا امبراطورية شيوعية مرة أخرى.

لاشك أن الجبهة المعارضة ليلتسين تضم شيوعيين قدامى ولكن بالذات روتسكوى وحسب اللاتوف ليسا شيوعيين بأى مقياس من المقاييس، ولو عاد الذين يتهمونهم اليوم بتهمة الشيوعية الى التاريخ القريب .. الى عامين فقط بل بالتحديد الى أغسطس عام ١٩٩١ عندما قامت محاولة الانقلاب ضد جورباتشوف وهو الانقلاب الذى لاشك انه كان شيوعيا تخطيطا وتنفيذا صرفا اين كان حسب اللا توف وروتسكوى .. كانا بجوار يلتسين فى التصدى لمحاولة الانقلاب وبلاشك كان هذا الوقت الفرز الحقيقى للخيار الشيوعى وخيار الحريات والديمقراطية.

إن علاقة حسبو اللاتوف بالذات بيلتسين معروفة ولايمكن أن تقوم مثل هذه العلاقة الوثيقة بين شيوعي و عدو للشيوعية. إن البرلمان الذى حله يلتسين انتخب بعد سقوط حائط برلين وهو برلمان يحظى بأغلبية قومية لاشيوعية وبقى من عمره ١٨ شهرا. الم يكن فى استطاعة يلتسين أن يصبر على البرلمان ١٨ شهرا بعد ما تحمله منه بدلا من أن يقوم بما يؤجج

هذه الثورة.

لكن ما هى حقيقة اسباب الخلاف بين يلتسين ومعارضيه. إن الخلاف يقع فى ثلاثة أمور: الاقتصاد والقومية والديمقراطية. أما الاقتصاد فلاشك أن الاقتصاد الروسى فى حالة انهيار كامل وقد بلغت ديون روسيا الخارجية ٨٠ مليار دولار وفى اخر اجتماع لصندوق النقد الدولى طالب المندوب الروسى إعفاء روسيا من بعض الديون فاعترضت المانيا بشدة وقال مدير البنك الدولى جون اورلينج إن هذا الطلب سابق لأوانه وقد انتشر الفساد وانتشرت المافيا والفوضى فى الدوائر الرسمية فى الادارة الروسية. وعادت البروليتاريا تطالب كما فعلت قبل ثورة اكتوبر الاولى - تطالب بالخبز.

وللخروج من هذه الحالة البائسة يطالب صندوق النقد يلتسين القيام باجراءات عنيفة لتحقيق اقتصايات السوق باستخدام سياسة الصدمات ولقد أدت هذه السياسة الى مشاكل كثيرة فى بعض الدول التي كانت شيوعية من قبل مثل بولندا والمجر وبلغاريا ورغم ذلك فإن الحالة فى روسيا أشد وأقسى لطول الخضوع للاقتصاد المركزى بالاضافة الى حجم روسيا الهائل وذلك يجعل تغيير الاقتصاد مسألة معقدة اشد التعقيد، ولكن صندوق النقد لا يقتنع بذلك ولاينظر الى ماتعاني منه روسيا التي يتوقع الاقتصاديون انه فى حالة الاسراع فى تنفيذ مطالب النقد الدولى سوف تعانى روسيا من بطالة تبلغ عشرات الملايين من شبابها. وهذا رأى بعض الاقتصاديين فى الغرب. ان هذا هو اول خلاف بين يلتسين الذى يخضع تماما لصندوق النقد ومن خلفه الولايات المتحدة ومعارضيه الذين يطالبون بتنفيذ الإصلاحات بالتدريج وببطء حتى لايدفع الشعب الروسى الثمن فجأة ودون استعداد.

أما الخلاف حول القومية فهو الخلاف الذي يوجد بين أنصار الغرب والموالين للقومية السلافية الذين يحلمون بمجد روسيا القديم والذين يشكلون الآن ائتلافا مع الشيوعيين والذين يحلمون بأمجاد الاتحاد السوفيتى الغابرة.

إن ارتماء يلتسين فى احضان الغرب يجعل منه فى نظر الكثيرين من معارضيه عميلا لا حليفا للولايات المتحدة الامريكية، لذلك يعارضه الكثيرون الذين يفكرون كثيرا فى أمجاد القومية السلافية العظيمة.

الخلاف الثالث حول الديمقراطية التي يتصور يلتسين أنه هو المدافع الأول عنهامهما ضحى

بها ولم يسأل احد فى امريكا او الغرب - الذى يساند يلتسين والذى يعلن حتى الآن أن ما حدث فى روسيا كان من أجل الديمقراطية - كيف تتحقق ديمقراطية المواطن الروسى يومى ١١ ،١٢ ديسمبر القادم عندما يتجه الى صناديق الانتخاب لاختيار أعضاء برلمان جديد والمعارضة كلها اما فى السجن أو ممنوعة من المشاركة فى الانتخاب، وجميع القيادات التى وقفت مرة ضد أى قرار ليلتسين محرومة من حقها الدستورى وحكام الاقاليم معينون والمحكمة الدستورية المراقبة للدستور قد حلت - أية ديمقراطية هذه التي سينعم بها المواطن الروسى؟ والسؤال للرئيس كلينتون ولحلفائه الغربيين. ولكن هل انتهت الازمة الى هذا الطريق؟

هناك عامل هام لم يتحرك بعد وهو الجيش الروسى. ان عدم اشتراك الجيش الروسى حتى الان فى الاحداث سياسة مقصوده، فهناك خوف شديد من انقسام الجيش بين المؤيدين ليلتسين والمعارضين له. ولكن الحقيقة تقول ان الجيش لم يقتنع لابالبريستوريكا ولا بجورباتشوف ولا بيلتسين لأنه مازال يحلم بالامبراطورية العظمى التى تهاوت و التى كان الجيش الروسى سمة من سماتها. ان اخبار موسكو تقول إنه لم يعد هناك اقبال على الالتحاق بالجيش فى روسيا ولكن الجيش القائم فعلا مازال يشعر بالاعتزاز و بالحنين كلما فكر فى الامبراطورية التى اضاعها جورباتشوف ويكمل عليها يلتسين.

وبعد. هل يستطيع يلتسين أن يعيش طويلا وأن يحتفظ فى يديه بكل هذه السلطات؟ وانه حتى فى الولايات المتحدة نفسها وفى الدائرة المحدود حول الرئيس كلينتون يدور سؤال - هل من الحكمة وضع كل البيض فى سلة واحدة اسمها يلتسين.

أما في روسيا فالامر مختلف هناك الفوضى والجوع والمافيا والحلم المقتول وهناك المستقبل الغامض الذى سوف يجيب على السؤال الهام. هل ما يجرى الآن فى روسيا هو نهاية لثورة اكتوبر الثانية التى قادها القوميون هذه المرة أم هى بداية لها .. وسوف تجيب الايام القليلة القادمة.

* * *

لماذا كان طلعت حرب يقيم فى العنانية؟

كتبت فى الاسبوع قبل الماضى (٢أكتوبر) عما آثاره كتاب رشاد كامل، عن طلعت حرب من ذكريات ورويت كيف شاهدته فى صيف عام ١٩٤١ قبل وفاته بشهر تقريبا يجلس فى قصر ببلدة العنانية قرب دمياط وهى التي لقى ربه فيها لا النعناعية كما ورد في كتاب الاستاذ رشاد كامل. ورغم أن هذا الحديث جرى فى مفكرة الاسبوع بتاريخ ٢ اكتوبر الا انى وفى أسبوع واحد تلقيت اكثر من خمسة خطابات يفسر لى اصحابها ما غمض على من سبب وجود طلعت حرب بهذه القرية التي كما كتبت لقى فيها ربه رغم انه من محافظة الشرقية. كانت اهم الخطابات من السادة سعد الدين بدران من القاهرة وعزت عبد الحليم من فارسكور ومجدى امين من المنصورة ومن السيدة عفاف عبد الحميد من المنصورة ومن الآنسة زينات محمد احمد من السيدة زينب. ولاأريد أن اتوقف عند المعلومات التي وردت فى هذه الخطابات فجميعها تحمل معلومة واحدة و إن ذكرت بأوجه مختلفة وهى أن طلعت حرب باشا كان يقيم فى العنانية عند صديقه محمد حسن العبد باشا المقاول المشهور، البعض أضاف أن العبد باشا يملك عزبة فى العنانية قرب دمياط وهو دمياطى الاصل وأن طلعت حرب كان يقيم عنده. وقد ذكر واحد من الاصدقاء أن طلعت حرب كان يبنى بيتا فى العنانية وأن الذى كان يبنى البيت هو العبد باشا ولكن لم يكمل بناءه فى حياته ولم يذكر لى أحد من الاصدقاء هل انتهى بناء هذا البيت وربما كان صاحب القول الفصل هم أبناء طلعت حرب وأحفاده.

وننتقل الى نقطة هامة لم أتعرض لها فيما كتبت وقد أدهشنى ان غالبية من كتبوا لى تعرضوا لها ولاشك انه موضوع هام ومثير ومهما مر الزمن فلابد من أن نتوقف بين حين واخر على الاقل فى كل جيل لنبحث أسبابه ونخلص لنتائج يجب أن يعيها شبابنا ليعرفو كيف كانت تحكم مصر وهى فريسة فى قبضة الانجليز والقصر واصحاب المصلحة الحقيقية من عملاء

الانجليز. هذا الموضوع الذى تعرض له الاصدقاء هو أسباب خروج طلعت حرب من بنك مصر أو بالأحرى أسباب اخراج طلعت حرب من بنك مصر. فالصديق سعد الدين بدران يرجع ذلك الى نزاع بين طلعت حرب واحمد ماهر باشا الذى كان رئيسا لمجلس ادارة بنك التجارة والذى كان منافسا لبنك مصر وقد كتب الصديق سعد الدين أن أحمد ماهر خلف النحاس باشا فى رئاسة الحكومة عندما أقال الملك النحاس باشا فى الوقت الذى كان الالمان فيه فى العلمين وتكالب الجمهور على سحب مدخراته من بنك مصر. ويبدو أن الاخ سعد الدين (٨٣ سنة) كما ذكر قد خانته ذاكرته فوصول الانجليز للعلمين حدث فى ١٩٤٢ وكان النحاس باشا فى الحكم منذ حادث ٤ فبراير المشهور، واحمد ماهر باشا لم يخلف النحاس بعد اقالته فى اكتوبر ١٩٤٤ وطبعا عند تعيين النحاس في فبراير ١٩٤٢ كان المرحوم طلعت حرب قد انتقل الى رحمة الله فى اغسطس ١٩٤١. وغير الذى كتبه الاخ سعد الدين كتب كثيرون عن صراع طلعت حرب مع مختلف الشخصيات السياسية وقد جاء فى كتاب رشاد كامل نقلا عن فتحى رضوان أو د.محمد حسين هيكل أو مصطفى أمين يمكن تلخيص الاسباب التى ترددت عن اخراج طلعت حرب من بنك مصر الى عدة اسباب: منها الصراع الذى كان بين على ماهر وطلعت حرب. وفى وزارة على ماهر التى شكلت فى اغسطس ١٩٣٩ عين حسين سرى وزيرا للمالية وهو الآخر عدو لدود لطلعت حرب، أما كراهية على ماهر لطلعت حرب فترجع الى عام ١٩٢٩ عندما رفض طلعت حرب عرض منصب على على ماهر الذى كان وزيرا للمالية فى وزارة محمد محمود (الحديدية) التي خلفت النحاس وكان على ماهر فى ذلك الوقت عضو مجلس ادارة البنك الاهلى. أما حسن سرى فقد قيل انه شارك فى مؤامرة عام ١٩٣٨ لكى يعين احمد عبد الوهاب باشا وزير المالية السابق مديرا لبنك مصر خلفا لطلعت حرب ولكن احمد عبد الوهاب توفى قبل أن تنجح المؤامرة، و كان حسين سرى من أكثر الاشخاص ولاء للانجليز وكان من اكثر الناس ارتباطا بالمليونير احمد عبود الذى كان يسعى كى يرث طلعت حرب فى رئاسة بنك مصر. وقد بدأت الازمة قبل نشوب الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩ عندما تكالب الناس على سحب ايداعاتهم من البنوك، ومن الغريب أن الحكومة سحبت إيداعات صندوق توفير البريد وكان له فى بنك مصر ٣ مليون جنيه ولم يسحب الصندوق ايداعاته فى البنك الاهلى ورغم أنها كانت ٧ مليون حنيه واضطر طلعت حرب أن يطلب قرضا من البنك الاهلى بضمان الحكومة ووافق حسين سرى وزير المالية على ذلك بشرط واحد هو استقالة طلعت حرب وامهله

ثلاثة أيام ولم يتردد طلعت حرب واستقال قائلا-

- ليذهب طلعت حرب وليعش بنك مصر.

يقول فتحى رضوان أنه قبل أيام قليلة من تنحى طلعت حرب عن ادارة بنك مصر ذهب يزور وزير المالية حسين سرى باشا فى مكتبه ويطلب منه أن تقف الحكومة مع البنك فى أزمته الحالية وفوجئ طلعت حرب بوزير المالية يقول له - ياطلعت باشا ان ادارتك للبنك سيئة.

وعلى الفور قال له طلعت حرب - لقد أعطيتك بيدى هذه كخبير ستمائة جنية كل سنة فكيف تكون اليد التى تقبل منها هذا المال لاتحسن الادارة ؟!

المهم أن حسين سرى باشا الذى أطاح بطلعت حرب لرئيسه على ماهر وارضاء للانجليز الذين أغضبهم اشد الغضب انشاء طلعت حرب شركات النسيج فقد كانت سياستهم أن تظل مصر حقلاً للقطن لتموين مصانع لانكشير فقط، وكان وجود طلعت حرب على رأس هذه القلعة الصناعية تهديداً لسياستهم ولوجودهم. المهم دارت الايام وعندما عاد حسين سرى الى الوزارة فى الخمسينيات عرف أن عبود باشا صديقة القديم دفع رشوة مليون جنية للملك فاروق كى يقيله من الوزارة وقبض فاروق المبلغ وأقال حسين سرى ...ان تاريخ مصر فى عهد الديمقراطية الفاسدة التى يتباكى عليها اليوم بعض الفاسدين واعوانهم فى حاجة دائما للكشف عن اسرارها أمام الجيل الجديد الذى لم يعايش ما عايشناه ولم يقرأ ما قرأناه ولا شاهد ما شاهدناه، وجريمة أن نسكت عن هذه الحقائق التاريخية ولاننقلها لهذه الاجيال التى يجب أن تعلم وأن تعلم الحقيقة المجردة لا الاوهام والترهات وحروب طواحين الهواء التى يدعيها الغارقون فى أحلامهم .. أولاد عهود الفساد الذين مازالوا يتغنون بالعفن الذى عاشوا فيه ... الموضوع مفتوح للحوار والى مزيد من الاسرار عن الاطاحة برجل عظيم اسمه طلعت حرب ....

الاهرام ٩٣/١٠/١٦

تم التعديل .. فأين التغيير ..؟

انفض المولد وتفرقت مواكب التهنئة والتبريك وأزيلت السرادقات و جفت الزهور وعاد كل شئ الى حقيقته. خرج من خرج وجاء من جاء. غضب البعض وفرح البعض الاخر. وتأهب الكثيرون للانقضاض على السعداء الذين حلفوا اليمين وهم جميعا صادقون ولكن الزمن له احكام وابليس كان يقف عند الباب يكتب اسماء الذين اقسموا أن يؤدوا أعمالهم بالذمة والصدق وألا يفرطوا فى حقوق الوطن وسيبدأ كل عمله حتى ابليس. لن يضيع احد وقتا فجميعهم يعملون أن الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك ... عاد كل شئ لهدوئه وتذكرت قول الشاعر العربى القديم:

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا

أنيس ولم يسمر بمكـــة سامــــر

وهكذا الدنيا ... ولكن هل يشعر الجميع بالسعادة .. لاشك أن البعض يشعرون بها وأن البعض يحسون انهم وقعوا فى مشكلة حياتهم. أذكر أن الرجل الفاضل الدكتور حسن اسماعيل عندما عين وزيرا للتربية والثقافة كان يقول لى: -

- كنت اقرأ تعبيرا للامام على كرم الله وجهه يقول فيه (الحزن رفيقى) ولم أكن أفهم ماذا يقصد الامام وعندما عينت وزيرا فهمت معناها، فأنا أذهب الى مكتبى كل صباح وكلى نيات طيبة أن استجيب لحاجات الناس وأنفذ لهم مطالبهم ولكنى واثق حتى قبل أن اعرف هذه المطالب انى لا أستطيع أن أنفذها، هم يأملون وأنا أريد ولكن الرغبة شئ والقدرة شئ اخر ... نعم ... منذ وليت أمر الوزارة (أصبح الحزن رفيقى ...).

ولكن كم في الوزارة متصوفا رقيقا يمتلئ قلبه بالخير مثل حسن اسماعيل ...

وتعود لما حدث منذ أسبوع او عشرة أيام، ولا أعتقد أن تعديلا وزاريا فى تاريخنا الحديث قد نال مانالـه هذا التعديل من اعلام واعلان بدأ منذ أشهر طوال بل لقد حدد له أكثر من موعد وتوقع كثيرون أن يتم فى يوليو وربما قبل ذلك أو بعد ذلك، وكان واضحا أن الوقت المناسب هو ماتم فيه بالفعل فاستقالة الوزارة بعد حلف رئيس الجمهورية اليمين وبداية فترة رئاسة جديدة مادامت الوزارة كلها ستخرج - فهو وقت مناسب فعلا لاجراء التغيير المطلوب ولكثرة ما كتب حدد التصور حجما أكبر لما يمكن أن يحدث، وحول بعض الصحفيين احلامهم أو توقعاتهم الى اخبار ولان السياسة الاقتصادية فى مصر تشهد فى هذه الايام تحولا جوهريا عن نظام أتبع اكثر من ثلاثين عاما الى نظام اقتصادى جديد، وهذا التغيير يقتضى تحولات كثيرة فى المجتمع وهذا بالتالى يقتضى تغييرا فى السياسات وهو مرهون أيضا بتغيير فى شخصيات كثيرة من القائمين على امر هذه السياسات .. من أجل ذلك تم الخلط بين التعديل الوزارى والتغيير، فالتعديل هو خروج بعض الوزارء ودخول وزراء جدد أما التغيير فآخر ما يتناوله هو الشخصيات ولكنه فى البداية وضع سياسات جديدة فى مجالات كثيرة ولا أعتقد أننا نجانب الصواب اذا قلنا وضع سياسات جديدة فى جميع المجالات. فبالاضافة الى مايتم فى مصر الآن من تغيير جوهرى فى النظم الاقتصادية الا أن العالم يتغير فى كل شئ ونحن نواجه مظاهر هذا التغيير فى كل يوم وبأسرع مما نتصور، تغيير فى العلاقات بين الدول وتغيير فى موازين القوى السياسية والعسكرية والاقتصادية فى العالم واذا كنا نرفض أن نعترف بأنه هناك نظام عالمى جديد كما تدعى الولايات المتحدة الامريكية فهناك دون شك عالم جديد يتشكل خاضع لقوى كثيرة بعضها قديم وبعضها جديد. وأريد أن أتوقف عند مظاهر هذا التغيير ويكفى أن نشهد ما يحدث الآن فى روسيا وفى بولندا وفى المجر بل وفى الولايات المتحدة نفسها لندرك فعلا أننا ندخل مراحل شديدة التغيير وشديدة التأثير علينا. فليس توقيع منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل على وثيقة اعلان المبادئ على مشهد من العالم كله مجرد بدء الاتفاق على تحقيق سلام هام يمكن أن يكون رغبة فى السلام فى الشرق الاوسط. إن توقيع هذه الوثيقة وبكل المقاييس أخطر ماتم فى منطقة الشرق الاوسط منذ قيام اسرائيل وسوف يستتبع ذلك تغيير فى أمور كثيرة ولايكفى على الاطلاق أن نتصور أن دورنا يقف عند القيام بدور المساعد أو الشريك وأن الساعى لتحقيق توقيع جميع الاطراف العربية على وثائق مشابهة فنحن فى قلب الشرق الاوسط وقضية فلسطين كانت قضية عربية

ومصرية فى نفس الوقت بل إني أقول ودون حساسية انها كانت قضية مصرية وعربية ومازالت ولهذا السبب ولغيره سيكون لما حدث أضخم تأثير على الحياة فى مصر وفى المنطقة وفى دور مصر القومى والعالمى ...

وأعود الى ما بدأت الحديث عنه وهو ماتم من تعديل وزارى وأمامنا وقت طويل نتحدث فيه عن التغيير المطلوب والمأمول معا.

كان واضحا منذ وقت بعيد أن الدكتور عاطف صدقى سوف يعيد تشكيل الوزارة ولكن اعلان ذلك فى بعض الصحف اما عمدا أو سهوا هو السبب فى التمثيلية الصغيرة الذى قام بالدور الاول فيها الدكتور عاطف نفسه عندما تظاهر بعد تقديم الاستقالة أنه لايعرف شيئا عن رئيس الوزراء القادم وكان الدكتور عاطف مقنعا فى تمثيله (وبراءة الاطفال فى عينيه) حتى صدقه بعض الناس من أقرب المقربين الى وزاء قريبين منه واضطربت الامور عدة ساعات واسورت وجوه كانت فرحة مستبشرة من قبل، المهم أن هذا الاضطراب لم يدم طويلا اذ أعلن الدكتور عاطف أنه عائد وصرخ الاصدقاء (كلنا عائدون) وكان تكليف الدكتور عاطف بإعادة تشكيل الوزارة الدليل الواضح على أن التعديل سوف يكون محدوداً للغاية وأن الخيال الذى سرح بالبعض فتصور أن مجزرة سوف تحدث فى الوزارة مجرد خيال، اذ لم يكن منطقيا أن يخرج الدكتور عاطف نصف أعضاء وزارته أو اكثر ليقول للعالم أنه كان يعمل طوال هذه السنوات بنصف وزارة أو أنه كان يتحمل وزراء غير مقتنع بهم ... لم يكن منطقيا أن يحدث هذا وإلاكان السؤال: اذا كانت الامور بهذا السوء داخل مجلس الوزراد فلماذا تسكت ولماذا لا تغير وزيرا أو وزراء في أى وقت تراه؟ اذن فالذى حدث هو منطقي تماما مع عودة الدكتور عاطف رئيسا للوزراء . وبالنسبة للشكل العام للوزارة لم يحدث تغيير كبير يذكر والذى حدث هو ما يمكن أن نسميه بعض التحسينات هنا أو هناك.

أما الادماج أو الالغاء الذى وصل الى أن أصبح فى نظر البعض وكأنه مطلب شعبى فلم يحدث، فلم تدمج وزارتا الزراعة والرى ولا الثقافة والاعلام ولا ألغيت وزارة التموين وهذا ما طالبنا به على هذه الصفحة منذ اسبوعين ولا تأخذنا الثقة بالنفس فنقول إن ما حدث هو استجابة لما طالبنا به اذ يخيل الى فى بعض الاحيان أن هناك ميثاق شرف غير مكتوب بيننا وبين المسئولين وهو أن نكتب ما نشاء وهم يفعلون ما يشاءون (وبادار ما دخلك شر). واذا لم يكن هناك داع للغرور فليس هناك داع أيضا للتواضع ولنقل أن الامر كما يقول أهل البلاغة

(وقوع الحافر على الحافر). المهم أن التغييرات بعد ذلك محدودة جداً فالزراعة واستصلاح الاراضي أضيفت الي الثروة الحيوانية والسمكية ولا أعرف لماذا تجاهل الدكتور يوسف والى الثروة الداجنة والدواجن لا تدخل لا فى الثروة الحيوانية فهى ليست حيوانات ولا فى الثروة السمكية فهى ليست سمكا الا اذا كان الدكتور والى يقصد أن يتنازل عن الدواجن لوزارة اخرى، وفى هذه الحالة فأنا أرشح وزارة المواصلات بعد أن انضم اليها الطيران المدنى واذا لم تكن المواصلات مناسبة فلاشك أن الدكتور ابو الذهب يرحب بالدواجن تماما و وزارته على استعداد (لنتف ريش) أي كمية من الدواجن كما نتف (ريش) الدعم قبل ذلك وبنجاح كبير.

كما ضمت الثروة المعدنية الى الصناعة، وفصل الاسكان والمرافق عن المجتمعات العمرانية الجديدة وانشاء وزارة للسكان والأسرة واضافة البيئة وقطاع الاعمال للتنمية الادارية وتغيير التدريب بالتشغيل فى وزارة القوى العاملة واضافة الانتاج الحربى الى الدفاع .. وكما يظهر فهى تغييرات محدودة أقرب الى التنسيق منها الى التغيير الجوهرى.

ونأتى الى الوزراء ونبدأ بالذين خرجوا. ومنذ البداية لا نستطيع القول أن خروج الوزراء كان متصلا بالمدة التى قضاها الوزير فى وزارته.

فقد بقى وزراء تزيد مدة بقائهم فى الوزارة عن كل الذين خرجوا ولم تكن الافكار السياسية هى السبب فى خروج من خرج وفى بقاء من بقى. محمد عبد الوهاب وزير الصناعة السابق لا يتفق فكريا مع فؤاد سلطان فالثانى رائد من رواد الخصخصة بدأ بها فى مجال الفنادق والمنشآت السياحية، والاول عارض كثيرا فى خصخصة بعض وحدات القطاع العام الصناعية.

المسألة اذن تتصل الى حد بعيد بالعلاقة مع الدكتور عاطف شخصيا ولكى يكون مسئولا عن الوزارة مسئولية كاملة فمن حقه اختيار وزراء يعملون معه بحسب أسلوبه هو وأهم ما يتميز به أسلوب الدكتور عاطف هو الحذر الشديد والتريث الذى قد يصل الى حد البطء، وأعتقد أنه لا يؤمن كثيرا بالوزراء الذين تحولوا الى نجوم كما أنه لم يأت فى وزارته الجديدة بأى نجم من الذين ترشحهم الصحف للوزارة بل إن بعضهم لم تتوقف الصحف عن ترشيحهم للوزارة منذ عشر سنوات على الاقل.

من الذين خرجوا رجال حققوا أعمالا باهرة ولا يمكن أن تنسى واذا كان يغادرون اليوم

مواقعهم فلابد من الاستفادة منهم ومن خبراتهم فى اعمال اخرى فى نفس ميدانهم. لا يمكن أن ينسى حسب الله الكفراوى وجهوده فى انشاء المدن المدن الجديدة وفى مشروعات كثيرة مثل ميناء دمياط أو سوق العبور، واذا كان حسب الله الكفراوى قد افتقد فى بعض الاحيان القدرة على المسايسة والتعامل الهادئ مع بعض المنقضين عليه فليس هذا انكارا لجهد وطنى مخلص قام به طوال هذه السنوات. لا يمكن أن يجهل فضل محمد عبد الوهاب ولا عصام راضى ولا فؤاد سلطان. أما الوزراء الجدد فأعرف منهم وزيرين معرفة جيدة هما كمال الشاذلى وممدوح البلتاجى.و كمال الشاذلى يبدو اليوم وزيرا وكأنه يرتدى غير ردائه فهو عضو مجلس الشعب منذ ٢٩ عاما وهو ابن الاتحاد الاشتراكى بالمنوفية منذ اكثر من ثلاثين عاما. وهناك اناس تظلمهم وظائفهم وكمال الشاذلى منهم.

فهو رئيس المجموعة البرلمانية للحزب الوطنى فى مجلس الشعب وعندما يقف فى المجلس مدافعا عن الحكومة فهذا واجبه ولكنه فى نظر الجماهير التى تشاهد المحكمة فى التليفزيون الحكومة فى حين أن من ينتقدهايفوز بجماهيرية شديدة. رغم أن كمال الشاذلى عندما يناقش برنامج الحكومة أو الميزانية يكون من أشد أعضاء المجلس نقداً للحكومة، ربما يزيد ما يواجه به الحكومة عما يتحدث به أقطاب المعارضة ولكنه فى البداية المسئول عن الدفاع عن الحكومة وبالطبع محسوب عليها. وممدوح البلتاجى أعرفه منذ كان مستشاراً إعلاميا فى باريس وأعرف مدى صدقه ووطنيته وقدرته على الحركة وإن كانت وزارة السياحة وفى هذه الظروف فى حاجة الى جهد كبير أرجو أن يوفق فيه.

عند تشكيل الدكتور عاطف وزارته الاولى شكلها وهو يجلس فى مبنى الحزب الوطنى وجلس معه مدة طويلة وشاركه فى اختيار عدد من الوزراء الدكتور يوسف والى أمين عام الحزب، أما في هذه المرة فقد شكل الوزارة الجديدة فى مكتبه القديم فى رئاسة مجلس الوزراء.

وقد ظهر الامر فى ذلك الوقت وكأنه اعتراف من الدكتور عاطف بأن حكومته حكومة الحزب وأن الامر ليس كما تردده المعارضة أن الحزب حزب الحكومة.

فى الحكومة السابقة كانت هيئة مكتب الحزب يوسف والى وصفوت الشريف واحمد سلامه ومحمود الشريف أعضاء بالحكومة وفى الوزارة الجديدة فقد احمد سلامه موقعه ولكن كسب الحزب ثلاثة وزراء جدد هم كمال الشاذلى أمين التنظيم وممدوح البلتاجى امين القاهرة

ومحمد زكى ابو عامر أمين الاسكندرية.

أما علاقة الوزارة بمجلس الشعب فقد خرج الوزيران اللذان اصطدما ببعض أعضاء مجلس الشعب وهما حسب الله الكفراوى وفؤاد سلطان، وأصبح رئيس المجموعة البرلمانية للحزب والذى يوجه الأغلبية فى حالة الاستجوابات والاسئلة - كمال الشاذلى - أصبح وزيرا أى أصبح مسئولا عن مسانده الوزارة بصفتين الاولى بصفته الحزبيه وعلاقة الحزب بالحكومة وبصفته أحد أعضاء الحكومة نفسها.

بقى من الوزارة الجديدة وزيران أحب أن اوجه لهما الحديث وهما صفوت الشريف وفاروق حسنى. أما صفوت الشريف فجهوده الاعلامية واضحة ليست فى حاجة الى تقريظ ويكفى أنه يدفع الاعلام المصرى ليكون فى مستوى الاعلام فى دول متقدمه من العالم ويحاول جاهداً أن يقدم للمواطن المصرى خدمة اعلامية هو فى حاجة اليها والعالم فى قمة ثورة الاتصال ولكنى وبكل الاخلاص أطالبه بالنظرة الموضوعية المجردة فى المضمون الذى تقدمه قنواتنا التليفزيونية عالمية كانت أو محلية. ان نسبة كبيرة من برامجنا فى حاجة الى اعادة النظر بعد أن تجمد البعض وتشابه البعض الاخر وفقد البعض الثالث المضمون الجاد والجذاب فى نفس الوقت.

أعرف أن النقد لايجد اذنا صاغية في كل وقت، وقد أدهشنى حقيقة أن يثنى اعلامى سابق على دور التليفزيون المصرى فى التغطية الاعلامية لاتفاقية المبادئ الموقعة بين الفلسطينيين والاسرائيليين، لقد فزعت من الثناء غير المحدود وأنا شخصيا تابعت هذا الحدث على جميع قنوات التليفزيون العالمى وذهلت من تغطية القنوات الامريكية والانجليزية والاسرائيلية والايطالية والفرنسية وأحسست بخجل شديد من تغطية قنواتنا المصرية، مع أن تليفزيون مصر هو التليفزيون العربى الوحيد الذى كان يستطيع أن يكون فى دقائق لا فى ساعات فى غزة وأريحا وسائر المدن فى فلسطين المحتلة وكان يستطيع أن يسأل المواطنين والمسئولين عرباً واسرائيليين رأيهم ويناقشهم ويعقد الندوات ... الخ ولكن شيئا من ذلك لم يحدث وناقشنا الاتفاقية فى صالون مغلق كئيب يحتل احد ادوار مبنى التليفزيون الشاهق. إنني وبكل ما أحمله من تقدير أطالبه أن يعيد النظر فى برامج قنواتنا سياسية كانت أم ثقافية أم ترفيهية ونحن نواجه حربا شعواء في مجال البث التليفزيونى.

أما فاروق حسنى وقد أعلن بعد مقابلته للدكتور عاطف اضافة التنسيق الحضارى للثقافة ثم أعلن الوزير أن التنسيق الحضاري سوف يكون جهازا يصدر بإنشائه قرار جمهورى وشرح الوزير التنسيق الحضارى بما يفهم أنه المظهر العام للقاهرة من حيث التجميل العام والطرز المعمارية للمباني ووضع الاعلانات والحدائق العامة وغيرها. ولاشك أنه موضوع هام وقد تقهقر أو تأخر فى كنف المحافظات والادارة المحلية ورغم أنه صدر قانون فى عام ١٩٧٥ أصدره المرحوم يوسف السباعى وهو وزير للثقافة يحدد نسبه ٢٪ من تكلفة انشاء المباني الحكومية التي تزيد تكلفتها عن ٢٠الف جنيه لعمليات التجميل وأذكر أن القانون لم ينفذ لانه لم ينص على طريقة التحصيل ولا عن الجهة التى تتولى تحصيل هذه النسبة وانفاقها في عمليات التجميل.

ولكنى أسأل الوزير فاروق حسنى عن هذا القانون ولماذا لم ينفذ حتى الآن وما المانع فى تعديله، فمبلغ عشرين الف جنيه لم يعد يتناسب مع تكاليف المباني هذه الايام. أن قيام وزارة الثقافة بدور فى هذا المجال حيوى وهام.

هذا عن التعديل الوزارى وهو كما قدمنا ليس بالتغيير الذى نطلبه ونتمناه فقد شكل الدكتور عاطف صدقى وزارة (على مقاسه) وبهذه الوزارة يكون قد أرضى نفسه وأرضى الحزب الوطنى صاحب الاغلبية وأرضى مجلس الشعب وأرضى العائلة والاصدقاء والتلاميذ والحواريين ... ويظل السؤال قائما اذا كان عاطف قد أرضى هؤلاء جميعا فهل أرضى الناس أصحاب الحق الوحيد فى الرضا والسخط .. هذا السؤال سوف تجيب عنه الايام ... نرجو أن يكون الجواب بالايجاب ... هذا عن التعديل أما التغيير فله حديث اخر.

الاهرام ٩٣/١٠/٢٣

... وعلى المتضرر أن يلجأ للقضاء ... والقدر !!

هو تعبير قانونى أو بمعني اصح تصرف تلجأ اليه النيابة العامة عندما لاتريد أن تشغل نفسها بالبحث فى الموضوع والوصول الى صاحب الحق أو المدعى بهذا الحق أو انها تجد أن البحث ليس من عملها بل هو وظيفة القاضى لذلك ودفعا للشر المحتمل فإنها تأمر ببقاء الحال على ما هو عليه وتنصح المتضرر أن يلجأ للقضاء، وبقاء الحال على ماهو عليه ليس دائما افضل الحلول وليس الحال القائم دائما هو أفضل الحلول بل ان النزاع على ما هو قائم يعنى بالضرورة ان هناك صاحب حق يضيع أو على الأقل فى سبيله الى الضياع وأنه لجأ الى السلطات كى يحصل على حقه فإذا به يواجه بهذه الحكمة التي قد تسعد ما يستمتع بغير حقه وتتعس من يبحث عن حقه الضائع أو المعتدى عليه. واذا كانت المسألة عند النزاع المدنى يحسمها القضاء. فإن القضاء لا يصلح دائما في كل الامور وكل ميسر لما خلق له. وفى حالتنا هذه، فى حالة ذهاب وحضور وزير اخر فالمسألة تخرج عن ولاية القضاء لانها من أعمال السيادة، والسيادة ليست خاضعة دائما للاشراف القضائى وفى مثل هذه الحالة فاللجوء دائما للقضاء والقدر وهو قوة لارد لها وله قدرة على مواجهتها فإنها من أعمال السيادة الكونية وسبحانه وتعالى ... وإذا كان الامر كذلك فلا مناص من الحديث على ضوء ما هو قائم فعلا بل علينا أن نعتبره ولدينا الحق كل الحق أنه دائم وأبدى حتى نستطيع أن نتحدث فى راحة كبيرة عن اليوم وعن الغد فما يحدث اليوم يصنع الغد دون شك.

وأبدأ حديثى بموضوع أصبح من كلاسيكيات الفولكلور الإدارى المصرى وهو ذلك الذى اسموه فترة بالثورة الادارية وتعددت فيه النظريات مثل الادارة بالأهداف بمعنى أن تحدد الهدف قبل أن تنشئ الوظيفة، ثم الادارة بالاكتاف كان يخبط الموظف زميله كتفا كى يزيحه عن منصبه الرياسى المرموق، ومثل الادارة بالتدريب واعادة التدريب والتسليك والتوليع وعشرات

النظريات التي ذهبت ادراج الرياح، وبقيت الادارة المصرية تتمتع بالعراقة وبالقداستالتى اكتسبتها منذ سبعة الاف عام والتى وضع اسسها (مينا) الذى وحد القطرين البحرى والقبلى وصمم الادارة المصرية، صحيح انه دخلت عليها منذ ذلك الحين تحسينات كثيرة من حيث المظهر العام فتداولنا كلمات لها رنين موسيقى فى بعض الاحيان ورنين غير موسيقى فى احيان اخرى مثل وكالة الوزارة والمصلحة والادارة والقلم والهيئة والمؤسسة والقطاع وغير ذلك من كلمات كانت تستتبعها تنقلات وترقيات، وعلى رأى العربى القديم عندما قال (ما اكثر اسما ءك واقل ثمنك) .. المهم هل يمكن أن تدخل القرن الواحد والعشرين بهذه الكتل من الاوراق والارشيفات التى تنوء بحملها مصالحنا الحكومية بدءاً من القرية فى أقاصى الوجه البحرى والصعيد الى القاهرة حيث الادارة والوزارة والنظافة والوجاهة المظهرية فقط ... هل يمكن أن تظل الآف القضايا وفيها مصالح الملايين وحياة الالاف فى ملفات هنا بعود كبريت يذهب بهذه المصالح أدراج الرياح. ولاأريد أن اتوقف كثيرا عند اعلان نشرته الصحف منذ اسابيع يعلن عن فقد عشرات القضايا ... أين ... الله اعلم ... هل يمكن ان نحتفظ بتاريخ المصالح وتاريخ مصر ووثائقها فى اوراق تأكلها العته وتعيش فيها الفيران وهناك مخترعات اسمها الكمبيوتر وغيرها؟ هل يمكن ان تحدث الادارة المصرية وارجو الانستخدم بعد ذلك كلمة (ثورة) فواضح انها ثقيلة على اناس كثيرين وخاصة من المسئولين، ومادمنا معجبين بكلمة (اصلاح) وجربناها ونفعت فى مجال الاقتصاد فلماذا لانجر بها فى مجال الادارة فنقول نحن فى حاجة الى (اصلاح ادارى) وكفاية ثورات ومنها الثورة الادارية، هل يمكن ان ندخل القرن الواحد والعشرين بهذه الجحافل من الموظفين الذين لا يفعلون شيئا لانهم لايعرفون شيئا ولايفهمون شيئا ولم يتعلموا شيئا لا فى المدرسة ولافى الجامعة ولافى جامعة الهواء وهو تليفزيوننا الجليل ... وأبادر فأقول انى لا أدعو الى الاستغناء عنهم ولكنى ادعو لاعادة تكوينهم وهم مستعدون دون شك ان يعاد تدريبهم لعمل يصلحون له بدلا من بطالة مقنعة تعرقل وتعوق وتذهب بمصالح الملايين. لقد تغير اسم وزارة العمل فبعد ان كانت وزارة العمل والتدريب اصبحت وزارة العمل والتشغيل فهل معنى ذلك ان الوزارة أنهت مهمتها فى التدريب وانتقلت الى مسئولية جديدة هى التشغيل أو أن ما حدث من قبيل (الزحلقة)زحقلة مشكلة البطالة الى احدى الوزارت حتى يمكن ايجاد مسئول يحاسب عندما تتضاعف البطالة وعندما يعجز هذا الوزير عن حلها وهى سوف تتضاعف بفضل جناب الاصلاح الاقتصادى المبجل.

ان اعادة تدريب النسبة الغالبة من العاملين وتحديث الإدارة فى وسائلها وطرقها هو بمثابة البنية الاساسية للاصلاح الادارى فى مصر ولانجاح للاستثمار ولاإنعاش اللاقتصاد ولا للقضاء على البطالة الا اذا وضعت كل هذه المشاكل فى يد جهاز يستطيع ان يتعامل معها بفهم وبمسئولية وبقدرة على تحريك الامور .. لاأزعم ان الجهاز الادارى يستطيع ان يتصدى لهذا المشاكل و يستطيع ان يحلها ولكنه كما قلت هو البنية الاساسية لأى اصلاح فى المجتمع.

ان اهم ما تتحدث عنه الحكومة الجديدة هو مجموعة القوانين التى طال انتظارها والتى تدحرجت من دورة الى دورة فى مجلس الشعب والتي اقسم مسئولون كثيرون من قبل على سرعة تقديمها والتي نوقشت مرات ومرات وان كان الامر لم يخرج عن مناقشة المكاتب وهى فى نظرى ليست كافية، اقصد قانون الاسكان والعلاقة بين المالك والمستأجر ولا استطيع ان اسبق فأدلى برأيى فى موضوع للتعديل والتبديل وارجو ألايدخل هذا القانون العام والخطير مجلس الشعب ويخرج كما خرجت قوانين هامة اخرى دون ان يعطى أعضاء المجلس والناس خارج المجلس فرصة لمناقشته فأنا واثق أنه ومنذ اليوم وقبل الدورة البرلمانية التى سوف تبدأ بعد عشرة أيام توجد تحت يد رئيس المجلس الدكتور فتحى سرور طلب موقع عليه من اربعين عضوا بطلب فقل باب المناقشة ودون تاريخ وليس على سيادته او على رئيس المجلس الجديد- ولكنى أتصور أنه سيكون الدكتور فتحى بإذن الله (ومن غير مقاطعة) - ليس على السيد رئيس المجلس الا أن يضع التاريخ ثم يقطع سبيل المناقشة بصوت جهورى قائلا

- جاءنى الآن طلب موقع من اربعين عضوا .... ولست وحدى الذي يزعم ان قانون العلاقة بين الملك والمستأجر وبعد أن تأخر الى هذا الوقت من أهم وأخطر ما يواجه المجتمع وفى هذه الظروف التى يمر بها الان.

تعلن الحكومة وهى سعيدة انها سوف تتقدم الى مجلس فى دورته القادمة قانون منع الاغراق وقانون الغش التجارى. وربما ليس لهذه القوانين شعبية قانون الاسكان ولكن هذين القانونين ضروريان لحماية الصناعة المصرية مادمنا قد اتكلنا على الله فقمنا بتحرير التجارة الخارجية. وتحرير التجارة لحماية الصناعة المصرية مادمنا قد اتكلنا على الله فقمنا بتحرير التجارة الخارجية. وتحرير التجارة الخارجية ليس تحريرا من القيود بالنسبة لأصحاب البلد من المصريين كما ذكرت من قبل فى هذا المكان ولكنه تحرير من القيود التى كانت مفروض على الاجانب لحماية المصريين وحماية صناعتهم الوطنية وأسواقهم التجارية ولكن حسب تعليمات

البنك الدولى وصندوق النقد الدولى وجميع الهيئات الدولية تم تحرير التجاارة والنزول بالحد الاقصى من الجمارك الى ٨٠٪ وسوف تنزل الى ٥٠٪ فى الشهر الحالى أو القادم كل ذلك من أجل سواد عيون الصندوق حتى نستطيع أن نشارك فى تحريك الكساد فى الدول الغنية بالذات وحتى نستطيع أن نساهم فى انعاش اقتصادها وعندما ينتعش اقتصاد الدول الغنية سوف ينتعش بالتالى اقتصاد الدول الفقيرة والمثل المصرى يقول (من جاور السعيد يسعد) المهم أن الصناعة المصرية فى حاجة الى حماية وقد سبقتها دول كثيرة فى وضع أسس هذه الحماية ومنها القوانين التى أعدتها الحكومة والتى تعلن انها ستتقدم بها لمجلس الشعب فور بدء الدورة البرلمانية. القانون الاول هو قانون عدم الاغراق والذى يمنع أى شركة أو دولة أو مؤسسة تجارية فى الداخل أو الخارج أن تغرق الأسواق بسلعة معينة كى تنخفض الاسعار وتضمن تصريف كميات كبيرة من هذه السلعة على حساب سلع أخرى قد تكون سلعا مصرية الجنسية. والقانون الثانى هو مقاومة ما تلجأ اليه شركات كثيرة خاصة فى دول معروفة مثل تايوان وغيرها إما فى التلاعب بالفواتير أو التلاعب فى مواصفات السلعة والهدف من ذلك طبعا النزول بالتعريفة الجمركية الى مستويات ضعيفة تتيح للسلعة أن تباع فى الداخل بسعر قليل كى تضرب سلعة أخرى قد تكون سلعة وطنية أو الغش فى المواصفات التجارية التى يجب أن تحتوى عليها السلع المستوردة. ونحن نتصور أن مجلس الشعب سوف يوافق على هذين القانونين دون شك ولكن السؤال الذى يجب أن نتوقف عنده من الذى سوف يعمل على تطبيق هذه القوانين!! ما هى الهيئات أو الاجهزة أو الوزارة المسئولة عن تطبيق هذه القوانين فسوف يكون الرد دون شك الاقتصاد والداخلية والتموين. ولكن سؤال ساذج أيضا. أليس التهريب ممنوع بمقتضى القوانين القائمة ... اذن فمن أين تأتى الملابس المهربة والموجوده فى مئات الشوراع بالقاهرة وعلى الرصيف وليست فى حاجة الى تحريات أو مباحث أو غيرها ... هل هذه الملابس وصلت الى أسواق القاهرة بشكل رسمى أم أنها مهربة قطعا لأن استيراد الملابس الجاهزة مازال ممنوعا حتى اليوم .. اذن فمن الذى سوف يضمن تنفيذ قانون الإغراق أو متى سوف تقوم الاجهزة بمقاومة الاغراق عندما يبدأ أو بعد أن تغرق مالطة؟ ومن الذى سوف يمنع دخول سلعة لأن مواصفاتها غير مطابقة لما يجب أن تكون عليه هل هى نفس الاجهزة التى تدخل مصر عن طريقها كل السلع الممنوعة وفى مقدمتها المخدرات التى قدرر ما يستورد منها بحوالى ٣ مليارات دولار!.

ليست هذه هى مسئولية حومة د. عاطف صدقى فقط، ولكننا تحدثنا عن أمورجانبية، ولكن لابد للحكومة الجديدة من أن تطبق المرحلة الثانية من الإصلاح الاقتصادى وهذا وحده يحتاج الى حديث آخر.

الأهرام ٩٣/١٠/٣٠

من يحتفل بالذكرى المئوية لعلى مبارك؟

بعد أيام وفى نوفمبر الحالى تحل الذكرى المئوية لرحيل رجل من رجالات مصر الذين شاركو فى بنائها وفى تطورها وتقدمها هو على باشا مبارك واعتقد انه سوف يتم الاحتفال بهذه الذكرى الهامة فى حياة مصر وان كنت لا أعرف حتى من الذى يحتفل بعلى مبارك وما هو برنامج هذا الاحتفال، وكان قد جرى حديث فى يونيو الماضى بين الاستاذ فاروق حسنى وزير الثقافة والدكتور جابر عصفور أمين عام المجلس الاعلى للثقافة والاستاذ أنيس منصور وبينى على مائدة الغداء التى دعى اليها اعضاء المجلس الاعلى للثقافة بعد اجتماع المجلس وأذكر أن أنيس منصور هو الذى أثار الحديث عن على مبارك فأنيس يهتم به بصفته القومية وبصفته بلدياته فهو دقهلاوى مثله، وقيل يومئذ إنه سوف تشكل لجنه للاعداد لهذا الاحتفال تضم مجموعة من الكتاب والادباء. وذكر أنيس عددا لا بأس به الكتاب والادباء (الدقهلاوية) وكنت واحدا منهم بوصفى من مواليد طلخا (دقهلية) رغم انها كانت تتبع الغربية عندما استقبلتنى. المهم أنى لم أسمع شيئا عن هذه اللجنة بعد ذلك ويبدو أننا هضمناها وهضمها الدكتور عصفور مع طعام السيد الوزير الشهى، وبعد ذلك سمعت أن حفلا يعد وقرأت أن فيلما تسجيليا يصور ولاأعرف بعد ذلك شيئا رغم أن مثل هذه المناسبات تحتاج الى اعلام وإعلان كثير فالهدف منها التنبيه عن شخصيه المحتفى به حتى تشارك أجهزة أخرى كالاذاعة والتليفزيون والمدارس ومراكز الشباب وقصور الثقافة فى الاحتفال بعلى مبارك لأن أروع ما يمكن أن تحققه ذكرى مثل هذا الرجل العظيم أن يدرسه أبناء الجيل الجديد ويعرفون فيه نموذجا رائعا لمن يعمل فى خدمة مصر وهى فرصة كى نظهر شيئا من الاعتراف بالجميل حتى لايصدق فينا قول حافظ عن هذا الوطن (كل شئ فيه ينسى بعد حين) لكن يبدو أن حكاية أوسلو والمفاوضات السرية الي تمت خلال أشهر طويله بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية

سوف تطبع أعمالنا بالسرية حتى تنجح كما نجحت المفاوضات. أو ربما كان المجلس الاعلى للثقافة قد رفع شعارا طالما فشل المصريون فى تحقيقه وهو (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان) ولكن الغريب أنى عرفت بأمر الاحتفال بالذكرى المئوية لعلى مبارك منذ أكثر من عام وعن طريق الخارج فقد وزعت منظمة اليونسكو نشرة تتضمن أسماء الشخصيات البارزة والاحداث التاريخية الهامة التي طلبت بعض دول العالم الاحتفال بها على المستوى العالمى، وتضمنت النشرة اسم (على باشا مبارك) الذى تحل الذكرى المئوية لوفاته فى نوفمبر القادم فقد انتقل الى جوار ربه فى نوفمبر ١٨٩٣. قدمت اليونسكو تعريفا بعلى مبارك فقالت إنه (قام بدور بارز فى تطوير التعليم فى مصر .. أنشأ أول مدرسة للبنات وكذلك دار الكتب المصرية.. أسهم فى تجميل القاهرة وأمر ببناء كوبرى قصر النيل) .. وجاء فى هذه النشرة كذلك ما نصه (وردا على دعوة المدير العام بعثت ١٨ دولة بقوائم الذكرى التى تعتزم الاحتفال بها خلال السنتين ١٩٩٢ و ١٩٩٣ وترد فى الصفحات التالية بيانات بعثت بها هذه الدول الأعضاء على مسئوليتها).

ومعنى هذا الكلام أن مدير عام اليونسكو أرسل للدول الأعضاء يسألها عن الشخصيات التى تود الاحتفال بها فى عامى ١٩٩٢و ١٩٩٣ وقد ردت عليه ١٨ دوله منها مصر التي أبلغت مدير عام اليونسكو أنها ستحتفل خلال عام ١٩٩٢ بالذكرى المئوية لميلاد سيد درويش وفى عام ١٩٩٣ بالذكرى المئوية لوفاة على مبارك. ومصر هى التى قدمت لليونسكو التعريف بعلى مبارك والذى جاء فى نشرة اليونسكو. ولكن من هى مصر التى أرسلت تعلن لمدير اليونسكو أنها ستحتفل بالذكرى المئوية لعلى مبارك؟ لا أعرف بل من الغريب أن الجهة التي دعت العالم للاحتفال بعلى مبارك لم تخطر الشعب المصرى بذلك ليشاركها الاحتفال ولاشك أن حياة على مبارك خصبة شديدة الخصوبة منذ مولده فى عام ١٨٢٤ بقرية برنبال الجديدة مركز دكرنس محافظة الدقهلية حتى وفاته فى عام ١٨٩٣. التحق على مبارك بمدرسة المهند سخانة فكان أول فرقته ثم اختاره سليمان باشا الفرنساوى بين من اختارهم لدراسة فنون الحرب فى مدرسة خاصة أنشأها محمد على بفرنسا عرفت باسم (المدرسة المصرية الحربية بباريس) وسافر فى بعثة (الأنجال) الي ضمت من أبناء محمد على وأحفاده أربعة هم ولداه الأمير حسين والأمير حليم وحفيداه الأمير أحمد والامير اسماعيل (الخديو اسماعيل) من ابناء ابراهيم.

وحياة على مبارك متصلة من الانجازات في اتجاهات مختلفة ربما لايبدو بينها رابط فمن مدير لمدرسة المهند سخانة الى مسئول عموم المدراس الى ناظر للقناطر الخيرية الى مسئول عن الاقاوف الي ناظر للاشغال وللمعارف. وبين كل هذه المهام حارب فى القرم وكان وسيطا بين الخديو توفيق وعرابي عند احتدام الثورة العرابية وسافر الى الاسكندرية يحمل لعرابى وجهة نظر الخديو توفيق فى قبول الانذار الانجليزى والانسحاب من كفر الدوار ويقول المؤرخون إنه انحاز الى الخديو وإن كان ذلك لا يقلل من انجازاته الكبيرة فى جميع الاعمال التي أسندت اليه. وقد كتب على مبارك عن نفسه الكثير وكتب عنه كثيرون ربما كان أفضل ما قراته عن على مبارك ما كتبه عنه الاستاذ الكبير احمد أمين فى كتابه زعماء الاصلاح فى العصر الحديث .. كذلك ما جاء فى كتاب الدكتور/ حسين فوزى النجار (على مبارك أبو التعليم) من تفاصيل كثيرة عن جهاده طوال حياته.

ومن هذا الاستعراض السريع لحياة على مبارك وانجازاته نستطيع أن نقول أن جهات عدة تملك حق الاحتفال بذكراه المئوية هى محافظة الدقهلية باعتباره من أبنائها، ومحافظة القاهرة بوصفه أحد المخططين للقاهرة الحديثة وبانى مشروعات كثيرة منها ما يعيش حتى الآن مثل كوبرى قصر النيل، ومنها وزارة الرى وكان مديرا للقناطر ووزيرا للاشغال وله فى الرى باع طويل ووزارة المواصلات وقد عمل فترة فى حياته مديرا للسكك الحديدية وله تانجاز كبير في القطارات والمحطات والطرق، ووزارة الاوقاف فقد كان مديرا للاوقاف وربما كان النظام الذى وضعه لوزارة الاوقاف أول نظام علمى يوضع لهذه الوزارة. وكذلك وزارة التعليم وعلى مبارك بحق أبو التعليم هو الذى نظمه وهو مسئول عن المدارس وهو ناظر للمعارف أكثر من مرة وهو منشئ أول مدرسة للبنات وصاحب دار العلوم لتخريج المعلمين. وأخيرا وزارة الثقافة باعتبار دار الكتب من أهم انجازات على مبارك ولكن لدار الكتب حديث خاص.

قال عنه الاستاذ الدكتور/ نجيب هاشم وزير التعليم الاسبق فى حفل ازاحة الستار عن تمثاله بمدرسة دكرنس الثانوية فى ٨ مايو ١٩٦٠ ..

«لقد عمل على مبارك - أعمالا كثيرة بتخصصه فى الهندسة من تصميم الشوارع وفتحها، وانشاء ترع بناء جسور واستحكامات ومساجد وغير ذلك من أعمال هندسية عظيمة ولكن سر عظمته لم يكن فى ذلك انما كان سر عظمته فى شئ لم يتعلمه عن أستاذ ذلك هو اصلاحه للتعليم في مصر بالوسائل المختلفة حتى ليعد عمله فى ذلك دعامة النهضة التعليمية

فى مصر.

"لم يتعلم فى مصر ولا فرنسا علوم التربية والنفس على اساتذة مختصين وانما تعلمها من حسن استعداده وصدق نظره ومن دروس فى التربية الفاسدة تلقاها فى الكتاب حين يضرب وفى مدرسة قصر العينى حين يعذب ومدرسة ابى زعبل حين يلقى عليه الدرس فلا يفهم هذا الى طبيعة خيرة توحى اليه بالرحمة بالناس والاشفاق عليهم والألم لجهلهم".

وما قصد على مبارك أن يكون معلما وما أعد نفسه للاشراف على شئون التعليم أو ادارته ولكن حين اختاره عباس لادارة المدارس وتنفيذ المشروع الذى تقدم به وافق ذلك هواه ورأى نفسه أقدر على القيام به من غيره، فقد كان يعرف حاجة قومه الى التعلم وان التعليم مرقاتهم الى النهوض والتقدم، واذا كانت المدرسة احدى سبل التعلم فليست فى الحقيقة الا وسيلة للتعليم، اما التعلم فهو قرين التربية والتنشئة مما يعسر على المدرسة وحدها مالم تتكاتف معها البيئة ويتآلف معها المجتمع حتى يصبح التعلم غاية التعليم .

يقول علي مبارك عن دار العلوم التي أنشأها لإعداد المعلمين: «حيث كان من أهم ما يلزم للمدارس الاستحصال على معلمين مستعدين للقيام بسائر وظائف التعليم أمعنت النظر فى الامر المهم واستحدثت مدرسة دار العلوم بعد استصدار الامر بها وجعلتها خاصة لطلبة بقدر الكفاية يؤخذون من الجامع الازهر ممن تلقوا فيه بعض الكتب فى العربية والفقة بعد حفظ القرآن الشريف ليتعلموا بهذه المدارس بعض الفنون المفقودة من الازهر مثل الحساب والهندسة والطبيعة والجغرافية والتاريخ والخط مع فنون الازهر من عربية وتفسير وحديث وفقه على مذهب أبى حنيفة النعمان».

أما عن القاهرة فيرى على مبارك أن الحركه فى القاهرة قد اتسعت " فكثرت عربات الركوب وعربات البضائع والعمائر فصار غير لائق بها بقاء الحالة القديمة على حالها من ضيق الحارات والشوارع واعوجاجها، اذ كان الازدحام بها يترتب عليه النصب والعطب والخطر والضرر فصدرت الأوامر الخديوية لديوان الأشغال ونحن به بالنظر فى ذلك وان يعمل له قانون يأتى على المرام». وكانت لجنة تنظيم القاهرة برئاسة محمود الفلكى، قد انتهت من تخطيطها الجديد فاعتمده ونفذ على الصورة التى أصبحت عليها القاهرة من بعده "مثل شارع محمد على وميدانه وشوارع الأزبكيتوميدانها وما بعابدين من الشوارع ونحوها وباب اللوق وغير مما

هو بداخل المدينة وخارجها فقامت المباني والعمائر الحديدة وامتدت الشوارع الواسعة تحف بها الأشجار المغروسة كما أزيلت التلال التى كانت تمتد من الفجالة الى باب الفتوح وحلت مكانها المبانى والبساتين وأقيمت "قصور الاسماعيلية ودورها وبساتينها وشوارعها" بعد أن سويت أراضيها ومستنقعاتها وتلالها "ولم يكن بها صالح للزرع ومأهول بالناس الاالقليل" وبنى جسر قصر النيل ليصل القاهرة بالجيزة و لأجل «زيادة الامن والتسهيل علي الخاص والعام" وامتدت الشوارع الفسيحة المنتظمة فى بر الجيزة وحفت بالأشجار وفرشت بالأحجار الدقيقة المختلطة بالرمل لمنع الأتربة وتسهيل المرور الى العمائر والسرايات والبساتين التي تجل عن الوصف وهو ما قامت على غراره" الشوارع المستجدة بالمدينة وضواحيها" وقامت "شركة من الافرنج بعمل وابور الماء" ليمد "الاهالى بماء النيل بلا كبير ثمن ولا مشقة" وأنيرت المدينة بغاز "التنوير حتى ذهبت غياهب ظلامها والتحقت لياليها بأيامها.

أما عن موقف على مبارك من الثورة العرابية فقد شرحه بالتفصيل الاستاذ/ أحمد أمين فقال:

«لم يشترك على باشا مبارك فى الثورة العرابية، اذ كان مزاجه ليس مزاجا ثوريا بحكم منشئه وتربيته - عكس مزاج الشيخ جمال الدين، الثورى العنيف - وكان مبدأه الطاعة التامة لولى الامر مهما كان. أطاع عباسا الاول وسعيدا واسماعيل وتوفيقا وخدمهم فى اخلاص ولعله - كبعض المصلحين - يرى أن اصلاح التعليم خير أنواع الاصلاح بل هو خير من الاصلاح السياسى، ويرى أن الاصلاح السياسى مالم يرتكز على الاصلاح التعليمى فلا بقاء له ولا قيمة - لذلك لا نرى له اصبعا ما فى الثورة العرابية. ولقد اتهم كثير من عقلاء الامة بمشايعة عرابى باشا كعبد الله باشا فكرى والشيخ محمد عبده وغضب عليهما الخديو توفيق لكن لم يتهم على باشا مبارك في شئ ما، ولم يفقد رضا توفيق باشا وعطفه وانما فقد رضا عرابى باشا وحزبه وكل ما أثر عنه فى الثورة العرابية أنه تبرع يوما من ماله لهذه الحركة ولكن لعل ذلك كان تحت تأثير ضغط شديد عليه من الشباب المتحمسين، و زاده ايمانا بحياده انه لم يكن يؤمن بنجاح الثورة العرابية علي حسب ما كان يرى من ظروفه المحيطه به التي تمكنه من الاطلاع على شئون مصر والشرق والغرب. وقد روى الشيخ محمد عبده أنه حضر مجلسا فى بيت على باشا مبارك كان فيه سلطان باشا - وقد أخذ سلطان باشا يشيد بذكر قوة الجيش المصرى وما يمكن من زيادة عدده فرد عليه على باشا مبارك بأن حالة البلاد المالية لا

تتحمل هذه الحرب ولا تساعد على النجاح فيها. ثم رأيناه فى أثناء الثورة يذهب الى بلده ويعمل فى اصلاح أرضه. وعلى كل حال فالإنسان مطالب أن يعمل وفق ما يهديه اليه عقله وما يتناسب ومزاجه. وقد كان مزاج علي مبارك مزاجا هادئا ناسبه أن يوجه أكثر قوته لإصلاح التعليم ففعل. وربما كان أساس نجاحه شدة غيرته وقوة اخلاصة وعمق رغبته فى خدمة وطنه.

وبعد الاحتلال الانجليزى لمصر ألفت وزارة مصطفى رياض باشا وعهد فيها الى على مبارك فى نظارة المعارف ولكن ما أبعد الفرق بين الحالتين، وما أشد الاختلاف بين العهدين - لقد كان العهد الاول قبل الاحتلال حرا طليقا يفكر كما يشاء ويفعل ما يشاء ويدبر لمشروعاته كما يشاء لا يقيده فى ذلك الا عرض الامور على ولى الامر ليقره عليها ويتقلى نصائحة فيها. أما فى هذا العهد فليس حرا ولا طليقا لا يفكر الا اذا سمح له المستشار الانجليزى بالتفكير، ولا يفعل الا فى الدائرة المحدودة التي خطها المحتلون وقد عبر هو عن ضيق صدره فى ذلك بأسلوبه الناعم الهادئ، اذ يقول فى هذه الحقبة: (وأنا الان قائم بهذا الامر على حسب المصالح، بقدر الامكان، والله المستعان).

اصطدم بعد ذلك بالقيود التى قيدت بها المصالح الحكومية وخاصة القيود المالية التي وضعها مستشار المالية ألفريد ملنر (لورد ملنر فيما بعد) فتنحى عن منصبه، وكانت قد كبرت سنه، فلزم بيته، حتى مات عن نحو سبعين عاما.

اذا نظرنا الآن وبعد مائة عام على رحيل على مبارك نجد أن انجازاته الكبرى قد تطورت وعظمت فالمهند سخانة أصبحت عده كليات للهندسة وللعلوم والتكولوجيا فى عدد كبير من الجامعات على طول مصر وعرضها، والقناطر الخيرية قد أصبحت عدة قناطر بالاضافة الى خزان أسوان ثم الهرم الكبير السد العالى ونظام الرى أصبح نموذجا يحتذى للدول النهرية الزراعية، والسكة الحديد تضاعفت عدة مرات وأصبحت فى مستوى السكك الحديدية بالدول العظمى، والقاهرة نمت وكبرت وأصبحت تضم اثنى عشر مليونا ينعمون بخير الخدمات فى عاصمة كبيرة. ودار العلوم أصبحت من كليات جامعة القاهرة وأمدت مصربطائفة من كبار المفكرين ورجال التربية ومدارس البنات أصبحت فى كل كفر ونجع كمدارس الأولاد سواء بسواء .. كل ما فعله على مبارك سار فى طريقة حتى أصبح شيئا كبيرا يتناسب مع العصر الذى نعيش فيه. كل ما أنجزه على مبارك باستثناء انجازين أحدهما تراجعه والثاني تدهور.. أما الذى تراجع فهو التعليم أما الذى تدهور فهو دار الكتب الخديوية ثم المصرية ثم القومية ثم لاثم ...

واذا كانت وزارة الثقافة هى التي تستعد للاحتفال بعلى مبارك ألم يكن من واجبها أن تستثير حماس كل هذه الهيئات والوزارت والمحافظات التي أسهم على مبارك فى إنشائها وتطويرها. الم يكن على مبارك يستحق أن تحتفل به مصر كلها بجميع اجهزة الثقافة والاعلام والتعليم بها .. لماذا نحن دائما نبدو مقصرين فى حق تاريخنا بها ..وعظمائنا الم يكفنا هدم فى تاريخنا الحديث وتلويث لزعمائنا واذا كان قد نجا من اظافرنا بعض هؤلاء الزعماء الم يكن يقتضى الأمر أن ينجو ايضا من كسلنا واستخفافنا بالامور .. وعلى كل حال رحم الله على مبارك رحمة واسعة وألهم كل المصريين الصبر والسلوان ..

* * *

عندما أمر الخمينى بخطف آثار توت عنخ أمون

في فبراير عام ١٩٧٩ انتصرت الثورة فى ايران. هرب الشاه الي أمريكا وعاد الخمينى الى طهران واستقبله الشعب الايرانى استقبالا اسطوريا وبدأ فى أنشاء الدولة الاسلامية فى ايران. أفاقت السلطات الامريكية على حقيقة تقول انهم لم يكونوا يعرفون الوضع الحقيقى فى ايران وانهم بجميع أجهزة المخابرات ومعاهد الدراسات والكمبيوترات لم يتوقعوا اطلاقا سقوط الشاه وانتصار الخمينى. وأمام الفاجأة القاسية بدأت تصرفات السلطات الامريكية مهزوزة تتسم بالحمق الشديد فى معالجة الامور ومن هذه الامور مصير الشاه الذين ساندوه وساندهم حتي كان أحد رجالهم المعدودين لا فى الشرق الاوسط بل وفى العالم. وفى (نذالة) دولية أمريكية منقطعة النظير رفضت أمريكا منح شاه ايران محمد رضا بهلوى حق اللجوء السياسى بل وأظهرت امتعاضا لوجوده فوق الارض الامريكية ونصح بأن يبحث له عن مكان آخر. كانت عين الولايات المتحدة على ايران وبترولها أما الشاه فليلق مصيره وهو مصير من خانوا شعوبهم وعملوا لصالح الاجنبى محتلا كان أو مستعبدا أو مهيمنا، هكذا قال التاريخ وهكذا يعيد التاريخ ما يقول ومع ذلك وحتى اليوم هناك من يخونون شعوبهم ويضعون مصلحة الاجنبى قبل مصالح شعوبهم .. المهم كان تصرف الولايات المتحدة الامريكية اللا أخلاقى مفاجئا للناس العاديين الذين يقيسون التصرفات السياسية الدولية بمقاييس تصرفات الناس العاديين فيحكمون عليها حكما أخلاقيا وبحث الشاه وبحث رجاله عن دولة أخرى تستقبل الشاه ولكن اتضح أن التصرف الامريكى ليس تصرفا فرديا ولكن أمريكا أصبحت مثلا وقدوة فى نظر دول كثيرة من العالم كبيرة وصغيرة، هى مثل أعلى لها فى الثراء والقوة والمرتبة ولكنها أصبحت مثلا أعلى فى النذالة أيضا. هنا تقدم أنور السادات رئيس جمهورية مصر وقام بتصرف لا يقل اطلاقا عن رحلته الى اسرائيل اذ عرض على الشاه أن يعيش في

مصر. فوجئ العالم وفوجئت أمريكا ولاشك أن الشاه قد فوجى أيضا .. وكان من أكبر من فوجئوا الخمينى ورجال الدولة الاسلامية الجديدة في ايران وبأى حسابات سياسية لم تكن مصر بين الدول المرشحة لاستقبال الشاه أو لإقامته بها. هناك تاريخ من العلاقات بين ايران ومصر فى عصور الاسلام الزاهرة وهناك أيضا فى العصر الحديث علاقات بين البيت الحاكم فى كل من البلدين، فالشاه محمد رضا بهلوى تزوج وهو ولى للعهد من الاميرة فوزية ابنة فؤاد وشقيقة فاروق وكانت هذه المصاهرة الملكية رابطا قويا بين الدولتين، وزار فاروق طهران عدة مرات وزار محمد رضا بهلوى القاهرة مرات كثيرة. ولكن انفصل محمد رضا بهلوى عن فوزية وتعرضت العلاقات بين الاسرتين الحاكمتين الى بعض الفتور الذى انطبع على العلاقات بين الدولتين ولم تلبث هذه العلاقات أن ساءت تماما بعد قيام ثورة يوليو وبعد ما قام جمال عبد الناصر بمقاومة السياسة الامريكية فى المنطقة ومن فرسانها المدججين بالسلاح شاه ايران، ثم حدث أن اكتشفت مصر أن الشاه يتعامل مع اسرائيل وأنه يبيع لها بترولها الذى يساعدها فى تشريد الفلسطينيين فأصبح الشاه أحد الاعداء الألداء لمصر فى عهد جمال عبد الناصر.

وحدث تعاطف مع جميع القوى التى تناهض الشاه ومنها طبعا الخمينى الذي كان منفيا فى العراق ولا أعرف بشئ من الدقة الى أى مدى وصل تأييد عبد الناصر لمعارضة الخمينى للشاه وسعيه لإسقاطه. ثم جاء أنور السادات فحدث انفراج فى العلاقات خاصة بعد أن زال عن طريق العلاقات بين البلدين موضوع اسرائيل أو محاربة السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط و تأكدت هذه العلاقات بعد توقيع اتفاقية السلام بين مصر واسرائيل وبجهود أمريكية فى عام ١٩٧٨، ١٩٧٩ لذلك لم يكن غريبا أن يستضيف أنور السادات الشاه فى مصر مما آثار اعجاب الكثيرين من الذين يحكمون على الامور حكما أخلاقيا. المهم استجاب الشاه وجاء الى القاهرة وبدأ حياته بها.

فى هذه الفترة كان معرض أثار توت عنخ آمون المكون من أكثر من ٧٠ قطعة والذى يحتوى كنوزاً أثرية وذهبية والذى يعتبر بحق درة الآثار المصرية بل درة الاثار فى العالم كله، كان معرض توت عنخ آمون قد غادر مصر فى ١٩٨٦ وكنت وكيلا أول وزراة الثقافة وأذكر أن المعرض خشية أن يتعرض لخطر الطيران نقل الى الولايات المتحدة الامريكية فى سفينة و أذكر أني أوفدت الأثرى المرحوم احمد قدرى وكان وكيلا للوزارة بهيئة الاثار وكان رئيسها الدكتور جمال مختار لتسليم المعرض للأمريكان فى ميناء الاسكندرية وتم تسليم المعرض

وسافرت السفينة الامريكية الى أمريْكا حامله اثار توت عنخ امون تحرسها قطعتان من سفن الاسطول السادس الامريكى. طاف المعرض بست ولايات أمريكية وأحدث ضجة فى كل مكان ذهب اليه، وفى تلك الايام من ١٩٧٩ كان قدأتم رحلته فى الولايات المتحدة الامريكية وبدلا من أن يعود الى القاهرة كان في طريقة الي المانيا فقد وعد الرئيس السادات المستشار الالمانى بزيارة المعرض لالمانيا وهو فى طريق عودته الى بلاده من الولايات المتحدة الامريكية. كان الرئيس السادات رحمه الله يعطى وعودا كثيرة من هذا النوع وكنا نفاجأ فى وزارة الثقافة بقرارات من هذا القبيل نعرفها فى أغلب الاحيان من الطرف الاخر واذا عدنا الى الرئيس السادات قال بابتسامة حازمة - ايه عايزين تطلعونى مش قادر أنفذ كلامى وأنا رئيس الجمهورية ... وكان الرد طبعا لا ... ثم التنفيذ فوراً ... المهم كان المعرض فى طريقة الى المانيا وقد نشرت هذه الاخبار فى العالم كله واستعد الالمان لاستقبال أعظم آثار العالم وهم شغوفون بالآثار المصرية وقصة عشق هتلر لتمثال نفرتيتى معروفة ومازال تمثال نفرتيتى في متحف برلين حتى اليوم ..

المهم أنى تلقيت خطابا من السفير الالمانى بالقاهرة يحمل لى خبرا غريبا ومثيرا فى نفس الوقت (لقد علمت السلطات الالمانية أن الامام الخمينى أرسل مجموعة من الشباب الايراني أقاموا معسكرا جنوب ميونخ وأنهم يتدربون على خطف آثار توت عنخ آمنون من ألمانيا ويعودون بها الى طهران حتى يساوم الخمينى أنور السادات أن يسلمه الشاه لمحاكمته فى مقابل أن يرد له آثار توت عنخ آمون). كانت المفاجأة قاسية حتى أني وجدت نفسى أتناول الخطاب وأذهب فورا الى مكتب الوزير منصور حسن ثم نستدعى رئيس هيئة الاثار ثم السفير الالمانى لنبحث الامر من كل جوانبه. كان مجرد التفكير فى أن آثار توت عنخ آمون من الممكن أن تسرق من مصر يصيبنى بالشلل .. لقد كنا نعانى معاناة شديدة عندما تكون هذه الاثار فى طريقهاإلى الخارج . كان الجانب الآخر يسألنى عن القيمة المادية لهذه الاثار حتى يمكن التأمين عليها بالقيمة التى تقدرها كنا نجلس حائرين هل نقول مائة مليون دولار ... أكثر ... مليار... أكثر .. انها فعلا وبأية مقاييس لايمكن تقديرها بثمن وكنا أخيرا نضع رقما رمزيا حتى يمكن للجانب الآخر أن يدفع نسبة منه فى مقابل وثيقة التأمين ولم نفكر لحظة واحدة من أن هذه الآثار يمكن أن تسرق أو تخطف ... أما الان فالمسألة تستحق أن نعصر تفكيرنا وأن نعيد هذه الكنوز الى مكانها فى المتحف المصرى فى قلب القاهرة ولا تخرج أبدا

مهما كان العائد من زيارتها لأية مدينة فى العالم .. ونعود الى اجتماعنا بمكتب الوزير وقد أخذ السفير الالمانى يطمئننا أن المسألة لم تعد تخيف فقد علمت السلطات الالمانية بالامر وستفرض حراسة على الآثار لم يسبق لها مثيل وسأله الوزير وسألته هل يمكن أن نفعل شيئا ؟وكان سؤالا ساذجا ما الذى يمكن أن نفعله اضافة الي ما يفعله البوليس الالمانى وكل ما اقترحناه بعد ذلك أن نزيد عدد المصرين المرافقين للمعرض فاذا كانت العادة قد جرت على أن يرافق المعرض أثريان فليكونوا فى هذه المرة أربعة. وقد حدث. الشئ الذي اتفقنا عليه جميعا أن يظل هذا الامر فى طى الكتمان فلو حدث وتسرب الى أية صحيفة فى العالم ونشر سوف تكون له آثار سيئة للغاية خاصة بالنسبة للشعب المصرى لو علم بأن آثاره الثمينة هذه معرضة للخطف ... وقد احتفظ الجميع بالسر وأعتقد أن أحدا غير المسئولين الذين تداولوه لم يعلم قدعلم شيئا عنه الا اليوم واليوم فقط. لم نكن نملك إلا الانتظار وقد انتظرنا حتى مرت الازمة بسلام. الذين زاروا توت عنخ آمون فى ألمانيا تحدثوا كثيرا عن السيارات المصفحة التى كانت تحيط بالمتحف والمدافع والبنادق التي كانت تحيط بالاثارداخل المتحف وفي صالات العرض دون أن يتصور أحد ما كانت هذه الاثار معرضة له طوال عرضها فى المانيا .. لقد فكرت كثيرا كلما تذكرت القصة طوال السنين الماضية ماذا كان يمكن أن يحدث لو نجح الايرانيون في خطف آثار توت عنخ آمون؟ ماذا كنا سنفعل وماذا كان تصرف انور السادات وهو فى النهاية صاحب الامر؟ ولو كنت أنا وأنت فى هذا الامر هل نسلم الشاه ونعيد لمصر أثمن كنوزها أم نضحى بآثار توت عنخ امون ونترك الشاه ليعيش فى مصر. إنه سؤال أرجو أن يوجهه القارئ لنفسه والاجابة عن السؤال تحددها الاجابة عن سؤال هل تخضع مصالح الشعوب للمبادئ الأخلاقية؟

الاهرام٦/١١/٩٣

خذ ما تشاء .. ولا تدفع شيئا ..!

أعتقد أن ابناء جيلنا مازلوا يذكرون هذا الاعلان أو هذه الدعوة التي كانت تتصدر صفحات الصحف وواجهات المحلات الكبرى في القاهرة والاسكندرية بل وفى عواصم الاقاليم .

وأذكر انها كانت دعوة رائجة فى الاربعينيات وفى الخمسينيات عندما كان اقتصاد بلدنا مصر في يد أبناء العم الاسرائيليين وعندما كانت المحلات الكبرى تتصارع كى تصرف بضاعتها ولابد أن مبتكر هذه الطريقة واحد من أبناء عمومتنا الذين تفوقوا كثيرا لا فى البيع والشراء فقط بل فى الاقراض والرهن ثم الحجز والبيع. وسحر هذا الاعلان أنه يحرك شهية المفلس ويدفعه دفعا لكى يلبى احتياجاته ما دام لن يدفع شيئا وهو فى الحقيقة سوف يعطى أوراقا فيها كل شئ. وهو على اية حال اعلان مثير وطريف ويبدو أن اخواننا الاسرائليين من كثرة ما استخدموه مع الطيبين العرب حولوه الى شعار يطبقونه هم على انفسهم بدلا من أن يطبقوه على السذج، أو انه بمضى المدة صار لديهم اقتناع أنه آن الاوان ليستمتعوا هم بما ينادى به هذا الاعلان مع خلاف واحد فقط هو انهم حولوا الشعار أو الاعلان الى حقيقة اخذوا ينفذونها على مسرح الحياة السياسية وامام تشجيع مع العالم المتحضر. خذ ما تشاء ولاتدفع شيئا. هكذا تريد اسرائيل أن تأخذ ما تشاء ولاتدفع شيئا الا بعض اوراق كما كان يدفع زبائن محلاتهم فى الماضى، غير أن أوراق زبائن المحلات كانت كمبيالات قد تذهب بصاحبها الى السجن اذا أخل بموعد السداد فى حين أن أوراقهم تحمل توقيعات قد تبلى مع الايام او على الاقل لاتقيم التزاما على أحد فليس لها موعد وفاء وليس من محكمة تدين عدم الالتزام بهذا الوفاء.

وقعت اسرائيل اتفاقية المبادئ واعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية وأفرجت عن أقل من

الف سجين فلسطيني، هذا بالضبط ما قدمته اسرائيل حتى اليوم وهى فى المقابل تريد كل شئ وتجد من يساعدها على أن تأخذ كل شئ. اما الاتفاقية فقد نجحت فى تأجيل المشاكل الهامة والمعقدة من وجهة نظرها - الى اعوام قادمة - القدس المستوطنات - المهاجرين - الامن .. أما الاعتراف فهو اغرب اعتراف يمكن أن تتحمله الحياة السياسية في التاريخ فهو اول اعتراف من القاتل بالمقتول من السارق بالضحية من المعتدى بالمعتدى عليه من الضارب بالمضروب. والمضروب سعيد والمعتدى عليه يرقص فرحا والعالم كله يصفق لأن المعجزة تحققت واكتشف العالم فى نهايات القرن العشرين أن هناك شعباً اسمه الشعب الفلسطينى .. ياللجهاد وياالحصيلة الجهاد. يالسماحة اسرائيل وافعالها الانسانية ...

لقد اعترفت ولأول مرة بالشعب الفلسطينى ويقولها الفلسطينيون فى خيلاء وكأنهم (جابوا الديب من ديله) ثم افرجت عن النساء والاطفال والكهول والمرضى، وفى عدد يقل عن عشر المسجونين فى سجونها حتى اليوم .. وبعد ذلك اسرائيل تريد كل شئ وهى لم تدفع شيئا تريد رفع المقاطعة العربية وتريد تطبيع العلاقات مع الدول العربية وتريد علاقات حميمة وقوية مع الدول الاسلامية وتريد سوقا شرق أوسطية تبيع فيه انتاجها وتريد أموالا عربية تستثمرها فى التنمية وفى تمويل قادمين جدد مغتصبين للأرض العربية وتريد من العالم كله أن يدفع هذه النجاحات وأن يمول هذه الاحتياجات والا كان عالما قاسيا يستاهل أن يشتمه رابين.

نعم هذه حقيقة لقد كانت المجموعة الاوروبية أولى الهيئات استجابة للدعوة بالمساعدة المادية بعد اعلان اتفاقية المبادئ بأيام وأعلن عن مساعدات تصل الى ٦٠٠ مليون دولار فى خمس سنوات، ولكن رغم ذلك وقف رابين يتهم اوروبا بالتقصير وعبر المتحدث الرسمى الاوروبى نزانييه مرات فى بروكسل ردا على تصريحات رابين قائلا (إن تصريحات رابين مذهلة وغير مبررة لأنها مغايرة للواقع فقد اعطت المجموعة موافقتها بعد ١٥ يوما فقط من توقيع اتفاق واشنطن على تخصيص مبلغ ٦٠٠ مليون دولار لدعم التنمية فى الاراضى الفلسطينية المحتلة).

وكان هذا الحديث رد فعل على تصريح رابين فى الجامعة العبرية الذى اتهم فيه المجموعة الاوروبية بعدم الجدية فى سعيها لرفع المقاطعة الاقتصادية العربية عن اسرائيل وكذلك تقصير الاوروبيين فى رصد الامكانات الكافية لدفع التنمية الاقتصادية فى منطقة الشرق الاوسط،

ـما شكك فى مقدرة اوروبا على الاسهام فى مساعدة الشرق الاوسط عندما قال (إن اوروبا غير قادرة على ايجاد تسوية لنزاع فى البوسنة فكيف تساعد على حل مشاكل الشرق الاوسط).

وهذا الابتزاز ليس غريبا على السياسة الاسرائيلية وليس غريبا على رابين.

بمجرد توقيع اتفاقية واشنطن واسرائيل تطالب بكل شئ دفعة واحدة وكأن التوقيع على هذه الاتفاقية قد حل جميع المشاكل، مشاكلها مع الفسطينين التى لم تتحرك بعد حركة واحدة، ثم مشاكلها مع سوريا ومع لبنان ومع الاردن. انها وبمجرد هذا التوقيع الكريم اصبح من حقها أن تطالب بأن ترفع المقاطعة وتطبع العلاقات مع كل الدول العربية.

اسرائيل هى اسرائيل وهى تحاول أن تطرق جميع السبل فى تحقيق اهدافها ولكن بعض الاخوة العرب وكأنهم يحملون فى قلوبهم غراما مكبوتا لاسرائيل فرجت عنه الاتفاقية الاخيرة ... لماذا هذا الغزل الواضح والصريح فى عدو قتل ومازال يقتل وأرجو أن تخيب الايام ظنوننا فلا يعودون للتقتيل مرة ومرات.كل شئ قد نسى تماما، إن الابتسامات على وجوه العرب وهم يلاقون الاسرائيليون تنطق بالبلاهة والسذاجة بل وفي احيان كثيرة بالغباء والغفلة ... هكذا اشارة من اصبع اسرائيلية ملوثة بدم العرب تحرك كل هذه الجماعات فمن ذاهب حتى يغترف من الاموال التى سوف تتدفق من جمع الانحاء ومن ذا هب يدرس أحسن الوسائل للتصنيع ومن حامل تحت ابطيه مشروعات مشتركة ... أين كان ذلك كله ... إن أعظم ما فعلته اتفاقية واشنطن أن كشفت الكثير من المستور .. كانت هناك علاقات ولكن عناد الاعتزاز بالنفس كان يرفض الاعتراف بالحقيقة حتى لو كانت الشواهد قاطعة ...

تحول المناضلون الى مبررين وفرح الموظفون عندما علموا انهم موظفون بل زادت سعادتهم، فالدول تدفع اكثر وتضيف الى المزايا العينية ميزات اخرى معلنة ومستورة ... ما أقبح الراقصين فى زفاف تعيس وما أبشع وجوه لونتها الوان فاقعة على تجاعيد الزمان فشاهت وتاهت وما ابشعها عندما ترقص فى قميص تستثير الشفقة ولا تبعث على الاعجاب.

ونعود الى مطالب اسرائيل وكانت اولاها والتي يظهر انها سوف تخطفها فى القريب العاجل رفع الحصار الاقتصادى العربى المفروض عليها. وعن هذا الموضوع الحيوى والهام دار نقاش فى واشنطن عندما كان ادوارد جبريجيان وكيل وزارة الخارجية الامريكية لشئون

الشرق الاوسط يدلى بشهادته حول التطورات السياسية فى المنطقة وتحدث عن السلام وعن مساعى كلينتون لتحقيق تقدم فى المسار السورى وعن حديثه مع الرئيس الاسد، ولكن الشيوخ تركوا هذا كله واقتصرت اسئلتهم على موضوع واحد فقط هو موضوع المقاطعة الذى أثاره اعضاء اللجنة الفرعية لشئون الشرق الامريكى وهاجموا فيه دنيس روس رئيس المجموعة الامريكية للتفاوض رغم أنه اسرائيلى اكثر من الاسرائيليين. أثار الحديث باتريك دانييل من ولاية نيويورك والسيناتور ساربيز من ولاية ميريلاند قال جريجيان حدثنا كل الدول العربية عن تلك المقاطعة واتصلنا بها جميعا لكى تنتهى مسألة المقاطعة وقد حرصنا على الاتصال بدول الخليج بصفة خاصة وقد تم التوصل الى تقدم على هذا الصعيد مع بعض الدول العربية كما هو الحال مع الكويت بالنسبة للمقاطعة الثانية وتلك على المستوى الثالث، ونحن نطالب الدول العربية الاخرى والجامعة العربية بذلك. وبالنسبة للمقاطعة الاولى لاسرائيل فقد بذلنا جهدا مركزا ومنسقا مع كل الزعماء العرب سواء الذين يزورون الولايات المتحدة الامريكية أو عندما يزورهم وزير الخارجية أو أى مسئول امريكى كبير لنطالبهم بأن ينهوا هذه المقاطعة على الفور.

والولايات المتحدة تسعد بأنه قدتم تحقيق تقدم كبير فى هذا المضمار على المستويين الثانى والثالث (وهى الشركات التى تتعامل مع اسرائيل) وأعلن السيناتور ساربينر أن الدول العربية سوف تجتمع فى دمشق يوم ٢٤ اكتوبر لمناقشة اضافة عدد جديد من الشركات التى تتعامل مع اسرائيل الى قوائم المقاطعة، وقال جريجيان إن الاجتماع محدد له يوم ٢٤ بالفعل وقد أبلغنا جميع الدول العربية بأن مثل هذه الخطوة ستكون فى الاتجاه الخطأ لاسيما بعد توقيع اتفاقية واشنطن وقال جريجيان إننا لم نتلق بعد أى رد ايجابى فى هذا الموضوع.

ولكن للاسف الشديد جاء الرد علنياً وأوضح مما اراد جريجيان فقد حل اليوم الموعود ولم يجتمع مكتب مقاطعة اسرائيل فى دمشق كما كان مقررا من قبل وهو الاجتماع الذى اشار له الامريكان.

إن مكتب المقاطعة فى دمشق ينفى وجود خلافات بين الدول العربية بشأن المقاطعة العربية لاسرائيل وأن هذه الخلافات أدت الى تأجيل الاجتماع، الا أنه كان معروفا من قبل ان نصف ممثلى الدول العربية كانوا سوف يتغيبون عن الاجتماع اذ أن بعض الدول قالت - وهذا غير حقيقى - أن هذا الاجتماع وعقده فى هذا الوقت يضر بالمفاوضات الفلسطينية

الاسرائيلية خاصة وأن المكتب كان سيبحث اضافة ١٩ شركة اجنبية وثلاث بواخر الى القائمة السوداء لانها تتعامل مع اسرائيل، وبشكل واضح فإن المقاطعة معرضة للانهيار دون أى فائدة تعود على العرب ودون أى ثمن تدفعه اسرائيل، فقد طالبت دول عربية بالغاء المقاطعة العربية لاسرائيل واتخذت دولة اخرى اجراءات وتدابير خاصة لتخفيف وليس الغاء اجراءات المقاطعة عن بعض الشركات المتعاملة مع اسرئيل وبررت ذلك لحاجتها الى خبرات هذه الشركات فى الإعمار. وهناك من دول المغرب العربى تونس لم تؤسس مكتب للمقاطعة وكذلك موريتانيا. وفى افريقيا ليس فى الصومال ولا فى چيبوتى مكتب للمقاطعة، والجزائر والمغرب لم تعتنيا بنشر قوائم المقاطعة والغت مصر مكتب المقاطعة بعد اتفاقية كامب ديڤيد، ومنظمة التحرير الفلسطينية لم تعد فى حاجة الى حضور اجتماعات المقاطعة بعد أن ارتبطت مع اسرائيل باتفاقية للتعاون الاقتصادى وكذلك الاردن التى وقعت اتفاقية لتحديد جدول اعمال المفاوضات. اذن فكيف يجتمع مكتب المقاطعة وكيف يصدر قرارات جديدة؟ المتعجلون يريدون انهاء المقاطعة الآن ويبررون ذلك بأنه حافز لاسرائيل على المضى قدما فى طريق السلام، والاكثر حرصا يقولون برفع المقاطعة بالتدريج وعلى مراحل وفى مقابل كل خطوة سلام تخطوها اسرائيل، وهناك من يقولون إن المقاطعة غير قائمة وأن السلع الاسرائيلية تغمر الاسواق العربية. ولكن هذا تزييف للواقع لأنه لو كان الامر كذلك فلماذا هذا الالحاح الاسرائيلى والامريكى والاوربى على رفع المقاطعة؟ اذا كانت امريكا تساند اسرائيل فى مطالبتها الدول العربية بإنهاء المقاطعة بل وبالتطبيع فهل فعلت اسرائيل شيئا غير توقيع الاتفاقية يتضح منه انها تعمل فعلا من اجل السلام الذى تزعم انها تسعى لتحقيقه فى المنطقة.

لقد أعلن يوسى بيلين نائب وزير الخارجية الاسرائيلى والذى قام بدور هام فى محادثات أوسلو إن اسرائيل لن توقع على المعاهدة الدولية الخاصة بالحد من انتشار السلاح النووى كما أنها لن تتخلى عن أية منطقة عربية دون نزع سلاحها.

وقال وزير العدل الاسرائيلى إن أية منطقة تعتبرها القوات الاسرائيلية منطقة هامة سيتم اعلانها منطقة عسكرية ليس للادارة الفلسطينية أية سلطة عليها كما أن الشرطة الفلسطينية ستختص فقط بالفلسطينيين داخل اتفاقية الحكم الذاتى، ووصف توقيع عرفات على اتفاقية واشنطن أنه اعتراف بما اسماه (شرعية الحكم العسكرى الاسرائيلى)للأراضى المحتلة لانه وافق

على الاشتراك فى إدارة الارض المحتلة مع اسرائيل ويشير الى أن هذه المشروعية انكرها المجتمع الدولى على اسرائيل طوال السنين الماضية.

ويعد ان المقاطعة العربية لاسرائيل حق شرعى للدول العربية لانها ماتزال فى حالة حرب مع الذين احتلوا الارض العربية وشردوا اهلها. ان السجون الاسرائيلية مازالت مليئة بالفلسطينين ومازالت اسرائيل تحتفظ بالتفوق العسكرى على كل البلدان العربية ومازالت اسرائيل تحتفظ بترسانة نووية ومازالت تتوسع على حساب الفلسطينيين وتقيم المستوطنات الجديدة ومازالت تطالب بالمساعدات المالية لاستيعاب مهاجرين جدد.

ان قرار المقاطعة قرار سياسى اتخذته جامعة الدول العربية وهو السلاح الوحيد الباقى فى يد العرب فلا تضعوه دون ثمن ولاتغمدوه وعدوكم مازال يرفع عشرات الاسلحة فى وجوهكم.

* * *

احتفالية على مبارك

سألت الدكتور جابر عصفور أمين عام المجلس الاعلى للثقافة: -

- لماذا قلت احتفالية ولم تقل احتفالا هل تصغير أم تعظيم؟

قال الدكتور جابر عصفور:

- بل هى صيغة بلاغية.

وأرسل لى ثبتا بما سوف تقوم به وزارة الثقافة وما سوف تقوم به غيرها من الوزارات والهيئات احتفالا بعلى مبارك.

الاحتفالية تبدأ غدا (١٤ نوفمبر) وعلى مبارك رحل عن دنيانا منذ مائة عام. كنت أود أن يتم الاعلام والاعلان عن هذه المناسبة منذ وقت بعيد حتى تشارك هيئات حكومية وغير حكومية ولكن ذلك لم يتحقق، ولا أعرف لماذا كنت أتطلع الى وزارة التعليم وأرى بعين الخيال الدرس الأول فى جميع مدارس الجمهورية ابتدائية واعدادية يوم ١٤ نوفمبر عن على مبارك وعن انجازاته فى مختلف الميادين وخاصة ميدان التعليم. كنت اتصور أن تعيد هيئة الكتاب طبع كتب على مبارك جميعها لاكتابا واحدا منها. كنت أتصور أن تشارك محافظة القاهرة وهو أول من خطط لها على اسس علمية أن تقيم حفلا لا احتفالية بموكب للزهور أو غيره بشئ مما فعلته هذا العام ولاول مرة تنجح فى مثل هذا الامور وهو الاحتفال بوفاء النيل .. ولاشك أن الصحف سوف تنشر برنامج الاحتفال بعلى مبارك كاملا قبل وصول هذا العدد الى القراء .. والبرنامج حافل.

على العموم الذى نرجوه أن تخرج هذه الاحتفالات فى شكل يتناسب مع قدر صاحب الذكرى.

بقى ما تحدثت عنه وجاء فى نشرة اليونسكو من دعوة دول العالم للاحتفال بصاحب الذكرى ولا أتوقع بالقطع أن دولة ما سوف تحتفل بعلى مبارك رغم دعوة اليونسكو ورغم أن جهود الرجل جاوزت وطنه الى أوطان عربية أخرى. ولكن اذا كان هذا حال أصحاب البيت فلا تثريب على غيرهم من الغرباء ورحم الله على مبارك.

* * *

عندما تمشى الفلسفة على الأرض ...!

فجعت فى هذا الرجل مرتين .. مرة لأنه مات ومرة لأني لم أعرف بوفاته في حينه .. ربما قمت بواجب العزاء أو ربما شاركت أصدقاءه وتلاميذه بأحزاني فقد كان له في نفسى مكان كبير .. ربما لأنه مات معه فى نفس اليوم أو بعده أو قبله أستاذ كبير هو الدكتور زكى نجيب محمود فلم يلتفت أحد اليه وهو أستاذ كبير من أساتذة العلم و الفلسفة كزكى نجيب محمود سواء بسواء .. هذا أطلق نوره من جامعة القاهرة وذاك من جامعة الاسكندرية .. انه الاستاذ الدكتور محمد ثابت الفندى أستاذ الفلسفة والمنطق بكلية الاداب جامعة الاسكندرية وعميدها فترة من الفترات. لم أعلم بوفاته الا منذ يومين عندما التقيت مصادفة بصديق كنا زميلين فى محاضرات ثابت الفندي بآداب الاسكندرية منذ أكثر من أربعين عاما .. يحدث فى الحياة أن يلتقي قطبان فى زمن واحد ثم يضعهما القدر فى مكان واحد يرتطمان ويتصارعان تأكل و شهرة أحدهما الآخر. ويحدث أن يموت الرجل العظيم يوم وفاة آخر يطاوله في عظمته فيضيع حقه بين الناس أو يموت عظيم فى يوم حدث كبير ولا يشعر الناس بفقدان العظيم الا بعد أيام. ربما أروع من صور ذلك هو أحمد شوقي فقد قال يرثى مصطفى لطفى النفلوطى الذي مات يوم اطلاق الرصاص على زعيم الامة سعد زغلول فانشغل الناس بالاعتداء على الزعيم حتى نسوا أن يشيعوا الكاتب الكبير قال شوقي:

اخترت يوم الهول يـــــوم وداع

ونفاك فى عصف الرياح الناعى

أو وفاة سيد درويش يوم عودة سعد زغلول من المنفى، وهكذا ضاع منا خبر وفاة ثابت الفندى. عرفته فى جامعة الاسكندرية طالبا فى كلية الاداب قسم الفلسفة فى عام ١٩٥١

كنت طالبا سعيد الحظ إذ حضرت الدراسة فى تلك الايام على يد جيل من أعظم من أهدتهم مصر لجامعة الاسكندرية: يوسف كرم فى الفلسفة اليونانيةوثابت الفندي فى المنطق والفلسفة الحديثة ونجيب بلدى فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة وابو العلا عفيفى فى الفلسفة الاسلامية ومحمد خلف الله ومحمد حسين فى اللغة العربية ونور شريف فى الانجليزية ومن يعترى تلك الفترة وعبد المعز نصر فى العلوم السياسية ... سارت الايام ورحل من رحل وبلغ المعيدون سن المعاش وودعوا التدريس ليعيشوا الكهولة معنا تحت ذكرياتنا وأحزاننا.

لا أعرف ما الذى ربط بينى وبين ثابت الفندى ومنذ المحاضرات الاولى ثم واصل التدريس لنا فى السنوات التالية، كانت المادة تتغير وهو لم يتغير فى بساطته وتدفقه وقدرته على أن ينقل الى اذهاننا أعقد المسائل الفلسفية. ومن ثابت الفندى عشقت الفلسفة وتفوقت فى المنطق الرياضى الذى كان يعشقه (اللوجسطيقا) واذكر انه لم يكن من بين المقرر للدراسة علينا فى سنوات الكلية الاربع ولكن ثابت الفندى كان يجوش بيننا خارج المنهج وكأنه كان يعدنا للمعرفة ليس للشهادة فقط. وثابت الفندى هو التى عرفنى برتراند راسل فقرأت له (قصة الفلسفة الغربية) ثم قصصه القصيرة (الشيطان فى الضواحى) ثم كتابه الفنى السياسى الرائع (كوابيس أناس مشهورين) وقد ترجمت بعض فصول هذا الكتاب ونشر بعضها مجلة البعث التى كان يصدرها ويرأس تحريرها الدكتور محمد مندور عام ١٩٤٦ ونشرت قصة منها فى مجلة (الرسالة الجديدة) التى كان يرأس تحريرها المرحوم يوسف السباعى. تعلمت من ثابت الفندى الشئ الكثير وعرفت مفكرين وادباء وفلاسفة الكلية وأذكر بعد أن تركت، الكلية وعملت بالصحافة أن جاءتنى رسالة من كليتى ترشحنى لمنحة دراسية مدتها عام فى المانيا لدراسة فلسفة (كانت) كانت الصحافة قد أخذت على نفسى. فأعتذرت وجاءنى ثابت الفندى من الاسكندرية لائما ومعاتبا وعرفت منه أن هو الذى رشحنى وقضى معى ساعات يقنعنى بأن يكون اتجاهى دراسة الفلسفة ولكن الصحافة كانت فى نفسى أقوى من أى شئ آخر.

أذكر حدثا هاما كان بطله ثابت الفندى، إن قد دخل التاريخ على وجه آخر غير وجهه الحقيقى، والقصة بدأت يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢. كانت ثورة يوليو قد اعلن قيامها منذ ايام، وفى هذا اليوم بالذات وكنت اتردد على نادى ضباط الجيش بالاسكندرية علمت أن انذاراً قد وجه الى الملك فاروق للتنازل عن العرش لولى عهده الطفل احمد فؤاد الثانى ومغادرة البلاد

قبل الساعة السادسة مساء. واتيح لى وأنا ضابط بوليس أن أدخل قصر رأس التين فى موكب سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة والذى حمل الانذار وخطاب التنازل عن العرش ليوقعه الملك. ثم أتيح لى أن أشهد اللحظات التاريخية عند مغادرة فاروق لميناء الاسكندرية فى تمام الساعة السادسة وفى وداعه محمد نجيب وجمال سالم.

عدت بعد رحيل فاروق فرحآ أريد أن اعلم الناس بالخبر الكبير الذى لم يكن قد أذيع وتذكرت أن فى كلية الآداب بالشاطبى بعض الاساتذة أعضاء الكونترول الذين يرصدون درجات امتحان الطلبة وكنت منقولا من السنة الاولى الى الثانية ورأيت انها فرصة اسأل عن نتيجتى وابلغ من أراه من الاساتذة بما يجري في مصر من أحداث تاريخية وذهبت الى كلية الآداب وسألت عن الاساتذة الموجودين فلم اجد الا الدكتور ثابت الفندى وكان رئيسا للكنترول والدكتور ابراهيم شريف استاذ الجغرافيا وهو احد اصدقائى الاعزاء وقد هاجر الى العراق بعد أن تزوج من بيت عراقى كريم وقد شاهدته فى بغداد لآخر مرة عام ١٩٧٣ أى منذ عشرين عاما.

أبلغت ثابت الفندي وابراهيم شريف بما حدث وكان رد فعل ثابت أنه لابد من أن يرسل تأييده لقادة الانقلاب.

ولكن بأى صفة ... هل بصفة شخصية؟ وبعد دقائق تذكر ثابت الفندى أنه رئيس او وكيل لجمعية كونها بعض الاساتذة من بعض الكليات اسمها (جمعية هيئة التدريس) لاغراض اجتماعية ونحوها وجلس يكتب البرقية وبساعدة ابراهيم شريف وأساعده أيضا ثم أرسلها من مكتب التلغراف القريب من مبنى الكلية.

وصلت البرقية الاذاعة المصرية وأذيع التأييد وكان أول تأييد تذيعه الاذاعةلهيئة رسمية ولكن المذيع اما عن خطأ أو عن عمد بدلا من أن يقول (جمعية) هيئة التدريس بجامعة فاروق قرأها (هيئة التدريس بجامعة فاروق) وحذف كلمة جمعية.

وكان حدثا كبيرا. سمع رجال الثورة البرقية وأعلنوا شكرهم لجامعة الاسكندرية وفى العام التالى جاءوا جميعا يردون الجميل لجامعة الاسكندرية واصبحت زيارة الاسكندرية والقاء خطاب بها يوم ٢٦ من مراسم الاحتفال بأعياد ثورة يوليو. وفى الاسكندرية يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٤ وقع حادث محاولة اغتيال جمال عبد الناصر، وفى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ من الاسكندرية

أعلن جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس واصبح يوم ٢٦ يوليو عيداً قوميا للاسكندرية.وطوال هذه السنين لم يسأل واحد نفسه كيف حدث واجتمعت هيئة التدريس بجامعة الاسكندرية يوم ٢٦ يوليو١٩٧٢ وكيف اجتمعوا ولماذا وكانوا جميعا في العطلة الرسمية وفى كل كلية عدد محدود جداً من الاساتذة يعملون فى الكونترول.

رحم الله ثابت الفندي كان استاذاً أعطى وكان مواطنا عظيما، كان استاذا فى الفلسفة ولكنه نزل بها من برجها العجى وجعلها تمشى على الارض معه فى كل مكان. وجه تاريخ مصر دون ان يدرى بل دون أن يقف مرة واحدة فى حياته ليقول لقد فعلت ...

الاهرام ٩٣/١١/١٣

تعيين العمد ... نكسة للديمقراطية

استهل مجلس الوزراء الجديد برئاسة الدكتور عاطف صدقي اجتماعاته بالتعرض لبعض المشكلات العاجلة ومناقشة بعض مشروعات القوانين التى تنوى الحكومة سرعة إرسالها لمجلس الشعب وفى مقدمة هذه المشروعات بالقوانين (قانون العمد) وفى المدرسة علمونا أن هناك شيئاً فى الفصاحة اسمه (براعة الاستهلال) ولم يكن الدكتور عاطف صدقى موفقا اذ لم يحقق براعة الاستهلال لقد تحدثنا عن براعته وحنكته وفطنته فى التشكيل الوزارى الذى أدخل دون شك السرور عليه وان كان لم يدخل السرور على غيره، ولكن الاستهلال بهذا القانون ليس توفيقا من رئيس الوزراء ومن مجلس للوزراء يقوم فى بداية عهد ديمقراطى نتحدث نحن ويتحدث الناس فى جميع انحاء العالم عن الديمقراطية كعلاج للكثير من المشاكل حتى تلك التى تبدو صغيرة أو محلية أو تبتعد كثيرا عن أن تكون مشكلة سياسية والذى يؤكده السياسيون فى كل مكان فى الشرق والغرب والشمال والجنوب أن الديمقراطية ليست نظرية سياسية ولكنها أسلوب حياة يبدأ من سلوك الفرد ويصل الى سلوك الجماعة، وتتحكم فيه وتقوده وتضرب المثل عليه الحكومة التى تأتى عندما تطبق الديمقراطية وفقا لإرادة الاغلبية وتحقيقا لرأيها وعملا لصالحها. فالدكتور عاطف وقد جاء الى الحكم تأكيدا لحصول حزب سياسى على أغلبية مقاعد مجلس الشعب، جاء بطريقة ديمقراطية لذلك فمن واجبه أن يعمل على تأكيد الدايمقراطية أو على الاقل لا يعمل على الرجوع فيها أو الانتقاص منها وليس مقبولا أن تتعرض الديمقراطية فى عهده لنكسة من أى نوع.

قانون العمد الذى أشارت الصحف إلى جوهره هو الغاء نظام انتخاب العمد والمشايخ والاستعاضة عن ذلك بتعيينهم لمدة خمس سنوات من الذين يتقدمون لشغل هذه الوظائف وتطبق عليهم الشروط. والشروط المعلنة حتى الآن تقول انه يجب أن يكون المرشح للعمودية

مالكا لخمسة افدنة فى زمام القرية التى يريد أن يكون عمدة عليها أو أن يكون من الذين يتقاضون مرتبا شهريا قدره ٢٠٠ حنية، وفى حالة شيخ البلد يكفى أن يكون المرتب مائة جنيه وطبعا هناك الشروط الاخرى المتعارف عليها والمطلوب توفرها في كل من يتصدى للخدمة العامة ابتداء من رئيس الجمهورية والوزير الى العمدة والخفير وهى أن يكون مصرى الجنسية يبلغ عمره أكثر من ثلاثين عاما حسن السير والسلوك ولا أعرف اذا كان مشروع القانون الجديد قد اشترط أن يجيد العمدة القراءة والكتابة فقط أو القراءة فقط أو الكتابة فقط أو انه فى حالات عمد كثيرين تلغى واحدة منهما والثانية تأتى بالممارسة.

المهم أن نشر هذا القانون يأتى استجابة للمتغيرات الاجتماعية التى شهدتها مصر خلال الخمسة عشر عاما الماضية ومعالجة الثغرات والسلبيات الموجودة فى القانون الحالى. والقول بأن هذا القانون يأتى استجابة للمتغيرات الاجتماعية التى شهدتها مصر خلال الخمسة عشر عاما الماضية - هذا القول حق أريد به باطل. فهناك دون شك متغيرات اجتماعية طرأت على مصر خلال الخمسة عشر عاما الماضية ولكن هذه المتغيرات لا تستوجب الغاء انتخاب العمد وتقرير تعيينهم على الاطلاق، ولننظر الى هذه المتغيرات الاجتماعية التى شهدتها مصر خلال الخمسة عشر عاما الماضية اما تحديد المدة بخمسة عشر عاما فلأن آخر قانون قائم للعمد يراد تعديله أو الغاؤه صدر فى عام ١٩٧٨ أى منذ خمسة عشر عاما فتحديد مدة المتغيرات بخمسة عشر عاما لايفيد أى شئ وهى فقط من قبيل التضليل المتعمد أو غير المتعمد أو هو كلام فى كلام ولايفيد أى معنى، ولنا اذن أن نتحدث عن المتغيرات التى طرأت على المجتمع المصرى دون تحديد ذلك بعشرة أو خمسة عشر عاما أو حتى عاماً أو خمسة. ان اهم هذه المتغيرات التى طرأت على المجتمع المصرى خلال السنين الماضية هى الايمقراطية بمعنى الغاء النظام الفردى وتحقيق التعددية الحزبية ثم قيام حياة سياسية مستندة الى مؤسسات دستورية تسير على النسق الغربى أو الديمقراطية الغربية، وقد بدأ اسلوب تعدد الاحزاب بإجراء الانتخابات بنظام القائمة النسبية والمطلقة ثم أسقط ذلك كله وعدنا للنظام الفردى تأكيدا لهذه الديمقراطية واذا كان قانون الاحزاب يضع بعض القيود فى طريق تكوين الاحزاب فإن الحزب الحاكم وفيه مشرعون محترمون يرى أن هذه القيود شكلية ولاتقيد حرية المواطنين فى تكوين الاحزاب فى حين يرى آخرون ونحن منهم آنه قيد على الديمقراطية يجب الخلاص منه وليس هناك بأس من أن ينشأ فى مصر مائتا حزب مادام المحك الاخير لقدرة الحزب على المشاركة فى الحياة

السياسية هو قدرته على الحصول على أصوات الناخبين لمرشحيه فى الانتخابات، وبالتالى الحصول على عدة مقاعد فى مجلس الشعب وفي المجالس المحلية. إذن فاذا كانت الديمقراطية فى الغرب وهى النموذج المحتذى أو على الاقل الذى نسير على هداه هو اللجوء الى طريقة الانتخاب كلما امكن ذلك فيكون عدم اللجوء لها أى للديمقراطية أو الانتقاص منها ضد طبيعة الاشياء ويتناقض تماما مع المتغيرات التى طرأت على المجتمع ومعاكسة لها.

إن الدول الغربية وفى مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية تحصل على العمد وحكام الاقليم بالانتخاب فهل من المعقول أن يكون الانتخاب مقررا فى ظل الاحتلال البريطانى وفى ظل ديمقراطية الاحزاب المتصارعة على الحكم وفى ظل النظام الشمولى ونظام الحزب الواحد وعندما ندخل فى عهد ديمقراطية سليمة نطالب منها بالمزيد يلغى الانتخاب ويتقرر تعيين العمد والمشايخ هل هذا تأكيد للديمقراطية أم نكسة لها؟

إن المتغير الاخر والهام الذى طرأ على الحياة الاجتماعية فى السنوات الاخيرة هو اعتماد نظام السوق وتحجيم تدخل الدولة وإعطاء الدور القيادى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للقطاع الخاص، هذا معناه ببساطة رفع الوصاية عن الشعب فى امور معاشة، في مأكله وملبسه واعطائه حقه كاملا فى تحمل مسئولية نفسه فهل تقتضى هذه المتغيرات أن تسلب الشعب حقه فى اختيار قيادته المحليه قيادته المحليه وهى العمدة والمشايخ وأن تحكم الحكومة قبضتها على رقاب العباد وأكثر من الاول وبشكل واضح فتعيد للناس العمد والمشايخ الذين يحكمونهم ويقومون على مصالحهم وحل مشاكلهم.اذا كان المواطن المصرى يملك حق اختيار عضو مجلس الشعب أى عضو السلطة التشريعية التى تصدر التشريع، واذا كان المواطن المصرى يملك حق اختيار عضو المجلس المحلى، واذا كان المواطن المصرى يختار رئيس الجمهورية على درجتين يرشحه اولا من انتخبهم هو فى مجلس الشعب ثم يطرح اسمه فى الاستفتاء امام مجموع الشعب.

اذا كان الشعب المصرى يملك هذه الحقوق جميعها فهل يعجز عن اختيار عمدة قريته وشيخ البلد بها حتى تقوم الحكومة مقامة فتختار له من تتصور أنه أصلح من غيره. هل هذا منطق وهل هذا حقيقة يساير العصر ويستجيب للمتغيرات التى طرأت على الجميع فى السنوات الاخيرة.

اذن فلماذا هذا اذا كانت المسألة بهذا الوضوح. أعتقد أن السبب فى هذا القانون الجديدة هو ما يتردد بين الحين والاخر عن أن بعض العمد يتغافلون عن عمد عن الابلاغ بأعضاء الجماعات الاسلامية لارتباطهم بهم بصلة قربي أو نسب أو محافظة على علاقات اجتماعية تقوم فى القرية ولايريد العمدة أو الشيخ أو لايستطيع أن يقطعها أو أن يمسها اذا ابلغ عن عضو في هذه الجماعات أو شارك فى القبض عليه أو أرشد الى مكان اختفائه.

وأعتقد أن هو السبب الوجيه الذي يجعل وزارة الداخلية بعد أن ضاقت بتصرف هذه الطائفة من العمد تلجأ الى الغاء نظام الانتخاب حتى تحرر العمدة من الولاء للذين انتخبوه وحتى ينتقل ولاؤه من الناخبين وهم جموع اهل القرية الى الحكومة أى بوضوح الى وزارة الداخلية التى عينته فى منصبه. وهنا نتوقف لنناقش بهدوء هذا الامر وهو أمر هام بالقطع. ان العمدة الذى سوف تختاره الداخلية وتعينه لمدة خمس سنوات هو واحد من اهالى القرية وقد يكون من أعيانها أو من موظفيها وهو فى جميع الاحوال يرتبط بعلاقات اجتماعية مع الكثيرين من عائلات القرية وأسرها واذا كان شخصية تعمل للصلات الاجتماعية حسابها فهو ايضا سوف يضع الروابط الاسرية فى مقدمة ما يضعه فى الحسبان وسوف يضرب عرض الحائط بكل ما تطلبه الحكومة أو الداخلية اما اذا كان العمدة شخصا مرتعدا يخاف من الحكومة ويخشاها فسوف يبلغ عن ابناء قريته حتى ولو كان ابنه.

المسألة اذن لن ترتبط بطريقة وصول العمدة الى منصبه ولكن حسب شخصيته وقدرته على موازنة الامور. هذه واحدة اما الثانية فأسأل فى صراحة هل من صالح القرية وبالتالى هل من مصالح الدولة والحكومة وطبعا الداخلية أن يكون لدينا مجموعة من العمد الخائفين المرتعدين الذين سوف يكونون فى نظر اهل قريتهم مجرد موظفين (خباصين) وسوف يفقد العمدة شخصيته وسوف يفقد هيبته لدى أول عملية يقوم بها من أى فرد من قريته لحساب الحكومة، وعندئذ يتحول العمدة الى ضابط نقطة ينظر له الناس فى ريبة وتوجس فيفقد قدرته على حل مشاكل الناس أو التعبير عنهم وبالتالى يفقد ثقة الادارة ويصبح عديم الجدوى لاى طرف من الطرفين.

هل تحتاج الداخلية الى مستوى آخر من الضباط لمديريات الامن والمناطق والمراكز والاقسام والنقط؟ تستطيع الداخلية أن تنشئ نقطة بوليس فى القرية التى تتصور أن بها ما يستوجب ذلك حماية للأمن العام.

ونقطة هامة وخطيرة. اننا نتصور ومعنا الكثيرون أن الارهاب التى تتعرض له مصر على يد هذه الطفحة المنحرفة من مدعى الاسلام مسألة مؤقتة وسوف لا تعيش طويلا بين ظهرانينا فهل من المنطق أن تفصل القوانين على ظروف مؤقتة مهما طالت فهى الى زوال ان عاجلا أم آجلا ... هل يمكن أن ونضحى بخطوة ديمقراطية دون شك من اجل وضع مؤقت سوف نقف عليه بمزيد من الجهد والصبر.

معالجة موضوع العمد أو المشايخ الذين يتسترون على المجرمين سواء أكانوا من الارهابيين أو غيرهم يمكن معالجتها بتعديل القانون وتغليظ العقوبة على العمدة أو الشيخ المتستر أو الذى يعلم شيئا ولا يبلغ ولكنها ليست فى حاجة الى تغيير نظام استقر فى مصر منذ عهود بعيدة.

كما أن ما ذكر فى بعض الصحف من أن العمدة محظور عليه الاشتغال بالسياسة فمسألة تثير الدهشة فإذا كنا نمنع ذلك فى المدارس والجامعات باعتبار أن الطلبة مازالوا فى طريق تكوين مستقبلهم واذا كان حظر ذلك على أعضاء هيئة التدريس داخل الجامعات فما هى مبررات منع العمد من الاشتغال بالسياسة. القوانين تحظر الاشتغال بالسياسة مع القضاة ورجال الجيش والشرطة ضمانا لاستقرار المجتمع فهل أصبح العمدة واحدا من العاملين فى جهاز الشرطة.

إن التعيين وحظر العمل السياسى عليه يؤكد أن هذه هى النظرة الجديدة للعمدة فهل هذا فى صالح الوطن؟

ومسألة هامة لابد أن نواجهها فى صراحة وتتصل بموضوع العمد وتتصل أيضا بمسألة توطين الضباط فى محافظاتهم وهو النظام الذى تقرر لبعض الوقت واعتقد انه عدل عنه فى وزارة اللواء زكى بدر. إن الموقف يتحدد من وجهة نظر الدولة لرجال الشرطة ولرجال الحفظ ومنهم العمد والمشايخ. اذا كانت السلطة تشعر انها سلطة وطنية تعمل من اجل الشعب ولتحقيق مصالحه فهو أو على الاقل الاغلبية الغالبة ليست فى عداوة مع السلطة ومن مصلحتها ومن واجبها اذن أن تتحد الادارة مع الشعب مادامت تحقق ارادته وتعمل لصالحه، أما اذا شعرت السلطة انها فى عداء مع الناس ففى هذه الحالة يجب أن تضع فاصلا بين السلطة ورجالها والشعب وفى هذه الحالة لا يكون ضابط الشرطة من بين المحكومين الذين

يعمل بينهم ولا يجب أن يرتبط بهم بأى رباط حتى لا ينحاز اليهم اذا وقع الصدام بينهم وبين السلطة، وهكذا العمدة يجب أن يكون معينا حتى يكون تابعا للسلطة. ومسلطا فى نفس الوقت على جموع الشعب.

وهذا ما كان يفعله الانجليز وهم يحتلون مصر اذ أن سلطتهم كانت فى عداء مع الشعب وكان من الطبيعى ألا يعين ضابط شرطة فى بلده وأن يحظر على العمدة الاشتغال بالسياسة.. نحن سلطة وطنية والشعب هو الذى جاء بالسلطة الى الحكم فلا تعاملوه معاملة الاعداء ولا تفعلوا مثلما كان يفعل الاستعمار .. وحتى الاستعمار أبقى على انتخاب العمد والمشايخ ولم يلجأ الى التعيين.

* * *

مدام ماركوس ويوسف السباعى وقصة المليون دولار

صدر أول حكم فى الفلبين ضد ايميلدا ماركوس بالسجن ١٨ سنة بتهمة الفساد وأطلق سراحها بكفالة فى أول قضية صدر فيها الحكم من ١٠٠ قضية تواجهها هى وعائلتها واستأنفت ايميلدا الحكم .. وايميلدا ٦٤ سنة التى كانت ملكة جمال الفلبين واجهت الاتهام فى قضيتين يخصان الفترة من ١٩٨٢ - ١٩٨٤ عندما كانت رئيسة للمؤسسة الوطنية للنقل وعندما أسند اليها أحد المناصب الوزارية خلال حكم زوجها وثبتت إدانتها فى الاستفادة من مؤسسة كانت تديرها لحسابها على أرض ملك للدولة وتسببت فى خسارة للحكومة قدرها ٤,٥ مليون دولار.

كانت ايميلدا قد تقدمت الى الترشيح لمنصب الرئاسة عام ١٩٩٢ بعد عدة أشهر من عودتها الى الفلبين رغم علمها انها مطلوبة فى مجموعة من القضايا .وجاءت فى الترتيب الخامس من ٧ مرشحين.

زارت ايميلدا ماركوس مصر فى عام ١٩٧٥ مدعوه من منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا وكان سكرتيرها العام المرحوم يوسف السباعى وكان وزيرا للثقافة فى نفس الوقت.

وقفنا فى مطار القاهرة ننتظر طائرة مدام ماركوس السيدة چيهان السادات ويوسف السباعى وبعض المسئولين ووقفت بجوار الوزير.

قالت مدام چيهان تخاطب يوسف السباعى

- مدام ماركوس حتقابل الرئيس أنور؟

ورد السباعى:

- أيوه يا افندم

- وقالت مدام چيهان تداعب الوزير.

اذا طلعت وحشه الريس حيقطم رقبتك واذا طلعت حلوة حاقطم رقبتك أنا ..

وضحك يوسف السباعي وضحكنا .. كانت الطائرة قد توقفت وأنزل السلم وتقدمت مدام چيهان وتقدمنا خلفها لتقابل الضيفة الكبيرة أسفل سلم النزول من الطائرة وظهرت مدام ماركوس آية فى الجمال والاناقة وصاح يوسف السباعى:

- رحنا فى داهية!

ونظرت اليه مدام چيهان نظرة ذات معنى وهى تبتسم.

كان برنامج الضيافة يتضمن اقامة مؤتمر نسائى فى الاسكندرية وسافرنا جميعا ونزلنا فى فندق سان استيفانو حيث تنزل الضيفة فى جناح كبير وحيث عقدت الجلسة الأولى من المؤتمر بحضورها وحضور السيدة چيهان السادات، وفى المساء عقد مؤتمر شعبى بدار الاتحاد الاشتراكى بميدان المنشية حضرته السيدتان وفى اليوم التالى عدنا الى القاهرة. أثناء وجودنا بالاسكندرية ولتتابع فقرات البرنامج كانت السيدة چيهان لا تجد وقتا لتغير ملابسها فكانت تظل بملابس الصباح حتى بعد الغذاء ثم ترتدى ثوبا آخر للمساء، فى حين كانت مدام ماركوس تغير ملابسها كل ساعتين وفى كل مرة ترتدى شيئا ملفتا للنظر وتضع كمية من الجواهر النادرة تغيرها مع كل فستان.

بعد أيام غادرت مدام ماكارلوس القاهرة فى زيارة خاصة الى الاقصر وحل موعد ذكرى الكاتب الكبير عباس العقاد ودعى وزير الثقافة يوسف السباعى لحضور الاحتفال ببلدة العقاد أسوان واعتذر الوزير وطلب منى حضور الاحتفال نيابة عنه. كنت فى ذلك الوقت وكيلا أول لوزارة الثقافة للثقافة الجماهيرية. سافرت الى أسوان صباح يوم ١٣ مارس وهو موعد ذكرى العقاد لأحضر الاحتفال مساء وأعود صباح اليوم التالى.

وعند عودتى فى اليوم التالى بالطائرة توقفت فى مطار الاقصر ونزلت أقضى ساعة فى استراحة مطار الاقصر والتقيت مصادفة برئيس مدينة الاقصر ومازلت أذكر أن اسمه (برىْ) ولا أذكر باقى الاسم وقال لى رئيس مدينة الاقتصر إن مدام ماركوس كانت فى زيارة الاقصر فى

اليوم السابق وانه رافقها فى زيارة آثار البر الشرقى والغربى وأن مسئولى الاثار فتحوا لها خصيصا مقبرة نفرتارى وأراد هو أن يجاملها فقال لها إنها أول سيدة تدخل هذه المقبرة المغلقة فسألته:

- هل دخلتها امبراطورة ايران

وكانت قد زارت القاهرة قبلها فرد رئيس المدينة:

- لا لم تدخلها.

وعادت تسأله:

- ومدام چيهان؟

فقال لها الرجل:

- طبعا مدام چيهان دخلتها .. انها صاحبة البيت.

وقد أعجبت السيدة ماركوس بالمقبرة وأسفت لتساقط النقوش بها والحالة التى وصلت اليها فسألت رئيس المدينة لماذا لا تقومون بترميم المقبرة فرد الرجل بالرد التقليدى الذى تعودت الادارة المصرية أن ترد به على الاجنبى وعلى المواطن وهو أنه لا توجد الاموال اللازمة للترميم وعادت السيدة ماركوس تسأله وما هى تكلفة ترميم هذه المقبرة وعلى سبيل المبالغة قال رئيس مدينة الاقصر:

- مليون دولار

وسألته السيدة ماركوس:

- واذا دفعت لكم مليون دولار هل ترمموا المقبرة.

ورد الرجل:

- وتيجى حضرتك تفتحيها كمان ..

كان سعيدا وهو يقص على هذه القصة وبأنه جعل السيدة ماركوس تتبرع بمليون دولار.

وعدت الى القاهرة وبعد يوم أو يومين عادت مدام ماركوس الى القاهرة وأقام لها الوزير حفل عشاء بأحد فنادق القاهرة الكبرى، ولسبب لا أذكره لم أحضر هذا الحفل ولكنى سمعت

بأنها أعلنت للوزير أنها سوف تتبرع بمليون دولار لوزارة الثقافة وانها رقصت فى الحفل بعد العشاء وأن فارسا الرقص كانا المرحوم حسن عبد المنعم وكيل أول الوزارة فى هذا الوقت ود. مرسى سعد الدين رئيس هيئة الاستعلامات. وتبارى الزميلان فى القول إن اعجاب السيدة ماركوس بكل منهما هو السبب فى المليون دولار وقد فاز مرسى سعد الدين فى المنافسة عندما دعته مدام ماركوس لزيارتها فى الفلبين وقد أدى الزيارة سعيدا .. سافرت مدام ماركوس ونسيناها ونسينا المليون.

ومرت أشهر وتركنا حسن عبد المنعم وعين رئيسا لاتحاد الاذاعة والتليفزيون وتوليت مسئولية وكيل أول وزارة الثقافة. كنا تقريبا فى شهر يوليو ١٩٧٥ عندما اتصل بى السيد حسن كامل رئيس ديوان رئيس الجمهورية وأبلغنى أن مدام ماركوس أرسلت شيكا لوزارة الثقافة بمليون دولار وأن الشيك باسم الرئيس أنور السادات وأن الرئيس (ظهر) الشيك وطلب منى أن أرسل له مندوبا لاستلام الشيك، وكان الامر فى نظرى هاما فكلفت الزميل عصام الحينى وكيل وزارة الثقافة بالذهاب الى القصر الجمهورى واحضار الشيك.

وذهبت ليوسف السباعي أبلغة بأمر الشيك .. وماذا تفعل به عندما يصل اذا وضعناه فى البنك فى حساب وزارة الثقافة ضاع علينا المبلغ ودخل ايرادات دولة، وأخيرا اتفقنا أن نضعه فى حساب (صندوق الاثار) وهو صندوق خاص يرأس مجلس ادارته الوزير ويديره الاستاذ/ فؤاد العرابى وله حساب خاص غير خاضع لوزارة المالية وفعلا استدعينا الاستاذ العرابى وسلمناه الشيك ووضعه فى حساب الصندوق.

قال الدكتور جمال مختار رئيس هيئة الاثار إن الدراسات الخاصة بمقبرة نفرتارى لم تصل حتى ذلك اليوم الى معرفة سبب سقوط النقوش حتى يمكن ترميمها أو معالجتها وقد اشتركت فى هذه الدرسات أهم المعاهد الاثرية والبعثات المعروفة فى مجال الترميم فى العالم، وقال المرحوم حسن عبد المنعم إنه أبلغ مدام ماركوس عندما أبلغته بنيتها على التبرع أن مسألة مقبرة نفرتارى بالذات سوف تستغرق وقتا لأن العلماء لم يصلوا بعد لطريقة الترميم فردت مدام ماركوس أنها سوف تتبرع بالمبلغ وعلى وزارة الثقافة أن تستخدمه فيما تشاء.

كانت هيئات الوزارة تشكو حاجتها الى عملة أجنبية، هيئة السينما تريد قطع غيار لبعض آلات التحميض والطباعة فى المعامل، والثقافة الجماهيرية تريد أن تشترى بعض قوافل

الثقافة بعد أن تلفت أغلب القوافل التى تعمل منذ عام ١٩٥٨ وغير ذلك.

واقترح أن يستخدم نصف المبلغ فى الاستجابة لحاجات هيئات الوزارة وفى نفس الوقت نضع بدلا من نصف المليون هذا حصيلة معرض رمسيس الثانى الذى كنا نستعد لإقامته فى باريس فى ذلك الوقت وقلنا فى الدعاية لمعرض رمسيس أن الايرادات ستخصص لترميم مقبرة نفرتارى وتم التصرف على هذا النحو بمعرفة فؤاد العرابى ورؤساء هيئات وزارة الثقافة الذين كانوا موجودين في ذلك الوقت.

ومرت سنوات ومات يوسف السباعى وتركت وزارة الثقافة مستقيلاً بعد خمس سنوات وذات يوم وفى مجلس الشعب وقف عضو يدعى التصوف وتساءل أين المليون دولار التي دفعتها مدام ماركوس ليوسف السباعى وزير الثقافة، وكان فى قول النائب تلميحا للتشكيك فى ذمة يوسف السباعى وأرسلت لرئيس المجلس فى ذلك الوقت خطابا يحوى ما ذكرت ولكن ضميره سمح له أن يضعه في الدرج أو يلقى به فى سلة المهملات، وتكرر الامر على لسان هذا النائب وبعض الذين يعشقون رمى الاشراف بما فيهم هم .. وظل الامر وكأنه تهمه معلقة برقبة يوسف السباعى الى أن كنت عضوا بمجلس الشعب وأثير الموضوع فى شكل اتهام صريح ووجدتها فرصة ذهبية ووقفت أحكى القصة كما حكيتها فى السطور السابقة وسمعنى الاعضاء ولم يعلق أحد، وشعرت بأنهم لم يسعدوا لإعلان براءة برئ قدر حرمانهم من أكل لحم يوسف السباعى وهو وزير ومشهور وضابط سابق ولحمه شهى ....

رحم الله يوسف السباعى وغفر الله لمدام ماركوس وخفف عنها ذنوبها.

الاهرام ١٩٩٣/١١/٢٠

قيادة مصر للحركة الثقافية العربية
هل هي مفروضة ... أم مرفوضة ؟

الوحدة العربية هى وحدة الثقافة العربية، وقضية الوحدة قضية ثقافية. وعندما تتوحد الثقافة العربية فى كل أجزاء الوطن العربي تصبح الوحدة الإقتصادية اجراء سهل التحقيق و تصبح الوحدة السياسية تتويجا لوحدة قائمة فى الواقع ..

ولا أتصور أن عربيا أو غير عربي يمكن أن يخالف هذه الحقائق التي يقول بها التاريخ ويقول بها الواقع الذي عشناه بالأمس القريب والذي نعيشه اليوم والذي نعيشه في مستقبل الأيام .

وعندما أعمل الاستعمار سكينه الحاد في تقطيع أوصال الوطن العربي الي دول وامارات ومحميات وممالك ووضع في كل قطر قنبلة موقوتة تنفجر في وقت محدد ليقضي علي الوحدة الوطنية داخل كل قطر . وعندما فرض الاستعمار العزلة علي الجميع و قطع وسائل الاتصال بينهما كانت الثقافة هي الخيط الباقي الذي لم تستطع سكينه أن تقطعه ولم تستطع عينه الكليلة أن تراه ولم تستطع قواه المتعاظمة ان تمنعه. كان اللحن العربي ينتقل من جزء الي جزء يغنيه الجميع ويطرب له الجميع ويردده الجميع وكأنهم اطفال مدرسة ينشدونه في صف يقفون فيه متلاصقين الكتف في الكتف .. كانت الصورة العربية قادرة علي أن تقفز فوق الحواجز لتصافح الأعين في كل مكان، كانت منشورا سريا يحفظ كيان الهوية الواحدة قوية سهلة ميسورة الي كل الأركان .وكان الكتاب العربي هو الشمعة التي تضيء الظلام المفروض علي كل ركن قصي في كل بقعة في نهايات الارض العربية

لم يقهر الاستعمار الثقافة العربية وإن اضاف لها في بعض البلدان لغة جديدة

استخدمها الكثيرون في زيادة حصيلتهم من الثقافة تأكيدا لهويتهم ولم تأخذ من هويتهم الا شئا محدودا وكان هشا من الداخل فلم يصمد طويلا اغراء المدنية الزائفة الزائلة امام هوية باقية وقادرة .

وفي هذه الايام بالذات وهي ليست جديدة تتعرض الامة العربية لحرب ضارية تهدف الى طمس معالمها . الاستعمار هذه المرة يجدد ثوبه و يجدد وسائله و يصبغ سحنته الشوهاء بمساحيق لتخفي تشوهات القراصنة وبشاعة البوم حتي يبدو كما يريد وسيما طيبا وشريفا .. يقولون انه هناك عالم جديد وبالتالي لابد أن يكون هناك استعمار عالمي جديد، وهو جديد فعلا في الوسيلة ولكنه هو هو في الهدف والغاية ..

في السنوات الأولى من حياة الامة العربية في نصف القرن الاخير تعرضنا لحلف بغداد لكي يجمعنا في سلسلة واحدة تقبض عليها امريكا ووكيلها في المنطقة اسرائيل بحجة محاربة الشيوعية والوقوف في طريق انتشارها وحماية العالم العربي من شرورها، وفهم العرب ما يراد بهم فرفضوا حلف بغداد .

وسقط حلف بغداد وعادوا بعد دور أدته امريكا علي يد ايزنهاور في قهر العدوان البريطاني الانجليزي الاسرائيلي علي مصر، عادوا ،كأنهم يريدون تقاضي ثمن وقوف ايزنهاور مع مصر في معركتها حتي انتصرت، وظهر مشروع ايزنهاور يملأ الفراغ الذي تركه الاستعمار الانجلزي والاستعمار الفرنسي في المنطقة، وخرج علي العالم العربي حلف قديم هدفه هو نفس هدف الحلف القديم استعمار في شكل جديد، وكما سقط حلف بغداد سقط مشروع ايزنهاور ثم رأينا مشروعات كثيرة متعددة: الحزام الافريقي .. الحلف الشرق اوسطي .. وسقطت جميعها وكان لابد للاستعمار من أن يعيد النظر في أساليبه المرفوضة جميعها وقدنجح وعاد للمنطقة في شكل الصديق والشريك والمنقذ والعامل علي تحقيق الاهداف . وكانت حرب الخليج .. وقاد قوة دولية أنقذت الكويت من العراق . ثم كانت الاحلاف مع دول الخليج ثم كان النجاح في توقيع اتفاقية واشنطن المعروفة باسم غزة واريحا في١٣ سيتمبر الماضي . وهنا بدأ تكتيك جديد، ظهرت المشروعات الاقتصادية وظهرت السوق الشرق أوسطية، بل اختفت تماما من قاموس السياسة الامريكيةثم السياسة العالمية كلمة العرب والعروبة بشكل دائم واستبدلت بها كلمة الشرق الاوسط، لأن كلمة العروبة تخرج منها اسرائيل أما الشرق الاوسط فهي دولة من دوله، بالاضافة الي أن اهمال كلمة

العرب والعروبة مقدمة للقضاء تماما علي الحلم العربي بالوحدة وعلي الحاضر العربي بالتضامن والتماسك. وهذا بالضبط ما يجعل الأمر في نظرنا وفي نظر غيرنا يستحق المناقشة مرة ومرات فإن بعض التصرفات التي تطفح علي سطح الحياة الثقافية والفنية في العالم والتي كل اطرافهامن العرب تسير سيرا حثيثا في طريق دعم الفكرة الشرق أوسطية، بمعني الاقلال من أهمية الحقيقة العربية بل وطعنها لاسباب تافهة .

بدأت مصر عصر النهضة منذ بداية القرن التاسع عشر علي يد مجموعة كبيرة من رواد العلم و المعرفة و التنوير. بدأت هذه الحقبة الخصبة في تاريخ مصر منذ أرسل محمد علي رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك وغيرهما الي فرنسا وعادوا ليبدأ واحملات التنوير و التجديد ووضع محمد علي أول مشروع قومي لتحديث مصر ربما شابه الكثير من الطموح الشخصي و الاحلام الذاتيه بامبراطورية واسعة يقودها ومن بعده اولاده، ولكن حتي وعندما تحالفت دول الغرب بزعامة بريطانيا علي ضرب هذا الجانب من المشروع القومي ظل المشروع قائما وان انتابه بعض التلكؤ أو الضعف أو الخروج عن الخط في عصري عباس وسعيد، ولكنه استعاد نفسه أيام أسماعيل رغم ما انزلق اليه اسماعيل فقضي علي نفسه وانتهي بالقضاء علي المشروع القومي كله في عهد ولده توفيق الذي ضرب عرابي و الشعب المصري و فتح باب مصر علي مصراعيها أمام الاحتلال الانجليزي البغيض . في هذه الايام كانت أغلب الدول العربية مازالت تزرح تحت عبء الاستعمار بكل قسوته واستلاب ثرواتها بالقوة و تركها عن عمد في دياجير الظلام و الجهل .. أثمرت بواكير التنوير نهضة شاملة في مصر في الأدب و الفن و الشعر و النثر و القصة و الرواية و المسرحية و الدراسات النقدية و .. المهم ظهر رواد فتحوا أمام المصريين و أمام العرب أبواب الثقافة الحديثة .. ظهر رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده وقاسم أمين و الرافعي و المنفلوطي، و ظهر طلعت حرب وسعد زغلول وأحمد شوقي وحافظ وسيد درويش وعبد الوهاب و أم كلثوم وطه حسين و العقاد و توفيق الحكيم .. وسلسلة متصلة من عباقرة صاغوا حياة مصر المعاصرة وقدموا لشعبهم كل مشاعل التنوير فنهضت مصر في كل المجالات حتي وصلت الي مشارف القرن الذي يجتازه العالم بحضارته الرائدة . ثم كانت الافاقة الكبري ووجد العرب جميعهم في مصر شقيقا يفتح ذراعيه لكي يستقبل الوافد من الذين يبحثون عن نور العلم والمعرفة والذين يريدون أن يدخلوا بأوطانهم العصر الحديث،

ووجد الاشقاء في مصر قوافل معدة اعداد كاملا جاهزة وعلي وشك الرحيل الي أية بقعة عربية وعند أول اشارة من صديق، وانطلق المدرس المصري الي تجمعات العرب علي شاطئ الخليج الي قمم جبال الاوراس من الشرق الي الغرب ومن الشمال الي الجنوب .. لم تقصر مصر عن مد يد العون لمن يريد ولم تقف مرة واحدة لتمن علي احد .. كان للمسألة وجه آخر .. كانت دائما تقدم وتأخذ وليس بالمعني التجاري الجارح ولكن علاقة حب لحمتها الحب و الاخاء وان حوت ما هو متعارف عليه من امور الحياة التي تفرضهاحقيقة الاشياء . كان تبادلا ولم يكن بيعا وشراء .لم تعرض مصر نفسها اذن لتقود العرب في معركة التنوير . لم تعرض نفسها عندما بعثت لهم رسالة الزيات وعندما فتحت المعاهد و فتحت الازهر لكل العرب و المسلمين، و منشيء الازهر في القاهرة ليس مصريا ولكنه عربي وهذا أروع مايحكيه التاريخ عن العرب وعن مصر وعن عروبة مصر منذ زمن بعيد . وكما قادت مصر معركة التنوير وسبقت في تحقيق النهضة قادت حركة الاصلاح السياسي علي المستوي الوطني و القومي و قادت العالم العربي لفكرة الوحدة ممثلة في اقامة جامعة الدول العربية التي جعلت من عاصمة مصر مقراً لها، ثم ما أكمل رسالة الجامعة من مؤسسات علمية وفكريه وتاريخية وتراثية . بل وقامت علي مستوي التطبيق و بالاشتراك مع سوريا باول تجربة عملية في العصر الحديث لاقامة دولة الوحدة مكونة من قطرين شمالي وجنوبي، ورغم أن هذه التجربه لم تعش طويلا ورغم انها كانت تفتقر إلي أسباب كثيرة لكي تحيا و تزدهر، الا انها تظل نداء قويا للوحدة ويكفي أن الذين قاموا بالانقضاض عليها و فصلوا سوريا عن مصر زعموا في جميع بياناتهم انهم قاموا بالانفصال من اجل الوحدة، حتي جميع الاعمال الرديئة التي تمت علي مسرح السياسة في العالم العربي وتكون في حقيقتها ضد الوحدة العربية يزعم صانعوها دائما انها تتم من اجل الوحدة .

ذلك لان نداء الوحدة هو النداء الشرعي الوحيد في نظر الجماهير العربية مهما كانت الخلافات علي مستوي الاقطار ومهما بدت الاحداث وكأن العرب بدأوا يضيقون بالوحدة أو أن كل قطر عربي أصبح يبحث له عن طريق آخر غير عربي .

زعامة مصر التنويرية لم يفرضها أحد بل فرضتها الظروف التي خلقت منهامنارة للعرب جميعا في عصر ساد فيه الظلام . وزعامة مصر السياسية لم يفرضها أحد ولم تفرضها هي بل لقد نادت بالتضامن العربي ثم بالوحدة العربية رغم أن الغرب - والغرب

هو أقوي قوة علي سطح الارض - كان دائما ضد أن يتضامن العرب وهو مازال يحارب هذاالاتجاه بكل ما يملك .

ونتيجة حتمية لهذا التاريخ صارت مصر رائدة في ميادين الأدب والفن، النتاج الطبيعي لنجاح معارك التنوير والتحديث، وأيضا لم تعرض مصر نفسها علي احد . بل أصبح الفن المصري والثقافة المصرية ادبا عربيا منذ وجد وحتي عندما كتب المصريون الاغنية أو الفيلم أو المسرحية باللغة الدارجة المصرية لم تقف تلك حائلا دون وصولها الي آخر بقعة عربية لانهم كانوا قد عرفوها بل وأحبوها منذ عهود بعيدة .

وقد وقعت تجربة عملية تظهر بشكل واضح مدي الرباط الذي يربط العرب بالفن المصري والادب المصري .

عندما وقعت القيادة المصرية معاهدة كامب ديفيد واجتمع الأقطاب العرب في بغداد واتخذوا قرارهم بمقاطعة مصر وعزلها عن جامعة الدول العربية وعن مؤسساتها المختلفة وطبقت الدول العربية هذا القرار وسحب السفراء العرب واختفت من سماء مصر اعلام تسع عشرة دولة عربية، وماذا حدث اذن في الجانب الاخر علي شاشات التليفزيون والسينما وعلي رفوف المكتبات وفي آذان ووجدان الشعب العربي .

لم يصل قرار الاقطاب هذا الي تلك الميادين، فلم يختف الفن المصري من علي شاشة أية دولة عربية لا الشاشة الصغيرة ولا الكبيرة، ولم تتوقف اذاعة واحدة عن الانطلاق بصوت أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم وغيرهم من المطربين المصريين، ولم يحجب الكتاب المصري عن المكتبات في كل البلاد العربية . ومن أطرف ما أذكره عن ذلك التاريخ أن بعض الدول العربية التي كانت حادة في مقاطعتها كانت تستورد الكتاب المصري والفن المصري ولكنها لا تسدد للمؤسسات المصرية ثمنها لان هناك قرار قمة يمنعهم من التعامل مع المصارف المصرية في القاهرة التي يرتفع فيها علم اسرائيل . نعم كان قرار المقاطعة لايسري علي استيراد المواد الثقافيه ولكنه يسري فقط علي تحويل ثمنها الي المصارف، ورغم ذلك لم تتوقف مؤسسة مصرية واحدة عن تلبية طلبات الأخوة المقاطعين بقرار من القمم العربية . زعامة مصر للعالم العربي في الادب أو الثقافة أو السياسة لم يفرضها احد فهي ليست مقعداً وثيرا سعت اليه مصر، وليست وظيفة جري الانتخاب

لاختيار من يشغلها، بل هو دور تاريخي فرضته اوضاع قائمة وحقائق لاجدال فيها أو كما قال المفكر المصري جمال حمدان: فرضته الجغرافيا وفرضه التاريخ لاهو شرف طلبته لنفسها بل هو تكليف وضعه الاشقاء في عنقها فقبلته راضية. إن مصر لاتسعي لان تكون زعيمة أوقائدة وهي قانعة تماما بان تكون شقيقا لاشقاء يحترمونها ويحبونها قدر ماتحترمهم وتحبهم، وقد تكون الشقيق الاكبر وهذا شرف يكفيها .

مصر رائدة لاقائدة .. فرضت عليها القيادة ولم تفرضها هي علي احد .. ولكن لماذا يقال بين الحين والحين إن هناك غزواً ثقافياً مصرياً .. هل هو حقيقة موجودة؟ وحتي لو قيل ذلك علي سبيل الفكاهه أو التنفيس عن غيظ مؤقت فلا مانع من مناقشته وليكن ذلك موضوع حديثنا القادم .

***

عندما اتهمت بالقبض علي إحسان عبد القدوس

كتبت مديحة في العدد ٣٤١١ من روزاليوسف والصادر في عيد ميلادها التاسع والستين (عيد ميلاد المجلة لا عيد ميلاد مديحة) (١٩٩٣/١٠/٢٥)وهي تعدد ممن كتبوا في روزاليوسف (وعبد المنعم السباعي وسامي الليثي وعباس صالح ويوسف ادريس وسعد الدين وهبه الذي منعته الست من الحضور الي المجلة في البوكس - هذا لزنه كان ضابط بوليس، وكان يأتى إلى المجلة في البوكس - وكانت الست داخلة علي المجلة، وجدت البوكس فتصورت أنهم سيعتقلون احسان تاني ولما عرفت الحقيقة صرخت فيه ومنعته من ركوب البوكس وهو جاي المجلة . .) وكان ذلك في أوائل عام ١٩٥٥ كنت قد نقلت من الاسكندرية الي القاهرة ضابطا بمصلحة الجوازات والتي تقبع مكانها منذ ذلك الحين في مبني المجمع وأتردد في الصباح وفي المغرب علي محل ايسائفتش بميدان التحرير أتناول سندوتشا من الفول وآخر من الطعمية إذ كانت الميزانية لا تتحمل أكثر من هذا، كنت قد بدأت العمل بالصحافة واستطعت أن أصل الي روزاليوسف وأن أحرر بها باب الحوادث وكانت (الست) كريمة معي غاية الكرم اذ كان مرتبي (عشرين جنيها) وهو مرتب كبير في عرف صحافة تلك الايام، وكنت ضيقا بباب الحوادث لأني أعلم تماما قدراتي ولكن محاولة الاستفادة من عملي كضابط بوليس كانت تذهب دائما الي هذا الاتجاه، وكنت أقنع نفسي في النهاية أن العمل بالصحافة حتي في باب الحوادث يهيئ لي أن أعيش هذا المناخ الذي أعشقه وأريده . . .وهكذا سعدت بالعمل في روزاليوسف وسعدت أكثر بمن كنت أقابلهم في روزاليوسف عندما أذهب مرة في الاسبوع .كنت قد أصدرت مجلة (البوليس) التي كان يملكها نادي ضباط البوليس وكان رئيس تحريرها الشرفي أحمد الوتيدي سكرتير عام النادي وكنت سكرتيرا للتحرير ومسئولا عن ادارة

المجلة وعن تحريرها، كانت مديرية أمن القاهرة قد منحتني سيارة بأرقام مدنية لاستخدامها في تنقلاتي وان كان سائقها يرتدي الزي الرسمي، كان رجلا ضخم الجثة حاد الصوت وكان يعمل قبل الثورة سائقا لسيارة حسن فهمي رفعت باشا وكيل الداخليه، وطبعا ترك حسن باشا منصبه وباشاويته بعد قيام الثورة ولكن السائق ظل يستخدم اسم حسن باشا حتى عمل معى فكان يختفى صباح كل يوم لسبب لا أعرفه حتى اكتشفت أنه يطوف بدور الصحف كما كان يفعل من قبل يتسلم (جرائد الباشا) (ومجلات الباشا) والغريب أن دارا واحده لم تتوقف عن تسليمه المجلات والصحف التى كانت ترسل هدية لوكيل الداخلية المعظم، حتى الصحف التى لم تكن قد ظهرت فى أيام حسن باشا مثل الجمهورية مثلا كما يحصل على نسخ منها أما، يفعل بكل ما يجمعه يوميا فقد اعترف لى أنه يسلمه لأحد باعة الصحف بربع ثمنه فإما يبيعه الرجل أو يعيده مرتجعا. كنت أضيق بهذا السائق وكنت أخشى من أن يذهب معى الى أى مكان يهمنى التردد عليه لا يتسبب لى فى كارثة كأن يطلب شيئا أو يقوم بعمل يحرجني، وأذكر أنى أعطيته مره نقودا لكى يحجز لى تذكرتين فى احدى دور السينما فعاد لى بالتذكرتين ولم أنظر فيهما وفى اليوم التالى وضعت يدى فى جيبى فوجدت بقية التذكرتين ونظرت فيهما وفوجئت بأنها تذاكر دعوة فالسائق وضع النقود التى أعطيتها له فى جيبه وتسول تذكرتي دعوة أغلب الظن أنه طلبها لحسن فهمى رفعت باشا. وهكذا كنت أخشى أن أذهب بهذا السائق الى روز اليوسف وعندما فكرت فى ذلك لأول مرة طلبت من أحمد الوتيدى أن يأمر لى بسيارة توصلنى لروزاليوسف لأقدم (الباب الاسبوعى) مدعيا أن سيارتى عطلانة. وأعطانى الوتيدى (بوكس) وذهبت به الى روزاليوسف وتركته أمام الباب فى المبنى القديم بشارع محمد باشا سعيد خلف مبنى مجلس الوزراء وصعدت الى سكرتارية التحرير كانت فى حجرة بها مكتب الاستاذ/ محمود أمين العالم والمكتب الآخر للاستاذ عبد الغنى أبو العينين وسلمت الباب للاستاذ العالم وجلست أشرب معه القهوة وشعرنا أن شيئا يحدث فى الدار فقد لا حظنا أن محررين وسعاة يذهبون ويروحون يندفعون الى مكتب الست (السيدة روز اليوسف) ويعودون وخرج أبو العينين يستطلع الامر وعاد كاسف الوجه قائلا بصوت منخفض.

– بيقولوا الاستاذ احسان حيعتقلوه ..

وسألنا:

- ليه .. ماذا كتب؟

وأخذ العالم وأخذنا نستعرض ما كتب احسان فى الاسابيع الاخيرة ولم يكن فيما كتب احسان ما يستوجب الاعتقال. وخرجت والعالم وأبو العينين ولاحظنا أن حديثا يجرى عن البوليس الذى ينتظر عند باب الجريدة، وسمعت أحد السعاة يقول للست أنه ليس هناك غير البوكس ولا يوجد أحد من العساكر وسألت الست: بوكس ايه هنا؟ وتقدمت أقول إنه معى وأنا الذى أحضرته وصرخت الست:

- انت جاى بالبوكس ليه؟

وعرفن القصة من أولها.

كان احسان يسكن في شقة في شارع قصر العيني مواجهة لشارع محمد سعيد حيث روز اليوسف، وكان يذهب الي المجلة صباح كل يوم سائرا على قدميه، وفى هذا اليوم وعندما اقترب من مبنى المجلة شاهد البوكس فعاد الي البيت واتصل بوالدته يسألها ماذا يفعل البوليس في المجلة؟ وفعلا تصور احسان أن البوكس جاء للقبض عليه اذ كان قد غادر المعتقل قبل أشهر قليلة ومازال يعيش في كابوسه. ولدي سماع والدته بأمر البوليس أرسلت من يستطلع الامر واكتشفت المسألة وزاد عليها كل من سمعها تفصيلة صغيرة حتى صارت اعتقالا لاحسان لولا أنهم لم يجدوا عساكر قد حضروا لأعتقاله.

وفعلا نبهت علي السيدة روزاليوسف الا أذهب للمجلة مرة أخري بسيارة بوكس وحدث. وبعد أشهر قليلة تركت رزو اليوسف تنفيذا لقانون الصحافة اذ لم أكن قد أصبحت عضوا بالنقابة، وعندما حصلت علي عضوية النقابة لم أرجع لباب الحوادث في أية صحيفة وبالتالي لم أعد للبوكس مرة أخرى.

الأهرام ٩٣/١١/٢٧

الحركة الثقافية العربية (٢)
الغزو الثقافى المصرى

ربما يمنع الحياء البعض من أن يرددها علانية أو بشكل ملح ولكنها تتردد دائما فى الندوات السينمائية العربية وفى الحوارات المسرحية العربية وفى جميع اللقاءات العربية التى تتم بين المثقفين اذا كان موضوعها الهموم الثقافية فى الوطن العربى . وربما تحرج البعض من مناقشتها، وربما مشاعر اخوة عربية كثيرة تمنعها من أن تكون موضوعا يعالج فى وضوح وصراحة وبصوت مرتفع، وأعتقد أن مثل هذه القضايا اذا ظلت تعالج فى مجامع محدودة وتنتشر سريا يمكن لها أن تولد جراثيم كثيرة تنمو تحت السطح وقد نفاجأ بها فى يوم من الايام وقد احدثت بثورا تنبئ عن مرض خبيث . وافضل ما يمكن أن تعالج به القضايا المحرجة أن تخرج الى السطح وأن تناقش فى وضوح وفى صدق وفى موضوعية، عندئذ اذا وصلت القناعة من جميع الاطراف الى وجودها عولجت مادام هناك اتفاق على علاجها اما اذا ثبت أنها فرية لا تقوم على اساس سليم انهارت من فورها وذهبت أدراج الرياح.

نسمع كثيرا شكوى من السينيمائيين العرب أغيثونا من غزو السينما المصرية ومن الموسيقيين العرب .. أغيثونا من الاغانى المصرية ومن المسرح .. ويبدو انتشار الانتاج الثقافى المصرى على شاشات التَليفزيونات العربية أو فى الاسواق العربية نوعا من الغزو أو نوعا من سياسة الاغراق . ولكن قبل أن ندخل فى حيثيات الموضوع نتوقف لحظات لنتفق اولا على معنى الغزو الثقافى، ما هو الغزو الثقافى وما هى اهدافه؟

وأرجع الى التعريفات التى وضعتها المؤسسة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومن غير شك عندما تتحدث المؤسسة العربية تتحدث عن الغزو الثقافى الغربى للوطن العربى،

كما أن الفرنسيين عندما يتحدثون عن الغزو الثقافى يتحدثون عن الامريكان وهكذا لكل وطن غزاة ولكل غزو ثقافى هدف . تقول المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :

«تتجه ثقافة البلاد المتقدمة نتيجة ثورة الاتصال التقنية نحو تنميط الثقافات كلها وادخالها فى اطارها الخاص وقيمها المتراتبة، وهذا التنميط الثقافى هو جزء عضوى ومكمل للاستعمار الحديث الاقتصادى والسياسى وهو يتوصل لأهدافه بمختلف الوسائل، وبخاصة بتقنيات الاتصال الحديث ونظم التعليم والتدريب ونشر المفاهيم والقناعات واستخدام وكالات الانباء والخبراء والاعلام والسياحة، عادت تشكل خطرا على الثقافات الاخرى وتهديدا لهويتها الحضارية .

والمشكلة الأساسية فى هذا الخطر المهدد انه يقوم :

- على عدم التكافؤ فى القوى بين الثقافة الغازية والثقافة العربية .

- على اشاعه قيمه الغربية الخاصة .

-على أساس من التدفق الوحيد الاتجاه .

-على أساس التنميط الاستهلاكى منذ أضحت الثقافة سلعة اقتصادية الى حد كبير تستهدف الربح المادى اكثر مما تستهدف نمو الشخصية الثقافية .

- على فرض التبعيه الثقافية وجعلها من وسائل التبعية السياسية .

- وهو اخيرا خطر غير مباشر ولا ظاهر كما أن المقاومة له ضعيفة أو معدومة فى بعض الميادين .

ومن هذا التعريف يتضح أن المنظمة العربية تتصور، ولها كل الحق فى ذلك، أن العالم العربى كله معرض لغزو ثقافي وأن هذا الغزو الثقافى ركن مكمل للاستعمار السياسى والاقتصادى وأن هدف هذا الغزو طمس الهوية القومية وخلق عادات وتقاليد جديدة واشاعة القيم الغربية والتنميط الاستهلاكى للمادة الثقافية، واذا طبقنا هذه المقاييس على العلاقة بين الثقافة المصرية والأشقاء العرب لوجدنا أن المسألة لا تخلو من مزحة أو فرية أو مبالغة قد يقصد بها أشياء اخرى يمكن أن يكون اهمها التنفير من الثقافة المصرية حتى يفتح الباب على مصراعيه للثقافة الغربية، وعندئذ يتحقق الغزو الثقافى الغربى أو

يدخل من الباب الواسع. فالواضح والمعروف أنه على شاشات التليفزيونات العربية وفى دور العرض السينمائى فى العواصم العربية وفى مجال أشرطة الغناء والموسيقى العربية يكاد أن يكون الانتاج الثقافى المصرى هو المقاوم الاول للغزو الثقافى الاوروبى وإن الانتاج الثقافى المصرى يكاد يكون هو البديل والمنافس الاول للانتاج الثقافى الغربى . ان مصر لم تكن فى يوم من الايام مستعمرة لأى جزء عربى بل كانت كغيرها من الدول العربية واقعة تحت سلطة الاستعمار وسلطانه، ومصر لا تهدف أن تسيطر اقتصاديا ولا سياسيا على العالم العربى وهذا شرحناه فى مقالنا السابق، وبالتالى مصر لا تبحث عن سيطرة ثقافية ولا هى سعيدة باتجاه الثقافة الى النمط الاستهلاكى فى وطنها وفى غيره من الاوطان العربية، ومصرلا تريد أن تنزع الهوية العربية لانها ببساطة هويتها هى ولا تريد أن تزرع قيما غربية لان قيمها نفس القيم العربية التى تعيش عليها. بل يحدث كثيرا عندما يعرض عمل فنى مصرى ومسرحية أو مسلسل تليفزيونى أو فيلم سينمائى ويتجاوز الحد المعقول فى تصوير الحياة فى مصر ويخرج الى قيم وعادات غير موجودة، تكون ثورة المصريين فى الداخل والخارج موازية ومشابهة تماما لثورة غير المصريين من العرب ويأتى الدفاع عن الحياة النظيفة فى مصر من العرب أكثر مما يأتى من المصريين، بل إن الثورة الحقيقية والرفض الحقيقى لافلام المخدرات والجنس أتت من خارج مصر من العرب الذين تحركوا أو حركوا المصريين الذين يعيشون بين ظهرانيهم ويخجلهم أن تبدو الحياة فى مصر فى بعض الافلام السينمائية وكأنه لم يعد فى مصر من مشاكل الا الجنس والمخدرات .

ونعود الى السبب الذى يجعل البعض يتصور أن الانتاج الثقافى بكثرة فى مصر هو نوع من الغزو الثقافى . ونتحدث مثلا عن السينما واذا استعرضنا الدول العربية كلها وجدنا سبع دول عربية تنتج انتاجا سينمائيا روائيا وهو ما نقصده بهذا الحديث: المغرب والجزائر وتونس وسوريا ولبنان والعراق ومصر بالاضافة الى الفلسطينيين الذين ينتجون بعض الافلام فى عواصم عربية أو غربية . وهذا لا يمنع من ظهور بعض التجارب فى بلدان عربية اخرى كالكويت أو ليبيا أو الاردن .

واذا استعرضنا انتاج هذه الدول السبع المنتجة للسينما لوجدنا عدد ماتنتجه الدول العربية الست عدا مصر فى العام يقل عن ربع ما تنتجه مصر . وابادر فأقول انى اتحدث فقط عن الكم لا عن الكيف والمستوى الفنى وسأتحدث عنهما حالا . ولما كانت دور

العرض السينمائى فى الوطن العربى تحتاج الى الشريط العربى وكذلك التليفزيونات العربية وكذلك محال بيع الكاسيت وفى الدول نفسها التى تنتج سينما لا يزيد انتاجها من الافلام الروائية عن فيلمين أو ثلاثة، وهذا العدد لا يمكن أن يكفى دور العرض السينمائى ولا باعة اشرطة الفيديو كاسيت ولا التليفزيون باحتياجاته فى ٥٢ أسبوعاً فى العام . اذن لابد من اللجوء للسينما المصرية اضافة الى أن نجوم السينما المصرية يصبحون بعد ظهورهم نجوما للعالم العربى كله بواسطة التليفزيون والسينما ولا شك أن حب الجماهير العربية لهم يدفع سلطات بلادهم لعدم حرمانهم من مشاهدة نجومهم .

اذن فالعواصم العربية كلها تحفل بالفيلم المصرى وتعرضه تجاريا ولكنه وفى ندوات تقام مصاحبة للمهرجانات السينمائية تكون ادانة المثقفين للسينما المصرية وهجومهم عليها واذا كان هذا الهجوم مبالغاً فيه فى بعض الاحيان فهو لا يزيد كثيرا عما يكتب هنا فى القاهرة وعما يقال هنا فى القاهرة فى ندوات مشابهة فإدانة التفاهة والرخص والسطحية مسألة يتفق عليها المثقفون فى جميع الأقطار العربية .

منذ السبعينيات ارتفع شعار (سينما بديلة) أى بديلة للسينما المصرية ولكن ذلك لم يحدث ولم يتحقق، حتى عندما دخل الاستعمار الانجليزى ميدان السينما العربية واراد فى نهايات الخمسينيات وبداية الستينيات كجزء من محاربة قيادة مصر للقومية العربية ايجاد سينما عربية بديلة للسينما المصرية، وفتحت المخابرات البريطانية معهد شملان فى بيروت لتعليم الممثلين العرب العامية المصرية لان الجماهير فى العالم العربى تحبها فشلت التجربة وعندما أغروا بعض الممثلين المصريين بالهجرة الى بيروت وهاجر البعض لم يحققوا شيئا يفخرون به وعادوا الى مصر يعملون بها من جديد .

لا شك أن هناك بعض الافلام الجيدة جدا تظهر بين الحين والحين فى المغرب أو الجزائر أو تونس أو سوريا أو العراق، ولكنها لم تصل الى أن تكون تيارا سينمائيا يمد العالم العربى بعدد من الافلام التى تفاخر بها فى مهرجانات العام الكبرى. وما يقال عن السينما العربية يمكن أن يقال ايضا على المسرح وعلى الموسيقى والغناء.

وهناك رفض فى مصر لمحاولة تسطيح الإنتاج الثقافى المصرى، ولكن أيضا للأخوة العرب دخل فيما يحدث على ساحة الانتاج الثقافى.

فعلى سبيل ضرب الانتاج السينمائى المصرى بما سمى بأفلام المقاولات وراؤه اخوة من الموزعين والمنتجين العرب فهم الذين ابتكروا هذه الطريقة لملء ساعات الارسال فى التليفزيون حتى أن عدداً كبيرا من الافلام السينمائية التى تنتج بنظام المقاولات لا تعرض فى دور العرض السينمائى بالقاهرة.

كذلك اغراق المسارح فى الرقص وفقدان القيم المسرحية الاصيلة وتحول اغلب المسارح الى مضحكخانة كما كانوا يقولون ذلك بعيدا. كل ذلك خلقه جمهور وافر من الاخوة العرب وفى الصيف الماضى عندما ما قلت السياحة العربية اغلقت اغلب مسارح الصيف ابوابها لانها تقدم مسرحيات ألفت وأخرجت ومثلت وعرضت من أجلهم ثم أغلقت ابوابها بسبب غيابهم.

أنا لا الوم احدا ولا أضع المسئولية على المتفرج لان المنتج هو المسئول اولا واخيرا وعندنا مثل عربى قديم يقول:

تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها ..

فى مقابل هذا الاغراق الذى يحدث قلقا لضعف مستواه هناك موقف غير مفهوم وغير مبرر من الاجهزة المصرية ازاء الانتاج الثقافى العربى فى كل الدول العربية.

ما اقيمت ندوة جمعت عربا بينهم مصريون فى أية عاصمة عربية وفى أى مناسبة الا وطرح السؤال بغضب قد يشتد وقد يصل الى الانفعال او يهدأ ليكون عتابا رقيقا. الانتاج الثقافى والفنى المصرى منتشر فى كل البقاع العربية. فلماذا لا تذيع مصر ولا تعرض انتاجا عربيا الا فى مناسبات ضئيلة وبشكل لا يكاد يذكر لماذا لا يذيع التليفزيون المصرى افلاما أو مسلسلات أو مسرحيات غير مصرية سواء من المشرق العربى أو المغرب العربى أو من الخليج أو من الدول العربية والافريقية؟ ان هذه المسألة ذات ابعاد هامة لو عولجت بشكل موضوعي، ولو عولجت بفهم سياسى لحلت الكثير من المشاكل وزدت وحدها لما لا يمكن أن تصل اليه عشرات اجتماعات الأقطاب العرب ومئات اجتماعات جامعة الدول العربية .

الجميع يعترفون أن القاهرة هى عاصمة الثقافة العربية ويريدون أن يشاهدوا أعمالهم على مسارحها أو على شاشاتها يريدون أن يراهم المصريون وأن يراهم النقاد المصريين وان

يكتبوا عنهم فى الصحف المصرية . وأسأل نفسى لماذا لا نفعل ذلك؟ لماذا لا يحدث ذلك؟ سوف يكون الجواب على الفور أن عرض الانتاج الفنى فى أى عاصمة عربية يخضع لقانون العرض والطلب . والذى يقوم بنقل الانتاج العربى من عاصمة الى عاصمة هم مجموعة من التجار الذين يبحثون عن الربح فقط ولو عرفوا أن عرض فيلم من أى عاصمة عربية فى القاهرة قد يأتى لهم بالمال لعرضوا فيلما عربيا فى القاهرة كل أسبوع . وهذا قول غير صحيح على الاطلاق .

فأولا : ليس كل الانتاج الفنى العربى معروض للسوق وفى أيدى الموزعين فان جهازا هاما وخطيرا ومهيئاً لكى يعرض كل أنواع الانتاج وهو التليفزيون فى يد الحكومات، والحكومات تستطيع أن تتبادل الانتاج وتعرض ما تشاء. أما القول بأن السوق هو الذى يفرض جنسية الانتاج المعروض فهذه حقيقة ولكن هناك نشاطاً ثقافياً يبدأ قبل النشاط التجارى بل هو مقدمة ضرورية له، بمعنى أسابيع الافلام التى تقيمها وزارة الثقافة ولا يكفى اسبوع من بلد عربى كل عدة سنوات بل أن يتم ذلك بمقتضى خطه وبرنامج يتيح للجماهير فى القاهرة أن ترى على الاقل كل أسبوعين الانتاج السينمائى لإحدى الدول العربية وكذلك العروض المسرحية دون أن يتوقف ذلك على المهرجانات التى لا يزورها الا المتخصصون .

ويستطيع التليفزيون أن يقدم خدمة ثقافية عربية فى هذا المجال فعلى سبيل المثال يستطيع أن يقدم برنامجا يسميه (نادى المسرح العربى) يقدم كل أسبوع مسرحية عربية يجتمع حولها عدد من النقاد يقدمونها للجمهور ويشرحونها وينقدونها .

قد يقول البعض أن اللهجات المحلية فى بعض الاعمال الفنية تجعل فهمها على الجمهور المصرى عسيرا، وأنا أقول يمكن البدء والشرح ومع التكرار سيتعود المصريون على هذه اللهجات كما عرفوا اللهجة الشامية بعد أن شاهدوا فى مصر الممثلين السوريين. ان عدة سنوات من جهد مكثف مخلص يمكن أن تزيل عائق اللهجة وعندئذ يصبح الفنان العربى فنان كل العرب لا فناناً لمجموعة منه فقط. اذن نحن لا نغزو العالم العربى ثقافيا ولكننا والعالم العربى معرضون للغزو الثقافى الغربى الصهيونى الاوروبى والامريكى . ولكى تقاوم الثقافة العربية ما يهاجمها من الخارج لابد أن تكون متماسكة من الداخل ولابد من أن تكون ثقافة عربية لكل العرب فيها التبادل الذى يوسع من ميدان المعرفة

ويتيح الالتحام فى تجارب عربية جديدة، عندئذ لا نخشى من مواجهة أى وافد جديد مهما كانت قوته . . والى مواصلة الحديث .

***

المهرجان الذى لم تعلن نتيجته منذ عشرين عاما

فى عام ١٩٧٤ كنت وكيلا لوزارة الثقافة للثقافة الجماهيرية وكنت أحاول أن أنشط الحركة الثقافية فى المحافظات، ومن الوسائل التى لجأت اليها اقامة أسابيع لأفلام بعض النجوم والمخرجين فى عواصم المحافظات التى ينتمون اليها وأقيمت أسابيع أفلام لكمال الشيخ وفاتن حمامة وماجدة ونادية لطفى وغيرهم .

وأخيرا رأيت أن نقيم مهرجانا قوميا للافلام المصرية واخترت مصيفا ناشئا هو مصيف بلطيم بمحافظة كفر الشيخ لإقامة المهرجان .

ودعوت عددا كبيرا من النجوم والمخرجين والصحفيين وذهبنا فى سيارات أتوبيس الى بلطيم ومعنا الاستاذ/ يوسف السباعى وزير الثقافة لكى يفتتح المهرجان، وكانت ليلة رائعة من ليالى الثقافة فى مكان ناء لم يشاهد أهله ولا مصطافوه مسئولا غير أبناء محافظتهم من كبار الموظفين .. وعاد الوزير وعدت معه وعاد عدد كبير من المدعوين فجر اليوم التالى الى القاهرة وتركنا من أراد أن يتابع الافلام وعلى رأسهم لجنة التحكيم برئاسة السينمائى الكبير / أحمد كامل مرسى .

وبعد أيام عاد أحمد كامل مرسى من بلطيم وزارنى بمكتبى حيث قدم لى نتيجة مسابقة الافلام وتتضمن المخرج الأول والمصور الأول والممثل الأول والممثلة والفيلم وهكذا ..وشكرته على مجهوده الكبير وذهبت الى الوزير يوسف السباعى لكى أعتمد منه النتيجة قبل اعلانها .

وضعت أمام يوسف السباعى الاوراق التى أتى بها أحمد كامل مرسى .. كان أول بند فى النتيجة المخرج وكانت اللجنة قد منحت الجائزة لمخرج معروف كان يعتبر بأحكام تلك

الايام يساريا وقرأ يوسف السباعى اسم المخرج ورفع رأسه وقال لى بحدة:

-عاوزنى أدى جائزة الاخراج لفلان الشيوعى؟

وأجبته فى هدوء شديد:

-لا حضرتك بتدى جائزة الاخراج ولا أنا .. اللى بيدى جائزة الاخراج لجنة تحكيم يرأسها راجل فاضل اسمه أحمد كامل مرسى.

وصرخ يوسف السباعى:

-تنقطع ايدى ولا أمضى على نتيجة فيها اسم المخرج ده ...

وجلست حتى هدأويدأنا المناقشة وأنا أحاول أولا أن أنفى عن هذا المخرج صفة الشيوعية لأنى فعلا واثق من ذلك وقد أثبتت الايام صدق رأيى وقلت ليوسف السباعى لقد اخترنا لجنة تحكيم وجميع أعضائها من السينمائيين الموضوعيين ومعروفون بالنزاهة وأحمد كامل مرسى رجل كبير ومن غير المعقول أن يغير النتيجة. وأخيرا قال يوسف السباعى:

-هات أحمد كامل مرسى وأنا أتكلم معاه.

وشعرت براحه كبيرة اذ شاهدت أحمد كامل مرسى فى مواقف كثيرة فهو شديد الاعتزاز بنفسه، وبالطبع يرفض أى تعديل فى النتيجة التى وقع عليها هو وأعضاء لجنة التحكيم .

كان يوسف السباعى رحمه الله مصابا بمرض اسمه الشيوعية والشيوعيون ولم تكن أحكامه فى كل مرة صائبة، فقد بنى رأيه على أساس تقرير أمنى أو على أساس وشاية كاتب أو صحفى أو على تقرير شخصى من أحد رأى أو قرأ أى عمل فنى. ولم يكن رحمه الله وهو يتصف بسعة الصدر واستعداده للتفاهم والمناقشة صارما الا فى حكاية الشيوعية والشيوعيين هذه ...

وجاء أحمد كامل مرسى وجلست معه وحكيت له ما حدث واستثرت فى نفسه كل نوازع الاعتزاز لنفسه. لم يكن يهمنى بصفة شخصية هذا المخرج أو غيره، إنما الذى كان يهمنى أن يقال أن وزارة الثقافة قد غيرت النتيجة التى وصلت اليها لجنة التحكيم وهو أمر

يتنافى تماما مع سلوكى واقتناعى. أما يوسف السباعى فعندما أواجهه بما يمكن أن يحدث يقول لى .

- طظ يقولوا اللى هم عاوزين يقولوه ....

اصرار غريب فى مسألة الشيوعية هذه ...

وأخيرا دخلنا عليه، أحمد كامل مرسى وأنا وبعد السلامات والتحيات تحدث الوزير وشرح وجهة نظره فى النتيجة لأحمد كامل مرسى. وكانت المفاجأة أن أحمد كامل مرسى صمت لحظات ثم قال للوزير:

- نفكر برضه.

وخفت أن يقتنع بكلام الوزير واستأذنت له حتى يفكر، وفهم يوسف السباعى أنى أستعجل اختفاء الرجل من أمامه.

وخرجنا الى مكتبى وواجهته :

-ياأستاذ أحمد انت عاوز تغير النتيجة ..

ورد فى سكون شديد

- مفيش مانع أعرضها تانى ع اللجنه مادام دى رغبة الوزير ..

وقلت له فى حسم:

- خلاص يا أستاذ أحمد انت قدمت النتيجة وأنا مسئول عنها ومن فضلك مفيش داعى لجمع اللجنة تانى.

وخرج أحمد كامل مرسى وعدت للوزير وسألنى :

-عملت ايه؟

وأجبت:

-ما أفتكرشى حيغيروا النتيجة .. دى اللجنه فيها فلان وفلان وأنت عارف راسهم ناشفة ومش حا يغيروا حاجه.

وسألنى وهو ينظر لى فى شئ من الحده:

- والحل؟

وأجبته:

-تتكل على الله وتوقع النتيجة .

وأجاب فى اصرار:

- مش حاوقعها لحد ما أموت.

وأجبت أنا أيضا:

- وانا مش حاعلنها قبل ما توقعها ..

وغادرت مكتب الوزير ....

وقالت الصحف ستعلن النتيجة فى الاسبوع القادم ...

ثم مر اسبوع ثان .. ثم نسيت المسألة تماما . وحافظ يوسف السباعى رحمه الله على كلمته ولم يوقع النتيجة وحافظت على كلمتى فلم أعلن النتيجة قبل أن توقع .. كان ذلك منذ عشرين عاما .. لم يوقعها يوسف السباعى ولم أعلنها.

ولست فى حاجة الى أن أقول أن خلافى مع يوسف السباعى فى هذا الموضوع وفى غيره من الموضوعات لم يفسد للود قضية، فقد كنا اصدقاء اعزاء حتى غادر الدنيا أبكيه واذكر ايامه بكل ما فيها من حلو ومر .. اتفاق وخلاف .. حتى الخلاف كان خلاف الرجال .

الاهرام٤/١٢/٩٣

العلاقات الثقافية العربية (٣)
بين الهيمنة والاحتكار

في أحد الاجتماعات التي يحضرها الرئيس مبارك مع مجموعة من المثقفين في افتتاح معرض الكتاب أو في عيد الاعلاميين لا أذكر، وقف أحد الحضور وسأل الرئيس لماذا فرطت مصر في منصب مدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمعروفة باسم (اليسكو) وأبدى الرئيس دهشته من استخدم تعبير التفريط ثم أجاب في حسم بأنه ليس من الضروري أن يكون المصريون رؤساء لكل المنظمات العربية ولابد أن نترك الفرصة للأخوة العرب كي يقوموا بدورهم في قيادة هذه المنظمات. وهذا الذي مسه الرئيس مبارك مساً خفيفا واحد من أهم الاسباب التي تعانيها العلاقات الثقافية العربية أو بمعنى أوضح علاقات مصر الثقافية بأشقائها العرب، فبحكم الظروف التي شرحناها في المقالات السابقة كانت البداية والريادة لمصر وكان من الطبيعي أن يحتل المصريون مناصب ثقافية في كل المنظمات العربية ولكن الامر تغير مع مرور الزمن وأصبح في كل الدول العربية مفكرون ومثقفون صالحون تماما لقيادة أية منظمة ثقافية فنية كانت أو أدبية، ولكن يبدو أن طول مدة شغل المصريين لهذه المناصب أدخل في روع البعض أنه أصبح حقاً مكتسبا والتمسك بمثل هذه المناصب وفي أحيان كثيرة يكون تصرفا شخصيا محضا ليس من خلفه الدولة ويبدو وكأنه أنانية مفرطة أو احتكار مصري أو هيمنة ثقافية كما يحلو للبعض أن يدعوها وهي بالقطع ليست كذلك وعلى الاخوه المصرين الذين يعملون أو يتطلعون الى هذه المناصب أن يعلموا أن العالم قد تغير وأن في العالم العربي كفاءات كثيرة قادرة على ما كانوا قادرين وحدهم عليه منذ حقب طويلة ولابد من كسر الاحساس الذي قد ينتاب بعض المثقفين في بعض الأوطان العربية بالتعالي من بعض المثقفين المصريين أو بالاحساس الفردي في أحيان كثيرة. وأنا أتحدث هنا دون حساسيات وعلى الجانب الآخر لابد من

معالجة أى موضوع فى حدود ظروفه، ففى أغلب الاحوال يكون التصرف شخصياً ولكنه ينسب لكل المصريين ويعالج وكأنه موقف من الدولة أو الحكومة وتحيمل مسئوليته من لا يعلم أو فى أحيان كثيرة من لا يوافق عليه. أخطر ما يحدث فى مثل هذه الامور التعميم وأخذ الجميع بجريرة سلوك فردى محدد.

عندما قامت منظمة التربية والثقافة والعلوم أدارها أردنى هو الاستاذ الكبير/ ناصر الدين الأسد ثم خلفه سودانى هو الاستاذ الدكتور/ محيى الدين صابر وعندما انتهت مدته عين بشكل مؤقت الاستاذ الدكتور/ مسارع الراوى العراقى وعندما انتهت مدته وفتح باب الانتخاب كان واضحا أنه لم يحدث اتفاق مسبق فرشح مصرى ضد سورى ودخل آخرون وارتبكت الامور ولم ينجح أحد، ثم أعيد الانتخاب بعد وقت ولم ترشح مصر أحدا بناء على تعليمات القيادة السياسية وانتخب الاستاذ/ محمد الميلى ابراهيم وهو من أعظم مثقفى الجزائر الوطنيين الذين يؤمنون بعروبة الجزائر ودورها فى الثقافة العربية.

كتب بعض الكتاب المصريين أن مصر قد خسرت منصبا كبيرا آخر هو مدير معهد العالم العربى بباريس وهذا المعهد الذى أقيم بمشاركة عربية كانت مصر فى طليعة الدول العربية التي ساهمت فى انشائه وافتتح فى وقت غياب مصر عن جامعة الدول العربية واختارت فرنسا ادجار بيزانى الوزير السابق فى عهد ديجول ومستشار الرئيس ميتران لرئاسة المعهد واختارت الاستاذ/ باسم الجسر من لبنان مديرا للمعهد، وانتهت مدة باسم الجسر وزار بيزانى مصر والتقى برئيس الجمهورية وبالمسئولين وطلب تعيين مدير مصرى وقد كان واختارت الخارجية المصرية سفيرا مصريا أحيل الى المعاش ولم يكن راغبا ولا متحمسا لشغل هذا المنصب الذى شغله لأيام ثم تركه، وألح بيزانى واتصل وأعاد الاتصال ثم عين الاستاذ/ محمد بنونه المغربي ثم حدثت قطيعة بين مصر والمعهد لأن ادجار بيزانى أصدر كتابا انتقد فيه سياسة مصر أثناء حرب الخليج فى نصف صفحة وانتقد ميتران الذى يعمل مستشارا سياسيا له فى باقى الكتاب فى سياسته الداخليه والخارجية، ولم يغضب ميتران ولكن غضب بعض الموظفين المصريين وقاطعوا المعهد رسميا وعلنياً ولكن وبسرعة شديدة استطاعت مؤسسة الرئاسة أن تحيط بالموضوع وأن تنهيه فى سرعة دون أن يفهم هؤلاء المغرضون أن حسنى مبارك لا يغضب اذا عارضه أناس من وطنه وقالوا لا فى مواجهة الاستفتاء على الرئاسه وهو لا يمكن أن يغضبه رأى لمفكر فرنسى حر فى رأيه يقول ما يشاء

فى مناخ ديمقراطى.

المهم أن الحرص على الانفراد بالمناصب الثقافية أو التى تمثل العرب، أعتقد أنه وجد نهاية له بفهم واضح وصريح من القيادة السياسية فى مصر الآن. وهو يكسر بشكل واضح حدة الرمى بالاحتكار والفردية فى التفكير وما يمكن أن يتفرع عنهما من معان اخرى، وأتوقف أمام بعض ما شاب العلاقات الثقافية العربية فى الآونه الاخيرة وأتحدث فى صراحة كاملة ووضوح شديد. أولها حكاية ماجدة الرومى وقد قيل إنه عندما أقيم فى بيروت مهرجان للاغنية العربية عارضت ماجدة الرومى الغناء باللهجة المصرية وانها احتجت على وجود بعض المطربين المصريين وانها لم تشترك فى الحفل احتجاجا على وجود المصريين هذا ما كتب فى الصحف المصرية ثم قيل ان قرارا صدر هنا فى القاهرة بمنع اذاعة أغانى ماجدة الرومى ردا على اهانتها لمصر. وهنا أتوقف لحظات فقد كتب أكثر من مرة أن ماجده الرومى شتمت مصر وأريد أن أقول إن مثل هذه الاقوال غير المسئولة تسئ الى مصر قبل غيرها فليس المطرب فلان أو علان أو جميع المطربين هم مصر، ومصر أكبر من أي كاتب أو فنان أو مطرب أو موسيقى والذى يهاجم طه حسين أو العقاد أو عبد الوهاب وأم كلثوم وهذه قمم حقيقية لا يمكن أن نقول إنه يهاجم مصر فمصر هى كل هؤلاء وهى أكبر من هؤلاء فرادى ومجتمعين. ولننح مصر عن حديثنا فنقول أن ماجدة الرومى هاجمت فلانا، وقد فهمت مما قيل على لسانها انها كانت تعترض على أن يغنى المغنون غير المصريين باللهجة المصرية فى مهرجان للاغنية العربية، ومن هذه الزاوية عندها حق تماما كيف يمكن أن نقول أن هذه الاغنية كويتية اذا كانت تغنى باللغة المصرية أو هذه سعودية أو تلك عراقية . الذى أفهمه أن مهرجانا للاغنية العربية لابد أن يغنى فيه المطربون بلهجة بلادهم هم لا بلهجة مستعارة. أنا اذن مع ماجدة الرومى تماما اذا كان هذا هو ما قصدته وهو ما فهمته مما كتب فى الصحف غداة الازمة، أما ما ألومها عليه هو انسحابها من الحفل سواء أكان احتجاجا أو رفضا وهو سلوك غير عربى وغير مقبول، وحتى لو كان الانسحاب لأنه لم يؤخذ برأيها رغم وجاهته فمادام أتيح لها أن تعبر عن رأيها فيكفيها هذا ولكن هذا لا يعنى أيضا أن نعيرها بأنها عاشت فى مصر وغنت فى مصر وأن مصر أول من صفق لها فهذا دور مصر وهى تقوم به بحكم قدرها ولا معنى لأن نفاخر بعمل تقوم به عن رغبة وبرضاء كبير. أما مسألة منع اذاعة أغانى ماجدة الرومى في وسائل الاعلام

فى القاهرة فقول غير حقيقى فقد شاهدت ماجدة تغنى على شاشة التليفزيون المصرى منذ أيام.

المسألة الثانية ما كتب كذلك عن رفض وزارة الثقافة السورية لبعض المسرحيات المصرية وأود أن أقول أن المسرحيتين السابقتين للمسرحية التى رفضت واللتين قدمتا فعلا على خشبة المسرح فى دمشق أغضبتا حتى بعض النقاد المصريين وكتبوا مهاجمين المسرحيتين ومعلنين انهما لا تعبران أبدا عن المسرح المصرى فاذا رفضت الثالثة يغضب عدد آخر من الكتاب المصريين. المسألة غريبه فعلا اذا عرضت سوريا بعض المسرحيات المصرية غضبنا واذا رفضت غضبنا ومنذ سنوات سأل لطفى الخولى فى مسرحية القضية (نسد الشباك ولا نفتحه). الذى لا أوافق عليه فى موضوع المسرحية المصرية التى رفضت فى دمشق أن نص المسرحية أرسل الى وزارة الثقافة السورية وأن لجنة يرأسها مسرحى كبير هو أسعد فضة قرأتها وأجازتها وبناء على هذه الاجازة سافرت المسرحية فلم يكن هناك معنى بأى شكل من الاشكال أن يمنع تمثيلها بعد أن أجيز نصها. أما الرفض فهو حق طبيعى لوزارة الثقافة السورية لانها هى القيمة على ما يعرض على الشعب السورى لا نحن. ولا أريد أن أطيل فأنا أعرف تماما أن العلاقات الثقافية بين سوريا ومصر أمتن من أن تشوبها شائبة عابرة.

موضوع ثالث هو الهجوم على مخرج الرقص وليد عونى فى عمل قدمه فى افتتاح مهرجان المسرح التجريبى، والنقد مطلوب ولكن الغير مقبول أن يوصف وليد عونى بالمخرج اللبنانى وأن يقال هل خلت مصر من المخرجين حتى نستورد مخرجا من لبنان؟ فأولا لم يحدث فى تاريخ مصر أن وصف فنان عربى غير مصرى باسم بلده فلم تقل يوما أسمهان اللبنانية أو فايزة أحمد الشامية أو .... الخ قلنا فقط وردة الجزائرية وقلناها عندما كانت الجزائر تكافح حتى سقط منها المليون شهيد وكان الحاق كلمة الجزائرية باسم وردة تكريما لها واعلانا لأنها تنتسب للشعب العظيم الذى يكافح فى ساحة الشرف وعندما استقلت الجزائر خلعنا عن وردة صفتها الجزائرية فأصبحت وردة فقط لانها وردة العربية.

ان الفنان العربى فنان فى أى مكان ولم نسمع أن قيل عبد الحليم حافظ المصرى أو قيل حتى عن عمرو دياب هذه الايام المصرى .. إنها نظرة قصيرة لا تعبر عن فهم لحياتها العربية أما القول بأن هل خلت مصر حتى تستورد مخرجا من لبنان فهذا القول أخطر من

سابقه فالفنان العربى لا يستورد ولكنه ينتقل من بلد الى بلد فى حدود وطنه العربى الكبير. بهذا المعنى يجب أن نفهم وأرجو من الذى كتب هذا أن يعد عدد الموسيقيين والفنيين المصريين الذين يعملون فى الاقطار العربية ويعيشون بها وأنا أوكد لسيادته أنهم آلاف مؤلفة فلا تعالجوا مشاكل هامة بهذه الخفة. أنقدوا وليد عونى واشبعوه هجوما على عمله ولكن ليس على انتسابه لبلد عربى شقيق.

وتتصل بهذه المشكلة مشكلة سليم سحاب وأنا لا أتصور قانونا فى مصر يمكن أن يمنع سليم سحاب من العمل فى مصر وهو فنان كبير، واذا كان القانون يحول دون ذلك فالخطأ فى القانون وأعتقد أنه بحسن النية والفهم العميق لدى المسئولين فى نقابة المهن الموسيقية يمكن أن يجد هذا الموضوع حلا..

انهم فى الدول العربية يهاجمون الاغانى المصرية التى يقولون إنها (شبابية) ونقول نحن إنها (هبابية) ويهاجمون السينما المصرية ويهاجمون المسرح ونحن فى مصر نهاجم كل هذه الانشطة أكثر منهم. إن الهجوم ليس رفضا ولكنه نقد المقدر والمعجب والمحب ولكن كل ذلك يمكن أن يتحول الى رفض اذا لم تقم مصر بدورها الريادى ومسئولياتها قبل أشقائها العرب عندئذ لا تكون ريادة مصر الثقافية مفروضة ولا مرفوضه.

***

رصاصة فى قلبى!!

شاهدت فيلم (ضحك وجد وحب ولعب) اخراج طارق التلمسانى والذى يعرض حكاية مجموعة من الشباب فى عام ١٩٦٨. وهذا العام معروف على مستوى العالم بأنه عام الطلبه الذي وقعت فيه مظاهرات كثيرة فى اجزاء متفرقة من العالم ربما كان اهمها مظاهرات طلبه جامعات باريس التى انتهت بأن أعلن (ديجول) ضرورة الاستفتاء على رئاسته وخرج بعد الاستفتاء بعد جهاد طويل فى سبيل استقلال فرنسا ودحر العدوان النازى وفى سبيل عودتها الى نظام سياسى دائم ومستقر. وكذلك مظاهرات الطلبة فى مصر وهى التى قامت احتجاجا على الاحكام التى صدرت ضد قادة الطيران الذين كانوا يحاكمون بوصفهم من كبار المسئولين عن هزيمة ١٩٦٧ وصدرت ضدهم احكام وجدها الشعب غير مناسبة للجرم الذى ارتكبوه وبدأت المظاهرات بمظاهرات عمال حلوان عندما تركوا مصانعهم ونزلوا فى قطار المترو الى القاهرة وانطلقت مظاهراتهم من محطة باب اللوق ثم انضم اليهم الطلبة فى مظاهرات اجتاحت العاصمة كلها. عرض الفيلم جزءاً من هذه المظاهرات واعادنى الفيلم بذاكرتى الى الوراء عندما أصبت فى هذه المظاهرات برصاصة اخترقت صدرى يفصلها عن قلبى مليمتر واحد ثم استقرت تحت ابطى الايسر. ولذلك قصة.

كنت فى ذلك الوقت رئيسا لمجلس ادارة الشركة القومية للتوزيع التابعة لوزارة الثقافة والتى تبيع الصحف والكتب فى مصر وجميع انحاء العالم. وكان مقر الشركة كما هو الان على ناصية شارع رمسيس وامتداد شارع عماد الدين. وفى ذلك اليوم ٢٢ فبراير ١٩٦٨ تأهبت لمغادرة مكتبى فى الساعة الثالثة مساء قاصداً الى مكتب الدكتورة سهير القلماوى رئيس مؤسسة التأليف التى تتبعها الشركة القومية اذ اتفقت أن أمر عليها لبعض الامور وأنا فى طريقى لبيتى فى الزمالك ومكتبها على النيل فى شارع ماسبيرو (الكورنيش).

وقفت أجمع بعض الاوراق عندما دخل على احد العاملين بالشركة وسألنى

- رايح فين يا أفندم ..

واجبت بدهشة:

- خارج.

- مش حتقدر تتحرك الشارع مليان مظاهرات.

كانت نافذة مكتبى مغلقة ولم أسمع شيئا ولا أعلم أى شئ عن هذه المظاهرات فأسرعت الى النافذة افتحها لاجد شارع رمسيس من جهتيه وشارع عماد الدين يموج بمظاهرات صاخبة والشرطة تطلق بعض الاعيرة تحاول أن تفض المظاهرات. كان لمكتب الشركة شرفة تقع فى حجرة مجاورة لمكتبى فشاهدت عددا كبيرا من الموظفين فى الشرفة يشاهدون المظاهرات، ورأيت كشئ من الديمقراطية أن أذهب لأقف بين الموظفين اتفرج معهم وذهبت ووقفت وسط اكثر من اربعين موظفا، كان يجاورنى تماما محفوظ عبد الرحمن الكاتب المسرحى والتليفزيونى المعروف اذ كان يعمل معى بالشركة لاجئا من عمل اخر. اذ كانت المؤسسة التى أرأسها تعتبر ملجأ لبعض المثقفين الذين يجدون عنتا أو عناءا فى عمل حكومى اخر. المهم أنه بعد لحظات قال لى محفوظ:

- ياله ندخل يا أستاذ سعد احسن الضرب اشتد.

ورددت:

- احنا فى الدور الثالث فكرك البنادق دى حتحصلنا.

فضحك وقال:

- دى مش بنادق دى مدافع ..

واحسست أنه محق فى نصيحته فقلت:

- ياللا بينا.

واستدرت لادخل واحسست بخبطه عنيفة فى صدرى .. شئ عريض كقالب طوب ضربنى فى صدرى فتأوهت ووضعت يدى على صدرى واذ بها مغطاه بالدم .. صرخت

الموظفات حولى ولكنى كنت غاية فى التماسك وكتمت الدم ودخلت وجلست وبدأت اعطى سكرتيرى وغيره من العاملين تعليماتى.

- احدكم يذهب الى مستشفى الهلال الاحمر القريب منا ليبلغهم لاعداد حجرة العمليات وانت تذهب الى مأمور قسم الازبكية خلفنا لتحضر مجموعة من العساكر والضباط لتوصيلنا الى المستشفى بين هذه المظاهرات وأنت تذهب لاحضار صديقى الدكتور شوقى سعد وعنوانه كذا ورقم تليفونه كذا وأنت تذهب لابلاغ زوجتى الساعة السادسة بعد أن تنتهى من عملها مع نور الدمرداش فى استوديو٢ بالتليفزيون وأنت تبلغ فى الساعة الخامسة الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة قبل أن يذهب لاجتماع مجلس الوزراء.كنت أحس بحدة الذاكرة وبنشاط غريب وبعد أن انتهيت من كل التعليمات قدمت ساعتى وحافظة نقودى واقلامى الى سكرتيرى ثم خرجت وخلفى الموظفون وبعضهم يصرخ الى المستشفى حيث اجريت لي عملية اخرجت فيها الرصاصة وفى الساعة الخامسة زارنى الدكتور ثروت عكاشة وفى الساعة السادسة جاءت زوجتى ونفذت جميع تعليماتى تماما ..

كتب الدكتور ثروت عكاشة فى كتابه الرائع (مذكراتى فى السياسة والثقافة) الجزء الثاني، كتب يقول:

«وفى صباح يوم ٢١ فبراير ١٩٦٨ توجهت الى مجلس الامة لمناقشة موضوع الرقابة على المصنفات الفنية فى لجنة الخدمات وكان يرأسها الاخ خالد محيى الدين، وذلك فى اعقاب عرض الفيلم البريطانى «تكبير الصورة». وبينما نحن منخرطون فى المناقشة اذا بالانباء تصلنا بأن ثمة اضربات للعمال فى حلوان احتجاجا على الاحكام المخففة على قادة سلاح الطيران فى معركة ١٩٦٧. وبعد الظهر اتصل بى سكرتيرى فى الخامسة مساء يبلغنى أن الاستاذ سعد الدين وهبه رئيس الشركة القومية للتوزيع بوزارة الثقافة كان يطل على مظاهرات للطلبه من نافذة مكتبه بشارع رمسيس واذا بطلق نارى يصيبه، وانه نقل الى مستشفى الهلال الاحمر. فتوجهت لتوى الى حيث يرقد لأطمئن على حالته، واكتشفت أنه قد اصيب برصاصة من رشاش طراز بور سعيد مما تستخدمه الشرطه وقد أجرى اللازم نحو استخراجها. وبينما كنت أعوده اذا أنا أفاجأ بعدد غفير من الطلبه بعد أن علموا بوجود احد الوزراء بالمستشفى - يتدفقون الى الحجرة وهم يموجون بغضب وانفعال محتجين على إطلاق الشرطة الرصاص عليهم ، ومضوا يفصحون عن آرائهم فى العديد من أمور

الوطن التى تشغل بالهم. فبادرت بتهدئة خواطرهم مستفسرا منهم عما حدث، فاذا هم يروون أن الشرطة حين طاردتهم قاوموها بقذائف الطوب فردت الشرطة عليهم باطلاق الاعيرة فأصيب الكثير منهم، فطلبت من الطبيب المسئول قائمة بأسمائهم جميعا وبموضوع اصابة كل منهم. وانبروا بعدها يعددون مطالبهم الوطنية ويسوقون انتقاداتهم المختلفة لاسلوب الحكم، وطلبوا منى مشددين أن انقل الى الرئيس صادق ولائهم مقرونا باعتراضاتهم على تصرفات الاجهزة المحيطة به.

وكان موعد انعقاد مجلس الوزراء فى السابعة مساء، فطلبت من احد معاونى اخطار سكرتارية مجلس الوزراء بأنى قد أتغيب بعض الوقت عن موعد البدء لظرف طارئ، وذلك حتى أتعرف على نبض هؤلاء الشباب وأستوعب ما يدور فى خلدهم. مكثت معهم أستمع فى أناة الى كل ما يعتمل فى صدورهم، ثم عاهدتهم على أن انقل الى مجلس الوزراء كل ما سمعته منهم بصدق وأمانة بمجرد وصولى. وبلغت مقر انعقاد المجلس بقصر القبة فى حوالى الثانية مساء، وما أن اتخذت مجلسى حتى وجدت وزير الداخلية - يشرح للمجلس مادار أثناء النهار من مظاهرات واضطرابات، وكيف تمكنت الشرطة من فضها بسلام دون أن تطلق عيارا واحدا، مشيدا بأنه لاول مرة فى التاريخ تقع الاصابات بين رجال الشرطة لا بين المتظاهرين. والحق أن هذا التصريح المخالف للواقع قد استفزنى، ولو لم تشأ الظروف أن يصاب سعد الدين وهبه وأتوجه لاعوده لكنت كبقية زملائى قد اقتنعت بما أورده الزميل فى بيانه وحمدت للشرطة موقفها المشرف، غير أنى كنت شاهد عيان يحمل أمانة تعهد لأصحابها بأن ينقلها بحذافيراها الى السلطة العليا فى البلاد. ومالبثت أن رفعت يدى طالبا الكلمة، فأذن لى الرئيس عبد الناصر بالحديث. رويت ما حدث منذ أن قصدت مستشفى الهلال الاحمر، وذكرت اصابة سعد وهبه بطلق نارى، ثم تلوت اسماء طلبة الجامعة والمعاهد العليا المصابين ذاكراً موضع اصابة كل منهم وفق القائمة التى أسلمنيها الطبيب المعالج، ناقلا أن المصابين قد طلبوا الى أنَ أحمل ولاءهم الى الرئيس اولا ثم اعتراضهم على تصرفات بعض الاجهزة المحيطة به، ثم انتقلت الى شرح مطالب هؤلاء الطلبة، موضحا ضرورة أن نتلاقى معهم فكرا، اذ لم ينشدوا فى الواقع الا ما كان يطالبنا به رئيس الجمهورية طوال جلسات مجلس الوزراء السابقة بتنفيذه. وقد صارحنى الرئيس فيما بعد أنه حين انتهت اليه هتافات المتظاهرين لم ينكرها عليهم، غير أن مما آلمه من تلك

الهتافات هتاف يتضمن هذه الكلمات: (مفيش تغيير بالمرة، والمعيشة بقت مرة) فلقد أحس أن الجماهير تعانى من ضائقة العيش حقا، كما انها متذمرة من أن يد التغيير لم تمتد الى الجهاز الحكومى بما ينهض به الى المستوى الذى يحقق للشعب ما يبغى وينشد. ومما لا شك فيه أن هذه المظاهرات قد عجلت بأن يصدر الرئيس بيان ٣٠ مارس الذى يدور حول التغيير المنشود، وانشاء دولة المؤسسات والقضاء على دوائر النفوذ ومراكز القوى التى شوهت سمعة النظام الحاكم، فلقد كان عبد الناصر شديد الحساسية بانفعالات الجماهير والتأثر بصوتها الصادق.

وما أن انتهيت من حديثى حتى خيم الصمت على المجلس، ورأيت أن الرئيس لم يشأ أن يثير جدالا فى المجلس، ولعله آثر أن يناقش وزير الداخلية بعد فيما بينه وبينه، ثم انتقل الى موضوع التالى فى جدول الاعمال.

وما من شك فى أن تصرفى قد أحرج الزميل الوزير - الذي كانت له الكلمة الاولى في الاتحاد الاشتراكى كما كانت بيده مقاليد الأمور في الجهاز الخفى الذي كان يدعي التنظيم الطليعي - حرجا بالغا وأثار استياءه، واذ كان بيانى كله حقا فلم يعقب عليه فى مجلس الوزراء بكلمة. ومنذ تلك اللحظة أحسست انه لم يعد يبادلنى الشعور الاول، وما أظن انى ندمت علي ما فعلت فلقد كان الواجب يقتضى منى هذا سواء أكان يغضب غيري أو يرضيه، فما قصدت فيما فعلت النيل من احد وانما أن يحاط المجلس بكل ما يدور في تلك الظروف لاسيما أن أول ما سمعته عند دخولى الى قاعة المجلس كان صورة غير مطابقة للواقع، والأخطر من ذلك أنها لاتنقل صوت هؤلاء الشباب الى الحكومة بل هى تخفيه. وعلى أية حال لم يناقشنى الرئيس فى هذا الموضوع لاخلال الجلسة ولابعدها. غير أن الزميل مالبث أن تنكر لى واخذ يضع فى سبيلى ما عن له من عراقيل، تارة باثارة بعض اعضاء بعض اعضاء الاتحاد الاشتراكى للتشكيك فى جهود وزارة الثقافة، وتارة بإرسال تقارير ملفقة للرئيس عنى لاظل فيها للحقيقة ولكن مالبث رئيس الجمهورية أن كشف عن زيفها قبيل وفاته باثنى عشر يوما».

وهكذا كانت الرصاصة التى أوشكت أن تدخل قلبي ثم خرجت قد تركت آثاراً كثيرة فى مواقع كانت بعيدة عنها كل البعد وتأثرت بها علاقات رجال فى السلطة أدت الي احداث هامة فى تاريخ مصر المعاصر. وهذه هي قصة الرصاصة التي كادت أن تستقر في قلبي.

الاهرام ٩٣/١٢/١١

الصهيونية فى مواجهة الثقافة العربية

الذى يجرى الان علي الارض العربية والذي بدأ يظهر علي سطح الحياة السياسية في العالم منذ توقيع الاتفاق الفلسطيني الاسرائيلي في واشنطن في ١٣ سبتمبر الماضي والمشهور باسم غزة / أريحا شيء مثير ! فقد ظهرت فجأة مشروعات يستغرق اعدادها سنوات . ظهرت مشروعات تنمية اقتصادية أعدها البنك الدولي بتكليف من الولايات المتحدة الامريكية وظهرت مشروعات أعدتها جامعات أمريكية كما ظهرت مشروعات أعدتها مجموعات مختلطة اعدت اعدادا ذكيا ففيها من الاسرائيليين والفلسطينيين والامريكان والاوروبيين والمصريين : علماء ومتخصصون .

الهدف المعلن هو اقامة مشروعات لاعمار الضفة الغربية والقطاع بهدف التمهيد لخلق تكتل اقتصادي يبدأ بين اسرائيل والفلسطينيين والاردن ثم يتسع ليشمل مصر وسوريا ولبنان ثم يتسع ليشمل باقي الدول العربية وتركيا .

والهدف المعلن حتي الان هو هدف اقتصادي تدفع اليه مشاعر انسانية رقيقة اكتشفتها الولايات المتحدة الامريكية ودول غرب اوروبا فقد كانت تحتفظ بها في مكان حصين منذ وافقت علي طرد أصحاب الارض الفلسطينيين واحتلال الاسرائيليين لوطنهم والموافقة علي دعم من الامم المتحدة علي أن تتحول العصابات الغازية والتي احترفت الخطف والتقتيل : أن تتحول ثقافة هؤلاء المجرمين إلي دولة لها حقوق الدول العريقة علي الساحة العالمية ويرتفع علمها فوق سار عال يرفرف بجوار أعلام دول نظيفة نشأت في ظروف تاريخية ثابتة وعملت منذ نشأتها لخيرها وخير الانسانية : تساوت الرؤوس أمام القضاة المنحازين من الامريكيين والاوروبيين : وعندما تكررت عملية الغزو وارتفع علم الابادة كان السلاح الذي يحقق تلك

الجرائم هو السلاح الامريكي، وكانت ركيزة السياسة الامريكية المعلنة منذ قيام اسرائيل أن تضمن لها أمريكا دائما التفوق العسكرى على الدول العربية مجتمعة . وحتى عندما أعلن عن قيام السلام ووقعت أول أتفاقية بين اسرائيل والفلسطينيين وكان كلينتون نفسه شاهدا عليها سعيدا بها ؛ أضافها الى انجازاته القليلة منذ دخل البيت الابيض .. حتى بعد ذلك كله يعلن كلينتون منذ اسابيع وفى آخر لقاء مع رابين أن الولايات المتحدة مازالت تضمن التفوق العسكرى لإسرائيل وتعمل على أن يظل قائما ودائما ..فى الحرب ..وفى السلام . هو سلام مسلح إذن تحافظ عليه الولايات المتحدة بأساطيلها ومدافعها ودباباتها وطائراتها . وهذا هو جانب من جوانب النظام العالمى الجديد.

المشروعات المعلنة والتى لاتكف اسرائيل ولا الولايات المتحدة الامريكية عن التحدث عنها كل يوم ؛ أصبحت تنبىء عن مؤامرة جديدة وشاملة تحاك للدول العربية جميعها .

فالغزو الصهيونى للارض العربية ليس غزوا عاديا مثله مثل الغزوات التى تحدث عنها التاريخ ولكنه غزو هدفه ابادة السكان الاصليين أو طردهم واحلال اخرين محلهم بدعوى تاريخية مشكوك فى هدفها ولا تقوم على اساس من تاريخ حقيقى أو منطق مقبول، والان وفى القرن العشرين يسمع العالم كله قصة درامية مختلقة من اساسها تقوم على دعوى دينية ويترك القائلون بها يحققونها وبالسلاح.

أن اسرائيل تعمل فى العرب مافعله رجال أوروبا المغامرون الذين غزوا أرض امريكا فأبادوا سكانها من الهنود واقاموا دولتهم المتحدة على انقاض اصحاب البلاد الاصليين. وربما الاتفاق فى الهدف وفى الوسيلة هو الذى يقرب كثيرا بل الذى يربط بين اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية.

تقوم اسرائيل على عنصرية ترفض المساواة بل تقول بالتفوق لهم (شعب الله بل تقول بالتفوق لهم (شعب الله المختار) تماما كما كان هتلر يضع الجنس الارى فى مقدمة الاجناس البشرية ثم تتسلسل بقية اجناس العالم حتى يصل الى القرود وقريبا جدا من القرود تأتى دول افريقيا وارفع منها مكانة بعض الشئ الدول العربية.

والصهيونية تحيط ابناءها بسياج متين حيث يتحركون داخل دائرة مغلقة عليهم فهم لا يندمجون كغيرهم من الشعوب، ولعلنا فى جميع الدول العربية قد عرفناهم يعيشون فى معزل

عن غيرهم ويلتفون حول انفسهم فى أحياء أو حوار خاصة سميت بحوارى اليهود فى جميع العواصم العربية أو فى اغلبها.

اذن نحن نواجه صراعا ثقافيا من غزاة هدفهم ابادة اصحاب الارض تقوم سياستهم على تفوق مزعوم وعلى توسع دائم لتحقيق حلم قديم بامبراطورية تمتد من النيل الى الفرات وسيكون مستقبل سكان هذه المنطقة من النيل الى الفرات اما الابادة أو الطرد وهى الوسائل التى تصنعها وتجيدها وتنفيذها اسرائيل.

وتقوم استراتيجية اسرائيل على طمس الهوية العربية والقضاء عليها تماما، وما اشاعة كلمة الشرق الاوسط الان وفى كل اجهزة الاعلام فى العالم حتى تسللت الى اجهزة اعلامنا العربية - الا المحاولة الاولى لالغاء كلمة العرب والعروبة والامة العربية بل والمنطقة العربية. الهدف هو انهاء الهوية العربية وهى نفسها نظرية ابادة السكان .. ابادة البشر بإبادة هويتهم وثقافتهم.

هم يريدون تغيير التاريخ وتزييفه فكل الهزائهم التى لحقت بالعرب خلال تاريخهم الطويل مفروض أن يعيها الاطفال حتى ترسب فى وعيهم وحتى تبنى عقولهم على الاحساس بالدونية، وفى مقابل ذلك الاحساس بالتفوق الاسرائيلى او اليهودى وهذا الموضوع بالذات يساعد العرب فيه كثيرا عندما يغالون فى الحديث عن قدرات اليهود العلمية أو الفنية أو العسكرية أو الاقتصادية.

ان تزييف التاريخ عملية تتم الان، وعندما قال بيجن لانور السادات إن اليهود هم الذين بنوا الاهرام لم يكن يمزح ولكنه كان يعبر عن نظرية منبعها الاسرائيليون ويعملون على تحقيقها. ومنذ عشرات السنين واسرائيل عاكفة على تغيير تاريخ الموسيقى العربية بادعاء أن اصولها ترجع لليهود، ومن اطرف الطرائف أن الذى سجل تاريخ السينما المصرية والمسرح المصرى هو لاندو استاذ الدراما فى جامعة تل أبيب ولم يقم بذلك استاذ مصرى أو عربى الا فى شتات هنا وهناك ..

تهدف اسرائيل الى قطع صلات العرب المهاجرين بتاريخهم القديم فى حين تعمل على وصل صلة اليهود بتاريخهم الاقدم.

اذا تحدثنا عن الغزو الامريكى أو الاوروبى للثقافة العربية تحدثنا عن نزع بعض العادات

والتقاليد واشاعة قيم معينة، والغزو الثقافى الصهيونى للعرب يستهدف ذلك كله ويزيد عليه الهدف الاخير وهو نزع الهوية العربية وطمس الثقافة العربية حتى يكون الاستعمار الصهيونى للأرض العربية نهائيا ومستقرا، ولكن هل يقابل العرب ذلك كله بالصمت الرهيب كما يقول الشاعر ..

أعتقد أن وسائلنا كثيرة ولم نفقدها بعد. أولا يجب أن تنحى الفكرة الساذجة - فكرة التفوق الاسرائيلى وأن نعمل على تنقية ثقافتنا مما يجعل منها سلاحا مغلولا أو به عيب لا يجعله قادرا على العمل بكفاءة عالية فى المعركة وأن نوقف المعاوك القديمة لانها تستنفذ الجهد ولا تؤدى الا الى اضعاف المجموع. والتمسك بالهوية العربية والعمل على تأكيدها والحفاظ على تراثنا فى كل الارض العربية والدفاع عن أى جزء منه يتعرض للتلف أو العدوان وعدم التوقف عن اذكاء الدعوة الى التحرير فى قلوب الاطفال وتفهم الفرق بين السلام والاستسلام، بين القوة الغاشمة والمحافظة على الذات. إن العرب يواجهون اليوم معركة حياة أو موت، لا أقول ذلك من باب الحماس ولكن من باب الواقع، فالمعركة هذه المرة قاسية وشرسة وخطيرة لانها ترتدى مسوح الرهبان وترفع اعلام السلام وهى تحوى فيما تحوى ابشع انواع السلاح .. السلاح الذى يقتل دون صوت ويسلب الحياة دون ضجيج ..

* * *

تجارب كثيرة .. من أهمها «الشهر»

مررت فى حياتى بتجارب كثيرة .. ومن اهم هذه التجارب وأخصبها اصدار مجلة أدبية شهرية أسميتها (الشهر) صدر العدد الاول منها فى مارس ١٩٥٨ وصدر آخر عدد منها فى فبراير ١٩٦٢ بعد أن صدر منها أربعون عددا كدت خلالها أدخل السجن متهما بإصدار (شيكات) بدون رصيد. لم تكن الدنيا قد تعقدت كما هى الان واذا فكر انسان اليوم فى اصدار مجلة شهرية أو فصلية فلابد أن يكون تحت يده مبلغ يعد بعدة آلاف من الجنيهات. ولكن عندما فكرت فى اصدار (الشهر) لم أكن املك مليما واحدا. نعم عندما تقدمت لادارة المطبوعات طالبا صدور الترخيص بإصدار المجلة طلبوا منى مبلغ ١٥٠ جنيها أو ضمان بنكى بنفس المبلغ و استطعت الحصول على هذا الضمان من أحد أقاربى وقدمته لادارة المطبوعات وعندما صدر الترخيص طلبوا منى خمسة جنيهات دمغة اقترضتها من مرتبى، واشتريت الورق المطلوب كوشيه للغلاف وستانيه للملازم من محلات (شلهوب) لقاء شيك مؤجل أما المطبعة فقد وافق صاحبها أن يأخذ حقه من شركة التوزيع بعد صدور العدد .. صدرت الشهر ولها فى كل يوم قصة وربما يأتى اليوم الذى احكى فيهر قصتها بالتفصيل ولكنى اترك اليوم احد كتابها يكتب عنها. بدأ قارئا لها وكاتبا بها وهو طالب بالمدرسة الثانوية وظل يذكرها حتى اليوم .. د.ماهر شفيق فريد كتب يقول: -

«عرفت حياتنا الثقافية منذ أوائل الستينيات حتى اليوم عددا من المحلات الادبية والثقافية كان لها أبلغ الاثر فى صياغة المشهد الثقافى المعاصر: المجلة، الادب، الفكر المعاصر، الهلال، القاهرة، فصول، ابداع، تراث الانسانية، الشعر، المسرح، السينما، السينما والمسرح، الفنون، القصة، أدب ونقد، الكتاب العربى، الانسان والتطور، كتب للجميع، الاربعائيون، الادباء العرب، لوتس، مجلة الادب الافريقى الاسيوى، عالم الكتاب، جاليرى

٦٨، الكراسة الثقافية، الجنوبى، النديم، الجديد، الغد. ألف. الكتابة السوداء، الفعل الشعرى، أقلام الصحوة، أمواج، اضاءة، الشاطئ، عالم القصة، الرافعى، خطوة، الطليعة، الفن المعاصر، الكاتب، سنابل، كتابى، الزهور، الثفاقة، التحرير (الثقافة الاسبوعية فيما بعد) (لا أذكر مجلتى «الرسالة» و«الثقافة» فى اصدارهما الجديد تحت رئاسة أحمد حسن الزيات ومحمد فريد أبو حديد. فقد كانتا أشبه بالعازر القائم من الاموات فى لفائفة البيضاء كما صوره الدكتور/ محمد كامل حسين فى كتابه «قرية ظالمة» شبح مظلم كئيب لا يريد الحياة ولا تريده الحياة) ومن بين هذه المجلات كانت مجلة «الشهر» التى رأستم تحريرها تحتل مكانا فريدا لا تشاركها اياه مجلة أخرى.

لم تكن «الشهر» تمثل اتجاها أدبيا بعينه وانما كانت ساحة مفتوحة للابداع والنقد أمام مختلف الاتجاهات والتيارات، وقد تلاقت على صفحاتها - عبر سنوات صدورها القصيرة نسبيا - أقلام تمتد من العقاد الى ناشئة الادب والشادين فى حقل البحث والنقد.

وقد عن لى - فيما يشبه النوسطالجيا - أن أعود هذه الايام الى اعداد «الشهر» القديمة فاذا بها ناضرة حيه كيوم صدورها واذا بى فى معرض حافل من ثمار القرائح ونبضات القلوب وتلاقى الثقافات على نحو يخصب الجديد بالقديم ويرسل مياه الحياة فى بدن التراث فاذا وهو يستوى أمامنا كائنا حيا، تجرى الدماء فى عروقه وتتفجر بالحيوية كل أوصاله.

فى مجال الدراسات والابحاث والنقد كان العقاد يكتب عن الشعر العربى والمذاهب الغربية، وعزيز أباظة والمسرحية الشعرية، وفلسفة الغزالى.

واسماعيل مظهر (ذلك المفكر الكبير الذى لم يتلق بعد حظه من الدراسة) يكتب محاورات عنوانها «مرآة ذاتى» والادب وطاقة المجتمع والامبراطورة الرومانية تيودورا، ويحيى حقى يكتب عن يوسف الشارونى، ومصطفى محمود.

ومحمد مندور يكتب عن القصة القصيرة ومقوماتها وفنون المسرح وتطورها، والمسرحية بين الترجمة والاقتباس والاعداد.

وعبد القادر القط بكتب عن محنة النقد، والتعريب والمصطلحات العلمية، وفتحى غانم بين الصعيد والسويد، وعبد الرحمن فهمى، وأبو المعاطى أبو النجا، وقضايا المسرح العربى المعاصر، وكتاب «اللغة الشاعرة» للعقاد.

ورشاد رشدى يكتب عن الكلاسيكية الجديدة، والقصة بين المقال والصورة ومذهبه فى النقد، ومدارس النقد الادبى، وعنصر الدراما فى القصة.

وثروت عكاشة يكتب عن ابن قتيبة .. وعبد المحسن طه بدر يكتب عن الرواية العربية وابراهيم حمادة يكتب عن زكى أبو شادى شاعرا مسرحيا .. ورمسيس عوض (هو باحث كبير بحقله الخاص، وليس كما ينطق البعض مجرد حاشية على متن أخيه العظيم) يكتب عن برتراند رسل، وتحديد النسل من الناحية التاريخية .. ونعيم عطية يكتب عن تنسى وليمز.. وغالى شكرى يكتب عن أدبائنا والعلم .. ورجاء النقاش يكتب عن ديوان صلاح جاهين «عن القمر والطين» .. وفاروق خورشيد يكتب عن أزمة الادب فى صحافتنا، والقصة بين الادب والصحافة، والادب والاذاعة.

ومحمد عبد الله الشفقى (ذلك المترجم الممتاز الذى فقدناه) يكتب عن الفنان فى مسرح برنادر شو.

وفى الشعر نشرت المجلة قصائد الطحناحى، وعلى الجندى، ومهدى علام، وعادل الغضبان، وأحمد عبد المعطى حجازى، ومحمد عفيفى مطر، ومحمد ابراهيم ابوسنه، وفتحى سعيد، وعبد العليم القبانى، وعبد المنعم عواد يوسف، و ناهيدأبو زهرة، وسعد دعبيس، وكمال نشأت، وأحمد كمال زكى، ويس الفيل، وكامل أمين، وأنس داود، وكيلانى حسن سند.

وفى القصة نشرت قصصا قصيرة لعبد الحميد السحار، وفاروق خورشيد، وسليمان فياض، وعبد الفتاح رزق، وحمدى أبو الشيخ، وأحمد بدران، وأمين ريان، وعبد المنعم سليم، ومحفوظ عبد الرحمن، وبكر رشوان.

واسمح لى أن أخص بالذكر قصتك القصيرة المسماة «تحت السلم» المنشورة فى عدد يوليو ١٩٦١: انها عندى آيه فنية فريدة من آيات الكوميديا الراقية .. أعجب كيف لم ينتبه اليها واحد من المشتغلين بترجمة نماذج من القصة المصرية الى الانجليزية (وغيرها من اللغات) بدءا من دنيس جونسون ديفيز، وانتهاء بالدكتور/ جمال عبد الناصر ومرورا بالدكتور/ محمود المنزلاوى! .. ان هذه القصة لا تقل عن مسرحياتك وانى لأتحسر على الناقد الذى خسرناه فيك حين وجه كل اهتمامه الى خشبة المسرح.

وفى ميدان الترجمة نشرت «الشهر» قصصا لجان كولير، وفرانسوا كوبيه، وكافكا،

ومورافيا من ترجمة نعيم عطية، ولطفى سلطان، وشاكر هيكل، وجورج سالم، ومحمد الشريف، والسيد فرج، ومحمد كمال الدين يوسف.

ونشرت مسرحيات لأوجو بيتى، وبرخت، ويونسكو، وأورال بارالجا (رومانى) ووليم سارويان، وأونيل من ترجمة صبحى شفيق، وأحمد كمال عبد الحميد، وسعد الدين وهبه، وتوفيق حنا، ونور الدين مصطفى، وجلال العشرى.

ونشرت قصائد لسيسل داى لويس، ولوركام وطاور من ترجمة شوقى السكرى، أحمد هيكل، ونشرت محاورات لوسيان من ترجمة سعد صائب، ونشرت مقالات مترجمة عن عديد من الموضوعات، نقدية وعلمية وفلسفية وسياسية: شكسبير بين سقراط والوجودية (محمود رجب)، من العلم الى الفلسفة (عزت قرنى) غاندى (رمسيس عوض)، محنة التراچيدايا الحديثة (سمير سرحان).

وفى أبواب المتابعات كان يتناوب كتابة الشهريات ثروت أباظة، وغالى شكرى، ورجاء النقاش، وصبحى شفيق، وياسين رفاعية. ويعرض للندوات توفيق حنا.

ويكتب عن الفنون التشكيلية والموسيقية والاذاعة والسينما والمسرح: رشدى اسكندر، وفرح العنترى، والسيد الغضبان، وجلال السيد. وايهاب الازهرى،و فؤاد دوارة، وحسين عثمان، وفاروق شوشة، وأنور الجندى. مع رسائل من لبنان وسوريا (اقليم الشمالى وقتها) وأبواب المناقشات وبريد الشهر والكتب الجديدة.

وكانت «الشهر» تفتح أبوابها لأدباء الاقطار العربية دون تفرقة، كما أصدرت عددا خاصا عن فن المسرح فى ابريل ١٩٦١.

ولست أجاملك ولكنى أقرر واقعا - حين أقول إن جزءا كبيرا من الفضل فى هذا الانجاز الثقافى يرجع الى سعة أفقك، وقدرتك على استقطاب كبار الكتاب وشبيبتهم فى آن. كما أذكر بمودة عميقة - افتتاحيات «الشهر» من قلمك وأذكر مقالاتك النقدية على صفحات مجلة «الاذاعة التليفزيون» أم أنها كانت «الاذاعة» فحسب وقتها؟ قديما. ومره أخرى لا أستطيع أن أحول بين نفسى والقول: ما أعظم خسارتنا فيه ناقدا - لقد استهوته ربة المسرح مع انه الناقد - الفنان وكفى.

كان الافق الذى تتحرك فيه افتتاحيات «الشهر» رحبا وسيعاً حقا فتحت عنوان «مع

الحياة والناس» كنت تكتب فى السياسة (كتابة زائله القيمة) وعن العقبات فى طريق النهضة المسرحية، ومطالبة احد اعضاء المؤتمر القومى بتحريم الباليه، وحصول العقاد على جائزة الدوله التقديريه فى الادب، وتنظيم الصحافة، والوضع المسرحى فى الريف، وأزمة الضمير الفرنسى فى حرب الجزائر، ود.ه. لورنس وروايته «عشق الليدى تشاترلى»، وملحمة «بساط الريح» لفوزى المعلوف، وشباب أوربا الغاضب، وبرتراندرسل، وأودن، واسماعيل الحبروك ويحى حقى، وازراباوند، واحمدَ رامى ورونالد دنكان، وغاندى، مورافيا والجنس، وايليا اهرنبورج حين يجيب على مشاكل القراء العاطفيه فى صحيفة «برافدا» ،ومسرحية «اللهم غضبك» (وليس «انظر وراءك غاضباً» كما توهم جلال العشرى ومن تبعوه) لجون أوزبون، والبطل بين الواقع والأساطير، ورأى سومرست موم فى فن تشيكوف، وكتاب «الادب والانسان الغربى» لمؤلفه ج.ب. برستلى، وتعلق على رسائل القراء .. وغير ذلك كثير.

وأما أن «الشهر» كانت تتوخى الموضوعية، وتعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال، ولا تجرى وراء الاسماء اللامعة (رغم امتلاء صفحاتها بها) فذاك ما أعرفه من خبرتى الشخصيه: إن امامى الان عددا منها (تمزق للأسف غلافه ومن ثم لا أستطيع تحديد تاريخه ولكنه لابد واقع فى شهر ما بين أواخر ١٩٦٠ - ١٩٦١) يحمل مقالتين (لامقالة واحدة) عنوانهما «قضايا ادبيه» و «الصحافة المدرسية» من قلم ماهر شفيق فريد بمدرسة مصر الجديده الثانويه. كنت طالبا فى الثانوية العامه حين أرسلت اليك هاتين المقالتين، وقد نشرتهما دون معرفه سابقة بيننا (فأنا لم أشرف بلقائك شخصيا حتى هذه اللحظة). وتجاورت كتاباتى فى نفس العدد مع كتابات شوقى السكرى، ورمسيس عوض، ومحمد عبد الحى وغيرهم. وفى أعداد أكتوبر ونوفمبر وديسمبر من عام ١٩٦١ نشرت لى - بانتظام كدقات الساعة - مقالات أخرى وذلك من نفس المنطلق الموضوعى الذى لا يفرق بين اسم كبير وناشئ كان انذاك قد اصبح طالبا فى السنة الاولى من دراسته الجامعية بآداب القاهره، يتلمس طريقه فى حقل الادب فيصيب مره ويخطئ مرات. ولست وحدى الذى يدين لك بهذا الفضل فكم من شعراء وقاصين ونقاد ومترجمين من جيلى بدأوا مثلى على صفحات «ادب» امين الخولى، و «مجلة» يحيى حقى و «شهر» سعد الدين وهبه وغيرها.

اكتب هذه الكلمات - ومعذره للاطالة - كى ادعوك أن تخصص احدى اسبوعياتك للحديث عن تجربتك مع مجلة «شهر». كيف نبتت فكرة اصدارها؟ ما التصور الفكرى الذى

انطلقت منه لدى الاعداد لها؟ ما الذى تشعر انك قد نجحت فى تحقيقه، باصدارها، وما الذى اخفقت فيه؟ ما ذكرياتك مع الادباء والنقاد الذين استكتبتهم؟ واخيرا - وهو الاهم - ما تصورك لدور المجلة الادبية اليوم فى عام ١٩٩٣؟ والى أى مدى يختلف عن تصورك لدورها حين صدر العدد الاول من «الشهر»؟

شكرا، سيدى، على ما منحتنا ومنحنا كتابك من ساعات عامرة بالمتعة العقلية والروحية. وسدادا لجزء من دينى نحو مجلتك وغيرها من المجلات التى ذكرتها فى صدر هذه الرساله سأعكف - فى المستقبل القريب - على كتابة سلسله من المقالات عنوانها «زياره جديدة لأوراق قديمه علاها التراب». واتطلع الى أن تلبى رجائى فى الكتابه عن «الشهر» لتكون معونا لى من يرغب فى التاريخ لتلك المجلة الجميلة الرائدة.

د. ماهر شفيق

مدرس بقسم اللغة الانجليزية

بأداب القاهرة

الأهرام ٩٣/١٢/١٨

ضحايا اتفاقية الجات
بقر أوروبا .. وشعوب العالم الثالث ..

وأخيراً .. بعد مفاوضات استمرت سبع سنوات وبعد سبع دورات فاشلة تتابعت منذ نصف قرن من الزمان أتيح للعالم أن يفرح وأن يهتف وأن يسعد وأن ينشد الأناشيد وأن يتنفس الصعداء فقد وصلت ١١٧ دولة إلى توقيع الاتفاقية التى تعرف باسم (الجات) أو اتفاقية التجارة الحرة والتعريفة الجمركية. وقعت الاتفاقية ١١٧ دولة. العدد القليل من هذه الدول هو الذى من حقه أن يحتفل وأن يسعد وأن يتفاءل وأن ينظر إلى المستقبل فى رضى واطمئنان أما النسبة الغالبة من هذه الدول المائة وسبعة عشر فقد وقعت صك مضاعفة فقرها وابتسمت مرغمة .. تقدمت دول العالم الثالث والدول الفقيرة بيد مرتعشة ووقعت بدم شعوبها .وقعت وهى تعرف أنها بهذا التوقيع تدعم غنى الأغنياء وتؤكد فقر الفقراء .. ويا لها من مأساة هل كانت تستطيع إحدى الدول أن ترفض التوقيع ... كيف وأمام من ولماذا .. هذا هو النظام العالمى الجديد وهنيئاً للولايات المتحدة الأمريكية فقد نجحت مرة أخرى فى أن تزيد من غناها على أشلاء الفقراء وغداً سوف يشهد العالم صومالاً جديداً وصومالات جديدة تموت شعوبها من الجوع حتى تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية أن ترسل قواتها المدججة بالسلاح تبعث الأمل تماماً كما فعلت فى الصومالاً خلال عام كامل. أما دول أوروبا الغربية فرحم الله الحضارة والثقافة والمدنية .. رحم الله كل القيم الشريفة. رحم الله الذين نادوا بالحرية الله الذين نادوا بالحرية والعدالة وهدموا السجون وحطموا الباستيل وحولوا المانش إلى بحر من دماء .. رحم الله نبع الفلسفة وحقوق الإنسان بعد أن صارت أوروبا المعاصرة جروا صغيراً يجرى خلف الوحش الكاسر يلعب بذيله فى سعادة وحبور .. ونعود إلى ما حدث يوم ١٥ ديسمبر ١٩٩٣ فإنه يوم تاريخى بكل المقاييس سوف يسجل فى تاريخ الأغنياء لأنه سوف يزيدهم غنى وسوف يسجل فى تاريخ الفقراء لأنه سوف يزيدهم فقراً .. تمت فى هذا اليوم المشهود اتفاقية

(الجات) وطاف بخاطرى على الفور ذلك المثل المصرى الذى يقول (جات الحزينة تفرح مالقتلهاش مطرح) والحزينة هى كل الدول الفقيرة التى يسمونها دول العالم الثالث ونسميها على سبيل (التهويش) الدول النامية.

ففى يوم ١٥ ديسمبر أعلن بيتر سوزر لاند المدير العام لمنظمة الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات) عن إقرار أكبر اتفاق تجارى فى تاريخ العالم فى جنيف قبل ساعات من انتهاء الموعد المحدد لاختتام جولة أوروجواى من المحادثات التجارية والتى استمرت سبع سنوات.

وقال سوزر لاند إن الاتفاقية التاريخية غير المسبوقة تهدف إلى إزالة عوائق التصدير فى جميع أنحاء العالم وإيجاد فرص عمل جديدة وإنعاش الاقتصاد العالمى وأضاف أن نجاح جولة أوروجواى يعنى أن العالم اختار الانفتاح والتعاون بدلاً من التوتر والصراعات.

ومن المقرر أن يتم التوقيع رسمياً على الاتفاقية المكونة من ٥٥٠ صفحة عدا الملاحق فى مدينة مراكش المغربية فى شهر ابريل القادم وذلك بعد أن تخوض معركة تشريعية شرسة لإقرارها من برلمانات الدول الأعضاء فى منظمة الجات.

وقد استقبلت جميع الدوائر العالمية نبأ إقرار الاتفاقية بترحيب وحفاوة شديدة وسط أصوات التصفيق والاحتفالات. قال كلينتون إن الاتفاقية تدعم موقف الولايات المتحدة الأمريكية كقائدة للاقتصاد العالمى الجديد. وأضاف أن الاتفاقية سوف ترفع عدد الوظائف وسوف تنعش الاقتصاد وتسمح بإنهاء بعض الممارسات التجارية غير العادلة. يتحدث كلينتون عن العدالة ولنتركه مؤقتاً لنسمع رئيس وزراء فرنسا بالادور يعبر عن سعادته البالغة بالاتفاقية الجديدة وكعادة الفرنسيين عندما يتظاهرون بالتفلسف قال إن المشاكل لم تنته بعد ويجب توخى الحذر.

ولنعد لبداية القصة قبل حوالى قرن من الزمان . بعد الحرب العالمية الثانية اجتمعت ٣٢ دولة من دول العالم لبحث أسباب الكساد الاقتصادى الكبير الذى وقع فى الثلاثينيات قبل الحرب وإيجاد الطريق لمنع تكراره.

وفى مؤتمر للأمم المتحدة عام ١٩٤٦ تشكلت لجنة دولية تمهيدية لوضع مسودة ميثاق لمنظمة التجارة الدولية وكانت الفكرة أن تكون تلك المنظمة هى الهيئة الثالثة التى تنشأ بعد

الحرب بقيادة العالم نحو الانتعاش الاقتصادى، أما الهيئتان الأخريان فهما البنك الدولى وصندوق النقد الدولى.

وفى عام ١٩٤٧ تأسست (الجات)لتنفيذ بنود السيادة التجارية لمنظمة التجارة الدولية والإعداد لظهور الهيئة الجديدة رسمياً فى نوفمبر من العام نفسه. اجتمعت ٥٦ دولة فى هافانا عاصمة كوبا لاستكمال ميثاق منظمة التجارة الدولية، وفى يناير ١٩٤٨ بدأت الجات العمل، وفى مارس ١٩٤٨ وقعت ٥٣ دولة ميثاق هافانا .. ولم تستطع (الجات) خلال هذه السنوات وبعد سبع جولات آخرها جولة أوروجواى التى انتهت يوم ١٥ ديسمبر الماضى أن تصل إلى ما وصلت إليه، ولابد من التأكيد أن هذا الذى جرى يوم ١٥ ديسمبر فى جنيف لم يكن يحدث لولا سقوط الاتحاد السوفيتى وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم السياسية التى كان لابد أن تسلم إلى قيادة العالم الاقتصادية كما يقول بفخر شديد بل كلينتون. ولكن ما هى آثار هذه الاتفاقية مع دول العالم.

قبل أن نصل إلى هذه النتائج لابد من الإشارة إلى مشكلتين صادفتا الاتفاقية وكادتا تقفان حجر عثرة فى سبيل توقيعها. المشكلة الأولى مشكلة الزراعة والإنتاج الزراعى وقد قادت هذه المعركة فرنسا ثم اليابان فإن الاتفاقية تقضى برفع الدعم الحكومى عن الإنتاج الزراعى، وفى أوروبا وخاصة فرنسا هناك دعم كبير تقدمه الحكومات للإنتاج الزراعى، حتى قيل إن البقرة فى أوروبا تحصل على دعم يزيد على متوسط دخل الفرد السنوى فى العالم الثالث. وكان معنى رفع الدعم ارتفاع الأسعار لتجد الواردات الأمريكية طريقها إلى الأسواق الأوروبية. وكان هناك أيضاً تحديد لمساحات الأرض التى تخصص للزراعة وثار الفلاحون الفرنسيون وثارت الحكومات الفرنسية ثم تم الحل الوسط برفع الدعم عن الإنتاج الزراعى وظلت المساحة المزروعة كما هى وهكذا كان أول المضارين من الاتفاقية الجديدة هو البقر الأوروبى الذى رفع عنه الدعم الحكومى. الدولة الثانية التى قاومت فتح أسواقها للأرز الوارد هى اليابان ولكنها خضعت أخيراً.

المشكلة الثانية هى دعم الطيران والإنتاج السينمائى والتليفزيونى وهنا وقفت فرنسا وقفة حادة وثار المثقفون الفرنسيون فرفع الدعم عن السينما والتليفزيون الفرنسى يعنى فتح الأبواب أمام الإنتاج الأمريكى ليغزو قنوات وشاشات فرنسا وأوروبا وهو ما اعتبرته فرنسا غزواً ثقافياً وقاومته، وكادت هذه المشكلة أن تفسد الاتفاقية لولا أن خضعت الولايات

المتحدة وترك هذا الإنتاج على حاله دون أن تتعرض له الاتفاقية الجديدة مما اعتبرته فرنسا انتصاراً كبيراً للثقافة الفرنسية. وبعد حسم جميع هذه المشاكل نعود للمستفيدين والخاسرين فى هذه الاتفاقية وننبه أن الاتفاقية تقضى بالبدء فى تحرير التبادل التجارى اعتباراً من عام ١٩٩٥ وذلك بخفض نسبة التعريفة الجمركية المعمول بها من متوسط ٥٪ إلى نحو ٣٪ ومعنى ذلك إكراه الدول التى تأخذ بسياسة الحماية الجمركية على التخلص عن سياستها توطئة لإزالة جميع الحواجز الجمركية والضريبية كما تقضى بإلغاء دعم السلع، وقد قرر الخبراء أن صافى دخل دول العالم سوف يزيد بما يتراوح بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ مليار دولار فى العام وقد قدر صافى الزيادة فى دخل المناطق العالمية فى العام على النحو التالى:

* المجموعة الأوروبية (١٢ دولة) ٦١ مليار دولار
* الكتلة السوفيتية السابقة ٣٧ مليار دولار
* الولايات المتحدة ٣٦ مليار دولار

أما دول العالم الثالث فسوف تخسر ما قدر بحوالى ١,٥ مليار دولار فى العام وتخسر أفريقيا ٢,٥ مليار دولار.

وسبب هذه الزيادة أن أسعار المواد الغذائية بعد رفع الدعم عنها سوف تزيد بما يقدر بنحو ١٠٪ من ثمنها الحالى بالإضافة إلى أن انهيار الحواجز الجمركية سيجعل من الصعب على كثير من الصناعات الوطنية أن تنافس المنتجين الأكفاء والأغنى فى الغرب وفى اليابان. ويمكن أن يواجه العالم الثالث تحدياً خطيراً لزراعته من الصناعات الزراعية التى استطاعت أن تستخدم الآلات بدرجة متقدمة وتحظى بحوافز رأسمالية فى أوروبا والولايات المتحدة .

أما أعظم الأخطار فهو أن تشعر الدول الصناعية الكبرى بإغراء استخدام التجارة كسلاح ضد الدول النامية أو دول العالم الثالث إذا عن لها أن تأخذ قرار مستقلاً عن إرادة الدول العظمى.

إن الدول الفقيرة تفقد بهذا الاتفاق نصف ما كانت تتمتع به من تسهيلات وامتيازات فى أسواق أمريكا وأوروبا واليابان.

ويحاول المتحمسون لاتفاقية الجات خديعة الدول الفقيرة بقولهم إن رفع الأسعار سوف يشجع المنتجين فى الدول النامية على زيادة منتجاتهم وتحسينها مما يؤدى بالضرورة إلى الاكتفاء الذاتى.

إن أوروبا وأمريكا سوف تسقطان الحواجز الجمركية عن منتجات الدول النامية من الأنسجة ولكن الاتفاق أعطى الولايات المتحدة امتيازاً استثنائياً بالسماح لها بالإبقاء على رسومها العالية على منتجات الأنسجة والملابس التى تعتمد عليها بلاد نامية كثيرة للحصول على العملات الصعبة ولتحسين ميزان المدفوعات.

نحن إذن أمام الأخطار التالية:

أولاً رفع أسعار المواد الغذائية بنسبة ١٠٪ وهذا معناه أن يزيد إنفاقنا ما يوازى ١٠٪ مما نستورده من قمح ومن مواد غذائية أخرى.

ومعنى ذلك بوضوح أكثر أن إلغاء أمريكا وأوروبا نسبة من ديون مصر لم يكن خاتمة المطاف ولا يمكن لمثل هذه الدول أن تقدم على خطوة تحت تأثير العواطف الجياشة فها هى نفس الدول التى تنازلت عن جزء من ديونها تقتص هذا الجزء وفى أقل من عام وحتى قبل أن يجف مداد الموافقة على الإلغاء.

إن أخطر ما يواجهنا الآن فتح أسواقنا أمام المنتجات الأوروبية والأمريكية واليابانية عالية الجودة التى تعتمد على تكنولوجيا متقدمة ومتطورة أمام صناعة وليدة مازالت تحبو، ولا معنى للمتفلسفين الذين يقولون إن هذا فى صالح المستهلك وفى صالح الصناعة حتى تجود صناعتنا. إن هذا القول مخدر من نوع ردئ فمن المستحيل فى صناعة مازالت تحبو وفى ظل تكنولوجيا مازالت فى مراحلها الأولى من الصعب بل من المستحيل منافسة إنتاج أمريكا واليابان وأوروبا، ومعنى هذا بوضوح قتل الصناعة الوطنية.

من ناحية أخرى الذين يقولون إن أبواب العالم قد فتحت أمامنا لتصدير ما نريد نقول نفس القول وهل عندنا ما يمكن أن ينافس الإنتاج العالمى فى أسواقه ... حتى المنسوجات فرضت أمريكا حمايتها على إنتاجها فهل يمكن أن يسمح لنا أن ندخل مثل هذه الأسواق وهل ننفرد بإنتاج ليس له مثيل فى العالم حتى نقول إننا نستطيع احتكار بعض الأسواق.

يقول خبراء الاتفاقية أن دول العالم الثالث سوف تخسر فى المستقبل القريب ولكنها

ستكسب فى المستقبل البعيد والسؤال هل حقاً نستطيع أن نصل إلى المستقبل البعيد وبعد كم من السنين وبعد أن نصبح شعوباً مقهورة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً. إن الهدف هو أن تكتفى دول العالم الثالث بأن تصدر للدول الصناعية المواد الأولية ونعود لعهود الاستعمار القديمة والجديدة عندما جاء الخواجة كى يأخذ من بلادنا المواد الخام .. نفس الشئ ولكن هذه المرة نحن الذين سنذهب لهم بالمواد الخام على طبق من ذهب أى نعود إلى تصدير القطن بعد أن نغلق مصانع النسيج ولكن هل قطننا مازال صالحاً للتصدير ... ماذا فعلت وتفعل حكومتنا الرشيدة. طبعاً لقد وقعنا الاتفاقية وأصبحنا ملزمين بالتنفيذ. وهكذا يتم الحلقة حول عنق اقتصادنا أو حول عنقنا البنك الدولى و صندوق النقد الدولى ثم ثالثة الأثافى اتفاقية (الجات) هل وضع فى ميزانية عام ١٩٩٥ الزيادة فى أسعار الواردات الغذائية؟ هل أعددنا أنفسنا لتصدير مواد تنافس الصناعات العالمية فى أسواقها؟ هل فعلنا شيئاً من أجل الارتفاع بمستوى صناعاتنا الوطنية حتى تعيش فى ظل ما هو قادم ...

هل فعلنا شيئاً من ذلك أم أننا ما زلنا نعيش أوهاماً زرقاء فى ظل غمامات سوداء تجتاح العالم كله من أجل سعادة السعداء ... لقد شبهوا اتفاقية الجات بأنبوبة الأوكسجين التى تمد الاقتصاد العالمى بالحياة ولم يقل الخبراء أن هذا الأوكسجين هو ما يبقى الفقراء على الحياة.

ونعود إلى ما بدأنا به حديثنا (جات الجزينة تفرح مالقتلهاش مطرح).

* * *

والله زمان يا مسرح ...!

هل يمكن لمسرحية واحدة أن تفعل كل ذلك .. أن تقفز فوق السنين العجاف .. وتتخطى حواجز الزمن وتطير فوق مستنقعات الحياة الفنية المعاصرة وتعبر فوق كيانات المسارح العشوائية التى نمت وتكاثرت فى غفلة من الزمان . هل يمكن أن يعود إليك الإحساس بالذات وتصك أذنيك كلمات نظيفة لها رنين وتبهر عينك خطوات فنية على خشبة تمتد أمامك طالما تحدثت فتجشأت وتقيأت وأخرجت أقبح ما فى الإنسان .. نعم ذلك حدث وكانت مسرحية الخديوى هى مصباح علاء الدين الذى رفعنا فوق بساطه السحرى وعاد بنا إلى دنيا ودعناها منذ أعوام وأعوام واستبد بنا اليأس فتصورنا أنها ماتت وواريناها التراب فإذا بها هى هى كما كانت دفنت خطأ وهى تمتلئ بالحياة وعندما انتفضت كانت كالمارد يسد عين الشمس ويزلزل الأرض الخواء. حدث ذلك كله عندما شاهدنا مسرحية (الخديوى) التى كتبها شعراً فاروق جويدة وأخرجها جلال الشرقاوى وقدمتها على المسرح نخبة من الفنانين بينهم سميحة أيوب ومحمود يس وأشرف عبد الغفور وفاروق الدمرداش وحمزة الشيمى ومدحت مرسى ونيڤين علوية ومى وعبير الشسرقاوى وغيرهم. وهو عمل ناجح بكل المقاييس وإن كان نص فاروق جويدة يحتاج إلى وقفه وإلى حوار (فالخديوى) هى المسرحية الثالثة لفاروق جويدة وهو إذن أصبح فى مكانة تسمح بنقده والقسوة عليه مادام يملك القدرة على الصياغة المسرحية ومادام يستطيع أن يقدم للمسرح أعمالاً جادة يجد فيها المخرج شيئاً يضيف إليه ويجد فيها الممثل مادة يخرج فيها طاقاته الكامنة. وأول ما يصادفك فى نص الخديوى هو التضحية بحقائق تاريخية لا خلاف عليها. صحيح أن الكاتب الدرامى ومنه الكاتب المسرحى ليس مؤرخاً يتقيد بأحداث التاريخ ولكنه ليس حراً كى يغير فى التاريخ إلى الدرجة التى يقلب فيها بعض الحقائق فتعبر الواقعة عن عكس ما جرى فى الواقع دون ضرورة درامية، وأضرب أمثلة

عابرة لا أتوقف أمامها كثيراً منها وضع (ديلسبس) واحداً من المقربين إلى الخديوى وواحداً فى بطانته والعلاقة بين الخديوى وديلسبس سيئة كانت للغاية وكان الخديوى يقول: ديلسبس يريد أن تكون مصر فى خدمة القناة وأنا أريد أن تكون القناة فى خدمة القناة وأنا أريد أن تكون القناة فى خدمة مصر .. والامبراطورة أوچينى .. إنها لم تقض فى مصر غير أسبوع واحد لم يعشقها خلاله الخديوى لأنه لم يكن يعشق (على نفسه) وكان يماليها وينافقها ليكسب تأييد زوجها له فى معركته مع الباب العالى ومع الانجليز .. وهى لم تكن موجودة عندما سقط الخديوى حتى يسألها أن تشير عليه أو تقف بجواره، ولكنها سقطت وزوجها نابليون الثالث والخديوى فى الحكم وفى عزه ومجده. وجمال الدين الأفغانى لقد حماه الخديوى من الباب العالى ومن الأزهر وخرج الخديوى والأفغانى فى مصر ونفاه ابنه لا هو.

ولم يكن جمال الدين مجرد رجل دين يتحدث كما يتحدث بعض الذين يتحدثون فى الدين بل كان مفكراً متقدماً حمل من بين ما حمل للمثقفين وللجماهير مبادئ مثل (مصر للمصريين) والدستور والحكم النيابى وحقوق الإنسان والحرية والإخاء والمساواة وجميع مبادئ الثورة الفرنسية بل استحدث ثورة ثقافية تجدد أمر الدين والدنيا.

أما اسماعيل صديق المفتش فلم يكن مجرد تابع لاسماعيل ولا خادم له بل هو شخصية وطنية، هو أول من قال إن مصر بمواردها قادرة على سداد ديونها واقترح دين المقابلة ورفضه المندوبان الانجليزى والفرنسى وكانا وراء قتله وكتب جوشن الانجليزى لحكومته (الآن نستطيع أن نفعل فى مصر كل شئ بعد ذهاب وزير المالية المتوفى) وغداة وفاته وافق اسماعيل والمسؤلين على خطة جوشن وجوبير والتى انتهت باحتلال مصر.

نقطة ثانية وهى مزاد بيع مصر لقد صدمنى هذا المشهد تماماً ولا يقول فاروق أن هدفه أن يصدم الناس فالفرق بين الصدمة التى تجعل الإنسان يفيق إلى حقيقة لا يعرفها والصدمة التى يجسدها مشهد يحطم هؤلاء من يعتبرهم رموز مصر ومقدساتها، فهو كالأب الذى أمسك ابنه ليحمية ممن يريدون قتله ووضعه فى حجرة وبيده السكين وقال صارخاً أنهم يريدون قتلك يا ولدى هكذا .. ثم يقتله بسكين ...

إن الذى باع رموز مصر ليس الخديوى طبعاً وليس من يقصده فاروق جويدة ولكنه هو الذى باعها وهو يضرب الأمثال. والرمز والتخويف لهما حدود ولو رجع لمبادئ أرسطو عن

المسرح لما وضع عليه هذا المشهد القاسى.

أما الخديوى نفسه فيكفى أن أنقل الأسطر التالية من تقرير كتبه القنصل الأمريكى أ.فارمان إلى حكومته يوم ٢٧ يونيو ١٨٧٩ وهو يوم تنازل اسماعيل عن العرش.

«مهما قيل فى نقده فإن هناك أمراً واحد لا يرقى إليه الخلاف وهو أن مصر تقدمت خلال السنوات الست عشرة من عهده فى كل ما يتصل بالحضارة الحديثة أكثر مما تقدمت فى المائة سنة السابقة بل وربما فى الخمسمائة سنة السابقة. وأكثر مما ستتقدم لفترة طويلة قادمة. ومصر تكاد أن تكون مدينة له وحده بهذا التقدم الذى نعمت به.

«إن الحرب الصحفية التى شنت عليه فى أوروبا خلال السنتين الأخيرتين جاءت بشكل أساسى نتيجة نفوذ مجموعات كبار المضاربين فى الأسهم والسندات وبقوة أموالهم. إن خلع اسماعيل لم يكن نتيجة الأسباب التى أوردتها الصحف الكبرى الصادرة فى مصر منذ بدء الأزمة المالية وإنما لأسباب أخرى».

بمعنى آخر بريد قنصل أمريكا أن يقول إن من يبحث عن الأسباب الحقيقية لخلع اسماعيل لن يجدها فيما كان يكتبه يعقوب صنوع وأديب اسحق وسليم وبشارة تقلا وأمثالهم بل لن يجده فيما كانت تكتبه الصحف الأوروبية الكبرى بتحريض من حملة الأوراق والأسهم. هذه كلها أسباب ظاهرية أما الأسباب الحقيقية لخلع اسماعيل فهناك فى وزارات خارجية الدول العظمى. إنها أسباب سياسية استعمارية.

ورغم ذلك كله فقد قدم فاروق جويدة عملاً جميلاً سهلاً استطاع فيه أن يقول ما يريده هو سواء اختلفت معه أو اتفقت. أما المخرج جلال الشروقاى فقد كان موفقاً غاية التوفيق وأظنه قدم عملاً كان يتوق لتقديمه واستطاع أن يترجم عمل فاروق جويدة لعرض مسرحى ممتاز.

محمود يس أدى دور الخديوى بامتلاك شديد لناصية الشخصية وبفهم واع لمختلف الحالات النفسية التى تنتابه وكاد أن يفلت منه الدور وهو يغدو مراوحاً بين الرجل الذى يحب وطنه والحاكم الذى يبيع هذا الوطن، ولم تكن تلك مسئولية محمود يس فهو يمثل شخصية لم يستقر المؤلف حتى نهاية العمل على (موقفه) هو منها ورغم ذلك فقد كانت هذه الذبذبة مجالاً للكشف عن طاقات متعددة لدى محمود يس.

أما سميحة أيوب فقد أدت دوراً أقل بكثير ما تستطيع أن تقدمه على المسرح، والذى عايش سميحة أيوب منذ الفتى مهران للشرقاوى والذباب لسارتر وفيدرا لراسين يستطيع أن يرى بوضوح أن سميحة أيوب تقدم (شيئاً) من فنها ويبدو أن ارتباطها بالشاعر فاروق جويدة هوالذى جعلها تقبل هذا الدور على قصره، ومع ذلك وفى المشاهد التى ظهرت فيها سميحة أيوب عادت بنا سنوات أعادت إلينا ازدهار المسرح .. أعادت إلينا توهجه الغامر أعادت شعلة مقدسة أوقدها نفر من الناس أحبوا هذا البلد واحبوا هذا الفن منهم المؤلف ومنهم الممثل ومنهم المخرج ومنهم الناقد ومنهم المشاهد وهؤلاء جميعاً هجمت جيوش التتار فألقت بهم فى جب عميق .. إن وقوف سميحة أيوب على خشبة المسرح مرة جديدة هو بعث جديد لفن أصيل افتقدناه هذا ما يقوله الناس كل يوم فى مسرح البالون.

وطائفة الممثلين الذين أحاطوا بهذا العمل الكبير أشرف عبد الغفور وحمزه الشيمى وفاروق الدمرداش ومدحت مرسى ونيفين علويه ومى وعبير الشرقاوى كل أدى دوره بمهارة.و الديكور جيد رغم أنى أحسست فى بعض المشاهد أن ما أشاهده ليس قصر الخديوى ولكنه قصر عمدة كفر الخديوى والموسيقى جيدة والاستعراضات لبنات موسكو جيدة رغم الهجوم الشديد على وليد عونى لأسباب لا علاقة لها بالفن.

ولا يفوتنى أن أحيى الرجل الذى وقف خلف العمل الكبير بجهده وميزانية قطاعه وإصراره حتى خرج إلى نور - إنه الفنان عبد الغفار عوده الذى اتابعه منذ كان ناشئاً فى المسرح القومى وفى أحيان كثيرة أخاف منه على نفسه ولكنه يثبت دائماً أنه رجل المواقف والمعارك.

تحيه أخرى للسياسى المعتزل (جورباتشوف) الذى لولا مشروعه الخطير البيروسترويكا والذى أنهى القوه العظمى فى العالم التى كانت تسمى (الاتحاد السوفيتى) لما سعدنا بوجود هذه الطائفة من فتيات روسيا الباحثات عن الدولار فى بلاد لم تعرف الدولار إلا فى هذا الزمن الأغبر.

الأهرام : ١٩٩٣/١٢/٢٥

لماذا نبيع الأوهام للشعب؟

منذ ١٥ ديسمبر الماضى ومنذ وقعت فى جنيف اتفاقية (الجات) والعالم كله لم يتوقف عن الحديث عنها فالاتفاقية ذات تأثير بعيد على جميع دول العالم وبالتالى على جمع شعوب العالم غنيها وفقيرها من آخر دول الشمال فى القطب الشمالى الى آخر دول الجنوب فى القطب الجنوبى ومن الشرق الى الغرب. إن هذه الاتفاقية التى بدأت فى عام ١٩٤٦ بثلاثة وعشرين دولة وانتهت فى ١٥ ديسمبر ١٩٩٣ بمائة وسبع عشرة دولة أصبحت حدثا خطيرا فى حياة العالم.

فمواد الاتفاقية تؤثر بشكل أو بآخر على اقتصايات دول العالم المختلفة حتى تلك التى لم توقع الاتفاقية فى ١٥ ديسمبر أو تلك التى لن توقعها فى مراكش فى ابريل القادم. كل دولة حسب نصيبها من التضحيات ونصيبها من المكاسب ماذا سوف تفعل فى تصدير أى مواد تستطيع أن تقدمها لأسواق العالم فى حالة تسمح بالفوز فى منافسة حتى سلع الدولة المستوردة نفسها، وأى المواد سوف تحتاج لاستيراده ولكم وهل سوف تدفع شيئا زائدا عما تدفعه الان بعد رفع القيود الجمركية والغاء الدعم الحكومى خاصة على الانتاج الزراعى. كل الدول مشغولة بموقف الجات منها وموقفها من الجات والارباح والخسائر التى سوف تعود عليها من الاتفاقية التى وصفت بأنها أضخم اتفاقية اقتصادية فى التاريخ والتى لم يكن من المتصور أن يكون لها وجود الا بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وخضوع العالم لقوة احادية واحدة اصبحت تقوده سياسيا ثم اقتصاديا طبقا لاهدافها أولا وتحقيقا لرفاهية شعبها فى المقدمة. كانوا يقولون فى الماضى على سبيل المداعبة أو على سبيل السخرية: الكرة الارضية يحملها ثور ذو قرنين وانه فى بعض الفترات واذا أحس بالتعب نقل العالم من فوق قرن الى قرن آخر وقعت فى العالم الزلازل والبراكين .. المهم أن العالم الذى كان يحمله ثور بقرنين أصبح الان

يحمله ثور بقرن واحد .. أو بمعنى أصح لم يصبح الذى يحمل العالم ثور بل بل أصبح وحيد القرن وتستطيع أن تتخيل ماذا يمكن أن يفعل حيوان بدائى قاس متوحش دموى مثل وحيد القرن.. وهذابالضبط الذى يسمونه النظام العالمى الجديد سواء فى السياسة أو الاقتصاد. وبالمناسبة وحيد القرن أتصوره وحيد العين أيضا وإن لم يكن كذلك فقائد نظامنا العالمى الجديد وحيد العين أيضا يرى الامور على نصف حقيقتها ومن الزاوية التى يجب أن يراها عليها .. هذا قدر العالم فى أخريات القرن العشرين قرن العجائب، أما فى القرن الواحد والعشرين فالله أعلم اذا استمرت تلك الأحادية لو اتيح لبعض الشعوب أن ينفخ الله فيها من روحه حتى تشب عن الطوق وحتى تعيد النظام الى العالم وحتى تضع الكرة الارضية مرة أخرى فوق قرنى ثور هادئ الاعصاب قوى البنية لا يهتز كثيرا ولا يضيق بحمله إطلاقا ..

ونعود لاتفاقية الجات ونطلع على صحف العالم ونرى للوهله الاولى أن بعض الصحف فى بعض الدول تصفها بالاتفاقية الكارثة ودول أخرى تصفها بأنها هدية العالم الجديد بل القرن الجديد الى بعض شعوب العالم. هناك اجماع بين جميع المعلقين فى جميع دول العالم أن الاتفاقية جاءت دعما لغنى الاغنياء وتأكيدا لفقر الفقراء، وأن الفقراء هم الذين سوف يدفعون الفاتورة وأن جميع الزيادة الطارئة على دخول العالم الغنى والتى قدرت بمليارات الدولارات سوف يدفعها الفقراء المدقعون من دول العالم الثالث والرابع أى من دول الشرق الاوسط والاقصى والدول الافريقية.

وكان رد فعل الدول الفقيرة على الاتفاقية مختلفا وكانت التعليقات فى العالم واضحة فقد قالت منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية (إن الدول النامية حصلت على فتات «كعكة أوروجواى» أى اتفاقية الجات).

وطالبت إحدى المنظمات الخيرية البريطانية بضرورة مساعدة الدول الافريقية على تجاوز محنة (الجات) لانها الخاسر الاكبر فى هذه الاتفاقية.

وفى الهند طالبت قوات المعارضة فى البرلمان الهندى باستقالة حكومة رئيس الوزراء نارا سيما راو فى الوقت الذى عطلت فيه البرلمان احتجاجا على تصديق الهند على اتفاقية الجات.

ووصف الاعضاء ذلك بأنه يعنى بيع الهند للولايات المتحدة الامريكية كما قالوا إن الهند أصبحت (عبدا) للعديد من الدول الكبرى.

وفى الوقت الذى يشير فيه نواب المعارضة الى أن الاتفاقية تضر بالمزارعين الهنود قام الآف من المزارعين المعارضين للجات بتنظيم مظاهرات تعلن معارضتها لهذه الاتفاقية.

وفى اليابان واجه رئيس الحكومة انتقادات حادة من المعارضة لانه فتح اسواق بلاده للارز الوارد من امريكا ومن غيرها ووصفته المعارضة بأنه باع اليابان لامريكا واضطر رئيس الوزراء للاعتذار علنا للشعب اليابانى.

وفى كوريا الجنوبية هوجم توقيعها على الاتفاقية حتى اضطر رئيس الوزراء هوانج آن سونج الى الاستقالة من منصبه بسبب مسئوليته الاخلاقية عن هذه الاتفاقية التى وصفها بأنها غير متكافئة.

هذا جرى فى دول من دول العالم الثالث التى احست بمدى الخطورة التى قد تتسبب فيها هذه الاتفاقية.

وماذا عن مصر التى تهمنا بالطبع فى هذا الموضوع الهام الخطير. الواقع أن شيئا جديا لم نسمع به حتى الان فلم نقرأ أو نشاهد أو نسمع عن اجتماع دعا اليه مسئول للنظر في آثار اتفاقية الجات على الاقتصاد المصرى، لم نقرأ أن وزير التموين قد انزعج عندما سمع أن القمح والحاصلات الزراعية سوف يزداد ثمنها بمقدار ١٠٪ كما ذكرت الصحف العالمية، ولم نقرأ أن وزير الاقتصاد قد شكل لجنة لدراسة عوائق التصدير أو موقف التصدير على ضوء (الجات) والبحث جار عن أهم السلع التى سوف تلقى منافسة فى الاسواق الخارجية أو الداخلية، ولم نسمع حتى أن البنوك ناقشت هذا الامر الذى قد تقتضى زيادة عمليات التصدير الى دخول البنوك لدعم هذه الصادرات وتقديم التسهيلات المصرفية التى تتطلبها عمليات التصدير. لم نسمع شيئا من عشرات الاشياء التى لابد قد فعلتها دول العالم المختلفة غنية وفقيرة. هذا عن الافعال أما الاقوال فقليلها كان على مستوى الموقف. كان تصريح وزير الخارجية عمرو موسى تصريح وزير مسئول لا يجامل ولا يخفى حقيقة واذا كانت وزارة الخارجية هى وزارة الدبلوماسية فقد تكون الدبلوماسية سلوكا فى مواقف معينة أما الوطنية فسلوك تحدده المواقف الطارئة ولم يكن عمرو موسى دبلوماسيا ولا سياسيا بالمعنى التقليدى ولكنه كان وطنيا بالمعنى القديم والجديد معا فقد نعى على أغنياء العالم أن يزيد غناهم على حساب الفقراء وقرأ فى الاتفاقية ما قرأناه وقرأه العالم أجمع ... أما السيد وزير الاقتصاد فعلى

العكس تماما.. فإما تصريحات غامضة وهو غموض مقصود أو أمنيات وضعت فى شكل اخبار وحقائق وفي مؤتمر صحفى لوزير الاقتصاد قال إن اتفاقية الجات تعتبر دعما دوليا لتطبيق نظام الدعم والاغراق وإنها وضعت مبادئ عامة للدول الاعضاء لاتخاذ ماتراه من اجراءات لمكافحة الدعم والاغراق الذى تتعرض له منتجاتها. وقال إن الاتفاقية اتاحت لبعض الدول النامية ومنها مصر تقديم دعم لصناعتها المحلية دون التعرض لأية اجراءات تعويضية من جانب الدول المستوردة لهذه الصناعات.

أما فيما يتصل بارتفاع اسعار الحاصلات الزراعية والصناعات الزراعية فقد بشر الوزير المصريين بأنه تقرر منح هبات ومساعدات للدول النامية التى سوف تضار من رفع الاسعار. ثم تحدث الوزير عن أنه ليس هناك تناقض بين قوانين الاستثمار في مصر واتفاقية الاستثمار التي تم اقرارها ضمن اتفاقية الجات والتى تضمنت الغاء القيود على الاستثمار خلال سنوات اعتبارا من عام ١٩٩٥. لماذا لم يناقش الوزير بوضوح الاثار السلبية المترتبة على الاتفاقية؟ لماذا يحاول أن يقدم للشعب الصورة الوردية وكأن الشعب عاجز عن الفهم أو كأننا مازلنا أوصياء عليه؟ لماذا نبيع الاوهام دائماً لهذا الشعب؟ لماذا لا نصارحه بالحقائق حتى يعرف أن الطريق الوحيد للبقاء على وجه الارض والتطور والتقدم هو العمل والانتاج فقط ولا طريق غير العمل والانتاج . الم يشعر الوزير بغصة وهو يبشر الشعب أنه سوف يحصل على الهبات لسد العجز الناشئ عن ارتفاع أسعار المواد الغذائية؟ هل استمرأنا الحياة على المنح والمساعدات والقروض .. هل الغينا قدرة الشعب على العمل والانتاج؟ هل يسعدنا أن نحول هذا الشعب الى مجموعة من المتسولين طالبى الهبات والمنح .. لماذا لا نستثير فيه نوازع الكرامة التى خاض بها معارك حياته وحطم فيها جميع المستعمرين وعاش كريما حتى اليوم الذى جاءه وزراء يفرشون له الارض حريرا و ينافقونه حتى يبقوا فى مناصبهم .. هل تساوى المناصب مهما علت ومهما طالت واستطالت هل تساوى إخفاء الحقائق عن الناس؟ هل يمكن لضمير أى مسئول أن يكون مطمئنا عندما يعلن علانية وهو يتحدث عن اتفاقية الجات (أن الدول النامية لن تضار) الى هذا الحد وصلت بنا الامور وجميع الذين قالوا سوف تضار ومنهم محايدون ومنهم وزراء ومسئولون فى دول نامية مثلنا بل ومنهم وزراء وطنيون عندنا - جميعهم أخطأوا وأننا لن نضار من اتفاقية الجات ..

إن من أهم ما يعتمد على اقتصاد الدول جميعها غنية ونامية فى ظل اتفاق الجات

الجديدة هو التصدير، ومصر بعد الجات وقبل الجات فى أشد الحاجة الى التصدير كوسيلة للحصول على القطع الاجنبى وايضا لاصلاح الميزان التجارى المائل دائما، فالحقائق تقول أن معدلات نمو الصادرات الزراعية انخفضت بنسبة ٢,٥٪ تقريبا سنويا خلال السنوات الخمس الماضية وتناقصت الاهمية النسبية للصادرات الزراعية فبعد أن كانت تشكل ما يقرب من ٥٠٪ من الصادرات فى السبعينيات تراجعت حاليا الى ما يقرب من ١٠٪ فقط فى السنوات الاخيرة وتخلفت صادرات ومنتجات كانت تتمتع تاريخياً بأسواق عالمية تقليدية، ويرجع ذلك الى متغيرات خارجية ودخول بعض الدول المنافسة واجراءات اخرى داخلية منها سياسات سعرية وتصديرية غير ملائمة .. مثلا القطن المصرى طويل التيلة تسببت سياسات تصديره فى الاضرار به اضرارا بالغا وهبطت صادراته الى ٢٦٠ الف قنطار عام ١٩٩١ تقدر قيمتها بستين مليون دولار وبالتالى تراجع القطن الى المرتبة الثالثة بعد البرتقال والأرز، أما البرتقال فقد تأثرت صادراته بعد انهيار الاتحاد السوفيتى الذى كان يستوعب أكثر من ٦٠٪ من انتاج مصر ولم يعد أمام البرتقال المصرى سوى أوروبا الغربية والاسواق العربية، وهو يلقى منافسة شديدة من اسرائيل وبعض دول المغرب العربى، وبالنسبة للارز فقد زاد الانتاج المحلى ولكن التصدير لم يزد بنفس النسبة، أما البطاطس فتعتبر انجلترا وألمانيا والسعودية أسواقاً تقليدية للبطاطس المصرية ولكنها تواجه منافسة شديدة من الدول الاخرى بالاضافة الى القيود التى تضعها السوق الاوروبية المشتركة على دخول المنتجات الاجنبية.

إن أهم ما يواجه صادراتنا الزراعية هو تفكك الاتحاد السوڤيتى المستورد الاول لحاصلاتنا بالاضافة الى تدنى نوعية منتجاتنا الزراعية وارتفاع الاسعار المحلية فى أحيان كثيرة وزيادتها عن السعر العالمى.

إن التصدير محاط بمشاكل كثيرة واذا كنا الان نرى صادراتنا تتراجع فهل نستطيع القول بأمانة أن أتفاقية الجات لن تضر بنا . وصناعاتنا المحلية وبصراحة هل هى قادرة على منافسة الصناعات القادمة من جميع أنحاء العالم.

إن الشعب قادر على مراجهة أى من الامور الصعبة وكل المطلوب من المسئولين أن يكونوا على مستوى المسئولية فلا يبيعونه الاوهام ولا يحسنون له الامور فكم أضاع الشعب المطيباتية الذين نافقوه وجاملوه حتى تخلفوا به وهم يقسمون له فى كل يوم أنه جاوز الاهرام طولا ... الحقيقة والحقيقة فقط أيها السادة من المسئولين ...؟

اسماعيل .. وأول انقلاب فى تاريخ مصر

لم يكن الخديوى اسماعيل ضعيفا ولا مترددا ولم يكن جبانا ولم يكن زير نساء ولم يكن مغفلا، وهذه الصفات حملها بعض افراد أسرته مثل عباس وسعيد بل ومن أولاده توفيق الذى كان والده يقول عنه أنه (أمير يحمل نفس عبد) وهو الذى فتح مصر للانجليز. وتاريخ اسماعيل زوره الصحفيون فى مصر والخارج وتحالف مع الصحفيين شخصيات مريبة كانت تهدف الى كسر مصر واستعمارها واستغلالها، وكان اسماعيل حجر عثره فى طريقها. إن أغرب ما أصاب تأريخ اسماعيل ما فعله أساتذة التاريخ الاجلاء الذين حطموا تاريخ أسرة محمد على وهم يتصورون أنهم يخدمون ثورة يوليو. هؤلاء الذين كتبوا فى مواثيق الثورة عن محمد على تاجر الدخان الذى كان كان يعمل لنفسه مع التركيز الشديد على مذبحة القلعة ثم تجاوز تاريخ ابراهيم ووصف عهد اسماعيل بالانحلال وبالديون وبضياع مصر بسبب تصرفاته الرعناء .. وفى الستينيات قدمت وزارة الارشاد على على مسرح البالون عملا ظلت تفخر به وكأنه أعظم عمل فنى فى القرن العشرين اسمه (الليله الكبيرة) مسخت فيه تاريخ مصر وأصبح هذا العمل القبيح مصدر تاريخ مصر الحديث وكأنه وثائق علمية ثابتة.

إن الايام الاخيرة فى عهد اسماعيل كانت صفحات ناطقة بأعظم ما يمكن أن يتمخض عنه تحرك هذا الشعب بكل طوائفه فى مواجهة الاجانب من انجليز وفرنسيين وألمان وطليان وغيرهم .. وهى المرة الاولى فى تاريخ مصر التى ينضم فيها ملك للثوار، نعم انضم اسماعيل للقيادات الشعبية وكان ذلك هو السبب الاخير فى قرار عزله. بدأت المرحلة الاخيرة بما عرف باسم ثورة الضباط واعتدائهم بالضرب على رئيس الحكومة نوبار باشا. في تلخيص شديد أقول عندما وصل اسماعيل الى منابع النيل خشى الاستعمار من امتداد حكم اسماعيل الى وسط افريقيا فدبرت حرب الحبشة التي شكل لها اسماعيل جيشا بقيادة راتب باشا وكان مسئول

الامدادات بها أحمد عرابى وصنع كمين قضى على الجيش المصرى وحوكم عرابى متهما بأنه المتسبب فى هزيمة الجيش وفصل بحكم من مجلس عسكرى وأعاده اسماعيل بعد ذلك للجيش. المهم أن الضباط العائدين من هزيمة الحبشة شكلوا تنظيما للضابط الاحرار بقيادة على الروبى الذى زامل عرابى فى ثورته ثم انقلب عليه وانضم للانجليز. المهم أن الضباط الاحرار بقيادة على الروبى قروا عزل الخديوى واعلان الجمهورية واختاروا على مبارك رئيسا للجمهورية وتحدثوا اليه فى ذلك فذهب من فوره الى اسماعيل وحكى له كل ما حصل، لم يغضب اسماعيل بل فرح فرحا شديدا بوجود هذا التنظيم واستطاع أن يجتمع بهم وأن ينضم اليهم في أعمالهم الوطنية وكان منها الثورة التى اعتدى الضباط فيها على رئيس الحكومة نوبار احتجاجا على رفت ٥٠٠ ضابط دون أن يدفع لهم متأخرات مرتباتهم. وكانت هذه حيلة من اسماعيل للتخلص من حكومة نوبار الانجليزية التى تأتمر بأمر عضويها الانجليزى والفرنسى وتضرب عرض الحائط بمصالح المصريين. وأرسل الخديوى الى مندوبى انجلترا وفرنسا بمصر (أنه لن يكون مسئولا عن السكينة العامة إلا إذا أعيد اليه نصيبه الشرعى من حكم البلاد وصرح له إما أن يرأس مجلس الوزراء أو بانتخاب رئيس للوزراء يختارة وانسحب نوبار من الوزارة وعين بدلا منه ولى عهده الامير توفيق.

وفى ٥ أبريل اجتمع النواب والأعيان وكبار الموظفين والعلماء ورجال الجيش أمثال شريف باشا وأحمد رشيد باشا والسيد البكرى والشيخ العدوى وقرروا تقديم لائحة مالية يعارضون بها لائحة ولسن وقد شفعوها بخطاب يقولون فيه «إن الواجب يحتم علينا أن نضع مشروعا يرمى الى المحافظة على حقوق الوطنيين والاجانب على السواء ... ونرجو التصريح بعرضه على مجلس شورى النواب على شريطة أن يتفضل الخديوى فيمنح هذا المجلس السلطة المتمتعة بها مجالس النواب فى أوروبا فيما يختص بالأحوال الداخلية والمالية، ويجب أن ينقح قانون الانتخاب الحالى ليكون مماثلا للقوانين الانتخابية المعمول بها فى أوروبا، وينتخب النواب فى الدور المقبل بحسب القانون الحالى على أن يعد مجلس الوزراء فى أثناء هذا الدور قانون انتخاب جديد يعرضه على مجلس النواب والخديوى.

« ويعين الخديوى رئيس مجلس الوزراء ويكلفه بتشكيل الوزارة ويكون مجلس الوزراء مستقلا فى عمله مسئولا أمام مجلس النواب عن جميع تصرفاته فى الشئون الداخلية والمالية».

وقد ختم الخطاب بدعوة الخديوى الى تعيين مراقبين ماليين أو بعبارة أخرى عزل الوزارة الأوروبية والعودة الى نظام المراقبة الثنائية القديمة وبالتالى تأليف وزارة وطنية بحتة.

كان الخديوى يملك هذا الحق لأنه بمقتضى الاتفاق الذى أبرم بين فرنسا وانجلترا ومصر فى ١٤ أكتوبر سنة ١٨٧٨« كان يجب أن توقف مصلحة المراقبة عن العمل بشرط أن تعود من جديد الى العمل فى حالة ما اذا عزل أحد الوزيرين الفرنسى والانجليزى الموجودين بالقاهرة من وظيفتة دون موافقة سابقة من حكومته».

لذلك لم يتأخر الخديوى فى استعمال حقه، وأعلن في يوم ٥ أبريل لهيئات الأمة المختلفة موافقته على مشروعها مؤكدا «أنه يرفض كل فكرة تريد العودة الى نظام الحكومة الشخصية، ويطلب من أوروبا أوسع رقابة ممكنة على الادارة المالية، وهو يريد أن يحكم بواسطة ومع مجلس وزارء مسئول حقا أمام مجلس النواب».

على هذا الأساس اتفق الخديوى مع الوطنيين فى الخطة التي ترمى الى القضاء على السلطة السياسية التى اكتسبها الأجانب فى مصر خصوصا منذ تأليف الوزارة الأوروبية وحصر التدخل الأجنبى فى دائرة مالية بحتة.

وفى مساء ٧ أبريل دعا الخديوى قناصل الدول الى سراى عابدين وأخبرهم، بحضور الشيخ البكرى، وراتب باشا، وراغب باشا، وعبد السلام المويلحى وغيرهم من وجوه المصريين «أن الاستياء فى القطر بلغ حدا أصبح معه يرى نفسه مضطرا الى اتخاذ اجراءات حاسمة .. وأن الأهالى يحتجون جميعا على ما يريد ولسن اعلانه من أن البلد مفلس، ويطلبون تشكيل وزارة مصرية محضة تكون مسئولة أمام مجلس نواب منتخب بحسب لائحة جديدة، وأنه يرى اجابة لطلبهم أن يكلف شريف باشا بتشكيلها على أن تكون أعمالها سائرة علي مبدأ المسئولية» وقد أعلن الخديوى أن الان توفيق قدم استقالته من رياسة الوزارة فعين مكانه بالفعل شريف باشا.

وقد شرعت وزارة شريف منذ توليها الحكم في انفاذ الاصلاحات وقررت زيادة الجيش الى ٦٠,٠٠٠، واشتغلت بوضع دستور جديد ودعت مجلس النواب الي الانعقاد فى شهر ماير فاجتمع في ١٧ مايو برياسة حسن راسم باشا (رشيد باشا رئيسه كان مريضا) وجاء شريف وعرض عليه اللائحة الاساسية وقانون الانتخاب الجديد.

قالت التايمز اللندنية أن ما حدث فى مصر فى ٧ أبريل هو انقلاب قاده الخديوى.

وكان لابد وقد تحول الموقف فى مصر الى حكومة وطنية يساندها الخديوى أن يصدر قرار عزل اسماعيل. قال اسماعيل لقد كنت احارب وحشا له عشرة رؤوس كلما قطعت رأسا نبتت مرة ثانية وهى «القنصل - القواد - السمسار - الصحفى - المأجور - المرابى - الأرمنى - الجاسوس - المقامر - اللص - الغنى ..».

الاهرام ٩٤/١/١

تنبؤات غير فلكية
أحداث لن تحدث فى العام الجديد

بعيدا عن الافلاك ودورانها .. بعيدا عن عطارد والزهرة والمشترى وتقاربهم وتباعدهم .. بعيدا عن الحمل والزهرة والحوت الدلو ... بعيدا عن الثور والفيل والثعلب والحصان ... بعيدا عن كل الابراج والافلاك وضرب الودع وفتح المندل والكوتشينه وقراءة الفنجان والاثر والطالع والغيب بعيدا عن كل هذه الميادين نحاول أن نقتحم مجالا احتله اناس سعداء .. سعداء بما يظنونه فى انفسهم وسعداء بما يظنه الناس فيهم وهم يتقاضون اجر سعادتهم واجر اسعادهم الغير .. وكل من الطرفين يعرف أنه يخدع الاخر فالمنجم يزعم للمنجم له أنه يعرف الغيب ويقرأ صحيفة المستقبل وهو يعرف فى اعماق اعماقه أن صاحبه لا يصدقه ولكنه يرجو أن يصدقه، والمنجم له يعرف أن المنجم لا يعرف شيئا وأنه أمى فى قراءة الحاضر فما بالك بقراءة المستقبل ويعرف أن المستقبل بيد الله وأن علم الغيب لم يمنحه الله لاحد من عباده خاصة اولئك الذين يتجرون به ويخدعون الناس به ويحركون احداثا هامة اعتمادا عليه .. بعيدا عن كل هؤلاء نقرأ العام القادم، ليس ضربا من الغيب وليس محاولة استكشاف فإذا كان الغد هو الابن الشرعى لليوم فلابد أن تظهر ملامح الغد منذ اليوم ولابد أن تظهر ملامح الجنين وهو فى حجر أمه بعد أن خرج الى العالم. لكن الذى يحدث فى العام الجديد يتصل تماما بما يتمناه الناس فإذا قلت كما يقولون سوف تشهد القارة الافريقية رخاء ما بعده رخاء ويبتعد شبح الجوع والخوف وتستعيد القارة مكانتها على خريطة العالم المتقدم، اذا قلت هذا قد تدخل السعادة على بعض الناس ولكن كم مغالطة قد ارتكبت وكم كذبة قد أشعت؟ هل يمكن أن يتصور عاقل أن يدخل الرخاء القارة الافريقية وكيف ومن أين ولماذا ... وعشرات الاسئلة التى لا نجد لها جواباً ثم كيف يبتعد شبح الجوع؟ طبعا اذا جاء الرخاء أليست هذه أمنيات بل وأمنيات مستحيلة التحقيق، ثم القول بأن القارة الافريقية سوف تعود لمكانتها

على خريطة العالم فهل كان للقارة الافريقية ذات يوم أى مكان على خريطة العالم سوى مكانها الحالى؟ مكان البؤس والفقر والمرض والموت والهلاك والاستعمار قديمه وجديده ... وهكذا يذهب المنجمون يتلاعبون بأعصاب الناس يحاولون اذا كانوا صالحين أن يخففوا عنهم البلاء وأن يذهبوا به بعيدا عن خيالهم حتى يراوحون بين الناس وكأنهم سعداء ... اذن ماذا نحاول نحن أن نقول ... اذا كانت الاحداث المتوقعة ضربا من الخيال فإن الاحداث التى لن تقع ضرب من الواقع ... اذن فلنتخذ بر الامان ونبحث معا عن الاحداث التى لن تحدث فإذا خاننا الزمان وحدثت فليس عليك الا أن تقول دائما (كذب المنجمون ولو صدقوا أو صدفوا).

البوسنة والهرسك

لن يتحقق السلام عام ١٩٩٤ فى البوسنة والهرسك رغم أن المندوبين الدوليين سوف يعرضان خططا جديدة للسلام وستتم الاجتماعات فى جنيف وسوف تستقبل مدن كثيرة بعثات متتابعة للسلام وسوف يشهد العالم عاما جديدا من البكاء على الضحايا المسلمين ... النساء والاطفال، سوف يزداد الصرب ضراوة فالعالم القادر معهم والعالم القوى معهم والسلاح يأتيهم من كل فج عميق .. من روسيا الحليف القديم مارا باليونان الدولة التى لن تسمح لدولة اسلامية أن تنشأ قريبا من حدودها ودول البلقان الاخرى وأوروبا وأمريكا راعية أوروبا ومعلمتها .. سوف يزداد الكلام وربما اشتاق كلينتون أن يلبس ملابس مخلص البشرية واذا فعل ذلك سوف يكون لمدة ساعات كالطفل إذا تعلق برداء الفارس وتركه أبوه يلعب به ساعة أو ساعات ... سوف يطلق الغرب قصائد الشعر وسوف ينتج افلاما تسجيلية اخرى تشرح هول الذى يحدث وسوف تنشر اسرار جديدة عن الدفن الجماعى وعن الاغتصاب العرقى وعن وعن ... وينشط المفاوضان أو السمساران اللذان يعملان لصالح الصرب والكروات ويمنحانهم الفرصة تلو الفرصة للتخلص من اكبر عدد ممكن من المسلمين ... ان السلام لن يحل الا عندما يوشك المسلمون على الفناء ولكن فى عام ١٩٩٤ مازالت هناك اعداد كبيرة من المسلمين على قيد الحياة قابلة للقتل والسحل والموت ومادام هذا العدد الكبير مازال على قيد الحياة فلم السلام ولمن. لكل ذلك سيظل حال البوسنة والهرسك فى عام ١٩٩٤ كحالها فى ١٩٩٣ بل ربما زاد عدد قوات الامم المتحدة التى لا تفعل شيئا من ٢٥ الف الى ٣٥ الف أو نحو ذلك ولكن سيظل كل شئ على حاله ويعيش النظام العالمى الجديد ..

الصومال وافريقيا

سيشهد عام ١٩٩٤ جلاء القوات الامريكية عن الصومال حتى يتم الجلاء فى مارس القادم .. وسيعم الفرح اهالى الصومال وستخرج المظاهرات تلعن اليوم الاسود الذى دخلت فيه القوات الامريكية الصومال (لإحياء الامل) فقتلت الامل والشعب الصومالى وأحيت فقط احلاما استعمارية قديمة وعندما وجد كلينتون أن قلقه دفع بجنوده الى مستنقع ليس من السهل الخروج منه قرر الفرار وترك المصالح البترولية الامريكية الى حين. واعتقد أن جلاء الأمريكان عن الصومال سيتبعه جلاء جنود من دول اخرى اولئك الذين ذهبوا الى الصومال ليس من اجل احياء الامل وليس من اجل الصومال ولا من أجل افريقيا كلها ولكن من أجل سواد عيون الامريكان، ومادام الأمريكان قد رحلوا فلماذا نبقى نحن ... انهم قدوه وامام وهناك من لايسيرون وحدهم ولكنهم قد رحلوا فلماذا نبقى نحن ... انهم قدوة وإمام وهناك من لا يسيرون وحدهم ولكنهم دائما فى حاجة الى القدوة والى الإمام ..

والامم المتحدة ... هل ترحل ... اذا قللت جنودها فهى لن تترك الصومال تماما ولكنها لن تنجح فى حل المشاكل السياسية ولا الاقتصادية وستظل عام ١٩٩٤ على الصومال كما كان عام ١٩٩٣ وإن كان هناك احتمال اكبر بانتشار الجوع بشكل اوسع وانتشار الموت بشكل اسرع وعلى المبادئ العالمية ... السلام.

روسيا

لن تكون فى روسيا ديمقراطية وهذا الدكتاتور الصغير يحكم.

حدث فى عام ١٩٩٣ الكثير فى روسيا ودخلت احداث هذا العام التاريخ ومازال فى ذهن الملايين من شعوب العالم منظر دبابات يلتسين وهى تضرب العزل فى مبنى البرلمان ومازال المشهد المأساة وهو وضع القيد الحديدى حول معصم رئيس البرلمان المنتخب ونائب الرئيس ويجرهم الجنود كالمجرمين .. انها مشاهد دخلت التاريخ فعلا واذا كان اليمين المتطرف قد حصل على الاغلبية فى البرلمان فهذا هو الثمن المناسب الذى لابد أن يدفعه الدكتاتور الامريكى يلتسين .. إن مؤرخ روسيا القيصرية وروسيا الشيوعية قد شهد الكثيرين من الدكتاتورين ولكن يلتسين أول دكتاتور عميل يعمل لحساب دولة كانت ومازالت تناصب دولته العداء ولكنه الحرص على المناصب والحرص على الجاه حتى ولو كان ملوثا بدماء مواطنيه. لن

يحمل عام ١٩٩٤ أى جديد فى طريق حل الازمات فى روسيا فالاقتصاد سوف يزداد انهيارا، والمأزق السياسى سوف يزداد تعقدا ولن يترك يلتسين الحكم حتى لو قتل عدة ملايين من الروس حتى ولو قتل منافسه الجديد الذى يطمع فى دكتاتورية من نوع اخر. لن تشهد روسيا تقدما يذكر فى أى ميدان من ميادين الحياة ... صباح الخير ياجورباتشوف ...

الخصخصة

وننتقل الى الداخل وان كان الحديث عما لن يحدث فى الداخل مسأله سهلة ولا تحتاج الى أى نوع من العناء أو التفكير أو الاستنتاج فيكفى أن تراجع ما وعد به السادة الوزراء فى اول العام الجديد وتراهن بمليون جنيه على أن هذه المشروعات بالذات هى التى لن تحدث فى العام القادم، والحقيقة أن الدكتور عاطف صدقى قد اراحنا من التخمين واحتمالات الخطأ فقد اعتاد أن يلقى بيانا وزاريا فى آخر كل عام منذ سبعة أعوام يعدد فيه الأحداث التى لن تحدث فى العام القادم، وهو بهذا يسهل علينا الامر ويكفى أن ننقل عن بيان الوزارة الذى يقدمه الدكتور عاطف فى مجلس الشعب فنعلم على الفور ما هى الاحداث التى لن تحدث فى العام الجديد ...

أما اذا تركنا البيانات ونزلنا الى السوق لنرى ما سوف يحدث فى بعض المشكلات التى بدأت منذ اكثر من عام ونحاول أن نعرف ماذا سيحدث لها فى العام القادم ومنها الخصخصة، ففى الواقع أن عام ١٩٩٣ قد حمل انتصارا خصخصيا عظيما من المستحيل أن يتكرر فى العام القادم أو فى الاعوام القادمة وهو التخلص من شركتى الكولا بالبيع وقد بشرنا السيد وزير قطاع الاعمال أننابعنا هاتين الشركتين بمبالغ زادت عن تقدير لجان التقييم او التقويم وزف سعادة الدكتور عاطف عبيد البشرى للشعب المصرى الكريم أنه تخلص من شركتى الكوكاكولا والبيبسى كولا وفى الحقيقة لقد احس الشعب المصرى بالراحة الشديدة فقد كانت هاتان الشركتان الاستثماريتان كاتمتين على نفس الشعب المصرى وقد اتضح، وان كان هذا الكلام لم ينشر، بعد أن الكثير من المصائب والبلاوى التى عاش الشعب المصرى فى ظلها كانت بسبب ملكيته للشركتين العملاقتين .. وفى ابحاث للمعهد القومى الاستراتيجى سوف يتضح عن قريب وعن قريب جدا أن انتشار البلهارسيا بين أفراد الشعب المصرى سببه الأساسى تناول شراب البيبسى والكولا ... وخاصة البيبسى لانها كبيرة وقد اضاف العملاء للفظ كبيرة (الذيذة) لخداع الشعب المصرى الطيب الذى نادى بحياتى قاتليه الكولا والبيبسى وانطلى

الزور عليه كما قال احمد شوقى فى قصيدة يدافع فيها عن (الشعب) ثبت من هذه السنوات الطويلة أن النيل العظيم الذى اتهموه ظلما وعدوانا بأنه السبب فى البلهارسيا والانكلستوما برئ منهما براءة الذئب من دم ابن يعقوب، ولو كان (محمد رضا) قد عرف هذه الحقيقة لعدل فورا عن حكمته الشهيرة (كلما ادينا ظهرنا للترعة عمر البلهارسيا فى جتتنا ما ترعا) ليكون (كل ما ادينا ظهرنا للبيبسى البلهارسيا فى جتتنا ما ترسى) ... من اجل ذلك وبعدأن خصخصنا هاتين المصيبتين لا أعتقد أن شيئا سوف يتخصخص فى العام القادم.

الا الشركات الكسبانة فلن يباع فى العام الجديد أى شركة خاسرة. ستباع الفنادق شيراتون وغيره من الشراتين وكل الفنادق التى ضاق بها الشعب المصرى وكانت تذكره بمعسكرات الانجليز أيام الاحتلال البغيض. فالهيلتون مثلا أقيم مكان ثكنات الاسماعيلية التى كان بها جيش الاحتلال ومن قبل الاحتلال ففى هذه الثكنات سجن عرابى باشا وزملائه .. اما الشيراتون فيقع عند كوبرى الانجليز .. لابد من التخلص من هذه الأثار الاستعمارية التى تذكرنا بالمستعمر المحتل مهما كانت تكسب .. تكسب ايه .. دولارات طظ ... التاريخ أهم .. سنبيع الكسبان اما الخسران فسيبقى فى حضننا واذا كان يخسر سوف نسدد خسارته من ارباح الكسبان الذى بعناه.

البنك الدولى وصندوق النقد الدولى

لن يحدث فى العام الجديد أى مخالفة لتعليمات البنك الدولى فسوف نخفض الجمارك بنسبة ١٠٪ وينزل الحد الاقصى من ٨٠٪ الى ٧٠٪.

لن تستقر ضريبة المبيعات فستنفذ المرحلة الثانية وتطبق على تجار الجملة والموزعين لتزيد الحصيلة .. لن تستقر فائدة الودائع على الجنيه المصرى فسوف يخفض سعر الفائدة بنسبة ٥٪.

لن تخفض اعباء المعيشة بل سوف تزيد أسعار الكهرباء والبترول بنسبة ٧,٥٪ لن ينتهى الاصلاح الاقتصادى هذا العام .. لن يتم التخفيف عن الطبقات الكادحة لن يتوقف اسهال القوانين فسوف تصدر قوانين النقد الاجنبى وتعديل قانون الاستيراد والتصدير .. وقانون مكافحة الغش التجارى الاحتكار وقانون العمل الموحد وقانون التحكيم التجارى الدولى .. لن يتوقف الشعب المصرى عن الانجاب .. ربما لا يتم الحوار بين الاحزاب انما المؤكد

انه يتم حوار بين كل مواطن ونفسه اى حوار داخلى لا يسمعه احد وفى لحظات يخرج الحوار فيصبح مسموعا وتتردد اثناء الحوار كلمات مثل ... أسود ... الموت ... أهون ... نروح فين بس ... هو حد حاسس بحاجة ... حظنا بقى ... اللى يحصل يحصل ... ثم يكتشف المواطن الشريف أن اللى يحصل ما بيحصلش ... والى عام جديد بإذن الله وكل عام وانتم بخير وربنا يجعل بيت المسلمين عمار.

أخيرا ... «السيمه»

ولابد قبل أن ننهى الكلام لضيق المكان أن نتحدث عن السينما. لا اعتقد أن شيئا سوف يحدث فى ميدان السينما على الاطلاق فالاستديوهات ودر العرض المعروضة للخصخصة لن تتخصخص وستظل كالبيت الوقف لن تجد من يشتريها ولن تجد ايضا من يتبناها وستظل تابعة للشركة القابضة للاسكان، أما الرقابة فمازالت قائمة بدورها فى عكننة السينمائيين وقريفة الكتاب والمفكرين فلا تغيير يذكر حتى اذا بلغ احدهم سن المعاش جاء من يحمل افكاره ويسير على منواله حتى يقول الجميع كأننا يابدر لارحنا ولا جينا ...

ان قرار المدعى العام الرأسمالى (وهو غير المدعى الاشتراكى) بشأن السينما يقول (يبقى الحال على ما هو عليه وعلى المتضرر أن يضرب راسه فى الحيط) ..

قال طه حسين (المعذبون فى الارض) وقال المخرج احمد يحيى (الموظفون فى الأرض) ومادام الاستاذ احمد قد عاد من البعثة ورد الله غربته فأقترح عليه أن يكون طليعة اخراجه فيلما بعنوان (السينمائيون فى الارض) ... ورحم الله طلعت حرب ومحمد كريم وفيللينى .. ولا تغدينى ..

الأهرام ٩٤/١/٨

الفهـرس

النـاشـر :
الفـجر للنـشر والتوزيـع
١٦٥ ش محمد فريد - القاهرة ت: ٣٩١٨٤١٤

٨ جنيهات